بسم الله الرحمن الرحيم

٦٥ ـ كتاب التفسير

الرحمن الرحيم: اسمانِ من الرحمةِ، الرحيم والراحمُ بمعنى واحد كالعليم والعالم

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم كتاب التفسير) والتفسير تفعيل من الفسر وهو البيان.

واختلفوا في التفسير والتأويل، قال أبو عبيدة وطائفة: هما بمعنى.

وقيل التفسير هو بيان المراد باللفظ، والتأويل هو بيان المراد بالمعنى، وقيل في الفرق بينهما غير ذلك.

قوله (الرحمن الرحيم اسمان من الرحمة) أي مشتقان من الرحمة، والرحمة لغة الرقة والانعطاف، وعلى هذا فوصفه به تعالى مجاز عن إنعامه على عباده[١].

١ ـ باب ما جاء في فاتحة الكتاب

وسُمِّيَت أمَّ الكتاب أنه يُبدَأ بكتابتها في المصاحف، ويُبدَأ بقراءتها في الصلاة

والدِّين الجزاء في الخير والشرّ: كما تَدِين تُدان. وقال مجاهد: بالدِّين بالحساب، مَدينين محاسَبين

قوله (باب ما جاء في فاتحة الكتاب) أي من الفضل، أو من التفسير، أو أعم من ذلك، مع التقييد بشرطه في كل وجه.

قوله (وسميت أم الكتاب أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة) هو كلام أبي عبيدة في أول «مجاز القرآن» لكن لفظه «ولسور القرآن أسماء: منها أن الحمد لله تسمى أم الكتاب لأنه يبدأ بها في أول القرآن، وتعاد قراءتها فيقرأ بها في كل ركعة قبل السورة، ويقال لها فاتحة الكتاب لأنه يفتتح بها في المصاحف فتكتب قبل الجميع» انتهى. وبهذا تبين المراد مما اختصره المصنف، وقيل سميت أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى والتعبد بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وعلى ما فيها من ذكر الذات والصفات والفعل، واشتمالها على ذكر المبدأ والمعاد والمعاش.

وللفاتحة أسماء أخرى جمعت من آثار أخرى: الكنز والوافية والشافية والكافية وسورة الحمد والحمد لله وسورة الصلاة وسورة الشفاء والأساس وسورة الشكر وسورة الدعاء.

قوله (الدين[٢] الجزاء في الخير والشر، كما تدين تدان) هو كلام أبي عبيدة أيضاً.

وللدين معان أخرى: منها العادة والعمل والحكم والحال والخلق والطاعة والقهر والملة

---

(١) تأويل الحافظ لصفة الرحمة بأنها مجاز عن إنعام الله على عباده، مردود، والصواب ما قاله السلف الصالح ومن سار على منهجهم وعقيدتهم، وهو إثبات الصفات التي وردت دون تأول ولا تشبيه.

(٢) رواية الباب واليونينية "والدِّين...."

والشريعة والورع والسياسة، وشواهد ذلك يطول ذكرها.

٤٤٧٤ ـ عن أبي سعيدِ بن المعلى قال: «كنتُ أصلّي في المسجدِ فدعاني رسولُ الله ﷺ فلم أجِبْه، فقلت: يا رسولَ الله إني كنت أصلّي، فقال: ألم يَقُلِ الله «٢٤ الأنفال»: {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم؟} ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السُّوَر في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورةٍ في القرآن؟ قال: {الحمد لله رب العالمين} هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُتيته».

[الحديث ٤٤٧٤ - أطرافه في: ٤٦٤٧، ٤٧٠٣، ٥٠٠٦]

قوله (لأعلمنك سورة هي أعظم السور) وفي حديث أبي هريرة أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها» قال ابن التين معناه أن ثوابها أعظم من غيرها، واستدل به على جواز تفضيل بعض القرآن على بعض.

ويؤيد التفضيل قوله تعالى {نأت بخير منها أو مثلها} وقد روى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {نأت بخير منها} أي في المنفعة والرفق والرفعة.

قوله (قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم) وفي هذا تصريح بأن المراد بقوله تعالى {ولقد آتيناك سبعاً من المثاني} هي الفاتحة.

وقد روى النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس «إن السبع المثاني هي السبع الطوال» أي السور من أول البقرة إلى آخره الأعراف ثم براءة، وقيل يونس.

وعلى الأول فالمراد بالسبع الآي لأن الفاتحة سبع آيات، وهو قول سعيد بن جبير.

واختلف في تسميتها «مثاني» فقيل لأنها تُثَنَّى في كل ركعة أي تعاد، وقيل لأنها يُثْنَى بها على الله تعالى.

(تنبيه): يستنبط من تفسير السبع المثاني بالفاتحة، أن الفاتحة مكية، وهو قول الجمهور، خلافاً لمجاهد.

ووجه الدلالة أنه سبحانه امتن على رسوله بها، وسورة الحجر مكية اتفاقاً فيدل على تقديم نزول الفاتحة عليها، قال الحسين بن الفضل: هذه هفوة من مجاهد، لأن العلماء على خلاف قوله.

٢ ـ باب {غير المغضوبِ عليهم ولا الضالّين}

٤٤٧٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: إذا قال الإمام {غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالين} فقولوا: آمين. فَمن وافقَ قولُه قولَ الملائكةِ غُفِرَ له ما تقدم

من ذَنبه».

قوله (باب غير المغضوب عليهم ولا الضالين) روى أحمد وابن حبان من حديث عدي بن حاتم «أن النبيَّ ﷺ قال: المغضوب عليهم اليهود، ولا الضالين النصارى»، وأخرجه ابن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر.

وقال ابن أبي حاتم: لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً. قال السهيلي: وشاهد ذلك قوله تعالى في اليهود {فباءوا بغضب على غضب} وفي النصارى {قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا} ثم أورد المصنف حديث أبي هريرة في موافقة الإمام في التأمين، وقد تقدم شرحه في صفة الصلاة[١].

(٢) سورة البقرة

١ ـ باب قول الله {وعلَّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها}

٤٤٧٦ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «يجتمعُ المؤمنونَ يومَ القيامةِ فيقولون: لو استَشفَعنا إلى ربنا، فيأتونَ آدمَ فيقولون: أنت أبو الناس، خَلَقكَ الله بيدِه، وأسجدَ لك مَلائكتَه، وعلَّمكَ أسماءَ كلِّ شيء، فاشفَعْ لنا عندَ ربِّك حتى يُريحَنا من مكانِنا هذا. فيقول: لستُ هناك -ويذكرُ ذَنبَهُ فيستحي- ائتوا نُوحاً فإنه أوَّلُ رسولٍ بَعثَهُ الله إلى أهل الأرض. فيأتونَهُ فيقول: لستُ هُناكم -ويذكرُ سؤالَهُ ربَّه ما ليسَ له بهِ عِلمٌ فيَستحي فيقولُ: -ائتوا خليلَ الرحمن. فيأتونَهُ، فيقول: لستُ هُناكم ائتوا، موسى عبداً كلَّمهُ اللهُ وأعطاهُ التوراة، فيأتونَه فيقولُ: لستُ هناكم -ويذكرُ قتلَ النفسِ بغيرِ نفس -فيستحي من ربهِ فيقول- ائتوا عيسى عبدَ الله ورسولَه وكلمةَ اللهِ ورُوحَه، فيقول: لستُ هُناكم، ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفرَ اللهَ له ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأخَّر، فيأتُوني، فأنطلِقُ حتى أستَأذِنَ على ربي فيُؤْذَن، فإذا رأيتُ ربي وقعتُ ساجِداً، فيَدَعُني ما شاء الله، ثم يُقال: ارفَعْ رأسَك، وسَلْ تُعطَه، وقُل يُسمَع، واشفعْ تُشفَّع. فأرفَعُ رأسي، فأحمدُهُ بتحميدٍ يُعلِّمُنيه، ثم أشفعُ، فيَحدُّ لي حَدّاً، فأدخِلُهمُ الجنَّة. ثمَّ أعودُ إليه، فإذا رأيتُ ربي -مِثلَه- ثم أشفعُ، فيحدُّ لي حداً، فأدخِلُهمُ الجنَّةَ. ثم أعودُ الثالثةَ، ثمَّ أعودُ الرابعةَ فأقول: ما بقيَ في النار إلاّ من حَبسَهُ القرآن ووجبَ عليه الخلود».

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم سورة[٢] البقرة) واتفقوا على أنها مدنية وأنها أول سورة أنزلت بها، وسيأتي قول عائشة «ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ﷺ» ولم يدخل عليها إلا بالمدينة.

---

(١) كتاب الأذان باب / ١١٣ ح ٧٨٢ - ١ / ٤٢٨

(٢) بدون ذكر البسملة في الباب واليونينية.

قوله (باب قول الله تعالى[١] وعلم آدم الأسماء) وساق المصنف حديث الشفاعة لقول أهل الموقف لآدم وعلمك أسماء كل شيء، واختلف في المراد بالأسماء: فقيل أسماء ذريته، وقيل أسماء الملائكة، وقيل أسماء الأجناس دون أنواعها.

وسيأتي شرح هذا الحديث مستوفى في كتاب الرقاق[٢] إن شاء الله تعالى.

٢ ـ باب * قال مجاهد: {إلى شياطينهم} أصحابهم منَ المنافقين والمشركين. {محيطٌ بالكافرين} اللهُ جامِعُهم. {على الخاشِعين} على المؤمنينَ حقاً. قال مجاهد: {بقوَّةٍ} يعمل بما فيه. وقال أبو العالية {مرضٌ} شكٌّ. {وما خَلْفَها} عِبرة لمن بقى. {لا شِيَةَ} لا بياض. وقال غيرهُ: {يَسومونَكم} يولونَكم. {الوَلاية} مفتوحة مصدر الوَلاء وهي الرُّبوبية، إذا كُسِرتِ الواو فهيَ الإِمارة. وقال بعضُهم، الحبوبُ التي تؤكلُ كلها {فُوم}. وقال قتادةُ: {فباءوا} فانقلبوا. وقال غيرهُ: {يَستفتِحون} يستنصِرون. {شرَوا} باعوا. {راعِنا} من الرُّعونة، إذا أرادوا أن يحمِّقوا إنساناً قالوا راعِنا. {لا يَجزِي} لا يُغنى. {خُطُوات} من الخَطْو، والمعنى آثارَه. {ابتلى} اختبر.

قوله (قال مجاهد إلى آخر ما أورده عنه من التفاسير) ومن طريق ابن عباس قال: كان رجال من اليهود إذا لقوا الصحابة قالوا إنا على دينكم، وإذا خلوا إلى شياطينهم -وهم أصحابهم- قالوا: إنا معكم. والنكتة في تعدية خلوا بإلى مع أن أكثر ما يتعدى بالباء أن الذي يتعدى بالباء يحتمل الانفراد والسخرية تقول: خلوت به إذا سخرت منه، والذي يتعدى بإلى نص في الانفراد، أفاد ذلك الطبري.

ويحتمل أن يكون ضمِّن «خلا» معنى ذهب. وعلى طريقة الكوفيين بأن حروف الجر تتناوب.

قوله (محيط بالكافرين: الله جامعهم) وصله عبد بن حميد بالإسناد المذكور عن مجاهد.

ومن طريق ابن عباس في قوله {محيط بالكافرين} قال منزل بهم النقمة.

قوله (على الخاشعين: على المؤمنين حقا) وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي العالية قال في قوله {إلا على الخاشعين} قال: يعني الخائفين، ومن طريق مقاتل بن حبان قال: يعني به المتواضعين.

قوله (بقوة: يعمل بما فيه) وروى ابن أبي حاتم والطبري من طريق أبي العالية قال: القوة: الطاعة، ومن طريق قتادة والسدي قال: القوة الجد والاجتهاد.

قوله (وما خلفها عبرة لمن بقي) وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي جعفر الرازي عن أبي العالية في قوله {فجعلناها نكالاً لما بين يديها} أي عقوبة لما خلا من ذنوبهم (وما خلفها)

---

(١) رواية الباب "قول الله" فقط واليونينية توافق الشرح

(٢) كتاب الرقاق باب / ٢٥١ ح ٦٥٦٥ - ٥ / ٧٦

أي عبرة لمن بقي بعدهم من الناس.

قوله (وقال بعضهم: الحبوب التي تؤكل كلها فوم) هذا حكاه الفراء في معاني القرآن عن عطاء وقتادة قال الفوم: كل حب يختبز.

قوله (وقال غيره: يستفتحون يستنصرون) هو تفسير أبي عبيدة، وروى مثله الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس، ومن طريق الضحاك عن ابن عباس قال: أي يستظهرون.

وروى ابن إسحق في السيرة النبوية عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ لهم قالوا: فينا وفي اليهود نزلت، وذلك أنا كنا قد علوناهم في الجاهلية فكانوا يقولون: إن نبياً سيبعث قد أظل زمانه فنقتلكم معه، فلما بعث الله نبيه واتبعناه كفروا به، فنزلت.

قوله (راعنا من الرعونة، إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا راعنا) قلت هذا على قراءة من نوّن وهي قراءة الحسن البصري وأبي حيوة، ووجهه أنها صفة لمصدر محذوف أي لا تقولوا قولاً راعنا أي قولاً ذا رعونة.

وقرأ الجمهور {راعنا} بغير تنوين على أنه فعل أمر من المراعاة. وإنما نهوا عن ذلك لأنها كلمة تقتضي المساواة، وقد فسرها مجاهد: لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك، وعن عطاء: كانت لغة تقولها الأنصار فنهوا عنها.

٣ ـ باب قوله تعالى {فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلَمون}

٤٤٧٧ ـ عن عبد الله قال: «سألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ الذنبِ أعظم عندَ الله؟ قال: أن تجعلَ لله نِداً وهوَ خَلَقكَ. قلتُ: إنَّ ذلك لعظيم، قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: وأن تَقتُلَ ولدَكَ تخاف أن يَطعمَ معك، قلتُ: ثم أيُّ؟ قال: أن تُزاني حَليلةَ جارِك».

[الحديث ٤٤٧٧ - أطرافه في: ٤٧٦١، ٦٠٠١، ٦٨١١، ٦٨٦١، ٧٥٢٠، ٧٥٣٢]

قوله (باب قوله تعالى: فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) الأنداد جمع نِدّ وهو النظير.

ثم ذكر المصنف حديث ابن مسعود «أي الذنب أعظم» وسيأتي شرحه في كتاب التوحيد[1] إن شاء الله تعالى.

٤ ـ باب {وظلّلنا عليكم الغَمامَ وأنزلنا عليكم المنَّ والسَّلوَى، كلوا من طيِّبات ما رزقناكم، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفُسَهم يَظلمون}

وقال مجاهد: المنُّ صَمغة، والسلوَى الطير.

٤٤٧٨ ـ عن سعيد بن زيد رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: الكمأة من المنّ، وماؤها شفاءٌ للعين».

[الحديث ٤٤٧٨ - طرفاه في: ٤٦٣٩، ٥٧٠٨]

(١) كتاب التوحيد باب / ٤٠ ح ٧٥٢٠ - ٥ / ٦٠٤

قوله (وقال مجاهد: المن صمغة، والسلوى: الطير) وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان المن ينزل على الشجر فيأكلون منه ما شاءوا.

ومن طريق سعيد بن بشير عن قتادة قال: كان المن يسقط عليهم سقوط الثلج أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل. وهذه الأقوال كلها لا تنافي فيها.

وروى ابن أبي حاتم أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: السلوى طائر يشبه السماني.

ومن طريق عكرمة قال: طير أكبر من العصفور. ثم ذكر المصنف حديث سعيد بن زيد في الكمأة من المن، وسيأتي شرحه في كتاب الطب[1].

٥ ـ باب {وإذ قلنا ادخُلوا هذه القريةَ فكُلوا منها حيثُ شئتم رَغداً، وادخُلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّةٌ نَغفِرْ لكم خَطاياكم وسنَزيدُ المحسنين}

رَغداً: واسعٌ كثير.

٤٤٧٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «قيلَ لبني إسرائيلَ {ادخلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حطة} فدخلوا يزحَفون على أستاههم فبدَّلوا، وقالوا حِطة حَبَّةٌ في شَعرة».

قوله (رغدا: واسعاً كثيرا) هو من تفسير أبي عبيدة قال: الرغد الكثير الذي لا يتعب يقال قد أرغد فلان إذا أصاب عيشاً واسعاً كثيرا.

٦ ـ باب: قوله {من كان عدواً لجبريلَ}

وقال عِكرمة: جَبْرَ، وميكَ، وسَرافِ: عبدٌ. إيلْ: اللهُ

٤٤٨٠ ـ عن أنسٍ قال: «سمعَ عبدُ الله بن سَلام بقُدُوم رسولِ الله ﷺ وهو في أرضٍ يَختَرِفُ، فأتى النبيَّ ﷺ فقال: إني سائلُكَ عن ثلاثٍ لا يعلَمُهُنَّ إلا نبيٌّ: فما أوَّلُ أشراطِ الساعةِ؟ وما أوَّلُ طعامِ أهلِ الجنة؟ وما يَنزِعُ الولدُ إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرَني بهنَّ جبريلُ آنفاً. قال: جبريل؟ قال: نعم. قال: ذاك عدوُّ اليهودِ من الملائكة. فقرأ هذه الآيةَ {مَن كان عدواً لجبريلَ فإنه نزَّلَهُ على قلبك}، أما أولُ أشراطِ الساعة فنارٌ تحشُرُ الناسَ منَ المشرقِ إلى المغرب، وأما أولُ طعامِ أهلِ الجنة فزيادةُ كَبِد الحوت، وإذا سبقَ ماءُ الرجلِ ماءَ المرأة نزعَ الولدُ، وإذا سبقَ ماءُ المرأةِ نَزَعت. قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أنكَ رسولُ الله. يا رسولَ الله، إنَّ اليهودَ قومٌ بُهْتٌ، وإنهم إن يَعلموا بإسلامي قبلَ أن تسألَهم يَبْهتوني. فجاءتِ اليهودُ، فقال النبيُّ ﷺ: أيُّ رجلٍ عبدُ اللهِ فيكم؟ قالوا: خيرنا وابنُ خَيرِنا، وسيدُنا وابن سيدنا. قال: أرأيتم إن أسلمَ عبدُ اللهِ بن سَلام؟ فقالوا:

(١) كتاب الطب باب / ٢٠ ح ٥٧٠٨ - ٤ / ٣٢٢

أعاذهُ الله من ذلك. فخرج عبدُ الله فقال: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله. فقالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، وانتقصوه. قال: فهذا الذي كنتُ أخافُ يا رسولَ الله».

قوله (من كان عدواً لجبريل) قيل سبب عداوة اليهود لجبريل أنه أمر باستمرار النبوة فيهم فنقلها لغيرهم، وقيل لكونه يطلع على أسرارهم.

قلت: وأصح منهما ما سيأتي بعد قليل لكونه الذي ينزل عليهم بالعذاب.

قوله (قال عكرمة: جبر ومِيك وسَرَاف: عبد، إيل: الله) وصله الطبري من طريق عاصم عنه قال: جبريل عبد الله، وميكائيل عبد الله، إيل الله. ومن وجه آخر عن عكرمة جبر عبد، وميك عبد، وإيل الله.

وقال الطبري وغيره: في جبريل لغات، فأهل الحجاز يقولون بكسر الجيم بغير همز وعلى ذلك عامة القراء، وبنو أسد مثله لكن آخره نون، وبعض أهل نجد وتميم وقيس يقولون جبريل بفتح الجيم والراء بعدها همزة وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر وخلف واختيار أبي عبيد.

ثم ذكر حديث أنس في قصة عبد الله بن سلام وقد تقدم قبيل كتاب المغازي(١)، وتقدم معظم شرحها هناك.

وروى الطبري من طريق الشعبي «أن عمر كان يأتي اليهود فيسمع من التوراة فيتعجب كيف تصدق ما في القرآن، قال فمر بهم النبي ﷺ فقلت نشدتكم بالله أتعلمون أنه رسول الله؟ فقال له عالمهم: نعم نعلم أنه رسول الله، قال: فلم لا تتبعونه؟ قالوا: إن لنا عدواً من الملائكة وسلما، وإنه قرن بنبوته من الملائكة عدونا» فذكر الحديث وأنه لحق النبي ﷺ فتلا عليه الآية.

٧ ـ باب قوله {ما نَنْسَخ من آيةٍ أو نَنْسأها}

٤٤٨١ ـ عن ابن عباسٍ قال: «قال عمرُ رضيَ اللهُ عنه: أقرَؤُنا أبيٌّ، وأقضانا عليٌّ، وإنّا لَنَدَعُ من قول أبيّ، وذاك أن أبيّاً يقول: لا أدَعُ شيئاً سمعتهُ من رسولِ الله ﷺ وقد قال الله تعالى: {ما نَنسَخ مِن آيةٍ أو نَنْسَأها}».

[الحديث ٤٤٨١ – طرفه في: ٥٠٠٥]

قوله (سمعته من رسول الله ﷺ) في رواية صدقة «أخذته مِن في رسول الله ﷺ ولا أتركه لشيء» لأنه بسماعه من رسول الله ﷺ يحصل له العلم القطعي به، فإذا أخبره غيره عنه بخلافه لم ينتهض معارضاً له حتى يتصل إلى درجة العلم القطعي، وقد لا يحصل ذلك غالباً.

---

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٥١ ح ٣٩٣٨ - ٣ / ٢٥٤.

قوله (وقد قال الله تعالى الخ) هو مقول عمر محتجاً به على أبي بن كعب ومشيرا إلى أنه ربما قرأ ما نُسخت تلاوته لكونه لم يبلغه النسخ، واحتج عمر لجواز وقوع ذلك بهذه الآية. وقد أخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «خطبنا عمر فقال: إن الله يقول: {ما ننسخ من آية أو ننسأها} أي نؤخرها» وهذا يرجح رواية من قرأ بفتح أوله وبالهمز، وأما قراءة من قرأ بضم أوله فمن النسيان، وكذلك كان سعيد بن المسيب يقرؤها، فأنكر عليه سعد بن أبي وقاص، أخرجه النسائي وصححه الحاكم، وكانت قراءة سعد «أو تنساها» بفتح المثناة خطاباً للنبيِّ ﷺ واستدل بقوله تعالى {سنقرئك فلا تنسى}.

٨ ـ باب {وقالوا اتخذَ الله ولَداً سُبحانَه}

٤٤٨٢ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما عنِ النبيِّ ﷺ قال: «قال الله كذَّبَني ابنُ آدمَ ولم يكنْ له ذلك، وشتَمَني ولم يكنْ له ذلك. فأما تكذيبهُ إيايَ فزعمَ أني لا أقدِرُ أن أُعيدَهُ كما كان، وأما شتمُه إيايَ فقوله: لي ولَد، فسُبحاني أن أتَّخذَ صاحبةً أو ولَدا».

قوله (باب وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه) كذا للجميع وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن عامر «قالوا» بحذف الواو، واتفقوا على أن الآية نزلت فيمن زعم أن لله ولداً من يهود خيبر ونصارى نجران، ومن قال من مشركي العرب الملائكة بنات الله، فرد الله تعالى عليهم.

قوله (قال الله تعالى[١]) هذا من الأحاديث القدسية.

قوله (وأما شتمه أياي فقوله لي ولد) إنما سماه شتماً لما فيه من التنقيص لأن الولد إنما يكون عن والدة تحمله ثم تضعه ويستلزم ذلك سبق النكاح، والناكح يستدعي باعثاً له على ذلك. والله سبحانه منزه عن جميع ذلك، ويأتي شرحه في تفسير سورة الإخلاص.

٩ ـ باب قوله {واتخِذوا من مَقام إبراهيمَ مُصلى}

{مثابةً} يثوبون: يرجعون.

٤٤٨٣ ـ عن أنسٍ قال: «قال عمرُ: وافقتُ اللهَ في ثلاثة -أو وافقَني ربي في ثلاث- قلتُ: يا رسولَ الله، لوِ اتخذْتَ مقامَ إبراهيمَ مصلّي. وقلت: يا رسولَ الله، يَدخُلُ عليكَ البَرُّ والفاجر، فلو أمرتَ أمَّهاتِ المؤمنينَ بالحجاب، فأنزلَ اللهُ آيةَ الحجاب. قال وبلَغني مُعاتبةُ النبيِّ ﷺ بعضَ نسائه، فدخلتُ عليهنَّ، قلتُ: إنِ انتَهيتُنَّ أو ليُبَدِّلَنَّ اللهُ رسولَهُ

---

(١) رواية الباب واليونينية "قال الله" فقط.

خيراً منكنّ، حتى أتيتُ إحدَى نسائه قالت: يا عمر، أما في رسول الله ﷺ ما يَعظُ نساءَهُ حتى تَعظهنّ أنت؟ فأنزلَ الله {عَسى ربه إن طلّقكنّ أن يُبدِّلَهُ[١] أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات} الآية.

قوله (باب[٢] واتخذوا من مقام إبراهيم م ﷺ) كذا لهم، والجمهور على كسر الخاء من قوله {واتخذوا} بصيغة الأمر، وقرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء بصيغة الخبر، والمراد من اتبع «إبراهيم». وهو معطوف على قوله {جعلنا} فالكلام جملة واحدة، وتوجيه قراءة الجمهور أنه معطوف على ما تضمنه قوله {مثابة} كأنه قال ثوبوا واتخذوا، أو معمول لمحذوف أي وقلنا اتخذوا، ويحتمل أن يكون الواو للإستئناف.

قوله (مثابة يثوبون: يرجعون) قال أبو عبيدة: قوله تعالى {مثابة} مصدر يثوبون أي يصيرون إليه.

قال الفراء: المثابة والمثاب بمعنى واحد كالمقام والمقامة، وقد تقدم في أوائل الصلاة، وتأتي قصة الحجاب في تفسير الأحزاب[٣]، والتخيير في تفسير التحريم. وقوله في الحديث «فانتهيت إلى إحداهن» يأتي الكلام عليه في «باب غيرة النساء» من أواخر كتاب النكاح[٤].

تكملة: قال ابن الجوزي: إنما طلب عمر الاستنان بإبراهيم عليه السلام مع النهي عن النظر في كتاب التوراة لأنه سمع قول الله تعالى في حق إبراهيم {إني جاعلك للناس إماما} وقوله تعالى {أن اتبع ملة إبراهيم} فعلم أن الائتمام بإبراهيم من هذه الشريعة، ولكون البيت مضافاً إليه وأن أثر قدميه في المقام كرقم الباني في البناء ليذكر به بعد موته، فرأى الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسم من بناه. انتهى، وهي مناسبة لطيفة، ثم قال: ولم تزل آثار قدمي إبراهيم حاضرة في المقام معروفة عند أهل الحرم، حتى قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل

وأخرج البيهقي عن عائشة بسند قوي ولفظه «أن المقام كان في زمن أبي بكر ملتصقاً بالبيت ثم أخّره عمر».

---

(١) قراءة حفص عن عاصم "أن يُبد له" بالتخفيف
(٢) رواية الباب "باب قوله واتخذواً ...الخ" وفي اليونينية بدون التبويب.
(٣) كتاب الصلاة باب / ٣٢ ح ٤٠٢ - ١ / ٢٦٧
(٤) كتاب التفسير "الاحزاب" باب / ٨ ح ٤٧٩٠ - ٣ / ٤٥٦

١٠ ـ باب قوله تعالى {وإذا يرفعُ إبراهيمُ القواعِدَ من البيتِ وإسماعيلُ ربَّنا تَقبَّل منا إنك أنتَ السميعُ العليم}

القواعد: أساسه، واحدتها قاعدة. والقواعدُ من النساءِ: واحدُها قاعد.

٤٤٨٤ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها زوج النبيِّ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «ألم ترَيْ أنَّ قومَكِ بَنَوُا الكعبةَ واقتصروا عن قواعد إبراهيمَ. فقلت: يارسولَ الله ألا تردُّها على قواعِدِ إبراهيم؟ قال: لولا حِدثانُ قومِكِ بالكفر. فقال عبدُ الله بن عمرَ: لئن كانت عائشة سمعتَ هذا من رسولِ الله ﷺ ما أُرَى رسولَ الله ﷺ ترك استلامَ الرُّكنَيْنِ اللذَيْن يَلِيان الحِجْرَ إلا أنَّ البيتَ لم يُتَمَّمْ على قواعدِ إبراهيم».

قال الطبري: اختلفوا في القواعد التي رفعها إبراهيم وإسماعيل أهما أحدثاها أم كانت قبلهما ثم روى بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كانت قواعد البيت قبل ذلك» ومن طريق عطاء قال: قال آدم أي رب لا أسمع أصوات الملائكة، قال: ابن لي بيتاً ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف ببيتي الذي في السماء. فيزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل حتى بناه إبراهيم بعد، وقد تقدم بزيادة في قصة إبراهيم عليه السلام من أحاديث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

١١ ـ باب {قولوا آمنا باللهِ وما أُنزِلَ إلينا}

٤٤٨٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «كان أهلُ الكتاب يَقرءون التوراةَ بالعِبرانية ويُفَسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسولُ الله ﷺ: لا تُصدِّقوا أهلَ الكتاب ولا تُكذِّبوهم، وقولوا {آمنا بالله وما أُنزِل....} الآية.

[الحديث ٤٤٨٥ - طرفاه في: ٧٣٦٢، ٧٥٤٢]

قوله (كان أهل الكتاب) أي اليهود.

قوله (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه، أو كذباً فتصدقوه فتقعوا في الحرج.

ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نبه على ذلك الشافعي رحمه الله.

ويؤخذ من هذا الحديث التوقف عن الخوض في المشكلات والجزم فيها بما يقع في الظن، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من ذلك.

١٢ ـ باب {سيقولُ السُّفهاءُ من النَّاس، ما ولأَّهم عن قِبلتِهمُ التي كانوا عليها؟ قل لله المَشرقُ والمغربُ، يَهدِي مَن يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم} /١٤٢/

٤٤٨٦ ـ عن البَراءِ رضيَ الله عنه «أنَّ رسولَ الله ﷺ صلَّى إلى بيتِ المقدِس ستَّةَ عشرَ شهراً أو سبعةَ عشرَ شهراً، وكان يُعجبهُ أن تكون قبلتُهُ قِبَلَ البيت، وإنه ﷺ -أو صلاها- صلاةَ العصرِ، وصلَّى معه قومٌ فخرجَ رجلٌ ممن كان صلَّى معه فمرَّ على أهل المسجدِ وهم راكعونَ قال أشهدُ بالله لقد صلَّيتُ مع النبيِّ ﷺ قِبلَ مكة، فداروُا كما هم قِبَلَ البيت. وكان الذي ماتَ على القبلةِ قبل أن تُحوَّلَ قِبلَ البيتِ، رجالٌ قُتلوا لم نَدرِ ما نقولُ فيهم، فأنزلَ اللهُ {وما كان اللهُ لِيُضيعَ إيمانكم، إنَّ اللهَ بالناس لرءُوفٌ رحيم}».

قوله (باب[١] قوله تعالى {سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم} الآية) والسفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل. واختلف في المراد بالسفهاء فقال البراء في حديث الباب وابن عباس ومجاهد: هم اليهود، وأخرج ذلك الطبري عنهم بأسانيد صحيحة. والمراد بالسفهاء الكفار وأهل النفاق واليهود، أما الكفار فقالوا لما حولت القبلة: رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا، فإنه علم أنا على الحق، وأما أهل النفاق فقالوا: إن كان أولاً على الحق فالذي انتقل إليه باطل وكذلك بالعكس، وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبياً لما خالف، فلما كثرت أقاويل هؤلاء السفهاء أنزلت هذه الآيات من قوله تعالى {ما ننسخ من آية -إلى قوله تعالى- فلا تخشوهم واخشوني} الآية.

قوله (ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً) تقدم الكلام عليه وعلى شرح الحديث في كتاب الإيمان[٢].

١٣ ـ باب {وكذلك جعلناكم أمةً وسَطاً لتكونوا شُهداءَ على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً}

٤٤٨٧ ـ عن أبي سعيد الخدريِّ قال: «قال رسولُ اللهِ ﷺ: يُدعى نوحٌ يومَ القيامةِ فيقول: لبَّيكَ وسَعدَيك يا ربِّ، فيقول: هل بَلَّغْتَ؟ فيقول: نعم. فيقال لأمتهِ: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نَذير، فيقول: مَن يَشهدُ لك؟ فيقول: محمدٌ وأمتُه. فيشهدون أنه قد بلَّغ، ويكونَ الرسولُ عليكم شَهيداً فذلك قوله جلَّ ذِكرهُ: {وكذلك جعلناكم أمةً وسَطاً لتكونوا شُهَداءَ على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدا}. والوَسَط العدل».

---

(١) والمتن "باب سيقول السفهاء بدون ذكره قوله تعالى"

(٢) كتاب الإيمان باب / ٣٠ ح ٤٠ - ١ / ٤٥

قوله (باب[(١)] قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداءَ على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} سيأتي الكلام على الآية في كتاب الاعتصام[(٢)] إن شاء الله تعالى.

قوله (والوسط العدل) قال الطبري: الوسط في كلام العرب الخيار، يقولون فلان وسط في قومه وواسط إذا أرادوا الرفع في حسبه.

قال: والذي أرى أن معنى الوسط في الآية الجزء الذي بين الطرفين، والمعنى أنهم وسط لتوسطهم في الدين فلم يغلوا كغلو النصارى ولم يقصروا كتقصير اليهود، ولكنهم أهل وسط واعتدال.

قلت: لا يلزم من كون الوسط في الآية صالحاً لمعنى التوسط أن لا يكون أريد به معناه الآخر كما نص عليه الحديث، فلا مغايرة بين الحديث وبين ما دل عليه معنى الآية، والله أعلم.

١٤ ـ باب {وما جَعلنا القبلةَ التي كنتَ عليها إلاّ لنعلَم مَن يَتبعُ الرسولَ ممن ينقلبُ على عَقِبَيه وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هدَى الله، وما كان اللهُ ليُضيعَ إيمانَكم إنَّ اللهَ بالناس لرءوف رحيم} /١٤٣/

٤٤٨٨ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما «بينا الناسُ يُصلُّونَ الصبحَ في مسجدِ قُباء إذ جاء جاءٍ فقال: أنزلَ اللهُ على النبيِّ ﷺ قُرآناً أن يَستقبلَ الكعبة، فاستقبِلوها. فتوَجَّهوا إلى الكعبة».

قوله (باب[(٣)] قول الله تعالى {وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول} الآية) ثم أورد ابن عمر في تحويل القبلة، تقدم شرحه في أوائل[(٤)] الصلاة مستوفى.

١٥ ـ باب {قد نرَى تَقلُّبَ وجهِكَ في السماء -إلى- عما تَعملون}

٤٤٨٩ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «لم يَبقَ ممَّن صلَّى القبلتَين غيري».

قوله (لم يبق ممن ﷺ القبلتين غيري) يعني الصلاة إلى بيت المقدس وإلى الكعبة، وفي هذا إشارة إلى أن أنساً آخر من مات ممن ﷺ إلى القبلتين، والظاهر أن أنساً قال ذلك وبعض الصحابة ممن تأخر إسلامه موجود، ثم تأخر أنس إلى أن كان آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ، قاله علي بن المديني والبزار وغيرهما.

بل قال ابن عبد البر: هو آخر الصحابة موتاً مطلقاً، لم يبق بعده غير أبي الطفيل، كذا

(١) لم يذكر "قوله تعالى" في المتن واليونينية.
(٢) كتاب الاعتصام باب / ١٩ ح ٧٣٤٩ - ٥ / ٥٢٤
(٣) رواية المتن "باب وما جعلنا ...." بدون ذكر قول الله تعالى وبدون التبويب في اليونينية.
(٤) كتاب الصلاة باب / ٣٢ ح ٤٠٣ - ١ / ٢٦٧

قال وفيه نظر، فقد ثبت لجماعة ممن سكن البوادي من الصحابة تأخرهم عن أنس وكانت وفاة أنس سنة تسعين أو إحدى أو ثلاث وهو أصح ما قيل فيها، وله مائة وثلاث سنين على الأصح أيضاً، وقيل أكثر من ذلك، وقيل أقل.

وقوله تعالى {فلنولينك قبلة ترضاها} هي الكعبة، وروى الحاكم من حديث ابن عمر في قوله {فلنولينك قبلة ترضاها} قال: نحو ميزاب الكعبة، وإنما قال ذلك لأن تلك الجهة قبلة أهل المدينة.

١٦ - باب {ولئن أتيتَ الذين أوتوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تَبعوا قِبْلتَك -إلى قوله- إنكَ إذاً لَمنَ الظالمين}

٤٤٩٠ - عن ابن عمرَ رضيَ اله عنهما «بَينما الناس في الصبح بقُباءٍ جاءهم رجلٌ فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أُنزلَ عليه الليلةَ قرآن، وأُمِرَ أن يَستقبلَ الكعبة، ألا فاستقبِلوها. وكانَ وجهُ الناسِ إلى الشام، فاستَداروا بوُجوههم إلى الكعبة».

١٧ - باب {الذين آتيناهمُ الكتابَ يَعرفونه كما يعرفونَ أبناءَهم؛ وإنَّ فريقاً منهم ليَكتُمون الحقَّ -إلى قوله من الممتَرين}

٤٤٩١ - عن ابن عمرَ قال: «بَينا الناسُ بقُباءٍ في صلاةِ الصبح إذ جاءهم آتٍ فقال: إنَّ النبيَّ ﷺ قد أُنزلَ عليهِ الليلةَ قرآنٌ، وقد أُمِرَ أن يَستقبلَ الكعبة فاستقبلوها. وكانت وُجوهُهم إلى الشام، فاستَداروا إلى الكعبة».

١٨ - باب {ولكلٍ وِجهةٌ هوَ مُوَلّيها، فاستبقوا الخَيرات أينما تكونوا يَأتِ بكُم اللهُ جميعا، إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قَدير}

٤٤٩٢ - عن البَراء رضيَ الله عنه قال: «صلَّينا مع النبيِّ ﷺ نحو بيت المقدسِ ستةَ عشرَ -أو سبعةَ عشرَ- شهراً، ثمَّ صرَفَهُ نحو القبلة».

١٩ - باب {ومن حيثُ خرجتَ فولِّ وَجهكَ شَطرَ المسجدِ الحرام، وإنهُ لَلْحقُّ من ربِّك، وما اللهُ بغافلٍ عما تَعملون}

شطرُهُ: تِلقاؤه.

٤٤٩٣ - عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما يقول: «بَينا الناسُ في الصبح بقباءٍ إذ جاءهم رجلٌ فقال: أُنزِلَ الليلةَ قرآن، فأُمِرَ أن يَستقبلَ الكعبةَ، فاستقبِلوها. واستَداروا كهيئتِهم فتوجهوا إلى الكعبة، وكان وجهُ الناسِ إلى الشام».

٢٠ - باب {ومن حيثُ خَرجتَ فولِّ وجهَكَ شطرَ المسجدِ الحرام وحيثُما كنتم -إلى قوله- ولعلكم تَهتَدون}

٤٤٩٤ - عن ابن عمرَ قال: «بينما الناسُ في صلاة الصبح بقباءٍ إذ جاءهم آتٍ فقال: إن

رسولَ اللهِ ﷺ قد أُنزِلَ عليهِ الليلةَ، وقد أُمِرَ أن يَستقبلَ الكعبةَ، فاستقبِلوها. وكانت وجوهُهم إلى الشام فاستَداروا إلى القبلة».

٢١ - باب قوله {إنَّ الصَّفا والمروةَ من شَعائرِ الله فمن حجَّ البيتَ أوِ اعتمرَ فلا جُناحَ عليهِ أن يَطوَّفَ بهما، ومن تطوَّعَ خيراً فإنَّ اللهَ شاكرٌ عَليم}

شعائر: عَلامات، واحدتها شَعيرة. وقال ابن عباسٍ: الصَّفوانُ: الحجر، ويقال: الحجارةُ الملس التي لا تُنبِتُ شيئاً، والواحدةُ صَفوانة بمعنى الصفا، والصفا للجميع.

٤٤٩٥ - عن هشام بن عروةَ عن أبيهِ أنه قال: «قلتُ لعائشةَ زوج النبيِّ ﷺ -وأنا يومَئذٍ حديثُ السنّ-: أرأيتِ قولَ الله تباركَ وتعالى {إنَّ الصفا والمروةَ مِن شعائر الله، فمن حجَّ البيتَ أوِ اعتمرَ فلا جُناحَ عليه أن يَطوَّفَ بهما} فما أُرَى على أحدٍ شيئاً أن لا يطَّوَّف بهما. فقالت عائشة: كلا، لو كانت كما تقول كانت فلا جُناحَ عليه أن لا يَطوَّفَ بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار: كانوا يُهلُّونَ لَمناة، وكانت مَناةُ حَذْوَ قُدَيدٍ، وكانوا يَتحرَّجونَ أن يَطوفوا بينَ الصَّفا والمروة، فلما جاءَ الإسلامُ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ عن ذلك، فأنزلَ اللهُ {إن الصَّفا والمروةَ من شَعائرِ الله، فمن حجَّ البيتَ أو اعتمرَ فلا جُناحَ عليه أن يَطَّوَّف بهما}».

٤٤٩٦ - عن عاصم بن سليمان قال: «سألتُ أنسَ بن مالكٍ رضيَ الله عنه عن الصفا والمروة فقال: كنّا نرَى أنهما من أمرِ الجاهلية، فلما كان الإسلامُ أمسكنا عنهما، فأنزلَ اللهُ تعالى {إن الصفا والمروةَ -إلى قوله- أن يَطوَّفَ بهما}».

قوله (وقال ابن عباس: الصفوان الحجر) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

ثم ساق حديث عائشة في سبب نزول {إن الصفا والمروة من شعائر الله} وقد تقدم شرحه في كتاب الحج[١].

٢٢ - باب {ومنَ الناسِ من يتَّخذُ من دونِ الله أنداداً}

أضداداً، واحدُها نِدّ

٤٤٩٧ - عن عبدِ الله «قال النبيُّ ﷺ كلمةً وقلت أُخرَى: قال النبيُّ ﷺ: من ماتَ وهوَ يَدعو من دون الله نِدّاً دخلَ النار. وقلتُ أنا: من مات وهو لا يدعو لله نِدّاً دخلَ الجنة».

قوله (باب[٢] قوله تعالى {ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله} وذكر هنا أيضاً حديث ابن مسعود «من مات وهو يجعل لله نداً» وقد مضى شرحه في أوائل كتاب الجنائز[٣].

(١) كتاب الحج باب / ٧٩ ح ١٦٤٣ - ٢ / ٥٤.
(٢) رواية المتن "باب ومن الناس ...." بدون ذكر "قوله وبدون التبويب في اليونينية.
(٣) كتاب الجنائز باب / ١ ح ١٢٣٨ - ١ / ٦٢٥.

٢٣ ـ باب {يا أيها الذين آمنوا كتبَ عليكم القصاصُ في القتلى: الحرُّ بالحرِّ -إلى قوله- عذابٌ أليم}

عُفِيَ: تُرك

٤٤٩٨ ـ عن ابن عباس رضيَ الله عنهما قال «كان في بني إسرائيلَ القِصاصُ، ولم تكن فيهمُ الدية، فقال اللهُ تعالى لهذه الأمة {كُتبَ عليكم القِصاصُ في القتلى: الحرُّ بالحرِّ، والعبدُ بالعبدِ، والأنثى بالأنثى، فمن عُفِيَ له من أخيهِ شيءٌ} فالعَفو أن يقبل الديةَ في العمد {فاتِّباعٌ بالمعروف، وأداءٌ إليهِ بإحسان} يتبعُ بالمعروف ويؤدِّي بإحسان {ذلك تخفيفٌ من ربِّكم ورحمة} مما كُتبَ على مَن كان قبلَكم {فمنِ اعتدَى بعدَ ذلك فله عذابٌ أليم} قتل بعدَ قَبول الدية».

[الحديث ٤٤٩٨ - طرفه في: ٦٨٨١]

٤٤٩٩ ـ عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «كتابُ اللهِ القصاص».

٤٥٠٠ ـ عن أنسٍ أن الرُّبَيِّعَ عمتَهُ كسرَت ثَنيةَ جاريةٍ، فطَلبوا إليها العَفوَ، فأبَوا. فعرَضوا الأرشَ، فأبَوا. فأتَوا رسولَ اللهِ ﷺ وأبَوا إلا القِصاصَ، فأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ بالقِصاص، فقال أنسُ بن النَّضرِ: يا رسولَ الله، أتُكسَرُ ثَنيَّةُ الرُّبَيِّع؟ لا والذي بَعثَك بالحق لا تُكسَرُ ثنيَّتُها. فقال رسولُ الله ﷺ: يا أنسُ. كتابُ اللهِ القِصاصُ. فرَضيَ القومُ، فعَفَوا. فقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ من عِبادِ الله مَن لو أقسمَ على الله لأبرَّه».

قوله (كان في بني إسرائيل القصاص) سيأتي شرحه في كتاب الديات[1].

قال الخطابي: في قوله {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع} الخ ويحتاج إلى تفسير لأن العفو يقتضي إسقاط الطلب فما هو الاتباع؟ وأجاب بأن العفو في الآية محمول على العفو على الدية، فيتجه حينئذ المطالبة بها، ويدخل فيه بعض مستحقي القِصاص فإنه يسقط وينتقل حق من لم يعف إلى الدية فيطالب بحصته.

٢٤ ـ باب {يا أيها الذينَ آمنوا كتبَ عليكم الصيامُ كما كُتبَ على الذين من قبلِكم لعلكم تتقون}.

٤٥٠١ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «كان عاشوراءُ يَصومُهُ أهلُ الجاهلية، فلما نزلَ رمضانُ قال: مَن شاءَ صامَه، ومَن شاءَ لم يَصُمه».

٤٥٠٢ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها «كان عاشوراءُ يُصامُ قبلَ رمضانَ، فلما نزَلَ رمضانُ قال: من شاء صامَ، ومن شاء أفطر».

(١) كتاب الديات باب / ٣، ٤ ح ٦٨٧٦ - ٥ / ٢٤٣

٤٥٠٣ ـ عن علقمةَ عن عبدِ الله قال: دخلَ عليه الأشعثُ وهو يَطعَمُ فقال: اليوم عاشوراءُ، فقال: كان يُصامُ قبلَ أن ينزِلَ رمضانُ فلما نزل رمضان تُرِكَ، فادْنُ فكل».

٤٥٠٤ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «كان يومُ عاشوراءَ تصومهُ قريشٌ في الجاهلية، وكان النبيُّ ﷺ يصومهُ، فلما قدمَ المدينةَ صامَهُ وأمرَ بصيامه؛ فلما نزلَ رمضانُ كان رمضانُ الفريضةَ وتُرك عاشوراءُ، فكانَ مَن شاء صامَه ومَن شاءَ لم يَصُمه».

قوله (باب يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) أما قوله {كتب} فمعناه فرض، والمراد بالمكتوب فيه اللوح المحفوظ، وأما قوله {كما} فاختلف في التشبيه الذي دلت عليه الكاف هل هو على الحقيقة فيكون صيام رمضان قد كتب على الذين من قبلنا؟ أو المراد مطلق الصيام دون وقته وقدره؟ فيه قولان.

القول الثاني أن التشبيه واقع على نفس الصوم وهو قول الجمهور، وأسنده ابن أبي حاتم والطبري عن معاذ وابن مسعود وغيرهما من الصحابة والتابعين، وزاد الضحاك «ولم يزل الصوم مشروعاً من زمن نوح وفي قوله {لعلكم تتقون} إشارة إلى أن من قبلنا كان فرض الصوم عليهم من قبيل الآصار والأثقال التي كلفوا بها، وأما هذه الأمة فتكليفها بالصوم ليكون سبباً لاتقاء المعاصي وحائلاً بينهم وبينها، فعلى هذا المفعول المحذوف يقدر بالمعاصي أو بالمنهيات.

واستدل بهذا الحديث على أن صيام عاشوراء كان مفترضاً قبل أن ينزل فرض رمضان ثم نسخ، وقد تقدم القول فيه مبسوطاً في أواخر كتاب الصيام، وإيراد هذا الحديث في هذه الترجمة يشعر بأن المصنف كان يميل إلى ترجيح القول الثاني، ووجهه أن رمضان لو كان مشروعاً قبلنا لصامه النبي ﷺ ولم يصم عاشوراء أولا، والظاهر أن صيامه عاشوراء ما كان إلا عن توقيف، ولا يضرنا في هذه المسألة اختلافهم هل كان صومه فرضاً أو نفلا.

٢٥ ـ باب {أياماً معدوداتٍ فمن كان منكم مَريضاً أو على سفرٍ فعدَّةٌ من أيامٍ أُخَر، وعلى الذين يُطيقونهُ فديةٌ طعامُ مِسكين، فَمن تَطوَّعَ خيراً فهو خيرٌ له، وأن تَصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون}

وقال عطاءٌ: يفطرُ من المَرَض كلِه كما قال اللهُ تعالى. وقال الحسنُ وإبراهيمُ في المرضع والحامل إذا خافتا على أنفُسهما أو ولدِهما تُفطِران ثم تقضِيان. وأما الشيخُ الكبيرُ إذا لم يُطِقِ الصيامَ فقد أطعمَ أنسٌ بعد ما كبِرَ عاماً أو عامين كلَّ يوم مِسكينا خُبزاً ولحمًا وأفطرَ. قِراءةُ العامة «يطيقونَه» وهو أكثر».

٤٥٠٥ ـ عن عطاء سمعَ ابن عباسٍ يَقرأ {وعلى الذين يطوَّقُونَهُ فدية طعامُ مِسكين} قال

ابنُ عباس: ليست بمنسوخة، هو الشيخُ الكبيرُ والمرأةُ الكبيرةُ لا يستطيعانِ أن يصوما فليطعمانِ مكانَ كلِّ يومٍ مسكينا».

قوله (وقال عطاء: يفطر من المرض كله كما قال الله تعالى) وصله عبد الرزاق عن ابن جريج قال: قلت لعطاء من أي وجع أفطر في رمضان؟ قال: من المرض كله، قلت: يصوم فإذا غلب عليه أفطر؟ قال: نعم.

وقد اختلف السلف في الحد الذي إذا وجده المكلّف جاز له الفطر، والذي عليه الجمهور أنه المرض الذي يبيح له التيمم مع وجود الماء، وهو ما إذا خاف على نفسه لو تمادى على الصوم أو على عضو من أعضائه أو زيادة في المرض الذي بدأ به أو تماديه.

وعن ابن سيرين: متى حصل للإنسان حال يستحق بها اسم المرض فله الفطر، وهو نحو قول عطاء.

وعن الحسن والنخعي: إذا لم يقدر على الصلاة قائما يفطر.

قوله (يطوَّقونه) وهذه قراءة ابن مسعود أيضاً، وقد وقع عند النسائي من طريق ابن أبي نجيح عن عمرو بن دينار: يطوقونه يكلفونه، وهو تفسير حسن أي يكلفون إطاقته.

قوله (قال ابن عباس: ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبيرة والمرأة الكبيرة) هذا مذهب ابن عباس، وخالفه الأكثر، وفي هذا الحديث الذي بعده ما يدل على أنها منسوخة.

وهذه القراءة تضعف تأويل من زعم أن «لا» محذوفة من القراءة المشهورة، وأن المعنى: وعلى الذين لا يطيقونه فدية.

ويثبت هذا التأويل أن الأكثر على أن الضمير في قوله {يطيقونه} للصيام فيصير تقدير الكلام وعلى الذين يطيقون الصيام فدية، والفدية لا تجب على المطيق وإنما تجب على غيره، والجواب عن ذلك أن في الكلام حذفاً تقديره: وعلى الذين يطيقون الصيام إذا أفطروا فدية، وكان هذا في أول الأمر عند الأكثر، ثم نسخ وصارت الفدية للعاجز إذا أفطر، وقد تقدم في الصيام حديث ابن أبي ليلى قال: «حدثنا أصحاب محمد لما نزل رمضان شق عليهم فكان من أطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم ممن يطيقه، ورخص لهم في ذلك، فنسختها: وأن تصوموا خير لكم» وأما على قراءة ابن عباس فلا نسخ لأنه يجعل الفدية على من تكلف الصوم وهو لا يقدر عليه فيفطر ويكفر، وهذا الحكم باق.

وفي الحديث حجة لقول الشافعي ومن وافقه أن الشيخ الكبير ومن ذكر معه إذا شق عليهم الصوم فأفطروا فعليهم الفدية خلافاً لمالك ومن وافقه.

واختلف في الحامل والمرضع ومن أفطر لكبر ثم قوى على القضاء بعد فقال الشافعي وأحمد: يقضون ويطعمون، وقال الأوزاعي والكوفيون: لا اطعام.

٢٦ ـ باب {فمنَ شَهِدَ منكُمُ الشهرَ فلْيَصُمهُ}

٤٥٠٦ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عنهما أنه قرأ «فديةٌ طعامُ مَساكين» قال: هي منسوخة.

٤٥٠٧ ـ عن سلمةَ قال: «لما نزَلت {وعلى الذين يُطيقونَه فدية طعامُ مِسكين} كان من أراد أن يُفطِرَ ويَفتدِيَ، حتى نزلتِ الآيةُ التي بعدَها فنسختْها».

قوله (قال هي منسوخة) هو صريح في دعوى النسخ ورجحه ابن المنذر من جهة قوله {وأن تصوموا خير لكم} قال لأنها لو كانت في الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصيام لم يناسب أن يقال له (وأن تصوموا خير لكم) مع أنه لا يطيق الصيام.

٢٧ ـ باب {أُحلَّ لكم ليلةَ الصيام الرَفثُ إلى نسائكم هنَّ لِباسٌ لكم وأنتم لِباسٌ لهنّ، علمَ اللهُ أنكم كنتم تختانونَ أنفُسَكم فتابَ عليكم وعَفا عنكم، فالآنَ باشِروهنَّ وابتَغوا ما كتبَ اللهُ لكم}

٤٥٠٨ ـ عن أبي إسحاقَ قال: سمعت البَراءَ رضيَ الله عنه «لما نزلَ صومُ رمضان كانوا لا يقرَبونَ النساءَ رمضانَ كلَّه، وكان رجالٌ يَخونونَ أنفسَهم، فأنزَل اللهُ {علم اللهُ أنكم كنتم تَختانونَ أنفُسَكم فتابَ عليكم وعَفا عنكم}».

قوله (لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء) قد تقدم في كتاب الصيام من حديث البراء أيضاً أنهم كانوا لا يأكلون ولا يشربون إذا ناموا، وأن الآية نزلت في ذلك، وبينت هناك أن الآية نزلت في الأمرين معا، وظاهر سياق حديث الباب أن الجماع كان ممنوعا في جميع الليل والنهار، بخلاف الأكل والشرب فكان مأذونا فيه ليلا ما لم يحصل النوم، لكن بقية الأحاديث الواردة في هذا المعنى تدل على عدم الفرق كما سأذكرها بعد، فيحمل قوله «كانوا لا يقربون النساء» على الغالب جمعاً بين الأخبار.

٢٨ ـ باب {وكلوا واشربَوا حتى يَتبيَّنَ لكمُ الخيطُ الأبيضُ منَ الخيطِ الأسود منَ الفَجر، ثمَّ أتمُّوا الصيامَ إلَى الليل، ولا تُباشروهنَّ وأنتم عاكفونَ في المساجد -إلى قوله- تتَّقونَ}

العاكِف: المقيم

٤٥٠٩ ـ عن عَديٍّ قال: أخذ عديٌّ عِقالاً أبيضَ وعقالاً أسودَ، حتى كان بعضُ الليلِ نَظرَ

فلم يستبينا. فلما أصبحَ قال: يا رسولَ الله، جعلتُ تحت وسادي. قال: إنَّ وِسادك إذا لَعَريضٌ أن كان الخيطُ الأبيضُ والأسود تحتَ وِسادَتك».

٤٥١٠ ـ عن عديّ بن حاتمٍ رضيَ الله عنه قال: «قلتُ يا رسولَ الله ما الخيطُ الأبيضُ منَ الخيطِ الأسود، أهُما الخيطان؟ قال: إنك لَعَريضُ القَفا إن أبصرتَ الخيطين. ثم قال: لا، بل هوَ سَوادُ الليلِ وبياض النهار».

٤٥١١ ـ عن سهل بن سعدٍ قال: «أُنزِلت {وكلوا واشرَبوا حتي يتبينَ لكم الخيطُ الأبيضُ منَ الخيطِ الأسود} ولم يَنزل {منَ الفجر} وكان رجالٌ إذا أرادوا الصومَ ربط أحدُهم في رِجلَيه الخيطَ الأبيضَ والخيطَ الأسود، ولا يزال يأكلُ حتى يَتبيَّنَ له رؤيتُهما، فأنزَلَ اللهُ بعدَه {منَ الفجر} فعلموا أنما يعني الليلَ منَ النهار».

٢٩ ـ باب {وليسَ البرُّ بأن تأتوا البيوتَ من ظهورها، ولكنَّ البِّرَ منِ اتقى، وأتُوا البيوتَ من أبوابها، واتقوا اللهَ لعَلَّكم تُفلحون}

٤٥١٢ ـ عن البراءِ قال: «كانوا إذا أحرَموا في الجاهلية أتَوُا البيتَ من ظَهرِه، فأنزَل الله {وليس البرُّ بأن تأتوا البيوتَ من ظُهورِها، ولكنَّ البرَّ منِ اتقى وأْتوا البيوتَ مِن أبوابها}».

٣٠ ـ باب {وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنة، ويكونَ الدِّينُ لله فإنِ انْتَهَوا فلا عُدوانَ إلاَّ عَلى الظالمين}

٤٥١٣ ـ عن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما أتاهُ رجُلانِ في فتنةِ ابن الزُّبير فقالا: إنَّ الناسَ قد ضُيِّعوا وأنت ابن عمرَ وصاحبُ النبيِّ ﷺ، فما يمنعك أن تَخرُجَ؟ فقال: يمنعني أنَّ اللهَ حرَّم دمَ أخي. فقالا: ألم يَقلِ الله {وقاتِلوهم حتى لا تكونَ فتنة؟} فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تُقاتِلوا حتى تكون فتنة ويكون الدِّين لغير الله».

٤٥١٤ ـ عن نافع «أنَّ رجلاً أتى ابنَ عمر فقال: يا أبا عبدِ الرحمن ما حَملك على أن تحجَّ عاماً وتعتمرَ عاماً وتتركَ الجهادَ في سبيلِ الله عزَّ وجل وقد علِمتَ ما رغَّبَ الله فيه؟ قال: يا ابنَ أخي، بُنيَ الإسلامُ على خمس: إيمانٍ بالله ورسوله، والصلواتِ الخمس، وصيام رمضانَ وأداء الزكاة، وحجِّ البيت. قال: يا أبا عبد الرحمن. ألا تسمعُ ما ذكرَ اللهُ في كتابه {وإن طائفتانِ منَ المؤمنينَ اقتَتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بَغَت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تَبغي حتى تَفيء إلى أمرِ الله}، {قاتلوهم حتى لا تَكونَ فتنة} قال: فعلنا على عهدِ رسولِ الله ﷺ وكان الإسلامُ قليلا، فكان الرجلُ، يفتَنُ في دينه: إما قَتلوهُ، وإما يعذبونه، حتى كثر الإسلامُ فلم تكن فتنة».

٤٥١٥ ـ «قال: فما قولك: في عليٍّ وعثمان؟ قال: أما عثمان فكان الله عَفا عنه، وأما أنتم فكرِهتم أن يَعفوَ عنه. وأما عليّ فابن عمِّ رسولِ الله ﷺ وختنه -وأشار بيده فقال-

هذا بيتُه حيث ترون».

قوله (أتاه رجلان) تقدم في مناقب عثمان أن اسم أحدهما العلاء بن عرار واسم الآخر حبان السلمي.

قوله (في فتنة ابن الزبير) في رواية سعيد بن منصور: أن ذلك عام نزول الحجاج بابن الزبير، فيكون المراد بفتنة ابن الزبير ما وقع في آخر أمره، وكان نزول الحجاج وهو ابن يوسف الثقفي من قِبَل عبد الملك بن مروان جهزه لقتال عبد الله بن الزبير وهو بمكة في أواخر سنة ثلاث وسبعين وقتل عبد الله بن الزبير في آخر تلك السنة، ومات عبد الله بن عمر في أول سنة أربع وسبعين كما تقدمت الإشارة إليه في «باب العيدين».

قوله (أن الناس قد ضُيِّعوا) أي صنعوا ما ترى من الاختلاف.

قوله (ما حملك على أن تحج عاماً وتعتمر عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله[1]) أطلق على قتال من يخرج عن طاعة الإمام جهاداً وسوى بينه وبين جهاد الكفار بحسب اعتقاده وإن كان الصواب عند غيره خلافه، وأن الذي ورد في الترغيب في الجهاد خاص بقتال الكفار، بخلاف قتال البغاة فإنه وإن كان مشروعاً لكنه لا يصل الثواب فيه إلى ثواب من قاتل الكفار، ولا سيما إن كان الحامل إيثار الدنيا.

قوله (وختنه) قال الأصمعي: الأختان من قبل المرأة، والأحماء من قبل الزوج، والصهر جمعهما.

٣١ ـ باب {وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التَّهلُكة، وأحسِنوا إنَّ اللهَ يحبُّ المحسنين}

التهلكة والهلاك واحد

٤٥١٦ ـ عن حُذيفةَ «{وأنفِقوا في سبيلِ الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التَهلُكة} قال: نزلت في النفقة».

قوله (التهلكة والهلاك واحد) هو تفسير أبي عبيدة.

ثم ذكر المصنف حديث حذيفة في هذه الآية قال: نزلت في النفقة، أي في ترك النفقة في سبيل الله عز وجل، وهذا الذي قاله حذيفة جاء مفسراً في حديث أبي أيوب الذي أخرجه مسلم والنسائي وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم من طريق أسلم بن عمران قال: «كنا بالقسطنطينية، فخرج صف عظيم من الروم، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، ثم رجع مقبلا. فصاح الناس: سبحان الله، ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب: أيها الناس، إنكم تؤولون هذه الآية على هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار: إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه قلنا بيننا سرا: إن أموالنا قد ضاعت،

---

(١) رواية الباب واليونينية "في سبيل الله عز وجل".

فلو أنا أقمنا فيها وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله هذه الآية، فكانت التهلكة الإقامة التي أردناها. وصح عن ابن عباس وجماعة من التابعين نحو ذلـ في تأويل الآية.

وروى ابن جرير وابن المنذر بإسناد صحيح عن مدرك بن عوف قال: «إني لعند عمر، فقلت: إن لي جاراً رمى بنفسه في الحرب فقتل، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال عمر: كذبوا، لكنه اشترى الآخرة بالدنيا».

وأما مسألة حمل الواحد على العدد الكثير من العدو فصرح الجمهور بأنه إن كان لفرط شجاعته وظنه أنه يرهب العدو بذلك أو يجرِّىء المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن، ومتى كان مجرد تهور فممنوع، ولا سيما إن ترتب على ذلك وهن في المسلمين، والله أعلم.

٣٢ ـ باب {فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه}

٤٥١٧ ـ عن عبدِ الله بن مَعقلٍ قال: «قَعدتُ إلى كَعبِ بن عُجرةَ في هذا المسجد -يعني مسجدَ الكوفة- فسألتهُ عن «فِديةٌ من صِيام» فقال: حُملتُ إلى النبيِّ ﷺ والقملُ يَتناثرُ على وَجهي، فقال: ما كنتُ أرى أن الجَهدَ قد بلغَ بك هذا، أما تجدُ شاةً؟ قلت: لا. قال: صُم ثلاثةَ أيام، أو أطعِم ستةَ مساكينَ لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ من طعام، واحلِقْ رأسَك فنزلتْ فيَّ خاصةً، وهي لكم عامَّة».

قوله (باب قوله تعالى[1]: فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه) ذكر فيه حديث كعب بن عجرة في سبب نزول هذه الآية، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الحج[2].

٣٣ ـ باب {فمن تمتّع بالعُمرة إلى الحجّ}

٤٥١٨ ـ عن عِمرانَ بن حُصَينٍ رضيَ الله عنهما قال: «أنزلَت آية المتعةِ في كتاب الله، ففعلناها مع رسولِ الله ﷺ، ولم يُنزَلْ قرآنٌ يُحرِّمه، ولم يُنهَ عنها حتى مات، قال رجلٌ برأيهِ ما شاء».

قوله (باب فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) ذكر فيه حديث عمران بن حصين «أنزلت أية المتعة في كتاب الله» يعني متعة الحج، وقد تقدم شرحه وأن المراد بالرجل في قوله هنا: «قال رجل برأيه ما شاء» هو عمر.

٣٤ ـ باب {ليس عليكم جُناحٌ أن تَبتَغوا فضلاً من ربِّكم}

٤٥١٩ ـ عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قال: «كانت عُكاظٌ ومَجَنَّةٌ وذو المَجازِ أسواقاً في الجاهلية، فتأثَّموا أن يَتَّجِروا في المواسم، فنزلت {ليس عليكم جُناحٌ أن تَبتَغوا فضلاً من ربكم} في مواسم الحج».

---

(١) رواية المتن "باب فمن كان منكم ...." بدون ذكر "قوله تعالى" وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب المحصر باب / ٥ ح ١٨١٤ - ٢ / ١١٢

قوله (باب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) ذكر فيه حديث ابن عباس، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الحج[١].

٣٥ - باب {ثمَّ أفيضوا من حيثُ أفاضَ الناس}

٤٥٢٠ - عن عائشةَ رضيَ الله عنها «كانت قريش ومَن دانَ دينها يَقفونَ بالمزدَلفة، وكانوا يُسمَّوْنَ الحُمْسَ؛ وكان سائرُ العرب يَقفونَ بعرفات، فلما جاء الإسلامُ أمر اللهُ نَبيَّهُ ﷺ أن يأتيَ عرفاتٍ ثم يقف بها ثم يُفيضُ منها، فذلك قوله تعالى {ثمَّ أفيضوا من حيث أفاضَ الناس}».

٤٥٢١ - عن ابن عباسٍ قال: «يَطوفُ الرجلُ بالبيت ما كان حَلالاً حتى يُهلَّ بالحج، فإذا ركب إلى عرفةَ فمن تيسَّر له هَديَّةٌ منَ الإبلِ أوِ البقرِ أو الغنم ما تيسَّرَ له من ذلك أيَّ ذلك شاء، غيرَ إن لم يَتيسَّرْ له فعليه ثلاثة أيام في الحج، وذلك قبلَ يوم عرفةَ، فإن كان آخرُ يومٍ منَ الأيام الثلاثة يومَ عرفة فلا جُناحَ عليه، ثم لِيَنطلِق، حتى يقفَ بعرفاتٍ من صلاة العصرِ إلى أن يكونَ الظلامُ ثمَّ ليدفعوا من عرفاتٍ، فإذا أفاضوا منها حتى يبْلُغوا جَمْعاً الذي يُتَبرَّرُ فيه، ثم لِيَذْكروا اللهَ كثيرا، أو أكثِروا التكبيرَ والتهليلَ قبلَ أن تُصبِحوا، ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يُفيضون، وقال اللهُ تعالى {ثم أفِيضوا مِن حيثُ أفاضَ الناس، واستَغفِروا اللهَ، إن اللهَ غفورٌ رَحيم} حتى تَرمُوا الجَمرةَ».

قوله (باب ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) ذكر فيه حديث عائشة «كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة» الحديث، وقد تقدم شرحه في كتاب الحج[٢] أيضاً.

قوله (يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالاً) أي المقيم بمكة، والذي دخل بعمرة وتحلل منها.

قوله (فعليه ثلاثة أيام في الحج، وذلك قبل يوم عرفة) هو تقييد من ابن عباس لما أطلق في الآية.

قوله (ثم لينطلق) وقوله «من صلاة العصرِ إلى أن يكون الظلام» أي يحصل الظلام بغروب الشمس، وقوله «من صلاة العصر» يحتمل أن يريد من أول وقتها، وذلك عند مصير الظل مثله، وكان ذلك الوقت بعد ذهاب القائلة وتمام الراحة ليقف بنشاط، ويحتمل أن يريد من بعد صلاتها، وهي ت ﷺ عقب صلاة الظهر جمع تقديم ويقع الوقوف عقب ذلك، ففيه إشارة إلى أول مشروعية الوقوف، وأما قوله ويختلط الظلام ففيه إشارة إلى الأخذ بالأفضل، وإلا فوقت الوقوف يمتد إلى الفجر.

قوله (حتى يبلغوا جمعا) وهو المزدلفة.

قوله (يتبرر) أي يطلب فيه البر.

---

(١) كتاب المحصر باب / ٥ ح ١٨١٤ - ٢ / ١١٢.
(٢) كتاب الحج باب / ١٥٠ ح ١٧٧٠ - ٢ / ٩٧.

٣٦ ـ باب {ومنهم من يقول ربَّنا آتنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذابَ النار}

٤٥٢٢ ـ عن أنسٍ قال: «كان النَّبيُّ ﷺ يقولَ: اللهم {ربنا آتِنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنةً، وقنا عذابَ النار}».

[الحديث ٤٥٢٢ – طرفه في: ٦٣٨٩]

قوله (باب ومنهم من يقول {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة} الآية) ذكر فيه حديث أنس في قوله ذلك، وسيأتي بأتم من هذا في كتاب الدعوات.

٣٧ ـ باب {وهوَ ألدُّ الخصام}. وقال عطاء: النسل الحيوان

٤٥٢٣ ـ عن عائشةَ ترفعهُ قال: «أبغَضُ الرِّجالِ إلى الله الألدُّ الخَصِمِ».

قوله (باب وهو ألدُّ الخصام) ألد أفعل تفضيل من اللدد وهو شدة الخصومة، والخصام جمع خصم وزن كلب وكلاب، والمعنى وهو أشد المخاصمين مخاصمة، ويحتمل أن يكون مصدراً تقول خاصم خصاماً كقاتل قتالاً، والتقدير وخاصمه أشد الخصام، أو هو أشد ذوي الخصام مخاصمة.

قوله (الألد الخصم) أي الشديد اللدد الكثير الخصومة، وسيأتي شرح الحديث في كتاب الأحكام[(١)].

٣٨ ـ باب {أم حَسبتم أن تدخلوا الجنةَ ولمّا يأتكم مَثَلُ الذينَ خَلَوا مِن قَبْلِكُمَ مستهُم البأساءُ والضراءُ -إلى قريب}

٤٥٢٤ ـ عن ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما قال: {حتى إذا استَيأسَ الرُّسُلُ وظنُّوا أنهم قد كُذِبوا} خفيفة، ذهَبَ بها هناكَ وتلا: {حتى يقولَ الرسولُ والذين آمنوا معهُ متى نصرُ الله؟ ألا إن نصرَ الله قريب} فلقيتُ عروةَ بن الزُّبير فذكرت له ذلك».

٤٥٢٥ ـ «فقال: قالت عائشةُ: مَعَاذَ الله، واللهِ ما وعدَ اللهُ رسوله من شيءٍ قطُّ إلاّ علمَ أنهُ كائنٌ قبلَ أن يموتَ، ولكن لم يَزَلِ البَلاءُ بالرُّسُلِ حتى خافوا أن يكونَ مَن معهم يكذبونهم. فكانت تقرَؤها {وظنُّوا أنهم قد كُذِّبوا} مُثقلة».

قوله ({أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم} الآية) ذكر فيه حديث ابن أبي مليكة عن ابن عباس، وحديثه عن عروة عن عائشة في قوله {حتى إذا استيأس الرسل}، وسيأتي شرحه في تفسير سورة يوسف[(٢)] إن شاء الله تعالى.

---

(١) كتاب الأحكام باب / ٣٤ ح ٧١٨٨ – ٥ / ٤٤٩.

(٢) كتاب التفسير "يوسف" باب ٦ ح ٤٦٩٥ – ٣ / ٥٧١.

٣٩ ـ باب
{نساؤكم حَرثٌ لكم، فأتوا حَرثَكم أنَّى شئتم، وقدِّموا لأنفُسكم} الآية

٤٥٢٦ ـ عن نافعٍ قال: «كان ابن عمرَ رضيَ الله عنهما إذا قرأ القرآنَ لم يتكلم حتى يَفرُغَ منه، فأخذتُ عليه يوماً، فقرأ سورَةَ البقرةِ حتى انتهى إلى مكانٍ قال: تدري فيمَ أُنزلت؟، قلت: لا. قال: أنزلت في كذا وكذا. ثمَّ مضى».

[الحديث ٤٥٢٦ – طرفه في: ٤٥٢٧]

٤٥٢٧ ـ عن ابن عمرَ «{فأتوا حَرثَكم أنى شئتم} قال: يأتيها في. رواه محمدُ بن يحيى بنِ سعيدٍ عن أبيه عن عُبيدِ الله عن نافعٍ عن ابن عمرَ».

٤٥٢٨ ـ عن جابرٍ رضيَ الله عنه قال: «كانتِ اليهودُ تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولدُ أحولَ، فنزلَت {نساؤكم حرثٌ لكم، فأتوا حَرثَكم أنَّى شئتم}».

قوله (باب نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) اختلف في معنى {أنَّى} فقيل كيف، وقيل حيث وقيل متى، وبحسب هذا الاختلاف جاء الاختلاف في تأويل الآية.

قوله (فأخذت عليه يوماً) أي امسكت المصحف وهو يقرأ عن ظهر قلب.

قوله (رواه محمد بن يحيى بن سعيد) أي القطان (عن أبيه عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر) وأما رواية محمد بن يحيى بن سعيد القطان فوصلها الطبراني في «الأوسط» من طريق أبي بكر الأعين عن محمد بن يحيى المذكور بالسند المذكور إلى ابن عمر قال: «إنما نزلت على رسول الله ﷺ {نساؤكم حرث لكم} رخصة في إتيان الدبر، قال الطبراني: لم يروه عن عبد الله بن عمر إلا يحيى بن سعيد، تفرد به ابنه محمد، كذا قال، ولم يتفرد به يحيى بن سعيد فقد رواه عبد العزيز الدراوردي عن عبيد الله بن عمر أيضاً، وقد روى هذا الحديث عن نافع أيضاً جماعة غير من ذكرنا ورواياتهم بذلك ثابتة عند ابن مردويه في تفسيره.

وقد عاب الإسماعيلي صنيع البخاري فقال: جميع ما أخرج عن ابن عمر مبهم لا فائدة فيه، وقد رويناه عن عبد العزيز -يعني الدراوردي- عن مالك وعبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب ثلاثتهم عن نافع بالتفسير، وعن مالك من عدة أوجه اهـ. كلامه.

ورواية الدراوردي المذكورة قد أخرجها الدارقطني في «غرائب مالك» من طريقه عن الثلاثة عن نافع نحو رواية ابن عون عنه ولفظه «نزلت في رجل من الأنصار أصاب امرأته في دبرها، فأعظم الناس ذلك فنزلت. قال فقلت له من دبرها في قبلها، فقال: لا إلا في دبرها». وتابع نافعاً على ذلك زيد بن أسلم عن ابن عمر وروايته عند النسائي بإسناد صحيح.

وتكلم الأزدي في بعض رواته ورد عليه ابن عبد البر فأصاب قال: ورواية ابن عمر لهذا المعنى صحيحة مشهورة من رواية نافع عنه بغير نكير أن يرويها عنه زيد بن أسلم.

قلت: وقد رواه عن عبد الله بن عبد الله بن عمر أيضاً ابنه عبد الله أخرجه النسائي أيضاً وسعيد بن يسار وسالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه مثل ما قال نافع، وروايتهما عنه عند النسائي وابن جرير ولفظه «عن عبد الرحمن بن القاسم قلت لمالك: إن ناساً يروون عن سالم: كذب العبد على أبي، فقال مالك: أشهد على زيد بن رومان أنه أخبرني عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه مثل ما قال نافع، فقلت له: إن الحارث بن يعقوب يرو عن سعيد بن يسار عن ابن عمر أنه قال: أف، أو يقول ذلك مسلم؟ فقال مالك: أشهد على ربيعة لأخبرني عن سعيد بن يسار عن ابن عمر مثل ما قال نافع. وأخرجه الدارقطني من طريق عبد الرحمن بن القاسم عن مالك وقال: هذا محفوظ عن مالك صحيح اهـ.

وروى الخطيب في «الرواة عن مالك» من طريق إسرائيل بن روح قال: سألت مالكاً عن ذلك فقال: ما أنتم قوم عرب؟ هل يكون الحرث إلا موضع الزرع؟ وعلى هذه القصة اعتمد المتأخرون من المالكية، فلعل مالكا رجع عن قوله الأول، أو كان يرى أن العمل على خلاف حديث ابن عمر فلم يعمل به، وإن كانت الرواية فيه صحيحة على قاعدته.

ولم ينفرد ابن عمر بسبب هذا النزول، فقد أخرج أبو يعلى وابن مردويه وابن جرير والطحاوي من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري «أن رجلاً أصاب امرأته في دبرها، فأنكر الناس ذلك عليه وقالوا: نعيرها، فأنزل الله عز وجل هذه الآية» وعلقه النسائي عن هشام بن سعيد عن زيد، وهذا السبب في نزول هذه الآية مشهور، وكأن حديث أبي سعيد لم يبلغ ابن عباس وبلغه حديث ابن عمر فوهمه فيه، فروى أبو داود من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: إن ابن عمر وهم والله يغفر له، إنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يأخذون بكثير من فعلهم، وكان أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف، وذلك استر ما تكون المرأة، فأخذ ذلك الأنصار عنهم، وكان هذا الحي من قريش يتلذذون بنسائهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فتزوج رجل من المهاجرين امرأة من الأنصار فذهب يفعل فيها ذلك فامتنعت، فسرى أمرهما حتى بلغ رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى {نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم} مقبلات ومدبرات ومستلقيات، في الفرج» أخرجه أحمد والترمذي من وجه آخر صحيح عن ابن عباس قال: «جاء عمر فقال: يا رسول الله هلكت حولت رحلي البارحة، فنزلت هذه الآية، نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم} أقبل وأدبر، واتق الدبر والحيضة».

قال المازري: اختلف الناس في هذه المسألة وتعلق من قال بالحل بهذه الآية، وانفصل عنها من قال يحرم بأنها نزلت بالسبب الوارد في حديث جابر في الرد على اليهود، يعني كما في حديث الباب الآتي. قال: والعموم إذا خرج على سبب قصر عليه عند بعض الأصوليين، وعند الأكثر العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا يقتضي أن تكون الآية حجة في الجواز،

لكن وردت أحاديث كثيرة بالمنع فتكون مخصصة لعموم الآية، وفي تخصيص عموم القرآن ببعض خبر الآحاد خلاف اهـ.

وذهب جماعة من أئمة الحديث -كالبخاري والذهلي والبزار والنسائي وأبي علي النيسابوري- إلى أنه لا يثبت فيه شيء. قلت: لكن طرقها كثيرة فمجموعها صالح للاحتجاج به، ويؤيد القول بالتحريم أنا لو قدمنا أحاديث الإباحة للزم أنه أبيح بعد أن حرم والأصل عدمه، فمن الأحاديث الصالحة الإسناد حديث خزيمة بن ثابت أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان، وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان أيضاً، وحديث ابن عباس وقد تقدمت الإشارة إليه، وأخرجه الترمذي من وجه آخر بلفظ «لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في الدبر» وصححه ابن حبان أيضاً، وإذا كان ذلك صلح أن يخصص عموم الآية ويحمل على الإتيان في غير هذا المحل بناء على أن معنى «أنى» حيث وهو المتبادر إلى السياق، ويغني ذلك عن حملها على معنى آخر غير المتبادر، والله أعلم.

٤٠ ـ باب {وإذا طلقتُمُ النساءَ فبلغنَ أجلَهُنَّ فلا تَعضُلوهُنَّ أن يَنْكحْنَ أزواجَهُنَّ}

٤٥٢٩ ـ عن الحسن «أن أختَ مَعقِلِ بن يسارٍ طَلَّقها زوجُها، فتركها حتى انقضَتْ عِدتُها فخطَبها فأبى معقلٌ، فنزلت {فلا تَعضُلوهُنَّ أن يَنْكِحْنَ أزواجَهُنَّ}».

[الحديث ٤٥٢٩ ـ أطرافه في: ٥١٣٠، ٥٣٣٠، ٥٣٣١]

قوله (باب وإذا طلقتم النساء فبلغن أجَلَهُنَّ فلا تعضُلوهن أن ينكحن أزواجهن) اتفق أهل التفسير على أن المخاطب بذلك الأولياء، ذكره ابن جرير وغيره. وروى ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هي في الرجل يطلق امرأته فتقضي عدتها، فيبدو له أن يراجعها وتريد المرأة ذلك فيمنعه وليها. ثم ذكر المصنف حديث معقل بن يسار في سبب نزول الآية، لكنه ساقه مختصراً، وقد أورده في النكاح بتمامه وسيأتي شرحه هناك[1] إن شاء الله تعالى.

٤١ ـ باب {والذين يُتوفَونَ منكم ويَذَرونَ أزواجاً يَتربَّصْنَ بأنفسهن أربعةَ أشهر وَعشْرا -إلى- بما تعملون خبير}

يَعفُون: يَهَبْن.

٤٥٣٠ ـ عن ابنِ الزُّبَيرِ قال: قلتُ لعثمانَ بن عفان {والذينَ يُتوفَّونَ منكم ويذَرُونَ أزواجاً} قال: قد نَسخَتها الآيةُ الأخرى. فَلِمَ تكتُبُها أو تَدَعُها. قال: يا ابنَ أخي، لا أغيِّرُ

(١) كتاب النكاح باب / ٣٦ ح ٥١٣٠ - ٤ / ٦٦

شيئاً منه من مكانِه».

[الحديث ٤٥٣٠ - طرفه في: ٤٥٣٦]

٤٥٣١- عن مجاهدٍ {والذينَ يُتوَفون منكم ويَذَرونَ أزواجاً} قال: كانت هذهِ العدةُ، تَعتدُّ عند أهل زوجها واجبٌ. فأنزلَ الله {والذين يُتوَفون منكم ويَذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم مَتاعاً إلى الحولِ غيرَ إخراج، فإن خرَجنَ فلا جُناحَ عليكم فيما فَعلنَ في أنفسِهنَّ من مَعروف} قال: جعلَ اللهُ لها تمامَ السَّنَةِ سبعةَ أشهر وعشرين ليلةً وصيةً، إن شاءت سَكنت في وصيتِها، وإن شاءت خَرَجت، وهو قول اللهِ تعالى {غيرَ إخراج، فإن خرَجن فلا جُناحَ عليكم} فالعدَّةُ كما هي واجبٌ عليها، زعمَ ذلك عن مجاهد. وقال عطاءٌ: قال ابن عباس: نسخت هذه الآية عدَّتها عند أهلها، فتعتد حيث شاءَت وهو قول الله تعالى {غير إخراج} قال عطاء: إن شاءت اعتدت عند أهلهِ وسَكَنت في وصيتها، وإن شاءت خرَجت، لقول الله تعالى {فلا جُناحَ عليكم فيما فعلن} قالَ عطاء: ثم جاء الميراثُ فنسَخَ السُّكنى، فتعتدُّ حيث شاءت ولا سُكنى لها.

[الحديث ٤٥٣١ - طرفه في: ٥٣٤٤]

٤٥٣٢ ـ عن محمدِ بن سيرين قال: «جلستُ إلى مجلسٍ فيه عُظمٌ من الأنصار وفيهم عبد الرحمن بن أبي ليلى، فذكرتُ حديث عبدِ الله بن عُتبةَ في شأنِ سُبَيعةَ بنتِ الحارث، فقال عبدُ الرحمن: ولكن عمهُ كان لا يقولُ ذلك. فقلتُ: إني لجرئ إن كذبتُ على رجلٍ في جانب الكوفة. ورفع صوتَه. قال: ثمَّ خرجتُ فلقيتُ مالكَ بن عامر -أو مالكَ بن عوفٍ- قلت: كيفَ كان قولُ ابن مسعودٍ في المتوفى عنها زوجُها وهي حامل؟ فقال: قال ابن مسعود: أتجعلونَ عليها التغليظَ ولا تجعلونَ لها الرُّخصةَ؟ لنَزَلَت سورةُ النساءِ القُصْرَى بعدَ الطُّولى».

[الحديث ٤٥٣٢ - طرفه في:٤٩١٠]

قوله (فَلِمَ تكتبها أو تدعها) كذا في الأصول بصيغة الاستفهام الإنكاري كأنه قال: لم تكتبها وقد عرفت أنها منسوخة، أو قال لم تدعها أي تتركها مكتوبة، وهو شك من الراوي أي اللفظين قال، ووقع في الرواية الآتية بعد بابين «فَلم تكتبها؟ قال تدعها يا ابن أخي» وفي رواية الإسماعيلي «لم تكتبها وقد نسختها الآية الأخرى» وهو يؤيد التقدير الذي ذكرته، وله من رواية أخرى «قلت لعثمان: هذه الآية {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج} قال: نسختها الآية الأخرى. قلت: تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير منها شيئاً عن مكانه». وهذا السياق أولى من الذي قبله. أو للتخيير لا للشك.

وفي جواب عثمان هذا دليل على أن ترتيب الآي توقيفي. وكأن عبد الله بن الزبير ظن أن

الذي ينسخ حكمه لا يكتب، فأجابه عثمان بأن ذلك ليس بلازم والمتبع فيه التوقف، وله فوائد: منها ثواب التلاوة، والامتثال، على أن من السلف من ذهب إلى أنها ليست منسوخة وإنما خص من الحول بعضه وبقي البعض وصية لها إن شاءت أقامت كما في الباب عن مجاهد، لكن الجمهور على خلافه. وهذا الموضع مما وقع فيه الناسخ مقدماً في ترتيب التلاوة على المنسوخ.

٤٢ ـ باب {حافظوا على الصلوات والصلاةِ الوُسطى}

٤٥٣٣ ـ عن علي رضيَ الله عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ قال: يومَ الخندقِ: حَبَسونا عن صلاة الوسطى حتى غابتِ الشمس، مَلأَ اللهُ قبورَهم وبيوتَهم -أو أجوافهم- ناراً».

قوله (باب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) هي تأنيث الأوسط، والأوسط: الأعدل من كل شيء.

قوله (حبسونا عن صلاة الوسطى) أي منعونا عن الصلاة الوسطى أي عن إيقاعها، زاد مسلم «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» وزاد في آخره «ثم صلاها بين المغرب والعشاء».

وقد اختلف السلف في المراد بالصلاة الوسطى، وجمع الدمياطي في ذلك جزءاً مشهوراً سماه «كشف الغطا عن الصلاة الوسطى» فبلغ تسعة عشر قولا: أحدها الصبح أو الظهر أو العصر أو المغرب أو جميع الصلوات.

والثالث قول علي بن أبي طالب فقد روى الترمذي والنسائي من طريق زر بن حبيش قال: «قلنا لعبيدة سل علياً عن الصلاة الوسطى، فسأله فقال: كنا نرى أنها الصبح، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الأحزاب «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» انتهى. وهذه الرواية تدفع دعوى من زعم أن قوله صلاة العصر مدرج من تفسير بعض الرواة وهي نص في أن كونها العصر من كلام النبي ﷺ، وأن شبهة من قال إنها الصبح قوية، لكن كونها العصر هو المعتمد، وبه قال ابن مسعود وأبو هريرة، وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة وقول أحمد والذي صار إليه معظم الشافعية لصحة الحديث فيه، قال الترمذي: هو قول أكثر علماء الصحابة. وقال الماوردي: هو قول جمهور التابعين. وقال ابن عبد البر: هو قول أكثر أهل الأثر.

٤٣ ـ باب {وقوموا لله قانتين} أي مُطيعين

٤٥٣٤ ـ عن زيدِ بن أرقمَ قال: «كنا نتكلمُ فِي الصلاةِ يُكلِّم أحدُنا أخاهُ في حاجتِه، حتى نزلَت هذه الآية {حافِظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوسطى، وقوموا لله قانِتين} فأُمِرْنا بالسُّكوت».

قوله (باب وقوموا لله قانتين، أي مطيعين) هو تفسير ابن مسعود أخرجه ابن أبي حاتم

بإسناد صحيح، ونقله أيضاً عن ابن عباس وجماعة من التابعين.

وذكر من وجه آخر عن ابن عباس قال: قانتين أي مصلين.

وعن مجاهد قال: من القنوت الركوع والخشوع وطول القيام وغض البصر وخفض الجناح والرهبة لله.

وأصح ما دل عليه حديث الباب -هو حديث زيد بن أرقم- في أن المراد بالقنوت في الآية السكوت، وقد تقدم شرحه في أبواب العمل في الصلاة من أواخر كتاب الصلاة[١]، والمراد به السكوت عن كلام الناس لا مطلق الصمت، لأن الصلاة لا صمت فيها بل جميعها قرآن وذكر، والله أعلم.

٤٤ ـ باب {فإن خفْتم فرجالاً أو ركباناً، فإذا أمنْتم فاذكروا اللهَ كماَ علَّمكَم ما لم تكونوا تعلمون}

وقال ابن جُبير: كرسيُّه: علمُهُ. يقال: بَسْطَةً: زيادةً وفضلا. أفْرِغْ: أنْزِل. ولا يَئودُه لا يُثقِله، آدَني: أثقلني والآدُ والأيدُ: القوَّة. السِّنةُ: النعاس، لم يَتسنَّه لم يَتغير. فبُهِتَ: ذهبَت حجَتُه. خاوِيَة: لا أنيسَ فيها. عروشُها: أبنيتها. نُنشِزُها: نخرجها، إعصار: ريح عاصف تهُبُّ من الأرض إلى السماء كعمود فيه نار. وقال ابن عباس: صَلْداً: ليس عليه شيء. وقال عِكرمة: وابلٌ: مطر شديد. الطلُّ: الندَى. وهذا مَثَلُ عمل المؤمن. يتسنه: يتغير.

٤٥٣٥ ـ عن نافع «أن عبدَ الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما كان إذا سُئلَ عن صلاةِ الخوفِ قال يتقدَّمُ الإمامُ وطائفةٌ منَ الناس، فيصلِّي بهم الإمامُ ركعةً وتكونُ طائفةٌ منهم بينهم وبينَ العدو لم يُصلُّوا فإذا صلَّى الذين معه ركعةً استأخروا مكان الذين لم يُصلُّوا ولا يسلمون، ويتقدم الذين لم يُصلُّوا فيُصلونَ معه ركعةً، ثم يَنصرِفُ الإمامُ وقد صلَّى ركعتَين، فيقوم كلُّ واحدٍ من الطائفتَين فيصلون لأنفُسِهم ركعةً بعدَ أن يَنصرِفَ الإمام، فيكون كل واحدٍ منَ الطائفتَينِ قد صلَّى ركعتين. فإن كان خَوف هو أشد من ذلك صلُّوا رِجالاً قياماً على أقدامِهِم أو رُكباناً مُستقبِلي القبلةِ أو غيرَ مُستقبِليها».

قال مالك قال نافع: لا أرَى عبدَ الله بن عمرَ ذكرَ ذلك إلا عن رسولِ الله ﷺ.

قوله (وقال ابن جبير: كرسيه علمه) وصله سفيان الثوري في تفسيره في رواية أبي حذيفة عنه بإسناد صحيح، وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من وجه آخر عن سعيد بن جبير فزاد فيه «عن ابن عباس».

وهو عند الطبراني في «كتاب السنة» من هذا الوجه مرفوعاً، وكذا، رويناه في «فوائد أبي الحسن علي بن عمر الحربي» مرفوعاً والموقوف أشبه، وقال العقيلي: إن رفعه خطأ، ثم هذا التفسير غريب، وقد روى ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباسٍ أن الكرسي موضع

---

(١) كتاب العمل في الصلاة باب / ٢ ح ١٢٠٠ - ١ / ٦٠٧.

القدمين. وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله.

قوله (ولا يئوده: لا يثقله) هو تفسير ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله (السِّنة النعاس) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله (لم يتسنه لم يتغير) أخرجه ابن أبي حاتم من وجهين عن ابن عباس.

وفي قراءة يعقوب «لم يتسنَّ» أي لم تمض عليه السنون الماضية كأنه ابن ليلة.

(تكملة): استدل بهذه الآية بعض أئمة الأصول على مشروعية القياس بأنها تضمنت قياس إحياء هذه القرية وأهلها وعمارتها لما فيها من الرزق بعد خرابها على إحياء هذا المار وإحياء حماره بعد موتهما بما كان مع المار من الرزق.

قوله (وقال ابن عباس صلداً: ليس عليه شيء) وروى ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس قال: فتركه يابساً لا ينبت شيئاً.

٤٥ ـ باب {والذين يُتَوفَّوْن منكم ويَذَرون أزواجاً}

٤٥٣٦ ـ قال ابن الزُبيرِ قلتُ لعثمانَ: هذه الآية التي في البقرة {والذين يُتوَفون منكم ويذَرون أزواجاً -إلى قوله- غيرَ إخراج} قد نسختها الأخرى فلَم تَكتُبها؟ قال: تدَعها يا ابنَ أخي، لا أُغيِّر شيئاً منه من مكانه»، ذكر فيه حديث ابن الزبير مع عثمان وقد تقدم قبل بابين.

٤٦ ـ باب {وإذ قال إبراهيم ربِّ أرِني كيفَ تُحيي الموتى}

٤٥٣٧ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «نحن أحقُّ بالشكِّ من إبراهيمَ إذ قال: {ربِّ أرِني كيف تحيي الموتى، قال: أولَم تُؤمِن؟ قال: بلى ولكن ليَطمئنَ قلبي}».

قوله (باب وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، فصرهن: قطعهن) وقد أخرجه ابن أبي حاتم من وجهين عن ابن عباس، ومن طرق عن جماعة من التابعين، ومن وجه آخر عن ابن عباس قال: صرهن أي أوثقهن ثم اذبحهن. وقد اختلف نقلة القراآت في ضبط هذه اللفظة عن ابن عباس فقيل: بكسر أوله كقراءة حمزة، وقيل بضمه كقراءة الجمهور.

ثم ذكر حديث أبي هريرة «نحن أحق بالشك من إبراهيم» وقد تقدم شرحه مستوفى في أحاديث الأنبياء[١].

٤٧ ـ باب قولهِ {أيَودُّ أحدكم أن تكونَ لهُ جنَّة -إلى قوله- تتفكرون}

٤٥٣٨ ـ عن عبيدِ بن عميرٍ قال: «قال عمرُ رضيَ الله عنه يوماً لأصحابِ النبيِّ ﷺ: فيمَ تُرَونَ هذهِ الآيةَ نزلت {أيودُ أحدُكم أن تكون له جنة؟} قالوا: الله أعلم. فغضب عمرُ

(١) كتاب الأنبياء باب / ١١ ح ٣٣٧٤ - ٣ / ٢٥.

فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أميرَ المؤمنين. قال عمر: يا ابنَ أخي قل ولا تحقِر نفسَك. قال ابنُ عباس: ضُرِبت مثَلاً لعمل، قال عمرُ: أيُّ عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجلٍ غنيٍّ يعمل بطاعةِ الله عزَّوجلَّ، ثمَّ بعثَ الله له الشيطانَ فعملَ بالمعاصي حتى أغرَقَ أعماله». فصرهنَّ: قطِّعْهنَّ.

قوله (حتى أغرق أعماله) أي أعماله الصالحة.

٤٨ ـ باب {لا يسألونَ الناسَ إلحافا}

يقال ألحفَ عليَّ وألحَّ وأحفاني بالمسألةِ. فيُحْفِكم: يُجهِدكم

٤٥٣٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قال النبيُّ ﷺ: ليسَ المسكينُ الذي تَردُّهُ التمرةُ والتمرتان، ولا اللقمةُ ولا اللقمتان. إنما المسكينُ الذي يَتعفف. اقرءوا إن شئتم -يعني قوله تعالى- لا يَسألونَ الناسَ إلحافا}».

قوله (باب {لا يسألون الناس إلحافا}، يقال ألحف علي، وألح، وأحفاني بالمسألة) قال أبو عبيدة في قوله {لا يسألون الناس إلحافا} قال: إلحاحاً انتهى.

وهل المراد نفي المسألة فلا يسألون أصلاً، أو نفي السؤال بالإلحاف خاصة فلا ينتفي السؤال بغير إلحاف فيه احتمال، والثاني أكثر في الاستعمال. ويحتمل أن يكون المراد لو سألوا لم يسألوا إلحافاً فلا يستلزم الوقوع. ثم ذكر المصنف حديث أبي هريرة «ليس المسكين الذي ترده التمرة» الحديث، وقد تقدم شرحه في كتاب الزكاة[١].

٤٩ ـ باب {وأحلَّ اللهُ البَيعَ وحرَّمَ الرِّبا}

المسُّ الجنون.

٤٥٤٠ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «لما نَزَلتِ الآياتُ من آخرِ سورةِ البقرةِ في الرِّبا قرأها رسولِ اللهِ ﷺ على الناس. ثم حرَّم التجارةَ في الخمر».

قوله (المس الجنون) هو تفسير الفراء. قال في قوله تعالى {لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس} أي لا يقوم في الآخرة، قال: والمس الجنون، والعرب تقول ممسوس أي مجنون انتهى. وقال أبو عبيدة: المس اللمم من الجن. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا» ومن طريق ابن عبد الله بن مسعود عن أبيه «أنه كان يقرأ: إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة» وقوله تعالى {وأحل الله البيع وحرم الربا} يحتمل أن يكون من تمام اعتراض الكفار حيث قالوا {إنما البيع

---

(١) كتاب الزكاة باب / ٥٣ ح ١٤٧٦ - ١ / ٧٥٣.

مثل الربا} أي فلِم أحلَّ هذا وحَرَّم هذا؟ ويحتمل أن يكون رداً عليهم ويكون اعتراضهم بحكم العقل والرد عليهم بحكم الشرع الذي لا معقب لحكمه، وعلى الثاني أكثر المفسرين، واستبعد بعض الحذاق الأول، وليس ببعيد إلا من جهة أن جوابهم بقوله {فمن جاءه موعظة} إلى آخره يحتاج إلى تقدير، والأصل عدمه.

قوله (ثم حرم التجارة في الخمر) تقدم توجيهه في البيوع(١).

٥٠ ـ باب {يَمحقُ اللهُ الرِّبا} يُذهِبهُ

٤٥٤١ ـ عن عائشةَ أنها قالت: «لما أُنزلَتِ الآياتُ الأواخر من آخرِ سورةِ البقرةِ خرَجَ رسولُ الله ﷺ فتَلاهنَّ في المسجدِ، فحرَّمَ التجارة في الخمر».

قوله (باب يمحق الله الربا: يذهبه) هو تفسير أبي عبيدة، وأخرج أحمد وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث ابن مسعود رفعه «إن الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قلة».

٥١ ـ باب {فأْذَنوا بحربٍ منَ اللهِ ورسوله} فاعلموا

٤٥٤٢ ـ عن عائشةَ قالت: «لما أنزِلَتِ الآياتُ من آخرِ سورةِ البقرةِ قرأهنَّ النبيُّ ﷺ في المسجدِ، وحرَّم التجارةَ في الخمر».

قوله (باب {فأذنوا بحرب من الله ورسوله} فاعلموا) هو تفسير {فأذنوا} على القراءة المشهورة بإسكان الهمزة وفتح الذال، قال أبو عبيدة: معنى قوله {فأذنوا: أيقنوا، وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم «فآذنوا» أي آذنوا غيركم وأعلموهم، والأول أوضح في مراد السياق.

٥٢ ـ باب {وإن كان ذو عُسْرةٍ فنَظِرةٌ إلى مَيسَرة وأنْ تَصدَّقوا خيرٌ لكم إن كُنتمَ تعلمون}

٤٥٤٣ ـ عن عائشة قالت: «لما أُنزِلَتِ الآياتُ منَ آخرِ سورةِ البقرةِ قام رسول اللهِ ﷺ فقرَأهن علينا ثم حرَّمَ التجارةَ في الخمر».

قوله (وإن(٢) كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة الآية) وهي خبر بمعنى الأمر. أي إن كان الذي عليه دين الربا معسراً فأنظروه إلى ميسرته.

(ا) كتاب البيوع باب / ٢٤ ح ٢٠٨٤ - ٢ / ٢٣٤.
(ب) كتاب البيوع باب / ١٠٥ ح ٢٢٢٦ - ٢ / ٢٨٨.
(ج) كتاب البيوع باب / ١١٢ ح ٢٢٣٦ - ٢ / ٢٩١.
(٢) سقط التبويب وهو ثابت في ترجمة الباب واليونينية توافق الشرح.

٥٣ ـ باب {واتقوا يوماً تُرجَعونَ فيه إلى الله}

٤٥٤٤ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «آخِرُ آيةٍ نَزَلت على النبيِّ ﷺ آيةُ الرِّبا».

قوله (آخر آية نزلت على النبيّ ﷺ آية الربا) كذا ترجم المصنف بقوله {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله} وأخرج هذا الحديث بهذا اللفظ، ولعله أراد أن يجمع بين قولي ابن عباس فإنه جاء عنه ذلك من هذا الوجه، وجاء عنه من وجه آخر: آخر آية نزلت على النبي {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله} أخرجه الطبري من طرق عنه.

وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن.

٥٤ ـ باب {وإن تُبْدوا ما في أنفُسكم أو تخفوهُ يُحاسبكم به الله، فَيغفرِ لمن يشاءُ ويُعذِّبُ من يشاءُ واللهُ على كل شَيءٍ قدير}

٤٥٤٥ ـ عن مروان الأصفر عن رجلٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ، هو ابنُ عمرَ «أنها قد نُسِخت {وإن تُبدوا ما في أنفُسكم أو تُخفوهُ} الآية».

[الحديث ٤٥٤٥ - طرفه في: ٤٥٤٦]

قوله (عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وهو ابن عمر) لم يتضح لي من هو الجازم بأنه ابن عمر، فإن الرواية الآتية بعد هذه وقعت بلفظ «أحسبه ابن عمر» وعندي في ثبوت كونه ابن عمر توقف لأنه ثبت أن ابن عمر لم يكن اطلع على كون هذه الآية منسوخة، فروى أحمد من طريق مجاهد قال: دخلت على ابن عباس فقلت: كنت عند ابن عمر فقرأ {وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه} فبكى، فقال ابن عباس: إن هذه الآية لما أنزلت غمت أصحاب رسول الله ﷺ غماً شديدا وقالوا: يا رسولَ الله هلكنا، فإن قلوبنا ليست بأيدينا. فقال: قولوا سمعنا وأطعنا، فقالوا، فنسختها هذه الآية {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها} وأصله عند مسلم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس دون قصة ابن عمر، وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن الزهري أنه سمع سعيد بن مرجانة يقول: كنت عند ابن عمر فتلا هذه الآية {وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه} فقال: والله لئن وأخذنا الله بهذا لنهلكن، ثم بكى حتى سمع نَشيجَه، فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر وما فعل حين تلاها، فقال: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري لقد وجد المسلمون حين نزلت مثل ما وجد، فأنزل الله {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها}.

٥٥ ـ باب {آمنَ الرَّسولُ بما أُنزِلَ إليه من ربه}

وقال ابنُ عباسٍ: إصراً: عهداً. ويقال غُفرانكَ: مَغفِرَتَك، فاغفِر لنا

٤٥٤٦ ـ عن مروانَ الأصفر عن رجلٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ-قال: أحسبُه ابنَ عمرَ- {إن تبدوا ما في أنفُسِكم أو تُخفوهُ} قال: نَسخَتها الآية التي بعدَها.

قوله (وقال ابن عباس: إصراً عهداً) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ولا تحمل علينا إصراً} أي عهداً وأصل الإصر الشيء الثقيل، ويطلق على الشديد، وتفسيره بالعهد تفسير باللازم لأن الوفاء بالعهد شديد. وروى الطبري من طريق ابن جريج في قوله {إصراً} قال: عهداً لا نطيق القيام به.

قوله (نسختها الآية التي بعدها) قد عرف بيانه من حديثي ابن عباس وأبي هريرة والمراد بقوله نسختها أي أزالت ما تضمنته من الشدة وبينت أنه وإن وقعت المحاسبة به لكنها لا تقع المؤاخذة به أشار إلي ذلك الطبري فراراً من إثبات دخول النسخ في الأخبار، وأجيب بأنه وإن كان خبراً لكنه يتضمن حكماً ومهما كان من الأخبار يتضمن الأحكام أمكن دخول النسخ فيه كسائر الأحكام وإنما الذي لا يدخله النسخ من الأخبار ما كان خبراً محضاً لا يتضمن حكماً كالإخبار عما مضى من أحاديث الأمم ونحو ذلك ويحتمل أن يكون المراد بالنسخ في الحديث التخصيص فإن المتقدمين يطلقون لفظ النسخ عليه كثيراً، والمراد بالمحاسبة بما يخفي الإنسان ما يصمم عليه ويشرع فيه دون ما يخطر له ولا يستمر عليه والله أعلم.

(٣) سورةُ آلِ عِمرانَ

تُقاةٌ وتَقِيَّةٌ واحد. صِرٌّ: بردٌ. شَفا: حفرة مثلُ شَفا الرَّكيَّةِ وهو حرفُها. تبوئ: تتَّخذُ مُعسكراً. المسوَّم: الذي له سيماء بعلامةٍ أو بصوفة أو بما كان. رِبِّيون: الجميع والواحد رِبِّي تَحُسُّونهم: تستأصِلونَهم قَتلاً. غُزّاً: واحدها غازٍ. سنكتب ما قالوا: سنحفظ. نزُلا: ثواباً. ويجوز ومُنزَلٌ من عند الله كقولك أنزَلتُه. وقال مجاهد: والخيلُ المسوَّمة: المطهَّمة الحِسان. وقال ابنُ جُبَير: وحَصوراً: لا يأتي النساء. وقال عِكرِمة: من فورِهم: من غَضبهم يوم بدر. وقال مجاهد: يُخرج الحيَّ: النطفة تخرُج مَيتةً، ويخرج منها الحيُّ. الإبكار: أول الفجر. والعَشيُّ: مَيل الشمس أراهُ إلى أن تَغرُب.

قوله (وقال سعيد[1] بن جبير: «وحصوراً» لا يأتي النساء) وقع هذا بعد ذكر المسومة، وصله الثوري في تفسيره عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير به وأصل الحصر الحبس والمنع، يقال لمن لا يأتي النساء أعم من أن يكون ذلك بطبعه كالعِنِّين أو بمجاهدة نفسه وهو الممدوح والمراد في وصف السيد يحيى عليه السلام.

١ ـ باب {منه آياتٌ مُحكَمات}

قال مجاهد: الحلال والحرام، {وأُخَرُ مُتشابهات} يصدق بعضها بعضاً كقوله تعالى {وما يُضِلُّ به إلاَّ الفاسقين} وكقوله جلَّ ذِكرُهُ {ويَجعلُ الرِّجسَ على الذين لا يعقلون} وكقوله {والذين اهتدَوا زادَهم هُدى وآتاهم تَقواهم}، زَيغٌ: شكٌّ، {ابتغاء الفِتنة} المشتبهات، {والراسخون في العلم} يعلمون تأويله و {يقولون آمنا به}.

٤٥٤٧ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «تَلا رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآية {هو الذي أنزلَ عليكَ الكتابَ، منه آياتٌ مُحَكَماتٌ هنَّ أمُّ الكِتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ، فأما الذين في قلوبهم زَيغ فيتبِعونَ ما تشابَه منه ابتغاءَ الفِتنةِ وابتِغاءَ تأويلِهِ -إلى قولِه- أولو الألباب} قالت: قال رسولُ الله ﷺ: فإذا رأيتِ الذين يتبعونَ ما تَشابهَ منه فأولئكَ الذين سمّى الله، فاحذَروهم».

قوله ({والراسخون في العلم} يعلمون و {يقولون آمنا به} الآية) ومن طريق قتادة قال: «قال الراسخون كما يسمعون آمنا به كل من عند ربنا المتشابه والمحكم، فآمنوا بمتشابهه وعملوا بمحكمه فأصابوا» وهذا الذي ذهب إليه مجاهد من تفسير الآية يقتضي أن تكون الواو في والراسخون عاطفة على معمول الاستثناء، وقد روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه كان يقرأ «وما يعلم تأويله إلا الله، ويقول الراسخون في العلم آمنا به» فهذا يدل على أن الواو للاستئناف لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة لكن أقل درجاتها أن تكون خبراً بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه، ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متبعي المتشابه لوصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة، وصرح بوفق ذلك حديث الباب، ودلت الآية على مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا إليه، كما مدح الله المؤمنين بالغيب. وحكى الفراء أن في قراءة أبيّ بن كعب مثل ذلك أعني ويقول الراسخون في العلم آمنا به.

قوله (تلا رسول الله ﷺ) أي قرأ (هذه الآية {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات} قال أبو البقاء: أصل المتشابه أن يكون بين اثنين،

---

(١) رواية الباب واليونينية "وقال ابن جبير".

فإذا اجتمعت الأشياء المتشابهة كان كل منها مشابها للآخر فصح وصفها بأنها متشابهة، وليس المراد أن الآية وحدها متشابهة في نفسها. وحاصله أنه ليس من شرط صحة الوصف في الجمع صحة انبساط مفردات الأوصاف على مفردات الموصوفات، وإن كان الأصل ذلك.

قوله (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه) قال الطبري قيل إن هذه الآية نزلت في الذين جادلوا رسول الله ﷺ في أمر عيسى، وقيل في أمر مدة هذه الأمة، والثاني أولى، لأن أمر عيسى قد بينه الله لنبيه فهو معلوم لأمته، بخلاف أمر عيسى، وقيل في أمر مدة هذه الأمة، والثاني أولى لأن أمر عيسى قد بينه الله لنبيه فهو معلوم لأمته، بخلاف أمر هذه الأمة فإن علمه خفي عن العباد.

وقال غيره: المحكم من القرآن ما وضح معناه، والمتشابه نقيضه، وسمي المحكم بذلك لوضوح مفردات كلامه وإتقان تركيبه، بخلاف المتشابه. وقيل المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور.

وقيل في تفسير المحكم والمتشابه أقوال أخر غير هذه نحو العشرة ليس هذا موضع بسطها، وما ذكرته أشهرها وأقربها إلى الصواب وذكر الأستاذ أبو منصور البغدادي أن الأخير هو الصحيح عندنا، وابن السمعاني أنه أحسن الأقوال والمختار على طريقة أهل السنة، وعلى القول الأول جرى المتأخرون والله أعلم.

قوله (فهم[1] الذين سمى الله فاحذروهم) والمراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن، وأول ما ظهر ذلك من اليهود كما ذكره ابن إسحق في تأويلهم الحروف المقطعة وأن عددها بالجمل مقدار مدة هذه الأمة، ثم أول ما ظهر في الإسلام من الخوارج حتى جاء عن ابن عباس أنه فسر بهم الآية، وقصة عمر في إنكاره على صبيغ لما بلغه أنه يتبع المتشابه فضربه على رأسه حتى أدماه، أخرجها الدارمي وغيره.

وقال الخطابي: المتشابه على ضربين: أحدهما ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله، ولا يبلغون كنهه، فيرتابون فيه فيفتتنون، والله أعلم.

٢ ـ باب {وإني أُعيذُها بك وذُرِّيتَها من الشيطانِ الرجيم}

٤٥٤٨ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ما مِن مَولودٍ يولدُ إلاّ والشيطانُ يَمسُّهُ حينَ يولدُ، فيَستهلُّ صارخاً مِن مَسِّ الشيطان إياه، إلاّ مريمَ وابنها». ثم

---

(١) رواية الباب واليونينية "فأولئك الذين ....."

يقول أبو هريرةَ: واقرَءوا إن شئتم {وإني أُعيذُها بك وذريتَها منَ الشيطانِ الرجيم}

قوله (باب {وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم}) أورد فيه حديث أبي هريرة «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه» الحديث، وقد تقدم الكلام على شرحه واختلاف ألفاظه في أحاديث الأنبياء. وقد طعن صاحب «الكشاف» في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال: إن صح هذا الحديث فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه، إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين، وكذلك من كان في صفتهما، لقوله تعالى {إلا عبادك منهم المخلصين} قال: واستهلال الصبي صارخاً من مس الشيطان تخييل لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه. وأما صفة النخس كما يتوهمه أهل الحشو فلا، ولو ملك إبليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً انتهى.

وكلامه متعقب من وجوه، والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه، ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء، بل ظاهر الخبر أن إبليس مُمَكَّنٌ من مس كل مولود عند ولادته، لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا، واستثنى من المخلصين مريم وابنها فإنه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص، ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين.

وأما قوله «لو ملك إبليس الخ» فلا يلزم كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع أن يستمر ذلك في حق كل أحد.

٣ ـ باب {إن الذينَ يَشترونَ بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئكَ لا خَلاقَ لهم} لا خيرَ

{أليم} مُؤلم مُوجِع، من الألم، وهو في موضع مُفعِل

٤٥٤٩، ٤٥٥٠ ـ عن عبدِ الله بن مسعود رضيَ اللهُ عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: مَن حلفَ يَمينَ صَبر ليَقتَطِعَ بها مالَ امرىءٍ مسلم لقيَ اللهَ وهو عليه غضبان، فأنزَلَ اللهُ تصديقَ ذلك {إنَّ الذين يَشتَرون بعهدِ الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خَلاقَ لهم في الآخرة} إلى آخر الآية. قال فدخَل الأشعثُ بن قَيسٍ وقال: ما يحدِّثكم أبو عبدِ الرحمن؟ قلنا: كذا وكذا. قال: فيَّ أُنزلت، كانت لي بئر في أرضِ ابن عمٍّ لي، قال النبيُّ ﷺ: بَيِّنَتُكَ أو يَمينُهُ. فقلتُ: إذاً يَحلِفُ يا رسولَ الله، فقال النبيُّ ﷺ: مَن حلفَ على يمين صَبرٍ يَقتطِعُ بها مالَ امريءٍ مُسلم وهو فيها فاجِر لقيَ اللهَ وهو عليه غضبان».

٤٥٥١ ـ عن عبدِ الله بن أبي أوفى رضيَ الله عنهما «أنَّ رجلاً أقام سِلعةً في السوقِ، فحلفَ فيها: لقد أعطى بها ما لم يُعطه، ليوقعَ فيها رجُلاً منَ المسلمين. فنزلَت {إن الذين يَشترونَ بعهدِ الله وأيمانِهم ثمناً قليلا} إلى آخرِ الآية».

٤٥٥٢ ـ عن ابن أبي مُلَيكةَ «أن امرأتَين كانتا تخرِزان في بيتٍ -أو في الحُجرةِ- فخرَجَت إحداهما وقد أُنفِذَ بإشفَى في كفِّها، فادَّعَت عَلَى الأخرى، فرفِعَ إلى ابن عبّاس فقال ابنُ عبّاس: قال رسولُ الله ﷺ: لو يُعطى الناسُ بدَعواهم لذَهَبَ دِماء قومٍ وأموالُهم. ذكِّروها بالله، واقرَءوا عليها {إنّ الذين يشترون بعهدِ الله} فذكَّروها، فاعترَفَت. فقال ابنُ عبّاس: قال النبيُّ ﷺ: اليمينُ على المدَّعى عليه».

قوله (باب إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خلاق لهم، لا خير) قال أبو عبيدة في قوله {من خلاق} أي نصيب من خير.

قوله (أليم مؤلم موجع، من الألم، وهو في موضع مفعل) ثم ذكر حديث ابن مسعود «من حلف يمين صبر» وفيه قول الأشعث أن قوله تعالى {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا} نزلت فيه وفي خصمه حين تحاكما في البئر، وحديث عبد الله بن أبي أوفى أنها نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه، وقد تقدما جميعاً في الشهادات، وأنه لا منافاة بينهما؛ ويحمل على أن النزول كان بالسببين جميعا، ولفظ الآية أعم من ذلك.

قوله (أن امرأتين) سيأتي تسميتهما في كتاب الأيمان والنذور مع شرح الحديث، وإنما أورده هنا لقول ابن عباس «اقرءوا عليها {إن الذين يشترون بعهد الله} الآية» فإن فيه الإشارة إلى العمل بما دل عليه عموم الآية لا خصوص سبب نزولها، وفيه أن الذي تتوجه عليه اليمين يوعظ بهذه الآية ونحوها.

٤ ـ باب {قُل يا أهلَ الكتاب تَعالَوا إلى كلمةٍ سَواءٍ بَيننا وبَينَكم أن لا نَعبُدَ إلاّ اللهَ}

سَواء: قَصد

٤٥٥٣ ـ عن ابن عبّاس قال: «حدثني أبو سفيانَ من فيه إلى فيَّ قال: انطلقتُ في المدَّة التي كانت بيني وبينَ رسولِ الله ﷺ، قال قال: فبينا أنا بالشام إذ جِيءَ بكتابٍ منَ النبيِّ ﷺ إلى هِرقلَ، قال وكان دِحيَةُ الكلبيُّ جاء به فدفَعَهُ إلى عظيم بُصرَى، فدفعهُ عظيمُ بُصرَى إلى هِرَقل. قال فقال: هِرقَل: هل ها هنا أحدٌ من قومِ هذا الرَّجُل الذي يزعُم أنه نبي؟ فقالوا: نعم. قال فدُعيتُ في نفرٍ من قرَيش، فدخَلنا عَلَى هِرَقْلَ، فأجلَسنا بينَ يدَيه، فقال: أيُّكم أقربُ نسباً من هذا الرجل الذي يزعمُ أنه نبيٌّ؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا. فأجلسوني بينَ يديه وأجلسوا أصحابي خلفي. ثم دعا بتَرْجُمانه فقال: قُل لهم إني سائلٌ هذا عن هذا الرجُل الذي يزعم أنه نبيّ، فإن كذَبَني فكذِّبوه. قال أبو سفيان: وأيمُ الله لولا أن يُؤثِروا عليَّ الكذِبَ لكذبتُ. ثم قال لترجُمانه: سَلْهُ كيفَ حسَبُهُ فيكم. قال قلت: هو فينا

ذو حَسَب. قال: فهل كان من آبائه مَلِكٌ؟ قال: قلتُ لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذِب قبلَ أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: أيتَّبعهُ أشرافُ الناس أم ضُعفاؤهم؟ قال قلتُ: بل ضُعَفاؤهم. قال: يزيدون أو ينقُصون؟ قال قلت: لا، بل يَزيدون. قال: هل يَرتدُّ أحدٌ منهم عن دِينهِ بعدَ أن يَدخُل فيه سَخطةً له؟ قال: قلت لا، بل يَزيدون. قال: هل يَرتدُّ أحدٌ منهم عن دِينهِ بعدَ أن يَدخُلَ فيه سَخطةً له؟ قال: قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قال قلتُ: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال قلت: تكون الحربُ بيننا وبينه سِجالاً، يُصيبُ منا ونصيبُ منه. قال: فهل يَغدِر؟ قال: قلت لا، ونحنُ منه في هذه المدَّة لا ندري ما هوَ صانعٌ فيها. قال: والله ما أمكنَني من كلمة أُدخِلُ فيها شيئاً غيرَ هذه. قال: فهل قال هذا القول أحدٌ قبله؟ قلت: لا. ثم قال لترجمانه: قل له إني سألتُكَ عن حسَبهِ فيكم، فزعمتَ أنه فيكم ذو حسَب، وكذلك الرُّسل تُبعَثُ في أحسابِ قَومِها. وسألتك هل كان في آبائه مَلِك؟ فزعمتَ أن لا، فقلتُ: لو كان من آبائه ملك قلتُ رَجُلٌ يَطلُبُ ملكَ آبائه. وسألتكُ عن أتباعهِ أضُعَفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلتَ: بل ضُعَفاؤهم، وهم أتباعُ الرسُل. وسألتكَ هل كنتم تتهمونه بالكَذِب قبلَ أن يقولَ ما قال؟ فزعمتَ أن لا، فعرَفتُ أنه لم يكن لِيَدَعَ الكَذِبَ على الناس ثم يذهب فيكذِبُ على الله. وسألتكَ هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دِينهِ بعد أن يدخُل فيه سخطةً له؟ فزعمتَ أن لا، وكذلك الإيمانُ إذا خالطَ بشاشةَ القلوب. وسألتكَ هل يزيدون أم يَنقُصون؟ فزعمتَ أنهم يَزيدون، وكذلك الإيمانُ حتى يتمَّ. وسألتك هل قاتَلتموه؟ فزعمت أنكم قاتَلتموهُ فتكون الحربُ بينَكم وبينه سِجالاً يَنالُ منكم وتَنالون منه، وكذلك الرُّسل تُبتلى ثم تكون لهم العاقبة. وسألتك هل يَغدِر؟ فزعمتَ أنه لا يغدِر، وكذلك الرُّسلُ لا تغدِر. وسألتكَ هل قال أحدٌ هذا القولَ قبلَه؟ فزعمتَ أن لا، فقلتُ لو كان قال هذ القولَ أحدٌ قبلَه قلتُ رجلٌ ائتمَّ بقول قيلَ قبله. قال ثم قال: بمَ يأمركم؟ قال قلت: يأمرُنا بالصلاةِ والزكاةِ والصِّلة والعفاف. قال: إن يكُ ما تقولُ فيه حقّاً فإنه نبيٌّ، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكُ أظنهُ منكم، ولو أني أعلمُ أني أخلُصُ إليه لأحببتُ لِقاءه، ولو كنتُ عندهُ لغسَلتُ عن قدَميه، وليَبلُغنَّ مُلكهُ ما تحتَ قَدَميَّ. قال: ثم دَعا بكتابِ رسولِ الله ﷺ فقرَأه، فإذا فيه: «بسم اللهِ الرحمن الرَّحيم. من محمدٍ رسولِ الله، إلى هِرقلَ عظيم الروم. سلامٌ على من اتَّبعَ الهدَى. أما بعدُ فإني أدعوكَ بدِعاية الإسلام. أسلِم تَسلَم، وأسلِم يؤتِكَ اللهُ أجركَ مرَّتين. فإن تولَّيتَ فإن عليك إثمَ الأريسيِّين.{يا أهلَ الكتابِ تَعالَوا إلى كَلِمةٍ سَواءٍ بَينَنا وبينَكم أنْ لا نعبُدَ إلاّ الله -إلى قوله-اشهَدوا بأنّا مسلمون} فلما فرغَ من قراءة الكتاب ارتَفَعَت الأصواتُ عندَه، وكثرَ اللَّغط، وأمرَ بنا فأُخرِجْنا. قال: فقلتُ لأصحابي حينَ خرجنا: لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشَة، إنه يخافهُ ملكُ بني الأصفر. فما زلتُ موقناً بأمرِ رسولِ الله ﷺ أنهُ

سيظهرُ حتى أدخلَ الله عليَّ الإسلامَ. قال الزُّهريُّ: فدَعا هِرَقْلُ عظماءَ الرُّوم فجمَعَهم في دارٍ له فقال: يا معشرَ الرُّوم، هل لكم في الفلاح والرَّشَدِ آخر الأبد، وأن يَثبتَ لكم مُلككم؟ قال: فحاصُوا حَيصةَ حُمر الوحشِ إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِّقَت فقال: عليَّ بهم. فدَعا بهم فقال: إني إنما اختَبَرْتُ شدَّتَكم على دينِكم، فقد رأيتُ منكمُ الذي أحببتُ: فسجَدوا له ورَضُوا عنه».

قوله (كيف حسبه) وقوله «هو فينا ذو حسب» استشكل الجواب لأنه لم يزد على ما في السؤال لأن السؤال تضمن أن له نسباً أو حسبا، والجواب كذلك. وأجيب بأن التنوين يدل على التعظيم كأنه قال: هو فينا ذو نسب كبير أو حسب رفيع. ووقع في رواية ابن إسحاق «كيف نسبه فيكم؟ قال في الذروة» أعلى ما في البعير من السنام، فكأنه قال هو من أعلانا نسباً.

قوله (سخطة له) يريد أن من دخل في الشيء على بصيرة يبعد رجوعه عنه، بخلاف من لم يكن ذلك من صميم قلبه فإنه يتزلزل بسرعة، وعلى هذا يحمل حال من ارتد من قريش، ولهذا لم يعرج أبو سفيان على ذكرهم، وفيهم صهره زوج ابنته أم حبيبة وهو عبيد الله بن جحش، فإنه كان أسلم وهاجر إلى الحبشة بزوجته ثم تنصر بالحبشة ومات على نصرانيته، وتزوج النبيُّ ﷺ أم حبيبة بعده، وكأنه ممن لم يكن دخل في الإسلام على بصيرة، وكان أبو سفيان وغيره من قريش يعرفون ذلك منه ولذلك لم يعرج عليه خشية أن يكذبوه.

قوله (فهل قاتلتموه) نسب ابتداء القتال إليهم ولم يقل قاتلكم فينسب ابتداء القتال إليه محافظة على احترامه، أو لاطلاعه على أن النبي لا يبدأ قومه بالقتال حتى يقاتلوه، أو لما عرفه من العادة من حمية من يُدعى إلى الرجوع عن دينه. وفي حديث دحية «هل ينكب إذا قاتلكم؟ قال: قد قاتله قوم فهزمهم وهزموه، قال: هذه آية».

قوله (يصيب منا ونصيب منه) وقعت المقاتلة بين النبي ﷺ وبين قريش قبل هذه القصة في ثلاثة مواطن: بدر، وأحد، والخندق، فأصاب المسلمون من المشركين في بدر وعكسه في أحد، وأصيب من الطائفتين ناس قليل في الخندق، فصح قول أبي سفيان يصيب منا ونصيب منه.

قوله (إني سألتك عن حسبه فيكم) ذكر الأسئلة والأجوبة على ترتيب ما وقعت ، وأجاب عن كل جواب بما يقتضيه الحال، وحاصل الجميع ثبوت علامات النبوة في الجميع: فالبعض مما تلقفه من الكتب، والبعض مما استقرأه بالعادة.

قوله (قلت لو كان من آبائه) أي قلت في نفسي، وأطلق على حديث النفس قولا.

قوله (وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أك أظنه منكم) أي أعلم أن نبياً يبعث في هذا الزمان، لكن لم أعلم تعيين جنسه.

قوله (لأحببت لقاءه) في بدء الوحي «لتجشمت» أي تكلفت، ورجحها عياض لكن نسبها لرواية مسلم خاصة، وهي عند البخاري أيضاً. وقال النووي: قوله «لتجشمت لقاءه» أي تكلفت الوصول إليه وارتكبت المشقة في ذلك، ولكني أخاف أن أقتطع دونه. قال: ولا عذر له في هذا لأنه عرف صفة النبي، لكنه شح بملكه ورغب في بقاء رياسته فآثرها.

قال النووي: في هذه القصة فوائد، منها جواز مكاتبة الكفار ودعاؤهم إلى الإسلام قبل القتال، وفيه تفصيل: فمن بلغته الدعوة وجب إنذارهم قبل قتالهم، وإلا استحب. ومنها وجوب العمل بخبر الواحد وإلا لم يكن في بعث الكتاب مع دحية وحده فائدة. ومنها وجوب العمل بالخط إذا قامت القرائن بصدقه.

قوله (فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم) قال النووي: فيه استحباب تصدير الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم وإن كان المبعوث إليه كافراً.

قوله (من محمد رسول الله[١] ﷺ) وقع في بدء الوحي وفي الجهاد «من محمد بن عبد الله ورسوله» وفيه إشارة إلى أن رسل الله وإن كانوا أكرم الخلق على الله فهم مع ذلك مقرون بأنهم عبيدٌ لله؛ وكأن فيه إشارة إلى بطلان ما تدعيه النصارى في عيسى عليه السلام. وذكر المدائني أن القارىء لما قرأ من محمد رسول الله إلى عظيم الروم غضب أخو هرقل واجتذب الكتاب، فقال له هرقل: ما لك؟ فقال: بدأ بنفسه وسماك صاحب الروم، فقال هرقل: إنك لضعيف الرأي، أتريد أن أرمي بكتاب قبل أن أعلم ما فيه؟ لئن كان رسول الله إنه لأحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق أنا صاحب الروم، والله مالكي ومالكهم.

قوله (إلى هرقل عظيم الروم) والمراد مَن تُعَظِّمُه الروم وتُقَدمه للرياسة عليها.

قوله (أسلم تسلم) فيه بشارة لمن دخل في الإسلام أنه يسلم من الآفات اعتباراً بأن ذلك لا يختص بهرقل، كما أنه لا يختص بالحكم الآخر وهو قوله أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، لأن ذلك عام في حق من كان مؤمنا بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ.

قوله (وأسلم يؤتك[٢]) فيه تقوية لأحد الاحتمالين المتقدمين في بدء الوحي، وأنه أعاد أسلم تأكيداً، ويحتمل أن يكون قوله أسلم أولاً أي لا تعتقد في المسيح ما تعتقده النصارى، وأسلم ثانياً أي ادخل في دين الإسلام، فلذلك قال بعد ذلك «يؤتك الله أجرك مرتين».

(تنبيه): لم يصرح في الكتاب بدعائه إلى الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، لكن ذلك منطو

(١) رواية الباب واليونينية "من محمد رسول الله" بدون "ﷺ".
(٢) رواية الباب واليونينية "يؤتك الله".

في قوله «والسلام على من اتبع الهدى» وفي قوله «أدعوك بدعاية الإسلام» وفي قوله «أسلم» فإن جميع ذلك يتضمن الإقرار بالشهادتين.

قوله (إثم الإريسيين) تقدم ضبطه وشرحه في بدء الوحي(١).

وقال ابن سيده في «المحكم»: الأريس الأكار عند ثعلب، والأمين عند كراع، فكأنه من الأضداد، أي يقال للتابع والمتبوع، والمعنى في الحديث صالح على الرأيين، فإن كان المراد التابع فالمعنى إن عليك مثل إثم التابع لك على ترك الدخول في الإسلام، وإن كان المراد المتبوع فكأنه قال فإن عليك إثم المتبوعين، وإثم المتبوعين يضاعف باعتبار ما وقع لهم من عدم الإذعان إلى الحق من إضلال أتباعهم.

قوله (لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة) تقدم ضبطه في بدء الوحي.

والذي يظهر لي أن الزمخشري إنما أراد تفسير اللفظة الأولى وهي أمر بفتح ثم كسر وإن مصدرها أَمَرَ بفتحتين والأمر بفتحتين الكثرة والعظم والزيادة، ولم يرد ضبط اللفظة الثانية والله أعلم.

قوله (فجمعهم في دار له فقال) تقدم في بدء الوحي أنه جمعهم في مكان وكان هو في أعلاه فاطلع عليهم وصنع ذلك خوفاً على نفسه أن ينكروا مقالته فيبادروا إلى قتله.

قوله (آخر الأبد) أي يدوم ملككم إلى آخر الزمان، لأنه عرف من الكتب أن لا أمة بعد هذه الأمة ولا دين بعد دينها، وأن من دخل فيه آمن على نفسه فقال لهم ذلك.

قوله (فسجدوا له ورضوا عنه) يشعر بأنه كان من عادتهم السجود لملوكهم، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى تقبيلهم الأرض حقيقة. فإن الذي يفعل ذلك ربما صار غالباً كهيئة الساجد، وأطلق أنهم رضوا عنه بناء على رجوعهم عما كانوا همّوا به عند تفرقهم عنه من الخروج والله أعلم.

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم: البداءة باسم الكاتب قبل المكتوب إليه، وقد أخرج أحمد وأبو داود عن العلاء بن الحضرمي أنه كتب إلى النبي ﷺ وكان عامله على البحرين فبدأ بنفسه «من العلاء إلى محمد رسول الله» وقال ميمون: كانت عادة ملوك العجم إذا كتبوا إلى ملوكهم بدءوا باسم ملوكهم فتبعهم بنو أمية. قلت: وسيأتي في الأحكام أن ابن عمر كتب إلى معاوية فبدأ باسم معاوية، وإلى عبد الملك كذلك، وكذا جاء عن زيد بن ثابت إلى معاوية.

(١) كتاب بدء الوحي باب / ٦ ح ٧ - ١ / ٩.

٥ ـ باب {لن تَنالوا البِرَّ حتى تُنفقوا مما تُحبُّون -إلى- به عَليم}

٤٥٥٤ ـ عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ الله عنه يقول: «كان أبو طلحة أكثر أنصاريٍّ بالمدينة نخلاً، وكان أحبُّ أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلةَ المسجدَ، وكان رسولُ الله ﷺ يَدخُلها ويَشربُ من ماءٍ فيها طَيِّب. فلما أُنزلت {لن تَنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تُحبون} فقام أبو طلحةَ فقال: يا رسولَ الله، إنَّ اللهَ يقول: {لن تَنالوا البِرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحبُّون} وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدَقة لله أرجو برَّها وذُخرَها عندَ الله، فضَعْها يا رسولَ الله حيثُ أراكَ الله. قال رسولُ الله ﷺ: بَخٍ، ذلك مالٌ رايح، ذلك مال رايح. وقد سمعتُ ما قلتَ وإني أرَى أن تجعلَها في الأقرَبين. قال أبو طلحةَ: أفعَلُ يا رسولَ الله. فَقَسَمَها أبو طلحةَ في أقاربه وبني عمِّه».

٤٥٥٥ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «فجعَلَها لحسانَ وأُبيّ، وأنا أقرَبُ إليه ولم يَجعَلْ لي منها شيئاً».

قوله (باب لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآية) ثم ذكر المصنف حديث أنس في قصة بيرحاء، وقد تقدم ضبطها في الزكاة[1]، وشرح الحديث في الوقف.

وممن عمل بالآية ابن عمر فروى البزار من طريقه أنه قرأها، قال فلم أجد شيئاً أحب إليَّ من مرجانة جارية لي رومية فقلت: هي حرة لوجه الله، فلولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لتزوجتها.

٦ ـ باب {قل فأتُوا بالتَّوراةِ فاتلوها إن كنتم صادقين}

٤٥٥٦ ـ عن عبد الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما «إنَّ اليهودَ جاءوا إلى النبيِّ ﷺ برجُلٍ منهم وامرأةٍ قد زَنيا، فقال لهم: كيف تفعلونَ بمن زَنَى منكم؟ قالوا: نحَمِّمُهُما ونَضرِبُهما. فقال: لا تجدونَ في التوراة الرَّجمَ؟ فقالوا: لا نجدُ فيها شيئاً. فقال لهم عبدُ الله بن سَلام: كذَبتم، فأتُوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضَعَ مِدراسُها الذي يُدَرِّسُها منهم كفَّهُ على آيةِ الرجم، فطفِقَ يَقرأ ما دُونَ يدهِ وما وراءَها ولا يَقرأ آيةَ الرَّجم، فنزعَ يدَهُ عن آيةِ الرَّجم فقال: ما هذه؟ فلما رأَوْا ذلك قالوا: هي آيةُ الرجم، فأمرَ بهما فرُجما قريباً من حيث مَوضعُ الجنائز عند المسجد، قال فرأيتُ صاحبَها يَجنأ عليها، يَقيها الحجارة».

٧ ـ باب {كنتم خيرَ أمَّةٍ أُخرجَت للناس}

٤٥٥٧ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه {كنتم خيرَ أمّةٍ أُخرجَت للناس} قال: خَيْرَ الناسِ للناس، تأتونَ بهم في السلاسلِ في أعناقِهم حتى يَدخُلوا في الإسلام».

---

(١) كتاب الزكاة باب / ٤٤ ح ١٤٦١ - ١ / ٧٤٤.

وروى عبد الرزاق وأحمد والنسائي والحاكم من حديث ابن عباس بإسناد جيد قال: «هم الذين هاجروا مع النبيِّ ﷺ».

وروى الطبري من طريق مجاهد قال: معناه على الشرط المذكور تأمرون بالمعروف الخ. وهذا أعم وهو نحو الأول. وجاء في سبب هذا الحديث ما أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق عكرمة قال: كان من قبلكم لا يأمن هذا في بلاد هذا ولا هذا في بلاد هذا، فلما كنتم أنتم أمن فيكم الأحمر والأسود. ومن وجه آخر عنه قال: لم تكن أمة دخل فيها من أصناف الناس مثل هذه الأمة. وعن أبيِّ بن كعب قال: لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة. أخرجه الطبري بإسناد حسن عنه. وهذا كله يقتضي حملها على عموم الأمة، وبه جزم الفراء واستشهد بقوله {واذكروا إذ أنتم قليل} وقوله {واذكروا إذ كنتم قليلا} قال: وحذف كان في مثل هذا وإظهارها سواء. وقال غيره: المراد بقوله {كنتم في اللوح المحفوظ أو في علم الله تعالى. ورجح الطبري أيضاً حمل الآية على عموم الأمة، وأيد ذلك بحديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده «سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية {كنتم خير أمة أخرجت للناس} قال: أنتم متمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله» وهو حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه.

وفي حديث علي عند أحمد بإسناد حسن أن النبيَّ ﷺ قال: «وجعلت أمتي خير الأمم».

٨ ـ باب {إذ هَمَّت طائفتانِ منكم أن تَفشلا}

٤٥٥٨ ـ جابرَ بن عبدِ الله رضيَ الله عنهما يقول: «فينا نَزَلَت {إذ هَمَّت طائفتان منكم أن تَفشَلا واللهُ وليُّهما} قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سَلِمة، وما نحبُّ -وقال سفيانُ مرّةً: وما يَسُرُّني- أنها لم تُنْزَل، لقولِ الله: واللهُ وليُّهما».

قوله (باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) ذكر فيه حديث جابر، وقد تقدم مشروحاً في غزوة أحد[١].

٩ ـ باب {ليس لك منَ الأمرِ شيء}

٤٥٥٩ ـ عن سالمٍ عن أبيه «أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ إذا رفعَ رأسَهُ من الركوع في الركعة الآخرةِ منَ الفجرِ يقول: اللهمَّ العَن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول: سمعَ اللهُ لمن حمِدَه ربَّنا ولك الحمد. فأنزلَ اللهُ {ليس لك من الأمر شيء -إلى قوله- فإنهم ظالمون}».

٤٥٦٠ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «أن رسولَ الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعُوَ على أحدٍ أو يدعوَ لأحد قَنَتَ بعد الرُّكوع فربّما قال إذا قال سمعَ اللهُ لمن حمده اللهمَّ ربَّنا لك الحمد: اللهمَّ أنجِ الوليدَ بن الوليد وسلمةَ بن هشام وعيّاشَ بن أبي ربيعة، اللهمَّ اشدد

(١) كتاب المغازي باب / ١٨ ح ٤٠٥١ - ٣ / ٢٩٥.

وَطْأَتَكَ على مُضَر، واجعَلْها سِنِين كسِني يوسف. يَجهَرُ بذلك. وكان يقول في بعض صلاته في صلاةِ الفجر: اللهمَّ العَنْ فلانا وفلانا -لأحياءٍ من العرب- حتى أنزَلَ الله {ليس لكَ من الأمرِ شيءٌ} الآية».

قوله (الوليد بن الوليد) أي ابن المغيرة وهو أخو خالد بن الوليد وكان ممن شهد بدراً مع المشركين وأسر وفدى نفسه ثم أسلم فحبس بمكة ثم تواعد هو وسلمة وعياش المذكورين معه وهربوا من المشركين، فعلم النبي ﷺ بمخرجهم فدعا لهم، أخرجه عبد الرزاق بسند مرسل، ومات الوليد المذكور لما قدم على النبي ﷺ.

قوله (وسلمة بن هشام) أي ابن المغيرة وهو ابن عم الذي قبله، وهو أخو أبي جهل، وكان من السابقين إلى الإسلام. واستشهد في خلافة أبي بكر بالشام سنة أربع عشرة.

قوله (وعياش) أبوه أبو ربيعة اسمه عمرو بن المغيرة فهو عم الذي قبله أيضاً، وكان من السابقين إلى الإسلام أيضاً وهاجر الهجرتين، ثم خدعه أبو جهل فرجع إلى مكة فحبسه، ثم فر مع رفيقيه المذكورين وعاش إلى خلافة عمر فمات، كان سنة خمس عشرة وقيل قبل ذلك، والله أعلم.

قوله (وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر) كأنه يشير إلى أنه لا يداوم على ذلك.

قوله (اللهم العن فلانا وفلانا لأحياءٍ من العرب) وقع تسميتهم في رواية يونس عن الزهري عند مسلم بلفظ «اللهم العن رَعلا وذكوان وعُصَيَّة».

١٠ ـ باب {والرسولُ يَدعوكم في أُخراكم}

وهو تأنيثُ آخرِكم: وقال ابنُ عباس: {إحدَى الحُسنَيين} فتحاً أو شهادة

٤٥٦١ ـ عن البراءِ بن عازبٍ رضيَ الله عنهما قال: «جعلَ النبيُّ ﷺ على الرَّجّالة يومَ أحدٍ عبدَ الله بن جُبير، وأقبلوا منهزمين، فذاك {إذ يَدعوهمُ الرسولُ في أُخراهم} ولم يَبقَ مع النبيِّ ﷺ غيرُ اثني عشرَ رجُلا».

١١ ـ باب {أمَنَةً نُعاسا}

٤٥٦٢ ـ عن أبي طلحةَ قال: غَشِيَنا النعاسُ ونحن في مَصافِّنا يومَ أحد، قال فجعلَ سيفي يَسقُط من يدي وآخذُه، ويَسقُط وآخُذه».

تقدم في المغازي[1] من وجه آخر عن قتادة مع شرحه.

(١) كتاب المغازي باب / ٢١ ح ٤٠٦٨ - ٣ / ٣٠٠.

١٢ ـ باب {الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابَهمُ القَرحُ، للذين أحسنَوا منهم واتقَواْ أجرٌ عظيم}

القَرحُ: الجِراح. استجابوا: أجابوا. يَستجيبُ: يُجيب

قوله (القرح الجراح) هو تفسير أبي عبيدة، وروى سعيد بن منصور بإسناد جيد عن ابن مسعود أنه قرأ «القرح» بالضم.

قلت: وهي قراءة أهل الكوفة.

قوله (استجابوا أجابوا، ويستجيب يجيب) هو قول أبي عبيدة، قال في قوله تعالى {فاستجاب لهم} أي أجابهم؛ تقول العرب: استجبتك أي أجبتك.

وقال في قوله تعالى {ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات} أي يجيب الذين آمنوا، وهذه في سورة الشورى وإنما أوردها المصنف استشهاداً للآية الأخرى.

(تنبيه): لم يسق البخاري في هذا الباب حديثاً، وكأنه بيض له، واللائق به حديث عائشة أنها قالت لعروة في هذه الآية «يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر» وقد تقدم في المغازي مع شرحه[(١)].

وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: «لما رجع المشركون عن أحد قالوا: لا محمد قتلتم، ولا الكواعب ردفتم، بئسما صنعتم، فرجعوا، فندب رسول الله ﷺ الناس فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد، فبلغ المشركين فقالوا: نرجع من قابل، فأنزل الله تعالى {الذين استجابوا لله والرسول} الآية» أخرجه النسائي وابن مردويه ورجاله رجال الصحيح.

١٣ ـ باب {الذين قال لهمُ الناسُ إنَّ الناسَ قد جَمعوا لكم} الآية

٤٥٦٣ ـ عن ابن عباس: {حسبنا اللهُ ونعم الوكيل} قالها إبراهيمُ عليه السلامُ حينَ أُلقِيَ في النار، وقالَها محمدٌ ﷺ حينَ قالوا: {إنَّ الناسَ قد جَمعوا لكم فاخشَوْهم فزادَهم إيماناً، وقالوا حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل}

[الحديث ٤٥٦٣ – طرفه في: ٤٥٦٤]

٤٥٦٤ ـ عن ابن عباسٍ قال: «كان آخرَ قولِ إبراهيمَ حينَ أُلقِيَ في النار {حَسبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيل}».

قوله (حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم) فيه إشارة إلى ما أخرجه ابن إسحق مطولاً في هذه القصة، وأن أبا سفيان رجع بقريش بعد أن توجه من أحد فلقيه معبد الخزاعي فأخبره أنه

---

(١) كتاب المغازي باب / ٢٥ ح ٤٠٧٧ – ٣ / ٣٠٤.

رأى النبي ﷺ في جمع كثير، وقد اجتمع معه من كان تخلف عن أحد وندموا، فثنى ذلك أبا سفيان وأصحابه فرجعوا، وأرسل أبو سفيان ناساً فأخبروا النبي ﷺ أن أبا سفيان وأصحابه يقصدونهم فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

١٤ ـ باب {ولا[١] يَحسبَنَّ الذين يَبخلونَ بما آتاهُم الله من فضلِه} الآية

{سيُطوَّقون} كقولك طوَّقتهُ بطوق

٤٥٦٥ ـ عن أبي هريرةَ قال: «قال رسولُ اللهِ ﷺ: مَن آتاهُ الله مالاً فلم يُؤد زكاتَه مُثِّلَ له مالُهُ شُجاعاً أقرَعَ له زَبيبتان يُطوَّقُهُ يومَ القيامةِ، يأخذُ بِلهْزِمَتَيْه يعني بشِدقَيه يقول: أنا مالُك، أنا كَنزُك. ثمَّ تلا هذه الآية {ولا يَحسبِنَّ الذين يَبخَلون بما آتاهمُ الله من فضلهِ} إلى آخرِ الآية».

قوله (باب ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية) قال الواحدي: أجمع المفسرون على أنها نزلت في مانعي الزكاة، وفي صحة هذا النقل نظر، فقد قيل إنها نزلت في اليهود الذين كتموا صفة محمد، قاله ابن جريج، واختاره الزجاج. وقيل فيمن يبخل بالنفقة في الجهاد، وقيل على العيال وذي الرحم المحتاج، نعم الأول هو الراجح وإليه أشار البخاري.

قوله (سيطوَّقون، كقولك طوقته بطوق) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة} أي يلزمون، كقولك طوقته بالطوق. وروى عبد الرزاق وسعيد بن منصور من طريق إبراهيم النخعي بإسناد جيد في هذه الآية {سيطوقون} قال: بطوق من النار. ثم ذكر حديث أبي هريرة فيمن لم يؤد الزكاة، وقد تقدم مع شرحه في أوائل كتاب الزكاة[٢].

١٥ ـ باب {ولتَسْمَعُنَّ من الذين أُوتوا الكتابَ من قبلِكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيراً}

٤٥٦٦ ـ عن أسامةَ بن زيد رضيَ الله عنهما «أن رسولَ الله ﷺ ركبَ على حِمارٍ على قَطيفةٍ فَدكيَّة، وأردَفَ أسامةَ بن زيدٍ وراءهُ، يعودُ سعدَ بنَ عُبادةَ في بني الحارثِ بن الخزرج قبلَ وَقعة بدر، قال: حتى مرَّ بمجلسٍ فيه عبدُ الله بن أبي ابن سَلول، وذلك قبلَ أن يُسْلِمَ عبدُ الله بنُ أبيّ، فإذا في المجلسِ أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عَبَدةِ الأوثانِ واليهودِ والمسلمين، وفي المجلسِ عبدُ الله بن رَواحة، فلما غَشيَتِ المجلسَ عَجاجةُ الدابةِ خمَّرَ عبدُ الله بنُ أبي أنفَهُ بردائه ثم قال: لا تُغبِّروا علينا، فَسلَّم رسولُ الله ﷺ عليهم ثم

---

(١) قراءة حفص عن عاصم بفتح السين "ولا يَحْسَبَنَّ"

(٢) كتاب الزكاة باب / ٣ ح ١٤٠٣ - ١ / ٧٠٩

وقفَ فنزَلَ، فدَعاهم إلى الله، وقرأ عليهمُ القرآن، فقال عبدُ الله بن أُبيّ ابن سلول: أيُّها المرءُ، إنه لا أحسنَ مما تقولُ إن كان حقاً فلا تُؤذِينا به في مَجلِسنا، ارجِع إلى رَحلِكَ فمن جاءَكَ فاقصُص عليه. فقال عبدُ بن رَواحة: بلى يا رسولَ الله، فاغشَنا في مجالِسنا، فإنا نحبُّ ذلك. فاستبَّ المسلمونَ والمشركون واليهودُ حتى كادوا يَتثاورون، فلم يَزَلِ النبيُّ ﷺ يُخفِّضُهم حتى سكنوا. ثمَّ ركِبَ النبيُّ ﷺ دابتهُ فسارَ حتى دَخل على سعد بن عُبادةَ، فقال له النبيُّ ﷺ: يا سعدُ ألم تَسمع ماقال أبو حُباب -يريدُ عبدَ اللهِ بنَ أُبي- قال: كذا وكذا. قال سعدُ بن عُبادة: يا رسولَ الله اعفُ عنه واصفَح عنه، فو الذي أنزَلَ عليك الكتاب، لقد جاء اللهُ بالحقِّ الذي أنزلَ عليك ولقد اصطلحَ أهلُ هذهِ البُحَيرةِ على أن يُتوِّجوهُ فيعصِّبونهُ بالعِصابة، فلما أبى ذلك بالحقِّ الذي أعطاكَ الله شَرِقَ بذلك، فذلكَ فعلَ به ما رأيت. فعفا عنه رسولُ الله ﷺ. وكان النبيُّ ﷺ وأصحابهُ يَعفُونَ عنِ المشركين وأهلِ الكتابِ كما أمرَهمُ الله، ويَصطبِرُونَ على الأذَى، قال اللهُ عزَّ وجل: {ولَتسْمَعُنَّ من الذينَ أوتوا الكتابَ من قبلِكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا} الآية. وقال الله: {ودَّ كثيرٌ من أهلِ الكتابِ لو يُرُدُّونكم من بعدِ إيمانِكم كفاراً حسداً من عندِ أنفُسِهم} إلى آخرِ الآية. وكان النبيُّ ﷺ يتأوَّلُ العفوَ ما أمرَهُ الله به، حتى أذِنَ الله فيهم، فلما غَزا رسولُ الله ﷺ بَدراً فقتلَ اللهُ به صناديدَ كفارِ قريشٍ قال ابنُ أُبيٍّ ابنُ سَلول ومَن معهُ منَ المشرِكينَ وعبَدَةِ الأوثانِ: هذا أمرٌ قد تَوَجَّه، فبايَعوا الرسولَ ﷺ على الإسلام، فأسلَموا».

قوله (باب ولَتسْمَعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) ذكر عبد الرزاق أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ وأصحابه من الشعر، وقد تقدم في المغازي خبره، وفيه شرح حديث «مَن لِكعب بن الأشرف، فإنه آذى الله ورسوله» وروى ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن عن ابن عباس أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وبين فنحاص اليهودي في قوله تعالى: {إن الله فقير ونحن أغنياء} تعالى الله عن قوله، فغضب أبو بكر فنزلت.

قوله (على قطيفة فدكية) أي كساء غليظ منسوب إلى فَدَك وهي بلد مشهور على مرحلتين من المدينة.

قوله (يعود سعد بن عبادة) فيه عيادة الكبير بعض أتباعه في داره.

قوله (في بني الحارث بن الخزرج) أي في منازل بني الحارث وهم قوم سعد بن عبادة.

قوله (وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي) أي قبل أن يظهر الإسلام.

قوله (عجاجة) أي غبارها وقوله «خمر» أي غطى.

قوله (فسلم رسول الله ﷺ عليهم) يؤخذ منه جواز السلام على المسلمين إذا كان معهم كفار وينوي حينئذ بالسلام المسلمين، ويحتمل أن يكون الذي سلم به عليهم صيغة عموم فيها تخصيص كقوله السلام على من اتبع الهدى.

قوله (يتشاورون) أي يتواثبون، أي قاربوا أن يثب بعضهم على بعض فيقتتلوا، يقال ثار إذا قام بسرعة وانزعاج.

قوله (أبو حباب) وهي كنية عبد الله بن أبي، وكناه النبيُّ ﷺ في تلك الحالة لكونه كان مشهوراً بها أو لمصلحة التألف.

قوله (أهل هذه البحرة[1]) في رواية الحموي «البحيرة» بالتصغير، وهذا اللفظ يطلق على القرية وعلى البلد، والمراد به هنا المدينة النبوية، ونقل ياقوت أن البحيرة من أسماء المدينة النبوية.

قوله (على أن يُتَوِّجُوه فيعصبوه بالعصابة) يعني يرئسوه عليهم ويُسَوِّدوه، وسمي الرئيس معصباً لما يعصب برأسه من الأمور، أو لأنهم يعصبون رءوسهم بعصابة لا تنبغي لغيرهم يمتازون بها.

وعند ابن اسحق لقد جاءنا الله بك وإنا لننظم له الخرز لنُتَوِّجَه، فهذا تفسير المراد وهو أولى مما تقدم.

قوله (شرِق بذلك) أي غصَّ به، وهو كناية عن الحسد.

قوله (حتى أذن الله فيهم) أي في قتالهم، أي فترك العفو عنهم، وليس المراد أنه تركه أصلاً بل بالنسبة إلى ترك القتال أولا ووقوعه آخرا، وإلا فعفوه ﷺ عن كثير من المشركين واليهود بالمن والفداء وصفحه عن المنافقين مشهور في الأحاديث والسير.

قوله (صناديد) جمع صنديد وهو الكبير في قومه.

قوله (هذا أمر قد توجه) أي ظهر وجهه.

١٦ ـ باب {لا تَحسبَنَّ الذين يَفرَحونَ بما أَتَوا}

٤٥٦٧ ـ عن أبي سعيد الخدريِّ رضيَ الله عنه «إنَّ رجالاً منَ المنافقين على عهدِ رسولِ الله ﷺ كان إذا خرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى الغَزو تخلَّفوا عنه وفرِحوا بمقعَدِهم خلافَ رسولِ الله، فإذا قدِمَ رسولُ الله ﷺ اعتَذَروا إليه وحَلفوا، وأحبُّو أن يُحمَدوا بما لم يَفعلوا، فنزلت {لا تَحسبَنَّ الذين يَفرَحون} الآية».

---

(١) رواية الباب واليونينية "البحيرة" بإثبات الياء.

٤٥٦٨ ـ عن علقمةَ بن وقاصٍ «أنَّ مروانَ قال لبَوّابه: اذهَب يا رافعُ إلى ابن عباسٍ فقل: لئن كان كلُّ امرىءٍ فرحَ بما أوتيَ وأحبَّ أن يُحمَدَ بما لم يَعملْ مُعذَّبا لنُعذَّبنَّ أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذهِ؟ إنما دعا النبيُّ ﷺ يهودَ فسألهم عن شيءٍ، فكتموه إياه، وأخبَروه بغيره فأرَوْهُ أن قدِ استَحْمَدُوا إليه بما أخبَرُوه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتَوْا من كِتْمانِهم. ثم قرأ ابنُ عبّاس {وإذا أخذَ اللهُ ميثاقَ الذين أُوتوا الكتابَ} كذلك حتى قولهِ {يفرَحون بما أتَوا ويُحبُّون أن يُحمدوا بما لم يَفعلوا}».

قوله (إن رجالاً من المنافقين) هكذا ذكره أبو سعيد الخدري في سبب نزول الآية وأن المراد من كان يعتذر عن التخلف من المنافقين، وفي حديث ابن عباس الذي بعده أن المراد من أجاب من اليهود بغير ما سئل عنه وكتموا ما عندهم من ذلك، ويمكن الجمع بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معا، وبهذا أجاب القرطبي وغيره، وحكى الفراء أنها نزلت في قول اليهود نحن أهل الكتاب الأول والصلاة والطاعة، ومع ذلك لا يقرون بمحمد فنزلت {ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا} وروى ابن أبي حاتم من طرق أخرى عن جماعة من التابعين نحو ذلك ورجحه الطبري، ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، أو نزلت في أشياء خاصة وعمومها يتناول كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب وأحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه، والله أعلم.

قوله (بما أتوا) بمعنى جاءوا أي بالذي فعلوه، وللحموي «بما أوتوا» بضم الهمزة بعدها واو أي أعطوا، أى من العلم الذي كتموه، كما قال تعالى {فرحوا بما عندهم من العلم} والأول أولى لموافقته التلاوة المشهوره، على أن الأخرى قراءة السلمي وسعيد بن جبير، وموافقة المشهور أولى مع موافقته لتفسير ابن عباس.

قوله {ثم قرأ ابن عباس وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب} فيه إشارة إلى أن الذين أخبر الله عنهم في الآية المسئول عنها هم المذكورون في الآية التي قبلها. وأن الله ذمهم بكتمان العلم الذي أمرهم أن لا يكتموه، وتوعدهم بالعذاب على ذلك.

١٧ ـ باب {إن في خلق السماوات والأرض} الآية

٤٥٦٩ ـ عن ابن عباس رضيَ الله عنهما قال «بتُّ عند خالتي ميمونة، فتحدَّثَ رسولُ الله ﷺ مع أهله ساعةً ثم رَقَد. فلما كان ثُلثُ الليل الآخِرِ قعدَ فنَظرَ إلى السماء فقال: {إنَّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب} ثم قام فتوضَّأ

واستنَّ فصلَّى إحدَى عشرةَ ركعةً، ثم أذَّن بلالٌ فصلَّى ركعتَين، ثم خرج فصلَّى الصبحَ».

قوله (باب قوله[١]إن في خلق السماوات والأرض) وذكر حديث ابن عباس في بيت ميمونة، وقد تقدم شرحه مستوفى في أبواب الوتر[٢].

١٨ - باب {الذين يَذكُرونَ الله قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبهم ويَتفكرون في خلق السماوات والأرض} الآية

٤٥٧٠ - عن ابن عباس رضيَ الله عنهما قال: «بتُّ عندَ خالتي مَيمونة، فقلتُ لأنظرَن إلى صلاةِ رسولِ الله ﷺ، فطرَحَتْ لرسولِ الله ﷺ وِسادةً، فنام رسولُ اللهِ ﷺ في طُولها، فجعلَ يمسحُ النومَ عن وجهه، فقرأ الآياتِ العَشرَ الأواخرَ من آلِ عِمرانَ حتى خَتَمَ. ثم أتى سقاء معلّقاً فأخذهُ فتوضأ، ثم قام يُصلي فقمتُ فصنَعتُ مِثلما صنَعَ. ثم جئتُ فقمتُ إلى جَنبهِ، فوضعَ يدَه على رأسي، ثم أخذَ بأذني فجعلَ يَفتِلُها. ثم صلَّى ركعتَين، ثم صلَّى ركعتَين، ثم صلَّى ركعتين، ثم صلَّى ركعتين، ثم صلَّى ركعتين، ثم أوتر».

١٩ - باب {ربنا إنَّكَ من تُدخِلِ النارَ فقد أخزَيتَه، وما للظالمينَ مِن أنصار}

٤٥٧١ - عن عبد الله بن عباسٍ أنه باتَ عندَ مَيمونةَ زوج النبيِّ ﷺ -وهيَ خالته- قال: فاضطجعتُ في عَرض الوِسادة واضطَجَعَ رسولُ الله ﷺ وأهلُهُ في طولِها، فنامَ رسولُ الله ﷺ حتى انتصفَ الليلُ أو قبله بقليل أو بعده قليل، ثم استيقظَ رسولُ الله ﷺ فجعلَ يَمسحُ النومَ من وَجهه بيدَيه، ثم قرأ العشرَ الآيات الخواتم من سورةِ آل عِمرانَ، ثم قام إلى شَنٍ مُعلقةٍ فتوضأ منها فأحسنَ وُضوءَه ثم قامَ يُصلي فصَنَعتُ مثل ما صنعَ، ثم ذهبتُ فقمتُ إلى جَنبهِ، فوضع رسولُ الله ﷺ يدَه اليمنى على رأسي، وأخذَ بأذني اليمنى يَفتِلُها، فصلى ركعتَين، ثم ركعتين، ثم ركعتَين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوترَ، ثم اضطجَع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتَين خَفيفتَين، ثم خرجَ فصلى الصُّبح».

٢٠ - باب {ربَّنا إنَّنا سَمِعنا مُنادياً يُنادي للإيمان} الآية

٤٥٧٢ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عَنهما أنه بات عندَ ميمونة زوج النبيِّ ﷺ وهيَ خالته، قال فاضطجعْتُ في عَرضِ الوِسادة، واضطجعَ رسولُ اللهِ ﷺ وأهلُه في طولِها، فنامَ رسولُ اللهِ ﷺ، حتى إذا انتصفَ الليلُ أو قبلَه بقليل أو بعدَه بقليل، استيقظ رسولُ الله ﷺ، فجعلَ يَمسحُ النوم عن وَجههِ بيده، ثم قرأ العشرَ الآيات الخواتم من سورةِ آل عِمران، ثم قام إلى شَنٍ مُعلَّقةٍ فتوضأ منها فأحسنَ وضوءه، ثم قام يُصلِّي. قال ابن عباس: فقمتُ

(١) في المتن "باب إنّ في خلق ..." بدون ذكر "قوله" وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب الوتر با ب/ ١ ح ٩٩٢ - ١ / ٥١٦.

فصنعتُ مثل ما صنعَ، ثم ذهبت فقمتُ إلى جَنبهِ فوضعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَهُ اليمنى على رأسي، وأخذَ بأذني اليمنى يَفتِلُها، فصلى ركعَتين، ثم ركعتين، ثمَّ ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوترَ، ثم اضطجعَ حتى جاءه المؤذنُ فقام فصلى ركعتين خفيفتَين، ثم خرج فصلى الصبح».

(٤) سورةُ النِّساء

قال ابنُ عباس: يَستنكِف: يَستكبِر. قواما: قوامُكم من مَعايشِكم. لهنَّ سبيلا: يعني الرَّجمَ للثيِّب، والجلدَ للبِكر. وقال غيرهُ: مَثنى وثُلاث ورُباع، يعني اثنَتين وثلاثاً وأربعاً، ولا تجاوزُ العربُ رُباعَ

قوله (قال ابن عباس: يستنكف: يستكبر) وقد وصله ابن أبي حاتم بإسناد صحيح من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى {ومن يستنكف عن عبادته} قال يستكبر، وهو عجيب، فإن في الآية عطف الاستكبار على الاستنكاف فالظاهر أنه غيره، ويمكن أن يحمل على التوكيد. وقال الطبري: معنى يستنكف يأنف.

قوله (قواما قوامكم من معايشكم) هكذا وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ووصله الطبري من هذا الوجه بلفظ {لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً} يعني قوامكم من معايشكم، يقول لا تعمد إلى مالك الذي جعله الله لك معيشة فتعطيه امرأتك ونحوها.

قوله (لهن سبيلا يعني الرجم للثيب والجلد للبكر) وهو من تفسير ابن عباس أيضاً وصله عبد بن حميد عنه بإسناد صحيح، وروى مسلم وأصحاب السنن من حديث عبادة بن الصامت «أن النبي ﷺ قال: خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» والمراد الإشارة إلى قوله تعالى {حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا} وقد روى الطبراني من حديث ابن عباس قال: فلما نزلت سورة النساء قال رسول الله ﷺ «لا حبس بعد سورة النساء» وسيأتي البحث في الجمع بين الجلد والرجم للثيب في كتاب الحدود إن شاء الله تعالى.

١ ـ باب {وإن خِفتم أن لا تقسطوا في اليتامى}

٤٥٧٣ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها «أن رجلاً كانت له يتيمةٌ فنكحها، وكان لها عَذْقٌ وكان يُمسِكها عليه ولم يكن لها من نفسهِ شيء، فنزلَت فيه {وإن خفتم أن لا تُقسطوا في اليَتامى} أحسبِه قال: كانت شريكتَهُ في ذلك العَذقِ وفي ماله».

٤٥٧٤ ـ عن عروة بن الزُّبير أنه سألَ عائشةَ عن قولِ الله تعالى {وإن خفتم أن لا تُقسطوا في اليتامى} فقالت: يا ابن أُختي، هذه اليتيمة تكون في حَجر ولِيِّها تشركهُ في

ماله ويُعجبه مالُها وجَمالُها، فيريدُ وليُّها أن يتزوجَها بغير أن يُقسطَ في صَداقِها فيُعطِيَها مثلَ ما يُعطيها غيرهُ، فَنُهُوا عن أن يَنكِحُوهُنَّ إلاَّ أن يُقسِطوا لهنَّ ويبلغوا لهنَّ أعلى سُنَّتِهِنَّ في الصداق، فأمروا أن يَنكِحوا ما طاب لهم من النساءِ سِواهنَّ. قال عروة قالت عائشة: وإنَّ الناسَ استفتَوا رسولَ الله ﷺ بعدَ هذهِ الآية، فأنزَلَ الله {ويَستفتونك في النساء} قالت عائشة: وقول اللهِ تعالى في آية أخرى: {وتَرغَبون أن تنكِحوهنَّ} رغبة أحدِكم عن يتيمتهِ حينَ تكونُ قليلة المالِ والجمالِ، قالت: فنُهوا أن يَنْكِحُوا عن من رغبوا في مالهِ وجماله في يَتامى النساءِ إلاَّ بالقِسط، من أجلِ رغبَتِهم عنهنَّ إذا كنَّ قليلاتِ المالِ والجمال».

قوله (باب وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى) ومعنى {خفتم} ظننتم، ومعنى {تقسطوا} تعدلوا، وهو من أقسط يقال قسط إذا جار، وأقسط إذا عدل.

قوله (عذق) النخلة.

قوله (وكان يمسكها عليه) أي لأجله.

قوله (اليتيمة) أي التي مات أبوها.

قوله (في حجر وليها) أي الذي يلي مالها.

قوله (فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن) أي بأي مهر توافقوا عليه، وتأويل عائشة هذا جاء عن ابن عباس مثله أخرجه الطبري، وعن مجاهد في مناسبة ترتب قوله {فانكحوا ما طاب لكم من النساء} على قوله {وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى} شيء آخر، قال: في معنى قوله تعالى {وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى} أي إذا كنتم تخافون أن لا تعدلوا في مال اليتامى فتحرجتم أن لا تلوها فتحرجوا من الزنا وانكحوا ما طاب لكم من النساء، وعلى تأويل عائشة يكون المعنى وإن خفتم أن لا تقسطوا في نكاح اليتامى.

قوله (فنهوا) أي نهوا عن نكاح المرغوب فيها لجمالها ومالها لأجل زهدهم فيها إذا كانت قليلة المال والجمال، فينبغي أن يكون نكاح اليتيمتين على السواء في العدل، وفي الحديث اعتبار مهر المثل في المحجورات وأن غيرهن يجوز نكاحها بدون ذلك، وفيه أن للولي أن يتزوج من هي تحت حجره لكن يكون العاقد غيره، وسيأتي البحث فيه في النكاح، وفيه جواز تزويج اليتامى قبل البلوغ لأنهن بعد البلوغ لا يقال لهن يتيمات إلا أن يكون أطلق استصحاباً لحالهن، وسيأتي البحث فيه أيضاً في كتاب النكاح[١].

(١) كتاب النكاح باب / ٤٣ ح ٥١٤٠ - ٤ / ٧٣.

٢ ـ باب {ومَن كان فقيراً فليأكل بالمعروف، فإذا دَفَعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم} الآية

وبِداراً مبادَرةً. أعتَدْنا أعددنا أفعلنا منَ العَتاد

٤٥٧٥ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها في قوله تعالى {ومَن كان غنيّاً فلْيَستعفِف، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف} أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيراً أنه يأكل منه مكانَ قيامهِ عليه بمعروف».

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: {ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً}: الإسراف الإفراط، وأخرج الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال:يعني يأكل مال اليتيم ويبادر إلى أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله.

قوله (أعتدنا) أعددنا أفعلنا من العتاد) والمراد أن أعتدنا وأعددنا بمعنى واحد، لأن العتيد هو الشيء المعد.

قوله (في مال اليتيم) في رواية الكشميهني «في والي اليتيم» والمراد بوالي اليتيم المتصرف في ماله بالوصية ونحوها.

ووقع في البيوع من طريق عثمان بن فرقد عن هشام بن عروة بلفظ «أنزلت في والي اليتيم الذي يقوم عليه ويصلح ماله، إن كان فقيراً أكل منه بالمعروف» وفي الباب حديث مرفوع أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن عندي يتيماً له مال، وليس عندي شيء، أفآكل من ماله؟ قال: بالمعروف» وإسناده قوي.

قوله (إذا كان فقيرا) مصير منه إلى أن الذي يباح له الأجرة من مال اليتيم من اتصف بالفقر وقد قدمت البحث في ذلك في كتاب الوصايا.

٢ ـ باب {وإذا حَضرَ القسمةَ أُولو القُربى واليَتامى والمساكين} الآية

٤٥٧٦ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {وإذا حَضَرَ القِسمةَ أولواْ القربى واليَتامى والمساكينُ} قال: هي مُحكمة. وليست بمنسوخة».

قوله (هي محكمة وليس بمنسوخة) زاد الإسماعيلي من وجه آخر عن الأشجعي «وكان ابن عباس إذا ولى رضخ، وإذا كان في المال قلة اعتذر إليهم، فذلك القول بالمعروف».

قوله (تابعه سعيد ابن جبير عن ابن عباس) وصله في الوصايا بلفظ «إن ناساً يزعمون أن هذه الآية نسخت، ولا والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون الناس بها، هما واليان: وال يرث وذلك الذي يُرزق، ووال لا يرث وذلك الذي يقال له بالمعروف؛ يقول: لا أملك لك أن أعطيك» وهذان الإسنادان الصحيحان عن ابن عباس هما المعتمدان، وجاءت عنه روايات من

أوجه ضعيفة عند ابن أبي حاتم وابن مردويه أنها منسوخة، فنسختها آية الميراث، وصح ذلك عن سعيد بن المسيب، وهو قول القاسم بن محمد وعكرمة وغير واحد، وبه قال الأئمة الأربعة وأصحابهم، وجاء عن ابن عباس قول آخر أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد «أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه عبد الرحمن في حياة عائشة، فلم يدع في الدار ذا قرابة ولا مسكينا إلا أعطاه من ميراث أبيه» وتلا الآية «قال القاسم فذكرته لابن عباس فقال: ما أصاب، ليس ذلك له، إنما ذلك إلى الوصي، وإنما ذلك في العصبة أي ندب للميت أن يوصي لهم.

قلت: وهذا لا ينافي حديث الباب، وهو أن الآية محكمة وليس بمنسوخة.

وقيل معنى الآية: وإذا حضر قسمة الميراث وقرابة الميت ممن لا يرث واليتامى والمساكين فإن نفوسهم تتشوف إلى أخذ شيء منه، ولا سيما إن كان جزيلا، فأمر الله سبحانه أن يرضخ لهم بشيء على سبيل البر والإحسان. واختلف من قال بذلك هل الأمر فيه على الندب أو الوجوب؟ فقال مجاهد وطائفة: هي على الوجوب وهو قول ابن حزم أن على الوارث أن يعطي هذه الأصناف ما طابت به نفسه. ونقل ابن الجوزي عن أكثر أهل العلم أن المراد بأولي القرابة من لا يرث، وأن معنى {فارزقوهم} أعطوهم من المال. وقال آخرون: أطعموهم، وأن ذلك على سبيل الاستحباب وهو المعتمد، لأنه لو كان على الوجوب لاقتضى استحقاقاً في التركة ومشاركة في الميراث بجهة مجهولة فيفضي إلى التنازع والتقاطع.

وعن ابن سيرين وطائفة: المراد بقوله {فارزقوهم منه} اصنعوا لهم طعاماً يأكلونه، وأنها على العموم في مال المحجور وغيره، والله أعلم.

٤ ـ باب {يوصيكم اللهُ في أولادكم}

٤٥٧٧ ـ عن جابر رضيَ اللهُ عنه قال: «عادَني النبيُّ ﷺ وأبو بكرٍ في بني سَلِمة ماشِيَين، فوَجدني النبيُّ ﷺ لا أعقِلُ، فدَعا بماءٍ فتوضّأ منه ثم رشَّ عليَّ فأفَقْتُ، فقلتُ: ما تأمرُني أن أصنعَ في مالي يا رسول الله؟ فنزلَت {يُوصيكم الله في أولادِكم}.

قوله (باب يوصيكم الله في أولادكم) والمراد بالوصية هنا بيان قسمة الميراث.

قوله (ثم رش علي) بيّنتُ في الطهارة الرد على من زعم أنه رش عليه من الذي فضل، وسيأتي في الاعتصام[١] التصريح بأنه صب عليه نفس الماء الذي توضأ به.

قوله (فقلت ما تأمرني أن أصنع في مالي) في رواية شعبة المذكورة «فقلت يا رسول الله

---

(١) كتاب الاعتصام باب / ٨ ح ٧٣٠٩ - ٥ / ٥١١.

لمن الميراث، إنما يرثني كلالة» وسيأتي بيان ذلك في الفرائض(١).

٥ ـ باب {ولكم نصفُ ما تركَ أزواجُكم}

٤٥٨٢ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «كان المالُ للولدِ، وكانتِ الوصيةُ للوالدَين، فنسخَ اللهُ من ذلك ما أحبَّ: فجعل للذكرِ مثلَ حظِّ الأنثيينِ، وجعل للأبوين لكلِّ واحد منهما السدُسُ والثلث، وجعلَ للمرأةِ الثُمن والرُبع، وللزّوج الشطر والرُبعَ».

قوله (كان المال للولد) يشير إلى ما كانوا عليه قبل، وقد روى الطبري من وجه آخر عن ابن عباس أنها «لما نزلت قالوا يا رسول الله أنعطي الجارية الصغيرة نصف الميراث وهي لا تركب الفرس ولا تدافع العدو؟ قال: وكانوا في الجاهلية لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم».

قوله (فنسخ الله من ذلك ما أحب) هذا يدل على أن الأمر الأول استمر إلى نزول الآية، وفيه رد على من أنكر النسخ، ولم ينقل ذلك عن أحد من المسلمين إلا عن أبي مسلم الأصبهاني صاحب التفسير فإنه أنكر النسخ مطلقا، ورد عليه بالإجماع على أن شريعة الإسلام ناسخة لجميع الشرائع، أجيب عنه بأنه يري أن الشرائع الماضية مستقرة الحكم إلى ظهور هذه الشريعة، قال فسمي ذلك تخصيصاً لا نسخا، ولهذا قال ابن السمعاني: إن كان أبو مسلم لا يعترف بوقوع الأشياء التي نسخت في هذه الشريعة فهو مكابر، وإن قال لا أسميه نسخاً كان الخلاف لفظياً، والله أعلم.

قوله (وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث) والمعنى أن لكل واحد منهما السدس في حال وللأم الثلث في حال، ووزان ذلك ما ذكره في بقية الحديث «وللزوج النصف والربع» أي كل منهما في حال.

٦ ـ باب {لا يَحِلُّ لكم أن تَرثوا النساء كَرْهاً ولا تَعْضُلُوهُن لِتَذْهَبوا ببعض ما آتيتموهُن} الآية

ويُذكر عن ابن عباس: لا تَعضُلوهنَّ: لا تَقْهَرُوهُن. حُوباً: إثماً. تَعُولوا: تَميلوا. نِحلَةً: النِّحْلَة المهر

٤٥٧٩ ـ عن ابن عباسٍ {يا أيها الذين آمنوا لا يحلُّ لكم أن تَرثوا النساءَ كَرْهاً ولا تَعضُلوهُنَّ لتذهبوا ببعض ما آتيتُمُوهُنَّ} قال: كانوا إذا ماتَ الرجلُ كان أولياؤهُ أحقَّ بامرأتهِ، إن شاء بعضُهم تزَوجَها، وإن شاءوا زوَّجُوها، وإن شاءوا لم يُزوجوها وهم أحقُّ بها من أهلها، فنزلَت هذه الآية في ذلك». [الحديث ٤٥٧٩ - طرفه في: ٦٩٨٤]

---

(١) كتاب الفرائض باب/ ١٣ح ٦٧٤٣ - ٥/ ٥١١.
(ب) كتاب الفرائض باب/ ١ح٦٧٢٣ - ٥/ ١٥٧.

قوله (ويذكر عن ابن عباس: لا تعضلوهن لا تقهروهن) وهذا الأثر وصله الطبري وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {لا تعضلوهن} لا تقهروهن {لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن} يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضرها لتفتدي.

وعن مجاهد أن المخاطب بذلك أولياء المرأة كالعضل المذكور في سورة البقرة، ثم ضعف ذلك ورجح الأول.

قوله (حوباً إثما) وصله ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى {إنه كان حوباً} قال: إثما عظيما.

قوله (نحلة فالنحلة[1]المهر) وصله ابن أبي حاتم والطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى {وآتوا النساء صدقاتهن نحلة} قال: النحلة المهر.

قوله (إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها وإن شاءوا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها) روى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس «كان الرجل إذا مات وترك امرأة ألقى عليها حميمُه ثوباً فمنعها من الناس، فإن كانت جميلة تزوجها وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت ويرثها».

٧ ـ باب {ولكلٍ جَعلنا مواليَ مما تركَ الوالدانِ والأقرَبون والذين عاقَدَتْ[2] أيمانكم فآتوهم نصيبهم، إن الله كان على كل شيءٍ شهيدا} الآية

وقال معمر: موالي أولياء ورثة، عاقدَت أيمانُكم هو مَولى اليمين وهو الحليف والمولى أيضاً ابنُ العمّ، والمولى المنعم المعتِق، والمولى المعتَق، والمولى المليك، والمولى مولى في الدين

٤٥٨٠ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {ولكلٍّ جَعلْنا موالي} قال: ورثة. {والذينَ عاقدَت أيمانُكم} كان المهاجرون لما قدِموا المدينة يَرِث المهاجرُ الأنصاريَّ دونَ ذوي رَحِمِهِ للأخوّةِ التي آخى النبيُّ ﷺ بينهم فلما نزلَت {ولكلٍّ جَعلنا مَواليَ} نُسِخَت. ثم قال: {والذينَ عاقدَت أيمانُكم} منَ النصرِ والرفادةِ والنُّصيحة وقد ذهبَ الميراث ويوصِي له.

قوله (فلما نزلت {ولكل جعلنا موالي} نسخت) هكذا وقع في هذه الرواية أن ناسخ ميراث الحليف هذه الآية. وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «كان الرجل يعاقد الرجل، فإذا مات ورثه الآخر، فأنزل الله عز وجل {وأولو الأرحام بعضهم

---

(١) رواية الباب واليونينية "نحلة النحلة المهر".
(٢) قراءة حفص عن عاصم "عقَدت" بغير ألف.

أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا} يقول إلا أن توصوا لأوليائكم الذين عاقدتم. ومن طريق قتادة: كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول دمي دمك وترثني وأرثك، فلما جاء الإسلام أمروا أن يؤتوهم نصيبهم من الميراث وهو السدس، ثم نسخ بالميراث فقال: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض}، ومن طرق شتى عن جماعة من العلماء كذلك، وهذا هو المعتمد.

قوله (ثم قال: {والذين عاقدت أيمانكم} من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له} قوله من النصر يتعلق بآتوهم لا بعاقدت ولا بأيمانكم، وهو وجه الكلام. والرفادة الإعانة بالعطية.

٨ ـ باب {إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ مثقال ذرّة}

يعني زِنَةَ ذرة.

٤٥٨١ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ الله عنه «أنَّ أناسا في زمن النبيِّ ﷺ قالوا: يا رسولَ الله، هل نرَى ربَّنا يومَ القيامة؟ قال النبيُّ ﷺ: نعم، هل تُضارُّون في رؤيةِ الشمس بالظهيرةِ، ضوءٌ ليس فيه سَحاب؟ قالوا: لا. قال: وهل تضارُّون في رؤية القمر ليلةَ البدر، ضوءٌ ليس فيه سحاب؟ قالوا:لا. قال النبيُّ ﷺ: ما تُضارُّون في رؤيةِ الله عزَّوجل يومَ القيامة إلا كما تضارُّون في رؤية أحدهما. إذا كان يومَ القيامة أذَّنَ مؤذِّنٌ تَتْبَعُ كلُّ أمةٍ ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يَعبد غيرَ الله من الأصنام والأنصابِ إلا يَتساقَطون في النار. حتى إذا لم يَبقَ إلا مَن كانَ يعبدُ الله بَرٌّ أو فاجِر وغُبَّرات أهل الكتاب، فيُدعى اليهود فيُقال لهم: مَن كنتم تَعبدون؟ قالوا: كنا نعبدُ عُزَيْرَ ابنَ الله، فيقال لهم: كذَبتم، ما اتَّخَذَ اللهُ من صاحبةٍ ولا ولَد، فماذا تَبغون؟ فقالوا: عَطِشنا ربنا فاسقِنا، فيشار ألا ترون؟ فيُحشَرون إلى النارِ كأنها سَرابٌ يَحطِمُ بعضُها بعضاً فيَتساقطون في النار. ثم يُدعى النصارى، فيُقالُ لهم: من كنتم تَعبدون؟ قالوا: كنّا نَعبدُ المسيح ابن الله، فيُقال لهم: كذبتم، ما اتخذ اللهُ من صاحبةٍ ولا ولَد. فيُقال لهم: ماذا تَبغون؟ فكذلك مثلُ الأول. حتى إذا لم يَبقَ إلا من كان يَعبدُ الله من بَرٍّ أو فاجر، أتاهم ربُّ العالَمين في أدنى صورةٍ من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تَنتظرون؟ تَتبعُ كلُّ أمةٍ ما كانت تعبدُ. قالوا: فارقنا الناس في الدُّنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نُصاحِبهم: ونحن نَنتَظِرُ ربَّنا الذي كنا نَعبد، فيقول، أنا ربُّكم، فيقولون: لا نُشركُ باللهِ شيئاً. مرَّتين أو ثلاثا».

قوله (باب قوله[١]{إن الله لا يظلم مثقال ذرة} يعني زنة ذرة) ثم ذكر المصنف حديث أبي سعيد في الشفاعة وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب الرقاق[٢] إن شاء الله تعالى.

٩ ـ باب {فكيفَ إذا جِئنا من كلِّ أمةٍ بشهيد، وجئنا بكَ على هؤلاءِ شهيدا}

المُختال والخَتّال واحد. نطمِسَ وجوها: نسوِّيها حتى تَعود كأقفائهم. طَمَسَ الكتاب: محاهُ. جهنم سعيرا وُقودا

٤٥٨٢ ـ عن عمرو بن مُرَّةَ قال: قال لي النبيُّ ﷺ: اقرأ عليَّ. قلتُ: آقرأ عليكَ وعليكَ أُنزل؟ قال: فإني أحب أن أسمعهُ من غيري. فقرأتُ عليه سورة النساءِ حتى بلغتُ {فكيف إذا جِئنا من كلِّ أمةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاءِ شهيداً} قال: أمسِك. فإذا عَيناهُ تَذرِفان».

١٠ ـ باب {وإن كنتم مَرضى أو على سَفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائط}

صعيداً: وجهَ الأرض. وقال جابرٌ كانتِ الطواغيتُ التي يَتحاكمون إليها: في جُهَينةَ واحدٌ، وفي أسلمَ واحد، وفي كلِّ حَيٍ واحد. كُهّانٌ يَنزلُ عليهمُ الشيطان. وقال عمرُ: الجِبتُ السِّحرُ، والطاغوتُ الشيطان. وقال عِكرمةُ: الجِبت بلسانِ الحبشةِ شيطان، والطاغوتُ الكاهن.

٤٥٨٣ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «هَلَكَت قِلادةٌ لأسماءَ، فبعثَ النبيُّ ﷺ في طلبها رِجالاً، فحضَرَتِ الصلاةُ وليسوا على وُضوءٍ ولم يَجدوا ماءً، فصلُّوا وهم على غير وُضوءٍ فأنزَلَ الله. يعني آية التيمُّم».

قوله (باب قوله[٣]وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحد منكم من الغائط) هذا القدر مشترك في آيتي النساء والمائدة، وإيراد المصنف له في تفسير سورة النساء يشعر بأن آية النساء نزلت في قصة عائشة، وقد سبق ما فيه في كتاب التيمم[٤].

قوله (صعيداً وجه الأرض) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {فتيمموا صعيداً طيبا}: تيمموا أي تعمدوا قال. والصعيد وجه الأرض. قال الزجاج: لا أعلم خلافاً بين أهل اللغة أن الصعيد وجه الأرض، سواء كان عليها تراب أم لا، ومنه قوله تعالى {صعيداً جرزا} و{صعيدا زلقا} وإنما سمي صعيداً لأنها نهاية ما يصعد من الأرض. الصعيد الأرض المستوية. الصواب أن الصعيد وجه الأرض المستوية الخالية من الغرس والنبات والبناء، وأما الطيب فهو الذي

---

(١) في المتن "باب إن الله لا يظلم ...." بدون قوله ذكر وقوله" وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب الرقاق باب / ٥٢ ح ٦٥٧٣ - ٥ / ٨٧.
(٣) في المتن "باب وإن كنتم ...." بدون قوله وبدون التبويب في اليونينية.
(٤) كتاب التيميم باب / ١ ح ٣٣٤ - ١ / ٢٢٨.

تمسك به من اشترط في التيمم التراب، لأن الطيب هو التراب المنبت، قال الله تعالى: {والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه} وروى عبد الرزاق من طريق ابن عباس: الصعيد الطيب الحرث.

قوله (وقال عكرمة: الجبت بلسان الحبشة شيطان والطاغوت الكاهن) وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح عنه، وروى الطبري من طريق قتادة مثله بغير ذكر الحبشة قال: كنا نتحدث أن الجبت الشيطان، والطاغوت الكاهن.ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الجبت حيي بن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف. واختار الطبري أن المراد بالجبت والطاغوت جنس من كان يُعبد من دون الله سواء كان صنماً أو شيطانا جنيا أو آدميا، فيدخل فيه الساحر والكاهن، والله أعلم.

ثم أورد المصنف طرفا من حديث عائشة في سقوط عُقدها ونزول آية التيمم، وقد مضى شرحه مستوفى في كتاب التيمم[1].

١١ ـ باب {أطِيعوا الله، وأطيعوا الرسولَ، وأُولي الأمر منكم} ذوي الأمر

٤٥٨٤ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {أطيعوا اللهَ، وأطيعوا الرسولَ، وأولي الأمر منكم} قال: «نزلت في عبد اللهِ بن حُذافةَ بن قيس بن عديّ إذ بَعثَهُ النبيُّ ﷺ في سَرِيَّة».

قوله (نزلت في عبد الله بن حذافة) كذا ذكره مختصراً، والمعنى نزلت في قصة عبد الله بن حذافة أي المقصود منها في قصته قوله {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله} الآية، وقد غفل الداودي عن هذا المراد فقال: هذا وهم على ابن عباس، فإن عبد الله بن حذافة خرج على جيش فغضب فاوقدوا ناراً وقال اقتحموها فامتنع بعض، وهمَّ بعضٌ أن يفعل. قال: فإن كانت الآية نزلت قبل فكيف يخص عبد الله بن حذافة بالطاعة دون غيره، وإن كانت نزلت بعد فإنما قيل لهم إنما الطاعة في المعروف، وما قيل لهم لِمَ لم تطيعوه؟ انتهى.

وبالحمل الذي قدمته يظهر المراد، وينتفي الإشكال الذي أبداه، لأنهم تنازعوا في امتثال ما أمرهم به، وسببه أن الذين هموا أن يطيعوه وقفوا عند امتثال الأمر بالطاعة، والذين امتنعوا عارضه عندهم الفرار من النار، فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع وهو الرد إلى الله وإلى رسوله، أي إن تنازعتم في جواز الشيء وعدم جوازه فارجعوا إلى الكتاب والسنّة، والله أعلم.

---

(١) كتاب التيميم باب / ١ ح ٣٣٤ -١ / ٢٢٨.

وقد روى الطبري أن هذه الآية نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالد أميراً فأجار عمار رجلاً بغير أمره فتخاصما فنزلت، فالله أعلم.

وقد تقدم شرح حال هذه السرية والاختلاف في اسم أميرها في المغازي بعد غزوة حنين(١) بقليل، واختلف في المراد بأولي الأمر في الآية، فعن أبي هريرة قال: هم الأمراء أخرجه الطبري بإسناد صحيح، وأخرج عن ميمون بن مهران وغيره نحوه، وعن جابر بن عبد الله قال: هم أهل العلم والخير، وعن مجاهد وعطاء والحسن وأبي العالية: هم العلماء، ومن وجه آخر أصح منه عن مجاهد قال: هم الصحابة، وهذا أخص. وعن عكرمة قال: أبو بكر وعمر، وهذا أخص من الذي قبله، ورجح الشافعي الأول واحتج له بأن قريشاً كانوا لايعرفون الإمارة ولا ينقادون إلى أمير، فأمروا بالطاعة لمن ولي الأمر، ولذلك قال ﷺ: من أطاع أميري فقد أطاعني» متفق عليه. واختار الطبري حملها على العموم وإن نزلت في سبب خاص، والله أعلم.

١٢ ـ باب {فلا وربِّك لا يُؤمنونَ حتى يُحكموكَ فيما شَجَرَ بينهم}

٤٥٨٥ ـ عن عروةَ قال: «خاصمَ الزُّبيرُ رجلاً من الأنصار في شَريجٍ منَ الحَرَّة {فقال النبيُّ ﷺ: اسق يا زُبير ثم أرسِل الماء إلى جارك. فقال الأنصاريُّ يا رسولَ الله، أن كان ابنَ عمَّتِك؟ فتلوَّنَ وجهه، ثم قال: اسقِ يا زبير ثم احبسِ الماءَ حتى يَرجع إلى الجَدر، ثم أرسل الماءَ إلى جارك. واستوعى النبيُّ ﷺ للزُّبير حقَّه في صَريح الحكم حين أحفَظَهُ الأنصاريُّ وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سَعة. قال الزُّبير: فما أحسِبُ هذه الآيات إلا نزلت في ذلك {فلا وربِّكَ لا يُؤمِنونَ حتى يُحكموكَ فيما شَجَرَ بينهم}

قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) وذكر فيه قصة الزبير مع الأنصاري الذي خاصمه في شراج الحرة، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الشرب(٢).

١٣ ـ باب {فأولئكَ مع الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيّين}

٤٥٨٦ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ما من نبيٍّ يَمرض إلا خيِّرَ بينَ الدنيا والآخرة. وكان في شكواه الذي قُبِضَ فيه أخذَته بُحَّة شديدة، فسمعتهُ يقول: {مع الذين أنعمَ الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين}، فعلمتُ أنهُ خُيِّر».

قوله (باب فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) ذكر فيه حديث عائشة، وقد تقدم شرحه في الوفاة النبوية(٣) ولله الحمد.

---

(١) كتاب المغازي باب / ٥٩ ح ٤٣٤٠ - ٣ / ٣٩٩.
(٢) كتاب الشرب باب / ٦ ح ٢٣٦٠ - ٢ / ٤٣٥.
(٣) كتاب المغازي باب / ٨٣ ح ٤٤٣٥ - ٣ / ٤٣٥.

١٤ ـ باب قوله {وما لكم لا تُقاتِلونَ في سبيلِ الله -إلى- الظالم أهلها}

٤٥٨٧ ـ عن ابن عباسٍ قال: كنتُ أنا وأُمي من المستضعَفين».

٤٥٨٨ ـ عن ابن أبي مُلَيكةَ «أنَّ ابن عباسٍ تلا {إلا المستَضعفين من النساءِ والولدانِ} قال: كنتُ أنا وأُمي ممَّن عَذَر الله» ويُذكرُ عن ابن عباس: حَصِرَت: ضاقت. تَلْوُوا ألسِنَتكم بالشهادة. وقال غيرُه: المُراغَمُ: المهاجَر، راغَمتُ هاجَرتُ قومي. مُوقوتاً: مُؤَقَّتاً وقْتَهُ عليهم.

قوله (باب وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله -إلى الظالم أهلها) ولأبي ذر {والمستضعفين من الرجال والنساء} الآية، والأظهر أن المستضعفين مجرور بالعطف على اسم الله أي وفي سبيل المستضعفين، أو على سبيل الله أي وفي خلاص المستضعفين، وجوز الزمخشري أن يكون منصوباً على الاختصاص.

قوله (ويذكر عن ابن عباس حصرت ضاقت) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى {حصرت صدورهم} قال: ضاقت.

وقال المبرد هو على الدعاء أي أحصر الله صدورهم، كذا قال والأول أولى. وقد روى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد أنها نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصده ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه.

قوله (تلووا ألسنتكم بالشهادة) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى {وإن تلووا أو تعرضوا} قال: تلووا ألسنتكم بشهادة أو تعرضوا عنها. وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: أن تدخل في شهادتك ما يبطلها أو تعرض عنها فلا تشهدها.

قوله (موقوتاً موقتاً وقته عليهم) وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {موقوتاً} قال مفروضاً.

١٥ ـ باب {فما لكم في المنافِقينَ فِئتَينِ والله أركَسَهم}

قال ابنُ عباس: بدَّدَهم فئة جماعة

٤٥٨٩ ـ عن زيد بن ثابتٍ رضيَ الله عنه {فما لكم في المنافقينِ فئتين} رجعَ ناسٌ من أصحابِ النبيِّ ﷺ من أُحدٍ، وكان الناسُ فيهم فِرقتَين: فريق يقول اقتُلهم، وفريق يقول لا» فنزلَت: {فما لكم في المنافقين فئتَين} وقال: إنها طَيبةُ تَنفي الخَبَث كما تَنفي النارُ خَبَثَ الفِضَّة». {أذاعوا به} أفشَوه. يَستَنبِطونَه يَستَخرجونه حَسيباً كافيا. {إلا إناثاً} يعني الموات حَجَراً أو مدراً وما أشبَهَهُ. مَريداً: مُتمرداً. فليُبَتِّكُنَّ بتَّكَهُ: قطَّعه، قِيلا: وقولا واحد. طَبع: خُتم.

قوله (باب فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا، قال ابن عباس: بددهم) وصله الطبري من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله {والله أركسهم بما كسبوا} قال: بددهم. ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أوقعهم. ومن طريق قتادة قال: أهلكهم، وهو تفسير باللازم، لأن الركس الرجوع، فكأنه ردهم إلى حكمهم الأول.

قوله (رجع ناس من[(١)] أحد) هم عبد الله بن أبي ابن سلول ومن تبعه، وقد تقدم بيان ذلك في غزوة أحد من كتاب المغازي[(٢)] مستوفى، وقوله في آخره {خبث الفضة في رواية الحموي «خبث الحديد» وقد تقدم بيان الاختلاف في قوله «تنفي الخبث» في فضل المدينة[(٣)].

قوله (إلا إناثا يعني الموات حجراً أو مدراً أو ما أشبهه) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {إن يدعون من دونه إلا إناثا} إلا الموات حجراً أو مدرا أو ما أشبه ذلك، والمراد بالموات ضد الحيوان. وقال غيره قيل لها إناث لأنهم سموها مناة واللات والعزى وإساف ونائلة ونحو ذلك وعن الحسن البصري: لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمى انثى بني فلان، وسيأتي في الصافات، حكاية عنهم أنهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك.

١٦ ـ باب {ومن يَقتل مؤمناً مُتَعمِّداً فجزاؤهُ جهنَّم}

٤٥٩٠ ـ عن سعيدِ بن جُبَير قال: «آيةٌ اختلفَ فيها أهلُ الكوفة، فرحلتُ فيها إلى ابن عبّاس فسألته عنها فقال: نزلت هذهِ الآيةُ {ومَن يَقتُلْ مؤمناً متعمِّداً فجزاؤهُ جهنَّم} هي آخرُ ما نزَل، وما نَسخَها شيء».

قوله (باب ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) قال: نزلت في مقيس بن ضبابة. وكان أسلم هو وأخوه هشام، فقتل هشاماً رجل من الأنصار غيلة فلم يعرف، فأرسل إليهم النبي ﷺ رجلاً يأمرهم أن يدفعوا إلى مقيس دية أخيه ففعلوا، فأخذ الدية وقتل الرسول ولحق بمكة مرتداً، فنزلت فيه. وهو ممن أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح، أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير.

١٧ ـ باب {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلامَ لستَ مؤمنا}

السَّلَمُ والسلامُ والسَّلْمُ واحد

٤٥٩١ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما «ولا تقولوا لمن ألقى إليكمُ السلامَ لست مؤمنا} قال ابن عباس: كان رجُلٌ في غُنَيمةٍ له، فَلحِقه المسلمون، فقال: السلامُ عليكم،

(١) رواية الباب واليونينية "رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد".
(٢) كتاب المغازي باب / ١٧ ح ٤٠٥٠ - ٣ / ٢٨٨.
(٣) كتاب فضائل المدينة باب / ١٠ ح ١٨٨٤ - ٢ / ١٦٤.

فقتلوهُ وأخذوا غُنَيمتَه، فأنزلَ الله في ذلك إلى قوله {عَرَضَ الحياةِ الدنيا} تلك الغُنيمة». قال قرأ ابنُ عباس {السلام}

قوله (فقتلوه) زاد في رواية سماك «وقالوا ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا».

قوله في آخر الحديث (قال قرأ ابن عباس السلام) هو مقول عطاء.

وفي الآية دليل على أن من أظهر شيئاً من علامات الإسلام لم يحل دمه حتى يختبر أمرُه، لأن السلام تحية المسلمين، وكانت تحيتهم في الجاهلية بخلاف ذلك، فكانت هذه علامة. وأما على قراءة السلم على اختلاف ضبطه فالمراد به الانقياد وهو علامة الإسلام لأن معنى الإسلام في اللغة الانقياد، ولا يلزم من الذي ذكرته الحكم بإسلام من اقتصر على ذلك وإجراء أحكام المسلمين عليه، بل لا بد من التلفظ بالشهادتين على تفصيل في ذلك بين أهل الكتاب وغيرهم، والله أعلم.

١٨ ـ باب {لا يَستوي القاعدون من المؤمنينَ والمجاهدونَ في سبيل الله}

٤٥٩٢ ـ عن زيدِ بن ثابتٍ «أنَّ رسولَ الله ﷺ أملى عليه {لا يَستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله} فجاءهُ ابن أمِّ مكتومٍ وهو يُملُّها عليَّ قال: يا رسولَ الله، واللهِ لو أستَطيعُ الجهادَ لجاهَدْت -وكان أعمى- فأنزلَ اللهُ على رسولهِ ﷺ وفخذُهُ على فخذي، فثقُلَت عليَّ حتى خفتُ أن ترُضَّ فخذِي. ثم سُرِّيَ عنه فأنزَلَ اللهُ {غيرَ أولي الضَّرَر}».

٤٥٩٣ ـ عن البَراءِ رضيَ الله عنه قال: «لما نزَلَت {لا يَستوي القاعِدونَ من المؤمنين} دعا رسولُ اللهِ ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابنُ أمِّ مكتوم فشكا ضَرارته فأنزَل اللهُ {غيرَ أولي الضَّرر}».

٤٥٩٤ ـ عن البراءِ قال: «لما نزلت {لا يَستوي القاعدون من المؤمنين} قال النبيُّ ﷺ: ادعو فُلاناً، فجاءهُ ومعه الدواةُ واللوحُ -أو الكتفُ- فقال: اكتُب {لا يَستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله} وخلفَ النبيِّ ﷺ ابنُ أمِّ مكتوم فقال: يا رسولَ الله أنا ضَرير، فنزلت مكانها {لا يَستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضَّرر والمجاهدون في سبيل الله}».

٤٥٩٥ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما «لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدرٍ والخارجون إلى بدر».

قوله (إنه رأى مروان بن الحكم) أي ابن أبي العاص أمير المدينة الذي صار بعد ذلك خليفة.

قوله (أن ترض فخدي) أي تدقها.

قوله (ثم سُرِّيَ) أي كشف.

قوله (لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون إلى بدر) كذا أورده مختصراً. وقد أخرجه الترمذي وزاد «لما نزلت غزوة بدر قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم الاعميان: يا رسول الله هل لنا رخصة؟ فنزلت {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضَّل اللهُ المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة} فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر {وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه} على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر، هكذا أورده سياقاً واحداً، ومن قوله «درجة الخ» مدرج في الخبر من كلام ابن جريج، بيَّنه الطبري.

وحاصل تفسير ابن جريج أن المفضل عليه غير أولي الضرر، وأما أولو الضرر فملحقون في الفضل بأهل الجهاد إذا صدقت نياتهم كما تقدم في المغازي من حديث أنس «إن بالمدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم حبسهم العذر». ويحتمل أن يكون المراد بقوله {فضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه} أي على القاعدين من غير أولي الضرر، ولا ينافي ذلك الحديث المذكور عن أنس، ولا ما دلت عليه الآية من استواء أولي الضرر مع المجاهدين أنها استثنت أولي الضرر من عدم الاستواء فأفهمت إدخالهم في الاستواء، إذ لا واسطة بين الاستواء وعدمه، لأن المراد منه استواؤهم في أصل الثواب لا في المضاعفة لأنها تتعلق بالفعل. ويحتمل أن يلتحق بالجهاد في ذلك سائر الأعمال الصالحة. وفي أحاديث الباب من الفوائد أيضاً اتخاذ الكاتب، وتقريبه، وتقييد العلم بالكتابة.

١٩ ـ باب إن الذين تَوفَّاهُم الملائكةُ ظالمي أنفسِهم قالوا فيم كنتم، قالوا: كنا مستضعَفين في الأرض، قالوا: ألم تكن أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها} الآية

٤٥٩٦ ـ عن محمدِ بن عبد الرحمن أبو الأسودِ قال: «قُطِعَ على أهلِ المدينةِ بَعثٌ، فاكتُتِبتُ فيه، فلقيتُ عِكرمةَ مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشدَّ النهي ثم قال: أخبرَني ابنُ عباس أنَّ ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثرون سوادَ المشركين على رسولِ الله ﷺ يأتي السهمُ يُرمى به فيُصيبُ أحدَهم فيقتلُه، أو يُضرَبُ فيُقتَلُ، فأنزَلَ الله {إنَّ الذينَ توَفَّاهُم الملائكة ظالمي أنفسِهم} الآية».

قوله (إن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين) سمى منهم في رواية أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والوليد بن عتبة بن ربيعة وعمرو بن أمية بن سفيان وعلي بن أمية بن خلف، وذكر في شأنهم أنهم خرجوا إلى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك وقالوا غرَّ هؤلاء دينُهم فقتلوا ببدر، أخرجه ابن مردويه.

قوله (فأنزل الله) هكذا جاء في سبب نزولها، وفي رواية عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عند ابن المنذر والطبري «:كان قوم من أهل مكة قد أسلموا وكانوا يخفون الإسلام، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر فأصيب بعضهم فقال المسلمون هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت، فكتبوا بها إلى من بقي بمكة منهم وأنهم لا عذر لهم، فخرجوا فلحقهم المشركون ففتنوهم فرجعوا فنزلت {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله} فكتب إليهم المسلمون بذلك فحزنوا، فنزلت {ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا} الآية، فكتبوا إليهم بذلك، فخرجوا فلحقوهم، فنجا من نجا وقتل من قتل.

قوله (فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع، واستنبط سعيد بن جبير من هذه الآية وجوب الهجرة من الأرض التي يعمل فيها بالمعصية.

٢٠ ـ باب {إلا المستضعَفينَ من الرجال والنساء والوِلدانِ لا يَستطيعونَ حِيلةً ولا يَهتَدونَ سبيلاً}

٤٥٩٧ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {إلاّ المستضعَفين} قال كانت أمي مِمّن عَذرَ الله».

قوله (إلا المستضعفين من الرجال والنساء الآية) فيه معذرة من اتصف بالاستضعاف من المذكورين، وقد ذكروا في الآية الأخرى في سياق الحث على القتال عنهم، وتقدم حديث ابن عباس المذكور والكلام عليه قبل ستة أبواب.

٢١- باب (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا)

٤٥٩٨ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: «بينا النبيُّ ﷺ يُصلّي العشاءَ إذ قال: سمعَ اللهُ لمنْ حمدَه، ثم قال: قبلَ أن يَسْجُدَ: اللهمَّ نجِّ عيّاشَ بن أبي ربيعة، اللهمَّ نجِّ سلمةَ بنَ هشام اللهمَّ نجِّ الوليدَ بنَ الوليد، اللهمَّ نجِّ المستضعَفينَ من المؤمنين، اللهمَّ اشدُدْ وَطأتَكَ على مُضَرْ، اللهمَّ اجعلْها سنينَ كَسِنيِّ يوسُف».

قوله (باب قوله[1] {فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم} الآية) كذا لأبي ذر، ولغيره

(١) في المتن باب "فأولئك عسى الله" وفي اليونينية بدون "باب قوله".

{فعسى اللهُ أن يعفوَ عنهم وكان الله عفواً غفورا}.

ثم ذكر فيه حديث أبي هريرة في الدعاء للمستضعفين، وقد تقدم الكلام عليه في أول الاستسقاء[1].

٢٢ ـ باب {ولا جُناحَ عَليكم إن كان بكم أذَى من مَطر أو كنتم مَرضى أن تَضعوا أسلحتَكم}

٤٥٩٩ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما {إن كان بكم أذىً من مَطرٍ أو كنتم مَرضى} قال «عبدُ الرحمن بن عَوفٍ وكان جريحاً».

قوله في الآية الكريمة {أن تضعوا أسلحتكم} رخص لهم في وضع السلاح لثقلها عليهم بسبب ما ذكر من المطر أو المرض، ثم أمرهم بأخذ الحذر خشية أن يغفلوا فيهجم العدو عليهم

٢٣ ـ باب {ويستفتونك في النساء قلِ اللهُ يُفتيكم فيهن وما يُتلى عليكم في الكتاب فَي يَتامى النَساء}

٤٦٠٠ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها {ويَستفتونكَ في النساءِ قُلِ الله يُفتيكم فيهن -إلى قوله- وترغَبون أن تَنكِحوهن} قالت عائشة «هو الرجل تكون عندَه اليتيمة هو وليها ووارثُها فأشركَتْهُ في ماله حتى في العَذْق. فيرغبُ أن يَنكِحَها ويكرَهُ أن يُزَوِّجَها رجلاً فيَشركهُ في ماله بما شرِكتْه فيعضُلُها، فنزَلت هذه الآية».

قوله (باب {ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء}) وقوله «يستفتونك» أي يطلبون الفتيا أو الفتوى وهما بمعنى واحد، أي جواب السؤال عن الحادثة التي تشكل على السائل وهي مشتقة من الفتى، ومنه الفتي وهو الشاب القوي. ثم ذكر حديث عائشة في قصة الرجل يكون عنده اليتيمة فتشركه في ماله، وقد تقدم الكلام عليه في أوائل هذه السورة[2] مستوفى.

٢٤ ـ باب {وإنِ امرأةٌ خافَت من بَعلها نُشوزاً أو إعراضاً}

قال ابنُ عباسٍ: شِقاق تَفَاسُد. {وأُحضِرَتِ الأنفسُ الشُحَّ} قال هواهُ في الشيء يَحرص عليه، كالمعلقة لا هيَ أيِّم ولا ذاتُ زوج. نُشوزاً بُغضا

٤٦٠١ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها {وإنِ امرأةٌ خافت من بَعلِها نُشوزاً أو إعراضاً} قالت: «الرجلُ تكون عندَه المرأةُ ليسَ بمستكثرٍ منها يُريدُ أن يُفارقَها. فتقول: أجعلُكَ من شأني في حِل، فنزَلَت هذه الآية في ذلك».

---

(١) كتاب الاستسقاء باب / ٢ ح ١٠٠٦ - ١ / ٥٢٢.
(٢) كتاب التفسير "النساء" باب / ١ ح ٤٥٧٤ - ٣ / ٤٩٨.

قوله (وقال ابن عباس: شقاق تفاسد) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقال غيره: الشقاق العداوة لأن كلا من المتعادين في شق خلاف شق صاحبه.

قوله (كالمعلقة لا هي أيِّم ولا ذات زوج) وصله ابن أبي حاتم بإسناد صحيح من طريق يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى {فتذروها كالمعلقة}: قال لا هي أيم ولا ذات زوج انتهى، والأيِّم هي التي لا زوج لها.

قوله {نشوزاً بغضا} قال الفراء: النشوز يكون من قبل المرأة والرجل، وهو هنا من قبل الرجل.

قوله (قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها أي في المحبة والمعاشرة والملازمة.

قوله (فتقول: أجعلك من شأني في حل) أي وتتركني من غير طلاق.

قوله (فنزلت[1] في ذلك) وعن علي «نزلت في المرأة تكون عند الرجل تكره مفارقته فيصطلحان على أن يجيئها كل ثلاثة أيام أو أربعة» وروى الحاكم من طريق ابن المسيِّب عن رافع بن خديج «أنه كانت تحته امرأة، فتزوج عليها شابة، فآثر البكر عليها، فنازعته فطلقها ثم قال لها: إن شئت رجعتك وصبرت، فقالت: راجعني، فراجعها، ثم لم تصبر فطلقها» قال: فذلك الصلح الذي بلغنا أن الله أنزل فيه هذه الآية. وروى الترمذي من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: «خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا تطلقني، واجعل يومي لعائشة ففعل، ونزلت هذه الآية» وقال: حسن غريب.

قلت: وله شاهد في الصحيحين من حديث عائشة بدون ذكر نزول الآية.

٢٥ ـ باب {إنَّ المنافقين في الدَّرك[2] الأسفَل}

وقال ابنُ عباس: أسفلَ النار. نَفَقاً: سَرَباً

٤٦٠٢ ـ عن الأسود قال: «كُنّا في حَلْقَةِ عَبْدِ الله، فَجاءَ حُذَيْفَةُ حَتّى قامَ عَلَيْنا فَسَلَّمَ ثُمَّ قالَ: لَقَدْ أُنْزِلَ النِّفَاقُ عَلى قَوْمٍ خَيْرٍ مِنْكُمْ. قالَ الأَسْوَدُ: سُبْحَانَ الله، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الله، وَجَلَسَ حُذَيْفَةُ في نَاحِيَةِ المَسْجِدِ، فَقَامَ عَبْدُ الله فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ، فَرَمَاني بِالحَصَا، فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: عَجِبْتُ مِن ضَحِكِهِ، وَقَدْ عَرَفَ ما قُلْتُ، لَقَد أُنْزِلَ النِّفَاقُ عَلَى قومٍ كانُوا خَيْراً مِنكُم ثُمَّ تابُوا، فَتابَ اللهُ عَلَيْهِم.

---

(١) رواية الباب واليونينية "فنزلت هذه الآية في ذلك".

(٢) قراءة حفص عن عاصم: "في الدرك" بتسكين الراء.

قوله (قال ابن عباس أسفل النار) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الدرك الأسفل أسفل النار.

قال العلماء: عذاب المنافق أشد من عذاب الكافر لاستهزائه بالدين.

قوله (نفقاً سربا) وصله ابن أبي حاتم من طريق جريج عن عطاء عن ابن عباس به، وهذه الكلمة ليست من سورة النساء، وإنما هي من سورة الأنعام ولعل مناسبة ذكرها هنا للإشارة إلى اشتقاق النفاق، لأن النفاق إظهار غير ما يبطن، كذا وجهه الكرماني، وليس ببعيد مما قالوه في اشتقاق النفاق أنه من النافقاء وهو جحر اليربوع. وقيل هو من النفق هو السرب حكاه في النهاية.

قوله (كنا في حلقة عبد الله) يعني ابن مسعود.

قوله (فجاء حذيفة) هو ابن اليمان.

قوله (لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم) أي ابتلوا به لأنهم كانوا من طبقة الصحابة فهم خير من طبقة التابعين، لكن الله ابتلاهم فارتدوا ونافقوا فذهبت الخيرية منهم، ومنهم من تاب فعادت له الخيرية، فكأن حذيفة حذر الذين خاطبهم وأشار لهم أن لا يغتروا فإن القلوب تتقلب، فحذرهم من الخروج من الإيمان لأن الأعمال بالخاتمة، وبين لهم أنهم وإن كانوا في غاية الوثوق بإيمانهم فلا ينبغي لهم أن يأمنوا مكر الله، فإن الطبقة الذين من قبلهم وهم الصحابة كانوا خيراً منهم، ومع ذلك وجد بينهم من ارتد ونافق، فالطبقة التي هي من بعدهم أمكن من الوقوع في مثل ذلك.

وقوله «فتبسم عبد الله» كأنه تبسم تعجباً من صدق مقالته.

قوله (فرماني) أي حذيفة رمى الأسود يستدعيه إليه.

قوله (عجبت من ضحكه) أي من اقتصاره على ذلك، وقد عرف ما قلت أي فهم مرادي وعرف أنه الحق.

قوله (ثم تابوا فتاب الله عليهم) أي رجعوا عن النفاق. ويستفاد من حديث حذيفة أن الكفر والإيمان والإخلاص والنفاق كل بخلق الله تعالى وتقديره وإرادته، ويستفاد من قوله تعالى {إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين} صحة توبة الزنديق وقبولها على ما عليه الجمهور، فإنها مستثناة من المنافقين من قوله {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار} وقد استدل بذلك جماعة منهم أبو بكر الرازي في أحكام القرآن، والله أعلم.

٢٦ - باب {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كما أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ}

٤٦٠٣ - عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «ما يَنْبَغِي لأحَدٍ أنْ يَقُولَ: أنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

٤٦٠٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ قالَ: أنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ».

قوله (أن يقول أنا خير من يونس[١]) يحتمل أن يكون المراد أن العبد القائل هو الذي لا ينبغي له أن يقول ذلك، ويحتمل أن يكون المراد بقوله «أنا» رسول الله ﷺ وقاله تواضعاً، ودل حديث أبي هريرة ثاني حديثي الباب على أن الاحتمال الأول أولى.

قوله (فقد كذب) أي إذا قال ذلك بغير توقيف، وقد تقدم شرح هذا الحديث في أحاديث الأنبياء[٢] بما أغنى عن إعادته هنا، والله المستعان

٢٧ - باب {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ في الكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ ما تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَم يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ}

وَالكَلالَةُ: مَنْ لَمْ يَرِثْهُ أَبٌ أَوِ ابْنٌ، وَهُوَ مَصْدَرٌ، مِنْ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ

٤٦٠٥ - عن البَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ: «بَرَاءَةٌ». وَآخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ في الكَلالَةِ».

قوله (باب يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) المراد بقوله {يستفتونك} أي عن مواريث الكلالة، وحذف لدلالة السياق عليه في قوله {قل الله يفتيكم في الكلالة}.

قوله (والكلالة من لم يرثه أب ولا ابن) هو قول أبي بكر الصديق أخرجه ابن أبي شيبة عنه وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وروى عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحق عن عمرو بن شرحبيل قال: ما رأيتهم إلا تواطئوا على ذلك وهذا إسناد صحيح.

قوله (وهو مصدر من تكلله النسب) أي تعطف النسب عليه.

وقال الأزهري: سمي الميت الذي لا والد له ولا ولد كلالة، وسمي الوارث كلالة، وسمي الأرث كلالة. وعن عطاء: الكلالة هي المال، وقيل الفريضة، وقيل الورثة والمال، ولكثرة الاختلاف فيها صح عن عمر أنه قال: لم أقل في الكلالة شيئاً.

---

(١) رواية الباب واليونينية "أن يقول أنا خير من يونس بن متى".

(٢) كتاب الأنبياء باب / ٣٥ ح ٣٤١٦ - ٣ / ٤٦.

(٥) المائدة

١- باب {حُرُمٌ}: وَاحِدُهَا حَرَامٌ. {فَبِما نَقْضِهِمْ}: بِنَقْضِهِمْ. {الَّتي كَتَبَ اللهُ}: جَعَلَ اللهُ. «تَبُوءَ»: تَحْمِلَ. {دائِرَةٌ} دَوْلَةٌ. وَقَالَ غَيْرُهُ: الإِغْرَاءُ التَّسْلِيطُ. {أُجُورَهُنَّ}: مُهُورَهُنَّ. المهيمن: الأمين القُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ

قوله (سورة المائدة[١]) المائدة فاعلة بمعنى مفعولة أي ميد بها صاحبها.

قوله (التي كتب الله) أي جعل الله، قال أبو عبيدة في قوله تعالى {يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم} أي جعل الله لكم وقضى، وعن ابن إسحق: كتب لكم أي وهب لكم أخرجه الطبري قال الطبري: والمراد أنه قدرها لسكنى بني إسرائيل في الجملة فلا يرد كون المخاطبين بذلك لم يسكنوها لأن المراد جنسهم بل قد سكنها بعض أولئك كيوشع وهو ممن خوطب بذلك قطعاً.

قوله (تبوء: تحمل) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك} أي تحمل إثمي وإثمك

قوله (وقال سفيان[٢]: ما في القرآن آية أشد عليّ من {لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم}) يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء؛ ومقتضاه أن من أخل ببعض الفرائض فقد أخل بالجميع، ولأجل ذلك أطلق كونها أشد من غيرها، ويحتمل أن يكون هذا مما كان على أهل الكتاب من الإصر. وقد روى ابن أبي حاتم أن الآية نزلت في سبب خاص، فأخرج بإسناد حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «جاء مالك بن الصيف وجماعة من الأحبار فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم وتؤمن بما في التوراة وتشهد أنها حق؟ قال: بلى، ولكنكم كتمتم منها ما أمرتم ببيانه، فأنا أبرأ مما أحدثتموه. قالوا: فإنا نتمسك بما في أيدينا من الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا بما جئت به، فأنزل الله هذ الآية. وهذا يدل على أن المراد بما أنزل إليكم من ربكم أي القرآن. ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى في الآية التي قبلها {ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا -إلى قوله- لأكلوا من فوقهم} الآية.

٢ ـ باب {اليومَ أكملتُ لكم دينكم}

وقال ابن عباس: مخمصة مجاعة.

٤٦٠٦ ـ عن طارق بن شهابٍ «قالت اليهودُ لعمرَ: إنكم تقرءون آيةً لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً. فقال عمر: إني لأعلم حيثُ أُنزلت وأين أُنزلت، وأين رسولُ الله ﷺ حينَ

(١) رواية الباب واليونينية بحذف "سورة".
(٢) قوله وقال سفيان. الخ ليس في رواية الباب واليونينة.

أنزلَت: يومَ عرفةَ، وإنّا والله بعرَفة. قال سفيانُ: وأشكُّ كان يومَ الجمعة أم لا {اليومَ أكملتُ لكم دينكم}».

قوله (قال سفيان وأشك كان يوم الجمعة أم لا) قد تقدم في الإيمان من وجه آخر عن قيس بن مسلم الجزم بأن ذلك كان يوم الجمعة، وسيأتي الجزم بذلك من رواية مسعر عن قيس في كتاب الاعتصام، وقد تقدم في كتاب الإيمان بيان مطابقة جواب عمر للسؤال لأنه سأله عن اتخاذه عيداً فأجاب بنزولها بعرفة يوم الجمعة، ومحصله أن في بعض الروايات «وكلاهما بحمد الله لنا عيد» قال الكرماني: أجاب بأن النزول كان يوم عرفة، ومن المشهور أن اليوم الذي بعد عرفة هو عيد للمسلمين، فكأنه قال: جعلناه عيداً بعد إدراكنا استحقاق ذلك اليوم للتعبد فيه، قال: وإنما لم يجعله يوم النزول لأنه ثبت أن النزول كان بعد العصر، ولا يتحقق العيد إلا من أول النهار، ولهذا قال الفقهاء: إن رؤية الهلال نهاراً تكون لليلة المستقبلة انتهى.

والتنصيص على أن تسمية يوم عرفة يوم عيد يغني عن هذا التكلف. فإن العيد مشتق من العود وقيل له ذلك لأنه يعود في كل عام. وقد نقل الكرماني عن الزمخشري أن العيد هو السرور العائد وأقر ذلك، فالمعنى أن كل يوم شرع تعظيمه يسمى عيداً انتهى.

٣ ـ باب {فلم تجدوا ماءً فتيمَّموا صَعيداً طيِّباً}

تيمَّموا تَعَمَّدوا، آمِّين عامدين، أمَّمتُ وتيمَّمتُ واحد.

وقال ابنُ عباس: لَمستم وتَمسُّوهنَّ واللاتي دَخَلتم بهن، والإفضاءُ النكاح

٤٦٠٧ ـ عن عائشة رضي الله عنها زوج النبيِّ ﷺ قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفارهِ، حتى إذا كنا بالبَيداء أو بذاتِ الجيش انقطعَ عِقْدٌ لي، فأقامَ رسولُ الله ﷺ على التماسهِ، وأقام الناسُ معه، وليسوا على ماءٍ وليس مَعَهم ماء. فأتى الناسُ إلى أبي بكرٍ الصديق فقالوا: ألا ترَى ما صنَعَت عائشة؟ أقامَت برسولِ الله ﷺ وبالناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فجاء أبو بكرٍ ورسولُ الله ﷺ واضعٌ رأسَهُ على فخذي قد نام، فقال: حَبَستِ رسولَ الله ﷺ والناسَ وليسوا على ماء وليس معهم ماء. قالت عائشةُ: فعاتَبني أبو بكرٍ وقال ما شاءَ اللهُ أن يقول، وجعلَ يَطعنُني بيدهِ في خاصِرَتي، ولا يَمنعني من التحرُّك إلاّ مكانُ رسولِ الله ﷺ على فَخِذي. فقام رسولُ اللهِ ﷺ حين أصبحَ على غيرِ ماء، فأنزَلَ اللهُ آيةَ التَّيمُّم، فقال أُسيدُ بن حُضَير ما هيَ بأوَّل بركَتِكم يا آلَ أبي بكر. قالت: فَبَعَثْنا البَعيرَ الذي كنتُ عليه، فإذا العقد تحتَه».

٤٦٠٨ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها «سَقَطَت قلادةٌ لي بالبَيداء -ونحنُ داخِلون المدينةَ- فأناخ النبيُّ ﷺ ونزلَ فَثَنى رأسَهُ في حَجْري راقداً، أقبلَ أبو بكرٍ فَلَكَزَني لَكزةً شديدةً

وقال: حبَسْتِ الناسَ في قِلادة؟ فبِي الموتُ لمكانِ رسولِ الله ﷺ وقد أوجَعَني، ثم إنَّ النبيَّ ﷺ استيقظَ وحضَرَتِ الصُّبحُ، فالتُمِسَ الماءُ فلم يوجَد، فنزلت {يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة} الآية. فقال أُسَيدُ بن حُضَيرٍ: لقد باركَ اللهُ للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركةٌ لهم».

قوله (وقال ابن عباس لمستم وتمسوهن، واللاتي دخلتم بهن، والإفضاء النكاح) أما قوله «لمستم» فروى إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى {أو لامستم النساء} قال: هو الجماع. وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير بإسناد صحيح.

وأما قوله «والإفضاء» فروى ابن أبي حاتم من طريق بكر بن عبد الله المزني عن ابن عباس في قوله تعالى {وقد أفضى بعضكم إلى بعض} قال: الإفضاء الجماع. وروى عبد بن حميد من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: الملامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والغشيان والجماع كله النكاح، ولكن الله يُكَنِّي.

٤ ـ باب {فاذهب أنتَ وربُّكَ فقاتلا، إنّا ها هنا قاعدون}

٤٦٠٩ ـ عن عبدِ الله قال: «قال المِقدادُ يومَ بدرٍ: يا رسولَ الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى {فاذهب أنت وربُّك فقاتِلا إنّا ها هنا قاعِدون} ولكن امضِ ونحنُ معَك. فكأنهُ سُرِّي عن رسولِ الله ﷺ».

٥ ـ باب {إنما جزاءُ الذين يُحاربونَ اللهَ ورسولَهُ ويَسعَوْنَ في الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصَلَّبوا -إلى قوله- أو يُنفَوا منَ الأرض} الآية

المحاربةُ للهِ: الكفرُ به.

٤٦١٠ ـ عن أبي قلابة أنه كان جالساً خلفَ عمر بن عبد العزيز فذكروا وذكروا، فقالوا وقالوا قد أقادتْ به الخلفاءُ، فالتفَت إلى أبي قِلابة وهو خلف ظهرِه فقال: ما تقولُ يا عبدَ الله بن زيد -أو قال ما تقول يا أبا قلابةَ- ؟ قلتُ: ما علمتُ نفساً حلَّ قتلُها في الإسلام إلا رجلٌ زنى بعدَ إحصان، أو قتل نفساً بغير نفس، أو حارب اللهَ ورسوله ﷺ. فقال عَنبسةُ: حدَّثنا أنسٌ بكذا وكذا. قلتُ: إيّاي حدَّث أنس قال: قدم قومٌ على النبيِّ ﷺ فكلموه فقالوا: قدِ استَوخَمْنا هذه الأرض، فقال: هذهِ نَعَمٌ لنا تَخرُجُ لترعى، فاخرجُوا فيها فاشرَبوا من ألبانِها وأبوالها، فخَرجوا فيها فشربوا من أبوالها وألبانها واستَصحُّوا، ومالوا على الراعي فقتلوه، واطَّرَدوا النعم. فما يستبطأُ من هؤلاء؟ قَتلوا النفْسَ، وحاربو اللهَ ورسوله، وخوَّفوا رسولَ الله ﷺ. فقال: سبحانَ الله. فقلتُ: تتهمني؟ قال: حدَّثنا بهذا أنس. قال وقال: يا أهل كذا، إنكم لن تزالوا بخير ما أُبقيَ هذا فيكم ومثلُ هذا».

قوله (المحاربة لله الكفر به) هو قول سعيد بن جبير والحسن، ووصله ابن أبي حاتم عنهما، وفسره الجمهور هنا بالذي يقطع الطريق على الناس مسلماً أو كافراً، وقيل نزلت في النفر العُرَنيين وقد تقدم في مكانه.

قوله (فذكروا وذكروا) أي القسامة، وسيأتي ذلك واضحاً في كتاب الديات مع بقية شرح الحديث، وقوله «واستصَحُّوا» أي حصلت لهم الصحة، وقوله «واطردوا» أي أخرجوها طرداً أي سوقا.

٦ ـ باب {والجُروحُ قِصاص}

٤٦١١ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «كَسَرَتِ الرُّبَيِّعُ - وهي عمةُ أنسِ بن مالك- ثَنِيَّةَ جاريةٍ من الأنصار. فطلب القومُ القِصاصَ، فأتَوا النبيَّ ﷺ فأمرَ النبيُّ ﷺ بالقِصاص، فقال أنسُ بن النضر عمُّ أنسِ بن مالك: لا واللهِ لا تُكْسَرُ سنُّها يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: يا أنس كتابُ اللهِ القِصاص، فرضِيَ القومُ وقَبِلوا الأرْشَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ من عبادِ الله مَن لو أقسمَ على اللهِ لأبَرَّه».

قوله (باب قوله[١] والجروح قصاص) وأورد فيه حديث أنس «أن الربيع كسرت ثنية جارية» الحديث، وسيأتي شرحه مستوفى في الديات[٢].

٧ ـ باب {يا أيُّها الرَّسولُ بلّغ ما أُنزلَ إليك من ربِّك}

٤٦١٢ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «مَن حدَّثَكَ أنَّ محمداً ﷺ كتمَ شيئاً مما أُنزِلَ عليه فقد كَذَب، واللهُ يقول {يا أيُّها الرسول بلّغ ما أُنزِلَ إليك} الآية».

قوله (باب يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ذكر فيه طرفاً من حديث عائشة «من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب» وسيأتي بتمامه مع كمال شرحه في كتاب التوحيد[٣] إن شاء الله تعالى.

٨ ـ باب {لا يُؤاخِذُكُم اللهُ باللغوِ في أيمانكم}

٤٦١٣ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها «أُنزِلت هذه الآيةُ {لا يُؤاخِذُكُم الله باللغوِ في أيمانِكم} في قول الرجلِ: لا واللهِ وبَلى واللهِ».

[الحديث ٤٦١٣ - طرفه في: ٦٦٦٣]

(١) في المتن "باب والجروح قصاص" وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب الديات باب / ١٤ - ٥ / ٢٥١
(٣) كتاب التوحيد باب / ٤٦ ح ٧٥٣١ - ٥ / ٦٠٩

٤٦١٤ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها «أنَّ أباها كان لا يَحنَثُ في يمين، حتى أنزلَ اللهُ كفَّارةَ اليمين، قال أبو بكرٍ: لا أرَى يميناً أرَي غيرَها خيراً منها إلا قبلتُ رُخصةَ الله وفعلتُ الذي هو خير».

[الحديث ٤٦١٤ – طرفه في: ٦٦٢١]

قوله (باب قوله[١]{لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم}) وفسرت عائشة لغو اليمين بما يجري على لسان المكلف من غير قصد، وقيل هو الحلف على غلبة الظن، وقيل في الغضب، وقيل في المعصية وفيه خلاف آخر سيأتي بيانه في الأيمان والنذور[٢]إن شاء الله تعالى.

قوله (إلا قبلت رخصة الله) أي في كفارة اليمين.

٩ ـ {لا تُحرِّموا طيِّباتِ ما أحلَّ اللهُ لكم}

٤٦١٥ ـ عن عبد اللهِ رضيَ الله عنه قال: «كُنَّا نَغزو مع النبيِّ ﷺ وليس مَعنا نساءٌ، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخَّصَ لنا بعدَ ذلك أن نتزوَّجَ المرأةَ بالثوب. ثم قرأ {يا أيها الذين آمنوا لا تُحرِّموا طيباتِ ما أحلَّ الله لكم}».

[الحديث ٤٦١٥ – طرفاه في: ٥٠٧١، ٥٠٧٥]

قوله (باب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا[٣] لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم) وسيأتي شرح الحديث في كتاب النكاح[٤]وفي الترمذي مُحسنًا من حديث ابن عباس «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت، وإني حرمت عليَّ اللحم فنزلَتْ».

١٠ ـ باب {إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان}

وقال ابنُ عباسٍ: الأزلام: القِداحُ يَقتَسِمون بها في الأمور، والنُّصُبُ أنصابٌ يذبحون عليها. وقال غيرُهُ: الزَّلَم: القِدحُ لا ريشَ له، وهو واحدُ الأزلام، والاستقسامُ أن يجيلَ القِداحَ، فإن نَهته انتهى، وإن أمرته فَعلَ ما تأمُرُهُ، وقد أعلموا القِداحَ أعلاماً بضُروبٍ يَستقسمونَ بها، وفعلتُ منه قسمتُ، والقُسوم المصدر.

٤٦١٦ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «نَزلَ تحريمُ الخمرِ وإنَّ في المدينة يومئذٍ لخمسةَ أشربةٍ، ما فيها شراب العنبِ».

[الحديث ٤٦١٦ – طرفه في: ٥٥٧٩]

---

(١) في المتن "باب لا يؤاخذكم ...." وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب الأيمان والنذور باب / ١٤ ح ٦٦٦٣ – ٥ / ١٣٠
(٣) رواية الباب واليونينية بدون "قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ...." وبدون التبويب في اليونينية.
(٤) كتاب النكاح باب / ٨ ح ٥٠٧٥ – ٤ / ٤١.

٤٦١٧ ـ عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ الله عنه قال: «ما كان لنا خمرٌ غيرَ فضيخكم هذا الذي تُسمونه الفضيخ، فإني لَقائمٌ أسقي أبا طلحةَ وفلانا وفلانا إذ جاء رجلٌ فقال: وهل بَلَغكم الخبرُ؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حُرِّمَتِ الخمرُ. قالوا: أهرِق هذهِ القِلالَ يا أنس. قال فما سألوا عنها ولا راجَعوها بعدَ خبر الرَّجل».

٤٦١٨ ـ عن جابر قال: «صبَّح أناسٌ غَداةَ أحدٍ الخمرَ فقُتلوا من يومهم جميعاً شهداء، وذلك قبلَ تحريمها».

٤٦١٩ ـ عن ابن عمرَ قال: «سمعتُ عمرَ رضيَ الله عنه عَلَى منبرِ النبيِّ ﷺ يقول: أما بعدُ أيها الناس إنه نزَلَ تحريمُ الخمر وهيَ من خمسة: منَ العِنَب، والتمر، والعسَل، والحِنطةِ، والشَّعير. والخمرُ ما خامرَ العقل».

[الحديث ٤٦١٩ - أطرافه في: ٥٥٨١، ٥٥٨٨، ٥٥٨٩، ٧٣٣٧]

قوله (وقال ابن عباس: الأزلام القداح يقتسمون بها في الأمور)، وقد تقدم في حديث الهجرة قول سراقة بن مالك لما تتبع النبي ﷺ وأبا بكر قال: «استقسمت بالأزلام هل أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره. وقال ابن جرير كانوا في الجاهلية يعمدون إلى ثلاثة سهام على أحدها مكتوب «افعل» وعلى الثاني «لا تفعل» والثالث غفل. وقال الفراء: كان على الواحد «أمرني ربي» وعلى الثاني «نهاني ربي» وعلى الثالث غفل. فإذا أراد أحدهم الأمر أخرج واحداً فإن طلع الآمر فعل، أو الناهي ترك، أو الغفل أعاد.

وروى الطبري من طريق سعيد بن جبير قال: الأزلام حصى بيض. ومن طريق مجاهد قال: حجارة مكتوب عليها. وعنه كانوا يضربون بها لكل سفر وغزو وتجارة، وهذا محمول على غير التي كانت في الكعبة. والذي تحصل من كلام أهل النقل أن الأزلام كانت عندهم على ثلاثة أنحاء: أحدها لكل أحد، وهي ثلاثة كما تقدم. وثانيها للأحكام، وهي التي عند الكعبة، وكان عند كل كاهن وحاكم للعرب مثل ذلك، وكانت سبعة مكتوب عليها: فواحد عليه «منكم» وآخر «ملصق» وآخر «فيه العقول والديات» إلى غير ذلك من الأمور التي يكثر وقوعها. وثالثها قداح الميسر وهي عشرة: سبعة مخططة وثلاثة غفل، وكانوا يضربون بها مقامرة، وفي معناها كل ما يتقامر به كالنرد والكعاب وغيرها.

قوله (والنصب أنصاب يذبحون عليها) وقال ابن قتيبة: هي حجارة كانوا ينصبونها ويذبحون عندها فينصب عليها دماء الذبائح. والأنصاب أيضاً جمع نصب وهي الأصنام.

قوله (والاستقسام أن يجيل القداح فإن نهته انتهى وإن أمرته فعل ما تأمره) قال أبو عبيدة: الاستقسام من قسمت أمري بأن أجيل القداح لتقسم لي أمري أأسافر أم أقيم وأغزو أم لا أغزو، أو نحو ذلك فتكون هي التي تأمرني وتنهاني، ولكل ذلك قدح معروف.

قال الفراء: الأزلام: سهام كانت في الكعبة يقسمون بها في أمورهم.

قوله (نزل تحريم الخمر وأن في المدينة يومئذ لخمسة أشربة، ما فيها شراب العنب) يريد بذلك أن الخمر لا يختص بماء العنب، ثم أيد ذلك بقول أنس: ما كان لنا خمر غير فضيخكم. ثم ذكر حديث جابر في الذين صبحوا الخمر ثم قتلوا بأحد وذلك قبل تحريمها، ويستفاد منه أنها كانت مباحة قبل التحريم.

١١ ـ باب {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناحٌ فيما طَعِموا -إلى قوله- واللهُ يُحبُّ المحسنين}

٤٦٢٠ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه «أنَّ الخمرَ التي أُهريقت الفضيخ» وزادني محمدٌ البيكنديُّ عن أبي النعمان قال: «كنتُ ساقِيَ القومِ في منزلِ أبي طلحةَ، فنزلَ تحريم الخمر، فأمرَ مُنادياً فنادَى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوتُ، قال فخرجتُ فقلتُ: هذا مُنادٍ ينادِي: ألا إن الخمرَ قد حُرِّمَت. فقال لي: اذهَب فأهرِقها. قال فجرَت في سِكَكِ المدينة. قال وكانت خمرُهم يومئذ الفضيخُ، فقال بعض القوم: قُتلَ قومٌ وهي في بُطونهم، قال فأنزَل اللهُ {ليسَ على الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ جُناحٌ فيما طَعِموا}».

قوله (باب ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية) وذكر فيه حديث أنس «أن الخمر التي أهريقت الفضيخ» وسيأتي شرحه في الأشربة[1].

والوقت الذي وقع ذلك فيه زعم الواحدي أنه عقب قول حمزة «إنما أنتم عبيد لأبي» وحديث جابر يرد عليه. والذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان، لما روى أحمد من طريق عبد الرحمن بن وعلة قال: «سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال: «كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف أو دوس فلقيه يوم الفتح براوية خمر يهديها إليه، فقال: يا فلان أما علمت أن الله حرمها؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال: بعها. فقال: إن الذي حرم شربها حرم بيعها». وأخرجه مسلم من وجه آخر عن أبي وعلة نحوه، لكن ليس فيه تعيين الوقت.

وروى أصحاب السنن من طريق أبي ميسرة عن عمر أنه قال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافيا فنزلت الآية التي في البقرة {قل فيهما إثم كبير} فقرئت عليه، فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت التي في النساء {لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى} فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت التي في المائدة {فاجتنبوه -إلى قوله- منتهون} فقال عمر: انتهينا، انتهينا». وصححه علي بن المديني والترمذي.

قال ابن التين وغيره: في حديث أنس وجوب قبول خبر الواحد والعمل به في النسخ وغيره.

---

(١) كتاب الاشربة باب / ٣ ح ٥٥٨٢ - ٤ / ٢٧٥

١٢ ـ باب {لا تَسألوا عن أشياءَ إن تُبدَ لكم تَسُؤكم}

٤٦٢١ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «خطبَ رسولُ اللهِ ﷺ خطبةً ما سمعت مثلَها قطُّ، قال: لو تَعلمون ما أعلمُ لضَحِكتُم قليلاً ولَبَكَيتم كثيرا. قال فغطَّى أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ وجوهَهم لهم خَنين. فقال رجلٌ مَن أبي؟ قال: أبوك فلان. فنزلَت هذه الآية {لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبدَ لكم تُسُؤكم}».

٤٦٢٢ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «كان قومٌ يَسألون رسول اللهِ ﷺ استهزاءً، فيقول الرجلُ: من أبي؟ ويقول الرجلُ تَضلُّ ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل اللهُ فيهم هذهِ الآية {يا أيها الذين آمنوا لا تَسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تَسُؤكم} حتى فرغ من الآية كلها».

قوله (باب[1] قوله لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) وقال ابن العربي: اعتقد قوم من الغافلين منع أسئلة النوازل حتى تقع تعلقاً بهذه الآية، وليس كذلك، لأنها مصرحة بأن المنهي عنه ما تقع المساءة في جوابه، ومسائل النوازل ليست كذلك. وهو كما قال، إلا أنه أساء في قوله الغافلين على عادته كما نبه عليه القرطبي. وقد روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رفعه «أعظم المسلمين بالمسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسئلته، وهذا يبين المراد من الآية، وليس مما أشار إليه ابن العربي في شيء.

قوله (لهم حنين) قال الخطابي الحنين بكاء دون الانتحاب.

قوله (فقال رجل من أبي؟ قال: أبوك فلان) تقدم في العلم أنه عبد الله بن حذافة.

وروى ابن أبي حاتم من وجه آخر عن قتادة عن أنس قال: «سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فصعد المنبر فقال: لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به، فجعلت التفت عن يمين وشمال فإذا كل رجل لافٌّ ثوبه برأسه يبكي» الحديث، وفيه قصة عبد الله بن حذافة، وقول عمر روى الطبري من طريق أبي صالح عن أبي هريرة قال: «خرج رسول الله ﷺ غضبان محمار وجهه حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل فقال: أين أنا قال: في النار. فقام آخر فقال: من أبي؟ فقال: حذافة. فقام عمر -فذكر كلامه وزاد فيه- وبالقرآن إماما، قال فسكن غضبه ونزلت هذه الآية» وهذا شاهد جيد لحديث موسى بن أنس المذكور.

وجاء في سبب نزولها قولان آخران، فأخرج الطبري وسعيد بن منصور من طريق خصيف عن مجاهد عن ابن عباس: أن المراد بالأشياء البحيرة والوصيلة والسائبة والحام. قال فكان عكرمة يقول: إنهم كانوا يسألون عن الآيات، فنهوا عن ذلك. قال: والمراد بالآيات نحو سؤال

---

(١) في المتن بدون قوله وبدون التبويب في اليونينية.

قريش أن يجعل الصفا لهم ذهبا، وسؤال اليهود أن ينزل عليهم كتابًا من السماء ونحو ذلك. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عبد الكريم عن عكرمة قال: «نزلت في الذي سأل عن أبيه. وعن سعيد بن جبير في الذين سألوا عن البحيرة وغيرها، وعن مقسم فيما سأل الأمم أنبياءها عن الآيات.

قلت: وهذا الذي قاله محتمل، وكذا ما أخرج ابن أبي حاتم من طريق عطية قال: «نهوا أن يسألوا مثل ما سأل النصارى من المائدة فاصبحوا بها كافرين» وقد رجحه الماوردي.

ورجح ابن المنير نزولها في النهي عن كثرة المسائل عما كان وعما لم يكن، واستند إلى كثير مما أورده المصنف في «باب ما يكره من كثرة السؤال» في كتاب الاعتصام وهو متجه، لكن لا مانع أن تتعدد الأسباب، وما في الصحيح أصح. وفي الحديث إيثار الستر على المسلمين، وكراهة التشديد عليهم، وكراهية التنقيب عما لم يقع، وتكلف الأجوبة لمن يقصد بذلك التمرن على التفقه، فالله أعلم.

١٣ - باب {ما جعلَ اللهُ من بَحيرةٍ ولاسائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ}

{وإذ قال اللهُ} يقول: قال الله، {إذ} ها هنا صلة، {المائدة} أصلها مفعولة، كعيشة راضية، وتطليقة بائنةٍ، والمعنى: مِيد بها صاحبها من خير، مادَني يَميدني. وقال ابن عباس: مُتوفّيك: مُميتك.

٤٦٢٣ - عن سعيدِ بن المسيَّب قال: البَحيرةُ التي يُمنَع دَرُّها للطواغيت، فلا يَحلبها أحدٌ منَ الناس، والسائبةُ كانوا يُسيِّبونها لآلهتهم فلا يُحمَلُ عليها شيء. قال: وقال أبو هريرةَ: قال رسولُ الله ﷺ: رأيتُ عمرَو بن عامر الخزاعيَّ يجرُّ قُصبه في النار، كان أولَ مَن سيَّبَ السوائب: والوَصيلةُ الناقةُ البِكر تُبَكر في أول نِتاج الإبل بأنثى، ثم تُثَنِّي بعدُ بأنثى، وكانوا يُسَيِّبونهم لطواغيتهم أن وَصلَت إحداهُما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحام فحلُ الإبل يَضرب الضرابَ المعدودَ، فإذا قضى ضِرابَهُ وَدَعوهُ للطواغيت وأعفَوه منَ الحمل فلم يُحمَل عليهِ شيء، وسمَّوه الحاميَ».

٤٦٢٤ - عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: «قال رسولُ الله ﷺ: رأيتُ جهنَّمَ يَحطِمُ بعضُها بعضا، ورأيتُ عَمْراً يُجرُّ قُصبَه، وهو أولُ مَن سيَّبَ السوائب».

قوله (باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أي ما حرم، ولم يرد حقيقة الجعل لأن الكل خلقه وتقديره، ولكن المراد بيان ابتداعهم ما صنعوه من ذلك.

قوله (البحيرة التي يمنع درها للطواغيت) وهي الأصنام، فلا يحلبها أحد من الناس، والبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة، وهي التي بحرت أذنها أي خرمت.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: البحيرة من الإبل كانت الناقة إذا نتجت خمس بطون فإن كان الخامس ذكراً كان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى بتكت أذنها، ثم أرسلت فلم نجزُّوا لها وبراً، ولم شربَوا لها لبنا، ولم ركبوا لها ظهرا، وإن تكن ميتة فهم فيه شركاء الرجال والنساء.

قوله (والسائبة كانوا سيبونها لآلهتهم فلا حمل عليها شيء) قال أبو عبيدة: كانت السائبة من جميع الأنعام، وتكون من النذور للأصنام فتسيب فلا تحبس عن مرعى ولا عن ماء ولا يركبها أحد، قال: وقيل السائبة لا تكون إلا من الإبل، كان الرجل ينذر إن برىء من مرضه أو قدم من سفره ليسيبن بعيرا.

قوله (أن وصلت) أي من أجل.

وقال أبو عبيدة: كانت السائبة مهما ولدته فهو بمنزلة أمها إلى ستة أولاد، فإن ولدت السابع انثيين تركتا فلم تذبحا، وإن ولدت ذكرا ذبح وأكله الرجال دون النساء، وكذا إذا ولدت ذكرين، وإن أتت بتوأم ذكر وأنثى سموا الذكر وصيلة فلا يذبح لأجل أخته، وهذا كله إن لم تلد ميتاً، فإن ولدت بعد البطن السابع ميتاً أكله النساء دون الرجال.

قوله (والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود الخ) وكلام أبي عبيدة يدل على أن الحام إنما يكون من ولد السائبة، وقال أيضاً: كانوا إذا ضرب فحل من ولد البحيرة فهو عندهم حام، وقال أيضاً: الحام من فحول الإبل خاصة إذا نتجوا منه عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره، فأحموا ظهره ووبره وكل شيء منه فلم يركب ولم يطرق.

وقال الفراء: اختلف في السائبة فقيل كان الرجل يسيب من ماله ما شاء يذهب به إلى السدنة وهم الذين يقومون على الأصنام.

١٤ ـ باب {وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمتُ فيهم، فلما تَوَّفيتَني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم وأنتَ على كل شيء شهيد}

٤٦٢٥ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «خطَبَ رسولُ الله ﷺ فقال: يا أيها الناس، إنكم محشورونَ إلى الله حُفاةً عُراةً غُرلا، ثم قال: {كما بدأنا أولَ خلقٍ نُعيدهُ وَعداً علينا إنا كنّا فاعلين} إلى آخر الآية، ثم قال: ألا وإنَّ أولَ الخلائق يُكسى يومَ القيامة إبراهيمُ، ألا وإنهُ يُجاءُ برجالٍ من أمتي فيُؤخَذُ بهم ذاتَ الشمالِ، فأقولُ: يا ربِّ أُصَيحابي، فيقال: إنكَ لا تَدرِي ما أحدَثوا بعدَك. فأقولُ كما قال العبدُ الصالح {وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمتُ فيهم، فلما تَوَفيتَني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم} فيقال: إنَّ هؤلاء لم يَزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذ فارقتَهم».

قوله (باب وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) ذكر فيه حديث ابن عباس «إنكم محشورون إلى الله حفاة» الحديث، وسيأتي شرحه في الرقاق[١]، والغرض منه «فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم».

١٥ ـ باب {إن تُعذِّبهم فإنهم عبادُك، وإن تَغفِر لهم فإنكَ أنت العزيزُ الحكيم}

٤٦٢٦ ـ عن ابن عباسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «إنكم مَحشورون، وإنَّ ناساً يُؤخَذُ بهم ذاتَ الشمال، فأقول كما قال العبدُ الصالح {وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمتُ فيهم -إلى قوله- العزيزُ الحكيم}».

(٦) سورةُ الأنعام

قال ابن عباس: ثم لم تكن فِتنتُهم: مَعذِرتهم، مَعروشات: ما يُعرش من الكرم وغير ذلك، حمولةً: ما يُحمل عليها، وللبسنا: لشبهنا، لأنذِركم به: أهل مكة، ينأون: يتباعدون، تُبْسَل: تُفضح، أبسِلوا: أفضِحوا، باسطو أيديهم، البسط: الضرب، استكثرتم: أضللتم كثيرا، مما ذَرَأَ من الحَرث: جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً، أكنَّة: واحدها كنان، أمّا اشتملت، يعني هل تَشتمِل إلا على ذكرٍ أو أنثى؛ فلم تُحرِّمون بعضاً وتُحلون بعضا، مسفوحاً مُهراقاً، صَدَف: أعرَضَ، أبلِسوا: أويسوا، أبسلوا:أسلموا، سرمُداً: دائماً، استهوَته: أضلته، يَمترون: يَشُكون، وَقر: صمَم، وأما الوِقر فهو الحِمل، أساطيرُ: واحدُها أسطورة وإسطارة وهي التُّرَّهات، البأساء من البأس، ويكون منَ البؤس، جَهرةً: معاينةً الصُّوَر جماعة صورة كقوله سُورة وسُوَر مَلَكوت ومُلك، مثل: رهَبوتٌ خيرٌ من رَحَموت، ويقول: تُرهَب خيرٌ من أن تُرحم، جَنَّ: أظلم... تعالى: علا وإن تعدل: تقسط لا يقبل منها في ذلك اليوم، يقال على الله حُسبانه أي حِسابه، ويقالُ حسباناً مَرامِيَ، ورجُوماً للشياطين، مُستَقَر في الصُّلب، ومُستودَعُ في الرَّحِم، القِنوُ: العذق، والاثنانِ قِنوانِ، والجماعة أيضاً قِنوانٌ، مثلِ صنوٍ وصِنْوان.

قوله (مما ذرأ من الحرث جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيباً، وللشياطن والأوثان نصيبا) وصله ابن أبي حاتم أيضاً عن ابن عباس في قوله {وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا} الآية قال: جعلوا لله فذكر مثله وزاد «فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوا للشياطين في نصيب الله لقطوه.

وقد تقدم في أخبار الجاهلية قول ابن عباس: إن سرك أن تعلم جهل العرب فأشار إلى هذه الآية.

---

(١) كتاب الرقاق باب / ٤٥ ح ٦٥٢٦ - ٥ / ٦٣.

قوله (وقراً[١] صمم) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {وفي آذانهم وَقْرا} أي الثقل والصمم وإن كانوا يسمعون، لكنهم صُمٌّ عن الحق والهدى، وقال معمر عن قتادة في قوله {على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا} قال: يسمعون بآذانهم ولا يعون منها شيئاً كمثل البهيمة تسمع القول ولا تدري ما يقال لها.

١ ـ باب {وعندَهُ مَفاتحُ الغيبِ لا يَعلمها إلاّ هو}

٤٦٢٧ ـ عن سالم بن عبدِ الله عن أبيه «أن رسولَ الله ﷺ قال: مَفاتحُ الغيبِ خمسٌ {إنَّ الله عندَ علمُ الساعة، ويُنزِّلُ الغيثَ، ويَعلم ما في الأرحام، وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرض تموت، إنَّ الله عليمٌ خبير}».

قوله (باب وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) المفاتح جمع مفتح بكسر الميم الآلة التي يفتح بها، مثل منجل ومناجل، وهي لغة قليلة في الآلة، والمشهور مفتاح بإثبات الألف وجمعه مفاتيح بإثبات الياء، وقد قرىء بها في الشواذ، قرأ ابن السميفع {وعنده مفاتيح الغيب} وقيل بل هو جمع مفتح بفتح الميم وهو المكان، ويؤيده تفسير السدي فيما رواه الطبري قال: مفاتيح الغيب خزائن الغيب.

وروى الطبري من طريق ابن مسعود قال: أعطي نبيكم ﷺ علم كل شيء إلا مفاتح الغيب، ويطلق المفتاح على ما كان محسوساً مما يحل غلقاً كالقفل، وعلى ما كان معنوياً كما جاء في الحديث «إن من الناس مفاتيح للخير» الحديث صححه ابن حبان من حديث أنس، ثم ذكر المصنف في الباب حديث ابن عمر «مفاتح الغيب خمس» أورده مختصراً، وساقه في تفسير سورة لقمان مطولاً[٢]، وسيأتي شرحه هناك مستوفى إن شاء الله تعالى.

٢ ـ باب {قل هوَ القادرُ على أن يبعثَ عليكم عذاباً من فَوقِكم} الآية

يَلبِسكم: يَخلِطَكم، من الالتباس، يَلبِسوا: يَخلِطوا. شِيَعاً: فِرَقاً

٤٦٢٨ ـ عن جابر رضيَ الله عنه قال: «لما نزلَت هذه الآية {قل هُوَ القادرُ على أن يبعثَ عليكم عَذاباً من فَوقكم} قال رسولُ الله ﷺ: أعوذُ بوجهك، قال: {أو من تحتِ أرجُلِكم} قال: أعوذُ بوجهك، {أو يَلبِسَكم شِيَعاً ويُذِيقَ بَعضَكم بأسَ بعض} قال رسولُ الله ﷺ: هذا أهْوَن، أو هذا أيسر».

[الحديث ٤٦٢٨ - طرفاه في: ٧٣١٣، ٧٤٠٦]

قوله (شيعاً فرقا) هو كلام أبي عبيدة أيضاً وزاد: واحدتها شيعة، وللطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبّاس في قوله {شيعا} قال الأهواء المختلفة.

---

(١) رواية الباب واليونينية "وقر صمم".
(٢) كتاب التفسير "لقمان" باب / ٢ ح ٤٧٧٨ - ٨ / ٥١٤ ص ٢٩١.

قوله (هذا أهون أو هذا أيسر) ووقع في الاعتصام «هاتان أهون أو أيسر أي خصلة الالتباس وخصلة إذاقة بعضهم بأس بعض، وقد روى ابن مردويه من حديث ابن عباس ما يفسر به حديث جابر ولفظه عن النبيّ ﷺ قال: «دعوت الله أن يرفع عن أمتي أربعاً، فرفع عنهم ثنتين وأبى أن يرفع عنهم اثنتين: دعوت الله أن يرفع عنهم الرجم من السماء والخسف من الأرض وأن لا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فرفع الله عنهم الخسف والرجم، وأبى أن يرفع عنهم الأخريين» فيستفاد من هذه الرواية المراد بقوله {من فوقكم أو من تحت أرجلكم} ويستأنس له أيضاً بقوله تعالى {أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا} ووقع أصرح من ذلك عند ابن مردويه من حديث أبي بن كعب قال في قوله تعالى {عذاباً من فوقكم} قال الرجم {أو من تحت أرجلكم} قال الخسف.

وفي الحديث دليل على أن الخسف والرجم لا يقعان في هذه الأمة، وفيه نظر فقد روى أحمد والطبري من حديث أبي بن كعب في هذه الآية {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم} الآية قال: «هن أربع، وكلهن وقع لا محالة، فمضت اثنتان بعد وفاة نبيهم بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض، وبقيت اثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم، وقد أعل هذا الحديث بأن أبي بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين من الوفاة النبوية فكأن حديثه انتهى عند قوله لا محالة والباقي من كلام بعض الرواة، وأعل أيضاً بأنه مخالف لحديث جابر وغيره. وأجيب بأن طريق الجمع أن الإعادة المذكورة في حديث جابر وغيره مقيدة بزمان مخصوص وهو وجود الصحابة والقرون الفاضلة، وأما بعد ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم.

ويحتمل في طريق الجمع أيضاً أن يكون المراد أن ذلك لا يقع لجميعهم وإن وقع لأفراد منهم غير مقيد بزمان كما في خصلة العدو الكافر والسنة العامة فإنه ثبت في صحيح مسلم في حديث ثوبان رفعه في حديث بأوله «إن الله زوى لي مشارق الأرض ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها» الحديث، وفيه «وإني سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من غير أنفسهم وأن لا يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، فقال: يا محمد إني إذا قضيتُ قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من غيرهم يستبيح بيضتهم حتى يكون بعضهم يهلك بعضا.

وقد وردت الاستعاذة من خصال أخرى: منها عن ابن عباس عند ابن مردويه مرفوعاً «سألت ربي لأمتي أربعاً فأعطاني اثنتين ومنعني اثنتين: سألته أن يرفع عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض فرفعهما» الحديث، ومنها حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم مرفوعا «سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم بالسنة

فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» وعند الطبري من حديث جابر بن سمرة نحوه لكن بلفظ «أن لا يهلكوا جوعا» وهذا مما يقوي أيضاً الجمع المذكور. فإن الغرق والجوع قد يقع لبعض دون بعض، لكن الذي حصل منه الأمان أن يقع عاماً.

٣ ـ باب {ولم يَلبِسوا إيمانَهم بظلم}

٤٦٢٩ ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: لما نزَلَت {ولم يَلبِسوا إيمانَهم بظلم} قال أصحابه: وأيُّنا لم يَظلِم؟ فنزَلَت {إنَّ الشركَ لظُلمٌ عظيم}

قوله (باب ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ذكر فيه حديث ابن مسعود قال: «لما نزلت {ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} قال أصحابه» أي أصحاب النبي ﷺ. وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الإيمان[١] بما أغنى عن إعادته.

٤ ـ باب {ويونُسَ ولُوطاً وكلا فضَّلنا على العالمين}

٤٦٣٠ ـ عن ابن عمِّ نبيِّكم -يعني ابنَ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما- عنِ النبيِّ ﷺ قال: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونسَ بن متَّى»

٤٦٣١ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونسَ بن متى».

قوله (باب[٢] قوله ويونس ولوطا) ذكر فيه حديثي ابن عباس وأبي هريرة «ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» وقد تقدم شرحه في أحاديث الأنبياء[٣].

٥ ـ باب {أولئك الذين هَدَى الله، فبهُداهُم اقْتَدِه}

٤٦٣٢ ـ عن مُجاهد أنه «سألَ ابن عباسٍ أفي «ص» سجدةٌ؟ فقال: نعم، ثم تلا {ووهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ -إلى قولهِ فبهُداهم اقتدِه} ثم قال: هو منهم.

قوله (باب قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ذكر فيه حديث ابن عباس في السجود في «ص»، وسيأتي شرحه في تفسير[٤] «ص».

وقد اختلف: هل كان عليه الصلاة والسلام متعبداً بشرع من قبله حتى نزل عليه ناسخه؟ فقيل: نعم، وحجتهم هذه الآية ونحوها. وقيل: لا. وأجابوا عن الآية بأن المراد اتباعهم فيما

---

(١) كتاب الإيمان باب/ ٢٣ح ٣٢ - ١/ ٤٠.
(٢) ترجمة الباب واليونينية وبدون "قوله" وسقط التبويب في اليونينية
(٣) كتاب الأنبياء باب / ٣٥ ح ٣٤١٦ - ٣ / ٤٦
(٤) كتاب التفسير "ص" ح ٤٨٠٧ - ٣ / ٤٦

أنزل عليه وفاقه ولو على طريق الإجمال فيتبعهم في التفصيل، وهذا هو الأصح عند كثير من الشافعية، واختاره إمام الحرمين ومن تبعه، واختار الأول ابن الحاجب، والله أعلم.

٦ ـ باب {وعلى الذين هادُوا حَرَّمنا كلَّ ذِي ظفرٍ، ومنَ البقرِ والغَنَم حرَّمنا عليهم شُحُومَها} الآية

قال ابنُ عباس: كلُّ ذي ظُفرٍ البعيرُ والنعامة. الحَوايا المَبْعَر. وقال غيرهُ: هادوا صاروا يهوداً. وأما قوله هدنا تُبْنا، هائد تائب.

٤٦٣٣ ـ عن جابر بن عبد الله رضيَ الله عنهما سمعتُ النبيَّ ﷺ قال: «قاتلَ اللهُ اليهودَ، لما حرَّمَ اللهُ عليهم شُحومَها جَملوها ثم باعوها فأكلوها».

قوله (كل ذي ظفر البعير والنعامة) وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «كل ذي ظفر هو الذي ليس بمنفرج الأصابع، يعني ليس بمشقوق الأصابع، منها الإبل والنعام، وإسناده حسن.

قوله (الحوايا: المبعر) وقال سعيد بن جبير الحوايا المباعر أخرجه ابن جرير وقال: الحوايا جمع حوية وهي ما تحوي واجتمع واستدار من البطن وهي نبات اللبن وهي المباعر وفيها الأمعاء، قال: ومعنى الكلام إلا ما حملت ظهورهما وإلا ما حملت الحوايا، أي فهو حلال لهم.

ثم ذكر المصنف حديث جابر «قاتل الله اليهود حرمت عليهم شحومها» الحديث، وقد تقدم شرحه في أواخر كتاب البيوع[١].

٧ ـ باب {ولا تَقربوا الفَواحِشَ ما ظَهرَ منا وما بَطن}

٤٦٣٤ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه قال: «لا أحدَ أغيرُ من الله، ولذلك حرَّمَ الفَواحش ما ظهرَ منها وما بطن. ولا شيءَ أحبُّ إليه المدحُ منَ الله ولذلك مدحَ نفسه. قلتُ: سمعتَه من عبد الله؟ قال: نعم. قلت: ورفعهُ؟ قال: نعم».

[الحديث ٤٦٣٤ - طرفاه في: ٤٦٣٧، ٧٤٠٣]

قوله (باب قوله[٢] تعالى {ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن} ذكر فيه حديث ابن مسعود «لا أحد أغير من الله» وسيأتي شرحه في كتاب التوحيد[٣] إن شاء الله تعالى.

٨ ـ باب وكيلٌ: حفيظٌ ومحيطٌ به. قُبُلاً: جمع قَبيل، والمعنى أنه ضُروبٍ للعذاب، كلُّ

(١) كتاب البيوع باب / ١١٢ ح ٢٢٣٦ - ٢ / ٢٩١.
(٢) ترجمة الباب واليونينية بدون "قوله تعالى" ..
(٣) كتاب التوحيد باب /٢٠ ح ٧٤١٦ - ٥ / ٥٦١.

ضَرْب منها قَبِيل. زُخرفَ القول: كل شيء حسَّنته ووشَّيْته وهو باطل فهو زُخرف. وحرثٌ حِجر: حرام، وكل ممنوع فهو حِجر محجور؛ والحِجر كلُّ بناء بنيته، ويقال للأنثى من الخيل حِجر، ويقال للعقل حِجاً وحجر، وأما الحِجر فموضع ثمود، وما حَجرت عليه من الأرض فهو حِجرٌ، ومنه سُمي حَطيم البيت حِجراً كأنه مشتق من محطوم مثل قتيل من مقتول، وأما حَجر اليمامة فهو منزل.

قوله (قبلا جمع قبل، والمعنى أنه ضروب للعذاب كل ضرب منها قبيل) انتهى. هو من كلام أبي عبيدة أيضاً لكن بمعناه، قال في قوله تعالى {وحشرنا عليهم كل شيء قبلا} قال فمعنى حشرنا جمعنا وقبلا جمع قبيل أي صنف. وروى ابن جرير عن مجاهد قال: قبلا أي أفواجا قال ابن جرير: أي حشرنا عليهم كل شيء قبيلة قبيلة صنفا صنفا وجماعة جماعة، فيكون القبل جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة، فيكون القبل جمع الجمع.

وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {كل شيء قبلا} أي معاينة.

قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون القبل جمع قبيل وهو الضمين والكفيل، أي وحشرنا عليهم كل شيء كفيلا يكفلون لهم أن الذي نعدهم حق، وهو بمعنى قوله في الآية الأخرى {أو تأتي بالله والملائكة قبيلا} انتهى، ولم أر من فسره بأصناف العذاب، فليحرر هذا.

٩ ـ باب {قل هَلُمَّ شُهداءكم}

لغة أهل الحجاز هلُم للواحد والإثنين والجمع.

٤٦٣٥ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ، لا تقومُ الساعةُ حتى تَطْلعَ الشمسُ من مغربها، فإذا رآها الناسُ آمن من عليها، فذاك حينَ لا يَنفعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنَت من قبلُ».

١٠ ـ باب {لا يَنفع نفساً إيمانها}

٤٦٣٦ ـ عن أبي هريرةَ رضىَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: لا تقومُ الساعةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغرِبها، فإذا طلَعت ورآها الناسُ آمَنوا أجمعون، وذلك حينَ لا يَنفعُ نفساً إيمانُها، ثمَّ قرأ اية».

قوله (باب لا ينفع نفساً إيمانها) ذكر فيه حديث أبي هريرة في طلوع الشمس من المغرب، وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب الرقاق[1] إن شاء الله تعالى.

---

(١) كتاب الرقاق باب / ٤٠ ح ٦٥٠٦ - ٥/ ٥٤

(٧) سورة الأعراف

قال ابنُ عباس: ورِيشاً: المال، إنه لا يحب المعتدِين: في الدعاءِ وفي غيره، عَفوا: كَثُروا وكثُرَت أموالهم، الفَتاح: القاضي افتح بيَننا: اقضِ بَيننا، نَتقنا الجبل: رفعنا، انبَجَسَت: انفجَرَت مُتَبَّر: خُسران، آسى: أحزَن، تَأسَ تَحزَن، وقال غيرهُ: ما منَعَك أن لا تَسجُد: يقول ما منعك أن تَسجُد، يَخصِفان: أخذا الخِصافَ من ورق الجنة، يُؤلِفانِ الورقَ يَخصِفان الورق بعضه إلى بعض، سَوآتهما: كناية عن فرجيهما، ومَتاعٌ إلى حين: هو ها هنا إلى يوم القيامة، والحين عند العرب من ساعة إلى ما لا يحصى عددها، الرِّياش والرِّيش واحد، وهو ما ظهر من اللباس، قبيله: جيله الذي هو منهم: ادّاركوا اجتمعوا، ومَشاقُّ الإنسان والدابةِ كلُّها يسمَّى سُموما واحدُها سَمّ، وهي عيناهُ ومَنخراه وفمه وأُذُناهُ ودُبرهُ وإحليله، غَواش: ما غُشُّوا به، نُشُراً متفرِّقة، نَكداً: قليلا: يَغنَوا: يَعيشوا، حَقيقٌ: حق، استرهَبوهم منَ الرهبةِ، تَلقَف: تَلقَم، طائرُهم حَظُّهم، طُوفان من السَّيلِ، ويقال للموت الكثير الطوفان، القمل: الحمنان، يَشبهُ صغارَ الحَلَم عُروش وعَريش بناء، سُقِط: كل مَن نَدمَ فقد سُقِط في يده، الأسباط: قبائل بني إسرائيل، يَعدون في السبت: يَتعدَّون له، يُجاوِزون، تَعدُ تُجاوِزُ شُرَّعاً: شَوارعَ، بئيس: شديد، أخْلَد: قعد تَقاعَس، سنستدرجهُم نأتيهم من مأمَنهم كقوله تعالى: {فأتاهم اللهُ من حيث لم يَحتَسِبوا} من جِنَّة: من جنون، أيان مرساها: متى خروجها، فمرَّت به: استمرَّ بها الحَملُ فأتمَّه، يَنزَغنَك: يَستخفَّنَّك، طيف مُلِمٌّ به لمم، ويقال طائف وهو واحد، يَمدُّونهم يُزَيِّنون، وخِيفة خَوفاً، وخُفية من الإخفاء. والآصال واحدُها أصيل وهو ما بين العصر إلى المغرب، كقولهِ بُكرةً وأصيلا.

قوله (سورة الاعراف) اختلف في المراد بالأعراف في قوله تعالى {وعلى الأعراف رجال} فقال فعن أبي مجلز هم ملائكة وكلوا بالصور ليميزوا المؤمن من الكافر، واستشكل بأن الملائكة ليسوا ذكوراً ولا إناثا فلا يقال لهم رجال، وأجيب بأنه مثل قوله في حق الجن {كانوا يعوذون برجال من الجن} كذا ذكره القرطبي في «التذكرة» وليس بواضح، لأن الجن يتوالدون فلا يمتنع أن يقال فيهم الذكور والإناث، بخلاف الملائكة.

قوله (إنه لا يحب المعتدين في الدعاء) وقد جاء نحو هذا مرفوعاً أخرجه أحمد وأبو داود من حديث سعد بن أبي وقاص أنه سمع ابنا له يدعو فقال «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء» وقرأ هذه الآية. وأخرج أيضاً ابن ماجه

من حديث عبد الله بن مغفل أنه سمع ابناً له يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، فذكر نحوه، لكن لم يقل وقرأ الآية. والاعتداء في الدعاء يقع بزيادة الرفع فوق الحاجة أو بطلب ما يستحيل حصوله شرعاً أو بطل معصية أو بدعو بما لم يؤثر خصوصاً ما وردت كراهته كالسجع المتكلف وترك المأمور، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى.

قوله (نتقنا الجبل رفعنا. انبجست انفجرت) تقدم شرحهما في أحاديث الأنبياء[١].

قوله (ما منعك أن لا تسجد، يقول ما منعك أن تسجد)

قوله (يخصفان أخذا الخصاف من ورق الجنة، يؤلفان الورق يخصفان الورق بعضه إلى بعض) كذا لأبي عبيدة لكن باختصار. وروى ابن جرير بإسناد حسن عن ابن عباس في قوله {وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة} قال جعلا يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوآتهما.

قوله (الفتاح القاضي، افتح بيننا اقض) كذا وقع هنا، والفتاح لم يقع في هذ السورة وإنما هو في سورة سبأ، وكأنه ذكره هنا توطئة لتفسير قوله في هذه السورة {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق} ولعله وقع فيه تقديم وتأخير من النساخ، فقد قال أبو عبيدة في قوله {افتح بيننا وبين قومنا} أي احكم بيننا وبين قومنا.

وروى ابن جرير من طرق عن قتادة عن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما معنى قوله {افتح بيننا} حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: انطلق أفاتحك.

قوله (ومشاق الإنسان والدابة كلها تسمى[٢] سموماً واحدها سم، وهي عيناه ومنخراه وفمه وأذناه ودبره وإحليله) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {في سم الخياط} أي ثقب الإبرة وكل ثقب من عين أو أنف أو أذن أو غير ذلك فهو سم والجمع سموم. ووقع في بعض النسخ «مسام الإنسان» بدل مشاق وهي بمعناه.

قوله (غواش ما غشوا به) قال أبو عبيدة في قوله {ومن فوقهم غواش} واحدتها غاشية وهي ما غشاهم فغطاهم من فوقهم.

قوله (نكدا قليلا) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {والذي خبث لا يخرج إلا نكدا}: أي قليلا عسرا في شدة.

---

(١) كتاب الأنبياء باب / ٢٥ - ٣ / ٣٥.

(٢) رواية الباب واليونينية "..... يسمى سموماً .....".

قوله (طوفان من السيل ويقال للموت الكثير الطوفان) قال أبو عبيدة: الطوفان من السيل ومن الموت البالغ الذريع، كأنه مأخوذ من أطاف به إذا عمه بالهلاك.

وروى ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أرسل عليهم المطر حتى خافوا الهلاك، فأتوا موسى فدعا الله فرفع ثم عادوا.

قوله (عروش وعريش بناء) وقال أبو عبيدة في قوله تعالى {وما كانوا يعرشون} أي يبنون، وعرش مكة خيامها، وقد تقدم في سورة الأنعام تفسير {معروشات}.

قوله (الأسباط قبائل بني إسرائيل) هو قول أبي عبيدة وزاد: واحدها سبط، تقول من أي سبط أنت؟ أي من أي قبيلة وجنس؟ انتهى. والأسباط في ولد يعقوب كالقبائل في ولد إسماعيل.

وقيل للحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ لانتشار ذريتهما، ثم قيل لكل ابن بنت سبط.

قوله (طيف ملم به لم، ويقال طائف وهو واحد) قال أبو عبيدة في قوله {إذا مسهم طائفة} ألم انتهى. واللمم يطلق على ضرب من الجنون وعلى صغار الذنوب، واختلف القراء فمنهم من قرأ طائف ومنهم من قرأ طيف، واختار ابن جرير الأولى واحتج بأن أهل التأويل فسروه بمعنى الغضب أو الزلة، وأما الطيف فهو الخيال، ثم حكى بعض أهل العربية أن الطيف والطائف بمعنى واحد، وأسند عن ابن عباس قال: الطائف اللمة من الشيطان.

قوله (يمدونهم يزيِّنون) قال أبو عبيدة في قوله {وإخوانهم يمدونهم في الغي} أي يزينون لهم الغي والكفر.

١ ـ باب {إنَّما حرَّمَ ربِّيَ الفَواحشَ ما ظَهرَ منها وما بَطَن}

٤٦٣٧ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه. قال: قلتُ: أنت سمعتَ هذا من عبد الله؟ قال: نعم ورفَعَهُ، قال: لا أحدَ أغيَرُ منَ الله، فلذلك حرَّمَ الفواحِشَ ما ظهرَ منها وما بَطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه المدحةُ من الله، فلذلك مدحَ نفسَه».

قوله (باب قول الله عز وجل: قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) ذكر فيه حديث ابن مسعود «لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش» وسيأتي شرحه في كتاب التوحيد، وقد حكى ابن جرير أن أهل التأويل اختلفوا في المراد بالفواحش، فمنهم من حملها على العموم وساق ذلك عن قتادة قال: المراد سر الفواحش وعلانيتها، ومنهم من حملها على نوع خاص وساق عن ابن عباس قال: كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأساً في السر ويستقبحونه في العلانية، فحرم الله الزنا في السر والعلانية.

٢ ـ باب {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمهُ ربُّه قال ربِّ أرني أنظر إليك، قال: لن تَراني، ولكنِ انظرَ إلى الجبلِ فإنِ استقرَّ مكانَهُ فسوفَ تراني، فلما تجلى ربُّه للجبلِ جَعلَهُ دكاً وخرَّ موسى صَعقاً، فلما أفاقَ قال سُبحانَكَ تُبتُ إليكَ وأنا أوَّلُ المؤمنين}

قال ابن عباس: أرِني أعطني.

٤٦٣٨ ـ عن أبي سعيد الخُدريِّ رضيَ الله عنه قال: «جاء رجلٌ منَ اليهود إلى النبيِّ قد لُطِمَ وجههُ وقال: يا محمد إنَّ رجلاً من أصحابِك من الأنصارِ لَطَم وجهي. قال: ادعوهُ، فدعوهُ، قال: لَم لطمتَ وجهَه؟ قال: يا رسولَ الله، إني مررتُ باليهود، فسمعتهُ يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، فقلت: وعلى محمد؟ وأخذَتني غضبة فلطمته. قال: لا تُخَيِّروني من بين الأنبياء، فإنَّ الناسَ يَصعقَون يومَ القيامة، فأكون أولَ من يُفيقُ، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائمَ العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جُزِيَ بصَعقةِ الطُّور.

قوله (باب {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك} الآية. قال ابن عباس: أرني أعطني) تواترت الأخبار النبوية بوقوع هذه الرؤية للمؤمنين في الآخرة وبإكرامهم بها في الجنة، ولا استحالة فيها فوجب الإيمان بها، وبالله التوفيق. وسيأتي مزيد لهذا في كتاب التوحيد[١] حيث ترجم المصنف {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}.

قوله (جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه) الحديث تقدم شرحه مستوفى في أحاديث الأنبياء[٢].

المنُّ والسَّلوَى

٤٦٣٩ ـ عن سعيد بن زيد عنِ النبيِّ ﷺ قال: الكمأةُ منَ المنِّ، وماؤها شِفاءُ العين».

قوله (المن والسلوى) ذكر فيه حديث سعيد بن زيد في الكمأة، وسيأتي شرحه في الطب[٣].

---

(١) كتاب التوحيد باب / ٢٤ ح ٧٤٣٤ – ٥ / ٥٦٩.
(٢) كتاب الأنبياء باب / ٣١ ح ٣٤٠٨ – ٣ / ٤١.
(٣) كتاب الطب باب / ٢٠ ح ٥٧٠٨ – ٤ / ٣٢٢.

٣ ـ باب {قل يا أيها الناسُ إني رسولُ اللهِ إليكم جميعاً الذي له مُلكُ السماوات والأرضِ، لا إله إلا هو يحيي ويميت، فآمنوا بالله ورسولِهِ النبي الأمي الذي يؤمنُ بالله وكلماتهِ واتبعوهُ لعلكم تَهتدون}

٤٦٤٠ ـ عن أبي الدَّرداءِ قال: «كانت بينَ أبي بكرٍ وعمرَ محاورة فأغضب أبو بكر عمرَ فانصرَف عنه عمرُ مُغضباً، فاتَّبعَهُ أبو بكرٍ يَسألهُ أن يَستغفرَ له، فلم يَفعل، حتى أغلقَ بابَهُ في وجههِ. فأقبلَ أبو بكر إلى رسولِ الله ﷺ -فقال أبو الدَّرداءِ: ونحنُ عندَه- فقال رسولُ الله ﷺ: أما صاحبكم هذا فقد غامرَ. قال ونَدِم عمرُ على ما كان منه، فأقبلَ حتى سلَّمَ وجَلسَ إلى النبيِّ ﷺ وقصَّ على رسولِ الله ﷺ الخبرَ. قال أبو الدرداء: وغضِبَ رسول الله ﷺ وجعلَ أبو بكرٍ يقول: واللهِ يا رسولَ الله، لأنا كنتُ أظلَم. فقال رسول اللهِ ﷺ: هل أنتم تاركو لي صاحبي، هل أنتم تاركو لي صاحبي إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، فقلتم: كذَبتَ، وقال أبو بكرٍ: صدَقت». قال أبو عبد الله: غامر سبق بالخير.

قوله (باب قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) ذكر فيه حديث أبي الدرداء فيما كان بين أبي بكر وعمر، وقد تقدم شرحه مستوفى في مناقب أبي بكر.

٤ ـ باب {وقولوا حطة}

٤٦٤١ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: قيل لبني إسرائيلَ {ادخُلوا البابَ سُجَّدا وقولوا حِطَّةٌ نَغفِر لكم خطاياكم} فبدَّلوا، فدخَلوا يَزحفون على أستاههم وقالوا: حبَّة في شَعرة».

قوله (فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة) كذا للأكثر وللكشميهني والحاصل أنهم خالفوا ما أمروا به من الفعل والقول فإنهم أمروا بالسجود عند انتائهم شكراً لله تعالى وبقولهم حطة، فبدلوا السجود بالزحف وقالوا حنطة بدل حطة،أو قالوا حطة وزادوا فيها حبة في شعيرة. ويستنبط منه أن الأقوال المنصوصة إذا تعبد بلفظها لا يجوز تغييرها ولو وافق المعنى. وليست هذه مسألة الرواية بالمعنى بل هي متفرعة منها، وينبغي أن يكون ذلك قيداً في الجواز، أعني يزاد في الشرط أن لا يقع التعبد بلفظه ولا بد منه، ومن أطلق فكلامه محمول عليه.

٥ ـ باب {خُذِ العفوَ وأمُر بالعُرفِ وأعرِض عنِ الجاهلين}

العـرف: المعروف.

٤٦٤٢ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «قَدِمَ عُيينةُ بن حِصن بنُ حذيفةَ فنزلَ على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان منَ النفرِ الذين يُدنيهم عمر، وكان القُرَّاء أصحابَ مجالس عمرَ ومشاورتهِ كهولاً. كانوا أو شُبَّانا. فقال عيينةُ لابن أخيه: يا ابنَ أخي لكَ وجه عندَ هذا الأمير، فاستأذِن لي عليه، قال: سأستأذنُ لك عليه. قال ابنُ عباسٍ: فاستأذَن الحرُّ عيينة، فأذِنَ له عمر، فلما دخل عليه قال: هِيْ يا ابن الخطّاب، فواللهِ ما تُعطينا الجَزل، ولا تَحكُم بيننا بالعدل. فغضبَ عمرُ حتى همَّ به، فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إن اللهَ تعالى قال لنبيِّه ﷺ {خُذِ العفوَ، وأمر بالعُرف، وأعرِض عنِ الجاهلين} وإنَّ هذا من الجاهلين. واللهِ ما جاوزَها عمر حينَ تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله».

[الحديث ٤٦٤٢ – طرفه في: ٧٢٨٦]

٤٦٤٣ ـ عن عبد اللهِ بن الزُّبير {خذِ العفو وأمُر بالعُرف} قال: ما أنزَلَ اللهُ إلاّ في أخلاق الناس.

[الحديث ٤٦٤٣ – طرفه في: ٤٦٤٤]

٤٦٤٤ ـ عن عبد الله بن الزُّبير قال: أمر اللهُ نبيَّه ﷺ أن يأخذَ العفوَ من أخلاق الناس» أو كما قال.

قوله (أمر الله نبيه[١] أن يأخذ العفو من أخلاق الناس، أو كما قال) وروى عن جعفر الصادق: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها، ووجهوه بأن الأخلاق ثلاثة بحسب القوى الإنسانية: عقلية وشهوية وغضبية، فالعقلية الحكمة ومنها الأمر بالمعروف، والشهوية العفة ومنها أخذ العفو، والغضبية الشجاعة ومنها الإعراض عن الجاهلين، وروى الطبري مرسلاً وابن مردويه موصولاً من حديث جابر وغيره «لما نزلت {خذ العفو وأمر بالعرف} سأل جبريل فقال: لا أعلم حتى أسأله ثم رجع فقال: إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

(٨) سورةُ الأنفال

١ ـ باب قوله {يَسألونَكَ عنِ الأنفال قل الأنفال للهِ والرَّسول فاتقوا الله وأصلِحوا ذاتَ بينِكم}

قال ابن عباس: الأنفال المغانم. قال قتادةُ: رِيحكم الحربُ. يقال: نافلةٌ عطية

(١) في المتن واليونينية "... نبيه ﷺ.

٤٦٤٥ ـ عن سعيدِ بن جبير قال: «قلتُ لابن عباسٍ رضيَ الله عنهما: سورةُ الأنفال، قال: نزَلت في بدر». الشوكةُ الحدّ. مردَفين فوجاً بعد فَوج. رَدَفَني وأردَفَني جاء بعدي. ذوقوا باشروا وجرِّبوا. وليس هذا من ذوق الفم. فيركُمه يَجمعَه. شَرِّد فرِّق. وإن جَنحوا طلبوا. السِّلم والسَّلم والسلام واحد يُثخِن يَغلِب. وقال مجاهد: مُكاء إدخال أصابعهم في أفواههم وتَصْدية الصَّفير. ليُثْبِتوك ليحبِسوك

قوله (قال ابن عباس الأنفال المغانم) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «الأنفال المغانم، كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس لأحد فيها شيء» وروى أبو داود والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: من صنع كذا فله كذا، الحديث فنزلت {يسألونك عن الأنفال}».

قوله (وإن جنحوا طلبوا) قال أبو عبيدة في قوله {وإن جنحوا للسلم} أي رجعوا إلى المسالمة وطلبوا الصلح.

قوله (وتصدية الصفير) قال أبو عبيدة: المكاء الصفير والتصدية صفق الأكف.

قوله (فيركمه يجمعه) قال أبو عبيدة في قوله {فيركمه جميعاً} أي فيجمعه بعضه فوق بعض.

والحديث المذكور سيأتي بأتم من هذا في تفسير سورة الحشر[1]، ويأتي شرحه هناك.

باب {إنَّ شرَّ الدَّوابِّ عندَ الله الصُّمُّ البُكمُ الذين لا يَعقِلون}

٤٦٤٦ ـ عن ابن عباس {إن شرَّ الدَّوابِّ عند اللهِ الصُّمُّ البُكمُ الذين لا يَعقِلون} قال: هم نفرٌ من بني عبدِ الدار

٢ ـ باب {يا أيُّها الذين آمنوا استَجيبوا لله وللرسولِ إذا دعاكم لما يُحيِيكم، واعلَموا أن اللهَ يَحولُ بين المرءِ وقلبه، وأنهُ إليه تُحشَرون}

استَجيبوا أجيبوا، لما يُحيِيكم لما يُصلِحُكم.

٤٦٤٧ ـ عن أبي سعيدِ بن المعلى رضيَ الله عنه قال: «كنتُ أصلّي، فمرَّ بي رسولُ الله ﷺ فدَعاني فلم آتهِ حتى صلَّيتُ، ثم أتَيتهُ فقال: ما منعَكَ أن تأتي؟ ألم يَقلِ اللهُ {يا أيُّها الذين آمنوا استَجيبوا لله وللرسولِ إذا دَعاكم} ثم قال: لأعلِّمنَّك أعظمَ سورةٍ في القرآن قبلَ أن أخرُجَ. فذهبَ رسولُ اللهِ ﷺ ليَخرجَ، فذكَرتُ له». وقال مُعاذٌ حدَّثنا شعبة عن خُبيب بن عبد الرحمن سمع حفصاً سمعَ أبا سعيدٍ رجلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ وقال: «هي الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، السبعُ المثاني».

---

(١) كتاب التفسير "الحشر" باب / ١ ح ٤٨٨٢ - ٣ / ٧٠٨.

تقدم شرح الحديث في تفسير الفاتحة[١].

٣ ـ باب {وإذ قالوا اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندكَ فأمطرْ علينا حجارةً منَ السماء، أو ائتنا بعذابٍ أليم}

قال ابنُ عُيينة: ما سمى اللهُ مَطراً في القرآن إلاّ عذاباً، وتسمِّيه العربُ الغَيثَ، وهو قوله تعالى: {وهو الذي يُنزِّلُ الغيثَ من بعدِ ما قَنَطوا}

٤٦٤٨ ـ عن عبدِ الحميدِ هو ابنُ كُرديد صاحبُ الزِّياديِّ -سمعَ أنسَ بن مالكٍ رضيَ الله عنه «قال أبو جهلٍ {اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندكَ فأمطر علينا حجارةً منَ السماء، أو ائتِنا بعذابٍ أليم} فنزلَت {وما كان اللهُ ليُعذِّبهم وأنت فيهم، وما كان اللهُ مُعذِّبهم وهم يَستغفِرون. وما لهم أن لا يُعذِّبهم الله وهم يَصُدُّون عنِ المسجدِ الحرام} الآية».

[الحديث ٤٦٤٨ - طرفه في: ٤٦٤٩]

قوله (قال ابن عيينة الخ) كذا في تفسير ابن عيينة رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عنه قال: يقول ناس ما سمى الله المطر في القرآن إلا عذابا، ولكن تسميه العرب الغيث يريد قوله تعالى {وهو الذي ينزل الغيث} كذا وقع في تفسير حم عسق، وقد تعقب كلام ابن عيينة بورود المطر بمعنى الغيث في القرآن في قوله تعالى {إن كان بكم أذى من مطر} فالمراد به هنا الغيث قطعاً، ومعنى التأذي به البلل الحاصل منه للثوب والرجل وغير ذلك.

قوله (قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا الخ) ظاهر في أنه القائل ذلك، وإن كان هذا القول نسب إلى جماعة فلعله بدأ به ورضي الباقون فنسب إليهم.

وروى ابن جرير من طريق يزيد بن رومان أنهم قالوا ذلك ثم لما أمسوا ندموا فقالوا غفرانك اللهم، فأنزل الله {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن معنى قوله {وهم يستغفرون} أي من سبق له من الله أنه سيؤمن، وقيل المراد من كان بين أظهرهم حينئذ من المؤمنين، قاله الضحاك وأبو مالك ويؤيده ما أخرجه الطبري من طريق ابن أبزي قال: «كان رسول الله ﷺ بمكة، فأنزل الله تعالى {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} ثم خرج إلى المدينة فأنزل الله {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} وكان من بقي من المسلمين بمكة يستغفرون، فلما خرجوا أنزل الله {وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام} الآية، فأذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم الله تعالى. وروى الترمذي من حديث أبي موسى رفعه قال: «أنزل

(١) كتاب التفسير "الفاتحة باب / ١ ح ٤٤٧٤ - ٣ / ٤٤٧.

الله على أمتي أمانين» فذكر هذه الآية، قال: «فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار، وهو يقوي القول الأول والحمل عليه أولى، وأن العذاب حل بهم لما تركوا الندم على ما وقع منهم وبالغوا في معاندة المسلمين ومحاربتهم وصدهم عن المسجد الحرام، والله أعلم.

٤ ـ باب {وما كان الله ليُعذِّبَهم وأنتَ فيهم، وما كان اللهُ معذِّبهم وهم يستغفِرون}

٤٦٤٩ ـ عن أنس بن مالكٍ «قال أبو جَهل {اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندِك فأمطِرْ علينا حجارةً منَ السماءِ أو ائتِنا بعذابٍ أليم} فنزلَت {وما كان اللهُ ليُعذِّبَهم وأنتَ فيهم، وما كان اللهُ معذِّبهم وهم يستغفِرون. وما لهم أن لا يُعذِّبَهم الله وهم يَصدُّونَ عن المسجدِ الحرام} الآية».

٥ ـ باب {وقاتِلوهم حتى لا تَكونَ فِتنةٌ ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله}

٤٦٥٠ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما أن رجلاً جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمعُ ما ذكر الله في كتابه {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا} إلى آخر الآية، فما يَمنعك أن لا تُقاتلَ كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي أُعيَّر بهذه الآية ولا أُقاتل أحبُّ إليَّ من أن أُعيَّرَ بهذه الآية التي يقول الله تعالى {ومن يقتل مؤمناً متعمداً} إلى آخرها. قال: فإنَّ الله يقول: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة} قال ابنُ عمر: قد فعلنا على عهدِ رسول الله ﷺ إذ كان الإسلامُ قليلا، فكان الرجلُ يُفتَنُ في دِينه: إما يَقتلوه، وإما يوثقوه، حتى كثرَ الإسلامُ فلم تكن فتنة، فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في عليّ وعثمان؟ قال ابنُ عمر: ما قولي في عليّ وعثمان؟ أما عثمان فكان اللهُ قد عفا عنه، فكرِهتم أن يَعفوَ عنه، وأما عليّ فابن عم رسولِ الله ﷺ وخَتَنه -وأشار بيده- وهذه ابنتهُ أو بنته حيث ترون».

٤٦٥١ ـ عن سعيد بن جبير قال: «خرج علينا -أو إلينا- ابنُ عمرَ، فقال رجلٌ: كيف ترَى في قتالِ الفتنة؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمدٌ ﷺ يُقاتلُ المشركين، وكان الدخولُ عليهم فتنةً، وليس كقتالِكم على الملك».

قوله (أعير) والحاصل أن السائل كان يرى قتال من خالف الإمام الذي يعتقد طاعته وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلق بالملك، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الفتن.

وأما قوله «فما قولك في علي وعثمان» فيؤيد أن السائل كان من الخوارج، فإنهم كانوا يتولون الشيخين ويحطون عثمان وعليا، فرد عليه ابن عمر بذكر مناقبهما ومنزلتهما من النبي ﷺ والاعتذار عما عابوا به عثمان من الفرار يوم أحد فإنه تعالى صرح في القرآن

بإنه عفا عنهم، وقد تقدم في مناقب عثمان سؤال السائل لابن عمر عن عثمان وأنه فر يوم أحد وغاب عن بدر وعن بيعة الرضوان، وبيان ابن عمر له عذر عثمان في ذلك، فيحتمل أن يكون هو السائل هنا، ويحتمل أن يكون غيره وهو الأرجح لأنه لم يتعرض هناك لذكر علي وكأنه كان رافضياً، وأما عدم ذكره للقتال فلا يقتضي التعدد لأن الطريق التي بعدها قد ذكر فيها القتال ولم يذكر قصة عثمان والأولى الحمل على التعدد لاختلاف الناقلين في تسمية السائلين وإن اتحد المسئول والله أعلم.

قوله (هذه ابنته أو بنته)، في رواية النسائي «ولكن انظر إلى منزلته من نبي الله ﷺ ليس في المسجد غير بيته» وهذا يدل على أنه تصحف على بعض الرواة بيته ببنته فقرأها بنته. والمعتمد أنه البيت فقط لما ذكرنا من الروايات المصرحة بذلك. وتقدم أيضاً في مناقب أبي بكر أشياء تتعلق ببيت علي واختصاصه بكونه بين بيوت أزواج النبي ﷺ.

٦ - باب {يا أيها النبيُّ حَرِّضِ المؤمنين على القتال، إن يَكُن منكم عشرونَ صابرون يَغلِبوا مائتين، وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يَفقَهون}

٤٦٥٢ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما «لما نزَلَت {إن يكن منكم عشرون صابرون يَغلِبوا مائتين} فكُتبَ عليهم أن لا يَفِرَّ واحدٌ من عشرة، فقال سفيانُ غيرَ مرَّة: أن لا يَفِرَّ عشرون من مائتين، ثم نزلَت {الآن خففَ اللهُ عنكم} الآية، فكَتبَ أن لا يفِرَّ مائةٌ من مائتين، وزاد سفيانُ مرَّةً: نزلَت {حَرِّضِ المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون} قال سفيان وقال ابنُ شُبرُمة: وأرَى الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكرِ مثل هذا.

[الحديث ٤٦٥٢ - طرفه في: ٤٦٥٣]

قوله (فكتب عليهم أن لا يفر) أي فرض عليهم، والسياق وإن كان بلفظ الخبر لكن المراد منه الأمر لأمرين أحدهما أنه لو كان خبراً محضاً للزم وقوع خلاف المخبر به وهو محال فدل على أنه أمر، والثاني لقرينة التخفيف فإنه لا يقع إلا بعد تكليف، والمراد بالتخفيف هنا التكليف بالأخف لا رفع الحكم أصلاً.

قوله (أن لا يفر واحد من عشرة، فقال سفيان غير مرة أن لا يفر عشرون من مائتين) أي أن سفيان كان يرويه بالمعنى، فتارة يقول باللفظ الذي وقع في القرآن محافظة على التلاوة وهو الأكثر، وتارة يرويه بالمعنى وهو أن لا يفر واحد من العشرة، ويحتمل أن يكون سمعه باللفظين ويكون التأويل من غيره، ويؤيده الطريق التي بعد هذه فإن ذلك ظاهر في أنه من تصرف ابن عباس.

قوله (وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا) أي أنه عنده في حكم الجهاد، لجامع ما بينهما من إعلاء كلمة الحق وإخماد كلمة الباطل.

٧ - باب {الآن خفَّفَ الله عنكم وعلمَ أن فيكم ضَعفا}

الآية إلى قوله {واللهُ معَ الصابرين}.

٤٦٥٣ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «لما نزلَت {إن يكن منكم عشرون صابرون يَغلِبوا مائتين} شقَّ ذلك على المسلمين حين فرضَ عليهم أن لا يَفرَّ واحدٌ من عشرة، فجاء التخفيف فقال: {الآنَ خَفَّف اللهُ عنكم وعَلم أنَّ فيكم ضعفا، فإن يكن منكم مائةٌ صابرة يَغلِبوا مائتين} قال فلما خَفَّف اللهُ عنهم من العِدَّة نَقَص من الصبر بقدرِ ما خُفِّف عنهم».

قوله (شق ذلك على المسلمين) واستدل بهذا الحديث على وجوب ثبات الواحد المسلم إذا قاوم رجلين من الكفار وتحريم الفرار عليه منهما، سواء طلباه أو طلبهما، سواء وقع ذلك وهو واقف في الصف مع العسكر أو لم يكن هناك عسكر، وهذا هو ظاهر تفسير ابن عباس ورجحه ابن الصباغ من الشافعية وهو المعتمد لوجود نص الشافعي عليه في الرسالة الجديدة رواية الربيع ولفظه ومن نسخة عليها خط الربيع نقلت قال بعد أن ذكر للآية آيات في كتابه أنه وضع عنهم أن يقوم الواحد بقتال العشرة وأثبت عليهم أن يقوم الواحد بقتال الإثنين، ثم ذكر حديث ابن عباس المذكور في الباب وساق الكلام عليه، لكن المنفرد لو طلباه وهو على غير أهبة جاز له التولي عنهما جزما وإن طلبهما فهل يحرم؟ وجهان أصحهما عند المتأخرين لا، لكن ظاهر هذه الآثار المتضافرة عن ابن عباس يأباه وهو ترجمان القرآن وأعرف الناس بالمراد، لكن يحتمل أن يكون ما أطلقه إنما هو في صورة ما إذا قاوم الواحد المسلم من جملة الصف في عسكر المسلمين اثنين من الكفار، أما المنفرد وحده بغير العسكر فلا، لأن الجهاد إنما عهد بالجماعة دون الشخص المنفرد، وهذا فيه نظر، فقد أرسل النبي ﷺ بعض أصحابه سرية وحده، وقد استوعب الطبري وابن مردويه طرق هذا الحديث عن ابن عباس وفي غالبها التصريح بمنع تولي الواحد عن الإثنين، واستدل ابن عباس في بعضها بقوله تعالى {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله} وبقوله تعالى {فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك}

(٩) سورةَ بَراءة

مَرْصَد: طريق. إلا: الإل القرابة والذمة والعهد

وَلِيجة كل شيء أدخلتَه في شيء. الشُّقَّةُ: السفر. الخبال: الفساد، والخَبال: الموت. ولا تَفتنِّي لا تُوَبخني كرها وكُرها واحد. مُدخلاً يُدخَلون فيه. يَجمَحون: يُسرعون. والمُؤتفِكات

ائتفكت انقَلَبت بها الأرض، أهوَى: ألقاهُ في هُوَّة. عَدْن خُلد: عَدَنْتُ بأرضٍ أي أقمتُ، ومنه مَعدِن ويقال في معدِنِ صِدق في منبَت صدق. الخوالِف الخالف الذي خَلَفني فقعَد بعدي، ومنه يَخلُفُه في الغابرين ويجوز أن يكون النساء من الخالفة وإن كان جمع الذُكُورِ فإنه لم يوجد على تقدير جمعه إلا حرفان: فارس وفوارس، وهالك وهوالك. الخيرات واحدِها خَيرة وهي الفواضل. مُرْجَون: مُؤخَّرون. الشفا الشفير وهو حده. والجرف ما تَجرَّف من السيول والأودية. هارٍ هائر. لأوَّاهٌ شَفَقًا وفَرَقا. وقال:

إذا ما قمتُ أرحلها بليلٍ تأوَّهُ آهةَ الرجُل الحزيـنِ

قوله (سورة براءة) هي سورة التوبة وهي أشهر أسمائها، ولها أسماء أخرى تزيد على العشرة، واختلف في ترك البسملة أولها فقيل لأنها نزلت بالسيف، والبسملة أمان، وقيل لأنهم لما جمعوا القرآن شكّوا هل هي والأنفال واحدة أو ثنتان ففصلوا بينهم بسطر لا كتابة فيه ولم يكتبوا فيه البسملة. روى ذلك ابن عباس عن عثمان وهو المعتمد، وأخرجه أحمد والحاكم وبعض أصحاب السنن.

قوله (والمؤتفكات ائتفكت انقلبت بها الأرض) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {والمؤتفكات أتتهم رسلهم} هم قوم لوط ائتفكت بهم الأرض أي انقلبت بهم.

قوله (ويجوز أن يكون النساء من الخالفة، وإن كان جمع الذكور فإنه لم يوجد على تقدير جمعه إلا حرفان فارس وفوارس وهالك وهوالك) قال ابن قتيبة: الخوالف النساء ويقال خساس النساء ورذالتهم، ويقال فلان خالفة أهله إذا كان دينا فيهم، والمراد بالخوالف في الآية النساء والرجال العاجزون والصبيان فجمع جمع المؤنث تغليباً لكونهن أكثر في ذلك من غيرهن.

١ ـ باب {براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتُم منَ المشركين}

أذان: إعلام. وقال ابنُ عباس: أذنٌ يُصدِّق. تُطهرهُم وتُزكيهم بها ونحوها كثير. والزكاة الطاعة والإخلاص. لا يُؤتون الزكاة لا يَشهَدون أن لا إلهَ إلا الله. يضاهون يشبهون.

٤٦٥٤ ـ عن البراء رضيَ الله عنه قال: «آخرُ آيةٍ نزلت {يَستَفتونكَ قلِ اللهُ يُفتيكم في الكلالة}، وآخر سورة نَزَلَت براءة».

قوله (تطهرهم وتزكيهم بها ونحوها كثير) وفي بعض النسخ «ومثل هذا كثير» أي في القرآن، ويقال التزكية (والزكاة الطاعة والإخلاص) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن

أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {تطهرهم وتزكيهم بها} قال: الزكاة طاعة الله والإخلاص.

قوله (لا يؤتون الزكاة لا يشهدون أن لا إله إلا الله) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى {وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة} قال: هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله. وهذه الآية من تفسير فصلت ذكرها هنا استطراداً. وفي تفسير ابن عباس الزكاة بالطاعة والتوحيد دفع لاحتجاج من احتج بالآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة.

ثم ذكر حديث البراء في آخر آية نزلت وآخر سورة نزلت، فأما الآية فتقدم حديث ابن عباس في سورة البقرة وأن آخر آية نزلت آية الربا، ويجمع بأنهما لم ينقلاه وإنما ذكراه عن استقراء بحسب ما اطلعا عليه، وأولى من ذلك أن كلا منهما أراد آخرية مخصوصة، وأما السورة فالمراد بعضها أو معظمها وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، وأوضح من ذلك أن أول براءة نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر وقد نزل {اليوم أكملت لكم دينكم} وهي في المائدة في حجة الوداع سنة عشر، فالظاهر أن المراد معظمها، ولا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك وهي آخر غزوات النبي ﷺ، وسيأتي في تفسير {إذا جاء نصر الله} أنها آخر سورة نزلت وأذكر الجمع هناك إن شاء الله تعالى. وقد قيل في آخرية نزول براءة أن المراد بعضها، فقيل قوله {فإن تابوا وأقاموا الصلاة} الآية وقيل {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} وأصح الأقوال في آخرية الآية قوله تعالى {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله} كما تقدم في البقرة، ونقل ابن عبد السلام «آخر آية نزلت آية الكلالة، فعاش بعدها خمسين يوماً ثم نزلت آية البقرة» والله أعلم.

٢ ـ باب {فسِيحوا في الأرض أربعةَ أشهرٍ واعلموا أنكم غيرُ معجِزي الله، وأنَّ الله مُخزِي الكافرين}

فسيحوا: سِيروا

٤٦٥٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «بَعثني أبو بكرٍ في تلكَ الحَجَّة في مؤذنينَ بَعثَهم يومَ النحر يؤذنون بمنى أن لا يَحجَّ بعدَ العام مُشرِكٌ، ولا يَطوفَ بالبيت عُريان. قال حُميدُ بن عبد الرحمن: ثمَّ أردفَ رسولُ اللهِ ﷺ بعليٍّ بن أبي طالبٌ وأمرهُ أن يُؤذِّنَ ببراءة. قال أبو هريرة: فأذنَ معنا عليٌّ يومَ النَّحر في أهلِ منى ببَراءة، وأن لا يَحجَّ بعدَ العام مشرك، ولا يَطوفَ بالبيتِ عُريان».

٣ ـ باب {وأذانٌ من اللهِ ورسوله إلى الناس يومَ الحج الأكبر أنَّ الله بريء من المشركينَ وَرَسُولُهُ فإن تُبتم فهو خيرٌ لكم، وإن توليتم فاعلموا أنكم غيرُ مُعجِزِي الله، وبَشِّر الذين كفروا بعذاب أليم}

آذَنَهم أعلَمَهُمْ.

٤٦٥٦ ـ عن أبي هريرةَ قال: «بَعثَني أبو بكر رضيَ الله عنه في تلك الحَجَّة في المؤذنين بَعثَهم يومَ النَّحرِ يُؤذنونَ بمنى أن لا يَحُجَّ بعدَ العام مُشرِك، ولا يَطوفَ بالبيتِ عُريان. قال حُميدٌ: ثمَّ أردفَ النبيُّ ﷺ بعليٍّ بن أبي طالبٍ فأمرَه أن يُؤذِّنَ ببَراءة. قال أبو هريرةَ فأذَّن معنا عليٌّ في أهلِ مِنى يومَ النحرِ ببَراءة، وأن لا يَحجَّ بعدَ العامِ مشركٌ ولا يَطوفَ بالبيت عريان».

قوله (يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك) والمراد بالتأذين الإعلام، وهو اقتباس من قوله تعالى {وآذان من الله ورسوله} أي إعلام. وقد وقفت ممن سمي ممن كان مع أبي بكر في تلك الحجة على أسماء جماعة، منهم سعد بن أبي وقاص فيما أخرجه الطبري من طريق الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: «بعث رسول الله ﷺ أبا بكر، فلما انتهينا إلى ضجنان أتبعه عليا» ومنهم جابر روى الطبري من طريق عبد الله بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر «أن النبيَّ ﷺ بعث أبا بكرٍ على الحج فأقبلنا معه».

قوله (بعد العام) أي بعد الزمان الذي وقع فيه الإعلام بذلك.

وروى سعيد بن منصور والترمذي والنسائي والطبري من طريق أبي إسحق عن زيد بن يثيع قال «سألت علياً بأي شيء بعثت؟ قال: بأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مسلم مع مشرك في الحج بعد عامهم هذا، ومن كان له عهد فعهده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فاربعة أشهر» واستدل بهذا الكلام الأخير على أن قوله تعالى {فسيحوا في الأرض أربعة أشهر} يختص بمن لم يكن له عهد مؤقت أو لم يكن له عهد أصلا، وأما من له عهد مؤقت فهو إلى مدته، فروى الطبري من طريق ابن إسحق قال: هم صنفان، صنف كان له عهد دون أربعة أشهر فأمهل إلى تمام أربعة أشهر، وصنف كانت له مدة عهده بغير أجل فقصرت على أربعة أشهر.

قوله (وأن لا يحج بعد العام مشرك) هو منتزع من قوله تعالى {فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} والآية صريحة في منعهم دخول المسجد الحرام ولو لم يقصدوا الحج، ولكن لما كان الحج هو المقصود الأعظم صرح لهم بالمنع منه فيكون ما وراءه أولى بالمنع، والمراد بالمسجد الحرام هنا الحرم كله.

٤ ـ باب {إلا الذين عاهَدتم منَ المشركين}

٤٦٥٧ ـ عن أبي هريرةَ أن أبا بكرٍ رضي الله عنه بَعثه في الحجةِ التي أمَّرَه رسولُ اللهِ ﷺ عليها قبلَ حَجةِ الوَداع في رهطٍ يُؤذِّنُ في الناس أن لا يَحُجَّنَّ بعدَ العام مُشرِك ولا

يَطوفَ بالبيتِ عُريان، فكان حُميدٌ يقول: يومُ النَّحرِ يومُ الحجِّ الأكبر، من أجلِ حديثِ أبي هريرة».

قال العلماء: إن الحكمة في إرسال علي بعد أبي بكر أن عادة العرب جرت بأن لا ينقض العهد إلا من عقده أو من هو منه بسبيل من أهل بيته، فأجراهم في ذلك على عادتهم، ولهذا قال: «لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي» وروى أحمد والنسائي من طريق محرر بن أبي هريرة عن أبيه قال: «كنت مع علي حين بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ببراءة، فكنا ننادي أن لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله أربعة أشهر، فإذا مضت فإن الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحج بعد العام مشرك، فكنت أنادي حتى صحل صوتي» وقوله وإنما قيل الأكبر الخ في حديث ابن عمر عند أبي داود وأصله في هذا الصحيح رفعه «أي يوم هذا؟ قالوا: هذا يوم النحر، قال: هذا يوم الحج الأكبر» واختلف في المراد بالحج الأصغر فالجمهور على أنه العمرة، وصل ذلك عبد الرزاق من طريق عبد الله بن شداد أحد كبار التابعين، ووصله الطبري عن جماعة منهم عطاء والشعبي، وعن مجاهد: الحج الأكبر القِران والأصغر الإفراد، وقيل يوم الحج الأصغر يوم عرفة ويوم الحج الأكبر يوم النحر لأن فيه تتكمل بقية المناسك، وعن الثوري: أيام الحج تسمى يوم الحج الأكبر كما يقول يوم الفتح.

وفي رواية الترمذي من حديث علي مرفوعاً وموقوفا «يوم الحج الأكبر يوم النحر» ورجح الموقوف.

(تنبيه): اتفقت الروايات على أن حجة أبي بكر كانت سنة تسع، ووقع في حديث لعبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة في قوله {براءة من الله ورسوله} قال: «لما كان زمن خيبر اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة، ثم أمر أبا بكر الصديق على تلك الحجة، قال الزهري: وكان أبو هريرة يحدث أن أبا بكر أمره أن يؤذن ببراءة، ثم أتبع النبي ﷺ علياً» الحديث، قال الشيخ عماد الدين بن كثير: هذا فيه غرابة من جهة أن الأمير في سنة عمرة الجعرانة كان عتاب بن أسيد، وأما حجة أبي بكر فكانت سنة تسع، قلت: يمكن رفع الإشكال بأن المراد بقوله «ثم أمر أبا بكر» يعني بعد أن رجع إلى المدينة وطوى ذكر من ولي الحج سنة ثمان، فإن النبي ﷺ لما رجع من العمرة إلى الجعرانة فأصبح بها توجه هو ومن معه إلى المدينة، إلى أن جاء أوان الحج فأمر أبا بكر وذلك سنة تسع، وليس المراد أنه أمر أبا بكر أن يحج في السنة التي كانت فيها عمرة الجعرانة، وقوله «على تلك الحجة» يريد الآتية بعد رجوعهم إلى المدينة.

٥ ـ باب {فقاتِلوا أئمةَ الكفرِ إنهم لا أيمانَ لهمَ}

٤٦٥٨ ـ عن زيد بن وَهبٍ قال: «كنا عندَ حُذيفةَ فقال: ما بقيَ من أصحابِ هذهِ الآيةِ إلاّ ثلاثةٌ، ولا منَ المنافقينَ إلاّ أربعة -فقال أعرابيّ: إنكم أصحابَ محمد تُخبِرونَنا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يَبقُرون بيوتنا ويَسرِقون أعلاقَنا؟- قال: أولئك الفُسّاق أجلْ، لم يبقَ منهم إلا أربعة، أحدُهم شيخٌ كَبير لو شَرِبَ الماءَ البارد لما وَجدَ بَردَه».

٦ ـ باب {والذين يَكنِزون الذهبَ والفضةَ ولا يُنفِقونها في سبيلِ الله فبَشِّرْهم بعذاب أليم}

٤٦٥٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «يكون كنزُ أحدِكم يومَ القيامةِ شُجاعاً أقرع».

٤٦٦٠ ـ عن زيد بن وَهبٍ قال: «مَرَرتُ على أبي ذَرٍّ بالرَّبَذةِ فقلت: ما أنزَلَكَ بهذهِ الأرض؟ قال: كنّا بالشام، فقرأت {والذين يَكنِزون الذَّهبَ والفِضة ولا يُنفِقونها في سبيلِ الله فبشِّرْهم بعذابٍ أليم} قال معاوية: ما هذه فينا، ما هذهِ إلاّ في أهل الكتاب، قال: قلتُ: إنها لَفينا وفيهم».

قوله (باب[1]قوله تعالى فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم) قرأ الجمهور بفتح الهمزة من أيمان، أي لا عهود لهم وعن الحسن البصري بكسر الهمزة وهي قراءة شاذة، وقد روى الطبري من طريق عمار بن ياسر وغيره في قوله {إنهم لا أيمان لهم} أي لا عهد لهم، وهذا يؤيد قراءة الجمهور.

وروى الطبري من طريق الضحاك قال: أئمة الكفر رءوس المشركين من أهل مكة.

قوله (إلا ثلاثة) سمى منهم في رواية أبي بشر عن مجاهد أبو سفيان بن حرب، وفي رواية معمر عن قتادة أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان وسهيل بن عمرو، وتعقب بأن أبا جهل وعتبة قتلا ببدر وإنما ينطبق التفسير على من نزلت الآية المذكورة وهو حي، فيصح في أبي سفيان وسهيل بن عمرو وقد أسلما جميعا.

قوله (ولا من المنافقين إلا أربعة) لم أقف على تسميتهم.

قوله (يبقرون) أي ينقبون.

قوله (أعلاقنا) أي نفائس أموالنا.

قوله (أولئك الفساق) أي الذين يبقرون ويسرقون، لا الكفار ولا المنافقون.

---

(١) في المتن واليونينية بدون "قوله تعالى" وبدون التبويب في اليونينية.

قوله (أحدهم شيخ كبير) لم أقف على تسميته.

قوله (لو شرب الماء البارد لما وجد برده) أي لذهاب شهوته وفساد معدته، فلا يفرق بين الألوان ولا الطعوم.

٧ ـ باب {يوم يحمى عليها في نارِ جهنمَ فتُكوى بها جِباهُهم وجُنوبُهم وظُهورُهم هذا ما كنزتم لأنفُسِكم فذُوقوا ما كنتم تَكنِزون}

٤٦٦١ ـ عن خالدِ بن أسلم قال: «خَرَجنا مع عبدِ الله بن عمرَ فقال: هذا قبلَ أن تُنزَلَ الزكاةُ، فلما أنزلت جَعلَها اللهُ طُهراً للأموال».

قوله (يكون[١] كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع) كذا أورده مختصرا، وهو عند أبي نعيم في «المستخرج» من وجه آخر عن أبي اليمان وزاد «يفر منه صاحبه ويطلبه، أنا كنزك، فلا يزال به حتى يلقمه إصبعه.

وقد تقدم من وجه آخر عن أبي هريرة في كتاب الزكاة[٢] مع شرح الحديث.

٨ ـ باب {إنَّ عدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتابِ الله يوم خلق السماواتِ والأرضَ منها أربعةٌ حُرُم، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم}

القيِّم هو القائم.

٤٦٦٢ ـ عن أبي بكرة عنِ النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الزمان قد استدارَ كهيئتهِ يومَ خلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ، السنة اثنا عشرَ شهراً منها أربعةٌ حُرُم: ثلاثةٌ مُتَواليات ذو القَعدةِ وذو الحجةِ والمحرَّم ورجبُ مُضَر الذي بينَ جُمادَى وشعبان».

قوله (باب قوله[٣] {إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض} أي إن الله سبحانه وتعالى لما ابتدأ خلق السموات والأرض جعل السنة اثني عشر شهرا.

قوله (ذلك الدين القيم) قال أبو عبيدة في قوله {ذلك الدين القيم} مجازه القائم أي المستقيم، فخرج مخرج سيد، من ساد يسود كقام يقوم.

قوله ({فلا تظلموا فيهن أنفسكم} أي في الأربعة باستحلال القتال، وقيل بارتكاب المعاصي.

قوله (إن الزمان قد استدار كهيئته) تقدم الكلام عليه في أوائل بدء الخلق[٤]،وأن المراد بالزمان السنة.

---

(١) هذا الحديث في الباب الذي قبله وأخر شرحه إلى هذا الباب.
(٢) كتاب الزكاة باب / ٣ ح ١٤٠٣ - ١ / ٧٠٩
(٣) في المتن "باب إن عدةَّ الشهور ..." وفي اليونينية بدون ذكر الباب وبدون "قوله".
(٤) كتاب بدء الخلق باب / ٢ ح ٣١٩٧ - ٢ / ٧٢٠

قوله (السنة اثنا عشر شهرا) أي السنة العربية الهلالية، وذكر الطبري في سبب ذلك من طريق حصين بن عبد الرحمن عن أبي مالك: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا ومن وجه آخر كانوا يجعلون السنة اثني عشر شهرا وخمسة وعشرين يوما، فتدور الأيام والشهور كذلك.

قوله (ثلاث متواليات) هو تفسير الأربعة الحرم وفيه إشارة إلى إبطال ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من تأخير بعض الأشهر الحرم، فقيل: كانوا يجعلون المحرم صفرا ويجعلون صفراً المحرم لئلا يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يتعاطون فيها القتال، فلذلك قال: «متواليات» وكانوا في الجاهلية على أنحاء: منهم من يسمي المحرم صفرا فيحل فيه القتال» ويحرم القتال في صفر ويسميه المحرم، ومنهم من كان يجعل ذلك سنة هكذا وسنة هكذا، ومنهم من يجعله سنتين هكذا وسنتين هكذا، ومنهم من يؤخر صفرا إلى ربيع الأول وربيعاً إلى ما يليه وهكذا إلى أن يصير شوال ذا القعدة وذو القعدة ذا الحجة، ثم يعود فيعيد العدد على الأصل.

فمعنى الحديث أن الأشهر رجعت إلى ما كانت عليه وبطل النسيء.

٩ ـ باب {ثانيَ اثنينِ إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا}

معَنا: ناصِرُنا. السكينةُ: فَعيلةٌ من السكون

٤٦٦٣ ـ عن أبي بكر رضيَ الله عنه قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ في الغار، فرأيتُ آثارَ المشركين، قلتُ: يا رسولَ اللهِ، لو أنَّ أحدَهم رفعَ قدَمَهُ رآنا، قال: ما ظَنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالثهما».

٤٦٦٤ ـ عن ابن عباس رضيَ الله عنهما أنه قال: -حين وقعَ بَينهُ وبينَ ابن الزُّبير- قلت: «أبوهُ الزُّبير وأمُّه أسماءُ وخالته عائشَة وجدُّهُ أبو بكر وجدَّتهُ صَفية. فقلت لسفيان: إسنادُهُ؟ فقال: حدَّثنا. فشغَلَه إنسانٌ ولم يَقل «ابن جُريج».

[الحديث ٤٦٦٤ - طرفاه في: ٤٦٦٥، ٤٦٦٦]

٤٦٦٥ ـ عن ابنِ أبي مُليكَةَ «وكان بينهما شيءٌ، فغدَوتُ على ابن عبّاسٍ فقلتُ: أتريدُ أن تُقاتلَ ابنَ الزُّبير فتُحلَّ ما حَرَّمَ الله؟ فقال: مَعاذَ الله. إنَّ الله كتبَ ابنَ الزُّبير وبني أمية محلّين، وإني واللهِ لا أُحلُّه أبدا. قال: قال الناسُ بايعْ لابنِ الزُّبير، فقلت: وأينَ بهذا الأمرِ عنه، أما أبوه فحواريُّ النبيِّ ﷺ -يريد الزُّبيرَ- وأما جَدُّهُ فصاحبُ الغار -يريدُ أبا بكر- وأما أمهُ فذاتُ النطاق، يُريدُ أسماء. وأما خالته فأمُّ المؤمنين يريد

عائشة. وأما عمتهُ فزوج النبيِّ ﷺ، يريدُ خديجة. وأما عمة النبيِّ ﷺ فجدَّته، يريد صَفية، ثم عفيف في الإسلام، قارئٌ للقرآن واللهِ إن وَصَلوني وصلوني من قريب، وإن ربّوني ربّوني أكفاءٌ كرام. فآثرَ عليٌّ التَويتات والأسامات والحميدات يُريدُ أبطنًا من بني أسَد: بني تُوَيت وبني أسامة ومن أسد. أنَّ ابنَ أبي العاص برز يمشي القُدَمية، يعني عبدَ الملك ابن مروان. وإنه لوَّى ذَنَبَه، يعني ابنَ الزُّبير».

٤٦٦٦ ـ عن ابنِ أبي مُلَيكة «دَخلْنا على ابن عبّاس فقال: ألا تَعجبونَ لابنِ الزبير قام في أمرِه هذا فقلتُ: لأحاسبنَّ نفسي له، ما حاسبتها لأبي بكر ولا لعمر، ولَهما كانا أولى بكلِّ خيرٍ منه، وقلتُ: ابنُ عمةِ النبيِّ ﷺ وابن الزُّبير وابن أبي بكر وابن أخي خديجة وابن أختِ عائشة، فإذا هو يَتعلى عني ولا يُريد ذلك، فقلتُ ما كنتُ أظنُّ أني أعرِضُ هذا من نفسي فيدعُه، وما أُراهُ يريدُ خيراً، وإن كان لا بدَّ لأن يَرُبَّني بنو عمي أحبُّ إليَّ من أن يَرُبَّني غيرُهم».

قوله (حين وقع بينه وبين ابن الزبير) أي بسبب البيعة، وذلك أن ابن الزبير حين مات معاوية امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية وأصر على ذلك حتى أغرى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بالمدينة فكانت وقعة الحرة، ثم توجه الجيش إلى مكة فمات أميرهم مسلم بن عقبة وقام بأمر الجيش الشامي حصين بن نمير فحصر ابن الزبير بمكة، ورموا الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت. ففجأهم الخبر بموت يزيد بن معاوية فرجعوا إلى الشام، وقام ابن الزبير في بناء الكعبة، ثم دعا إلى نفسه فبويع بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز ومصر والعراق وخراسان وكثير من أهل الشام، ثم غلب مروان على الشام وقتل الضحاك بن قيس الأمير من قبل ابن الزبير بمرج راهط، ومضى مروان إلى مصر وغلب عليها، وذلك كله في سنه أربعة وستين، وكمل بناء الكعبة في سنة خمس، ثم مات مروان في سنة خمس وستين وقام عبد الملك ابنه مقامه، وغلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة ففر منه من كان من قبل ابن الزبير، وكان محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وعبد الله بن عباس مقيمين بمكة منذ قتل الحسين، فدعاهما ابن الزبير وحصرهم، فبلغ المختار فجهز إليهم جيشاً فأخرجوهما واستأذنوهما في قتال ابن الزبير فامتنعا، وخرجا إلى الطائف فأقاما بها حتى مات ابن عباس سنة ثمان وستين، ورحل ابن الحنفية بعده إلى جهة رضوى جبل بينبع فأقام هناك، ثم أراد دخول الشام فتوجه إلى نحو أيلة فمات في آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع وسبعين، وذلك عقب قتل ابن الزبير على الصحيح، وقيل عاش إلى سنة ثمانين أو بعد ذلك.

قوله (قال ابن أبي مليكة وكان بينهما شيء) مراده ابن عباس وابن الزبير.

قوله (فتحل ما حرم الله) أي من القتال في الحرم.

قوله (كتب) أي قدر.

قوله (محلين) أي أنهم كانوا يبيحون القتال في الحرم، وإنما نسب ابن الزبير إلى ذلك وإن كان بنو أمية هم الذين ابتدؤه بالقتال وحصروه وإنما بدأ منه أولاً دفعهم عن نفسه لأنه بعد ردهم الله عنه حصر بني هاشم ليبايعوه، فشرع فيما يؤذن بإباحته القتال في الحرم، وكان بعض الناس يسمي ابن الزبير «المحل» لذلك.

وقوله لا أحله أبدا أي لا أبيح القتال فيه، وهذا مذهب ابن عباس أنه لا يقاتل في الحرم ولو قوتل فيه.

قوله (قال قال الناس) القائل هو ابن عباس وناقل ذلك عنه ابن أبي مليكة فهو متصل، والمراد بالناس من كان من جهة ابن الزبير وقوله «بايع» بصيغة الأمر وقوله «وأين بهذا الأمر» أي الخلافة أي ليست بعيدة عنه لما له من الشرف بأسلافه الذين ذكرهم ثم صفته التي أشار إليها بقوله عفيف في الإسلام قارىء للقرآن.

قوله (والله إن وصلوني وصلوني من قريب) أي بسبب القرابة.

قوله (وإن ربّوني) من التربية.

قوله (أكفاء) أي أمثال واحدها كفء، وقوله «كرام» أي في أحسابهم، وظاهر هذا أن مراد ابن عباس بالمذكورين بنو أسد رهط ابن الزبير وكلام أبي مخنف الأخباري يدل على أنه أراد بني أمية، فإنه ذكر من طريق أخرى أن ابن عباس لما حضرته الوفاة بالطائف جمع بنيه فقال: «يا بني إن ابن الزبير لما خرج بمكة شددت أزره ودعوت الناس إلى بيعته وتركت بني عمنا من بني أمية الذين إن قبلونا قبلونا أكفاء، وإن ربونا ربونا كراما. فلما أصاب ما أصاب جفاني».

وأصرح من ذلك ما في خبر أبي مخنف فإن في آخره «أن ابن عباس قال لبنيه: فإذا دفنتموني فالحقوا ببني عمكم بني أمية».

قوله (التويتات والأسامات والحميدات يريد أبطنا من بني أسد) أما التويتان فنسبة إلى بني تويت بن أسد ويقال تويت بن الحارث ابن عبد العزى بن قصي، وأما الأسامات فنسبة إلى بني أسامة بن أسد بن عبد العزى، وأما الحميدات فنسبة إلى بني حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى.

قوله (أن ابن أبي العاص) يعني عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.

قوله (برز) أي ظهر.

قوله (يمشي القدمية) قال الخطابي وغيره: معناها التبختر وهو مثل يريد أنه برز يطلب معالي الأمور.

قوله (وأنه لوّى ذنبه) يعني ابن الزبير، لوى بتشديد الواو وبتخفيفها أي ثناه، وكنى بذلك عن تأخره وتخلفه عن معالي الأمور، وقيل كنى به عن الجبن وإيثار الدعة كما تفعل السباع إذا أرادت النوم، والأول أولى.

وقال الداودي: المعنى أنه وقف فلم يتقدم ولم يتأخر، ولا وضع الأشياء مواضعها فأدنى الناصح وأقصى الكاشح، وقال ابن التين معني «لوى ذنبه» لم يتم له ما أراده، وفي رواية أبي مخنف المذكورة «وأن ابن الزبير يمشي القهقرى» وهو المناسب لقوله في عبد الملك، يمشي القدمية، وكان الأمر كما قال ابن عباس؛ فإن عبد الملك لم يزل في تقدم من أمره إلى أن استنقذ العراق من ابن الزبير وقتل أخاه مصعباً، ثم جهز العساكر إلى ابن الزبير بمكة فكان من الأمر ما كان، ولم يزل أمر ابن الزبير في تأخر إلى أن قتل رحمه الله تعالى.

قوله (فإذا هو يتعلى عني) أي يترفع علي متنحيا عني.

قوله (ولا يريد ذلك) أي لا يريد أن أكون من خاصته.

قوله (ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي) أي أبدؤه بالخضوع له ولا يرضى منى بذلك، وقوله «وما أراه يريد خيرا» أي لا يريد أن يصنع بي خيرا.

١٠ ـ باب {والمؤلفةِ قلوبُهم وفي الرقاب}

قال مجاهد: يَتألَّفُهم بالعطية.

٤٦٦٧ ـ عن أبي سعيدٍ رضيَ اللهُ عنه قال: بُعثَ إلى النبيِّ ﷺ بشيءٍ، فقَسَمَهُ بين أربعةٍ وقال: أتألفهم. فقال رجلٌ: ما عَدَلتَ، فقال: يَخرُجُ من ضِئْضىءِ هذا قومٌ يمرُقونَ منَ الدين».

قوله (باب قوله[١] {والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب} قال مجاهد: يتألفهم بالعطية) ثم ذكر حديث أبي سعيد «بعث إلى النبي ﷺ بشيء فقسمه بين أربعة وقال أتألفهم، فقال رجل ما عدلت» أورده مختصراً جدا وأبهم الباعث والمبعوث وتسمية الأربعة والرجل القائل، وقد تقدم بيان جميع ذلك في غزوة حنين من المغازي[٢].

١١ ـ باب {الذينَ يَلمزونَ المطوِّعينَ من المؤمنين في الصدقات}

يَلمِزون يعيبون. وجُهدُهم وجَهدُهم طاقتهم

٤٦٦٨ ـ عن أبي مسعودٍ قال: «لما أُمرْنا بالصدَقةِ كنّا نَتَحاملُ، فجاءَ أبو عَقيلٍ

(١) الترجمة "باب «والمؤلفة .... الخ»" في اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) كتاب المغازي باب ٥٦ ح ٤٣٣٠ - ٣ / ٣٩٠.

بنصف صاعٍ وجاءَ إنسانٌ بأكثرَ منه، فقال المنافقون: إنَّ اللهَ لغنيٌّ عن صدَقةِ هذا، وما فعلَ هذا الآخرُ إلا رِئاءً، فنزلت {الذين يَلمِزونَ المطوِّعينَ منَ المؤمنين في الصدَقاتِ والذين لا يجدون إلا جُهدَهم} الآية».

٤٦٦٩ ـ عن أبي مسعودِ الأنصاريِّ قال: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يأمرُ بالصدقةِ، فيحتالُ أحدُنا حتى يَجيء بالمدِّ، وإن لأحدِهم اليومَ مائةَ ألفٍ. كأنهُ يُعرِّضُ بنفسه».

قوله (كنا نتحامل) أي يحمل بعضنا لبعض بالأجرة.

قوله في الحديث الثاني (فيحتال أحدنا حتي يجيء بالمد) يعني فيتصدق به.

قوله (وإن لأحدهم اليوم مائة ألف) لم يذكر مميز المائة ألف فيحتمل أن يريد الدراهم أو الدنانير أو الأمداد.

قال الأعمش: وكان أبو مسعود قد كثر ماله» قال ابن بطال: يريد أنهم كانوا في زمن الرسول يتصدقون بما يجدون، وهؤلاء مكثرون ولا يتصدقون، كذا قال وهو بعيد، وقال الزين بن المنير مراده أنهم كانوا يتصدقون مع قلة الشيء ويتكلفون ذلك، ثم وسع الله عليهم فصاروا يتصدقون من يسر ومع عدم خشية عسر. قلت: ويحتمل أن يكون مراده أن الحرص على الصدقة الآن لسهولة مأخذها بالتوسع الذي وسع عليهم أولى من الحرص عليها مع تكلفهم، أو أراد الإشارة إلى ضيق العيش في زمن الرسول وذلك لقلة ما وقع من الفتوح والغنائم في زمانه، وإلى سعة عيشهم بعده لكثرة الفتوح والغنائم.

١٢ ـ {باب استَغفِرْ لهم أو لا تَستَغفِرْ لهم، إن تستغفِرَ لهم سبعينَ مرَّةً فلن يَغفِرَ اللهُ لهم}

٤٦٧٠ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «لما تُوُفّيَ عبدُ الله بن أبيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسولِ الله ﷺ فسأله أن يُعطيَهُ قميصَهُ يُكفِّنُ فيه أباه، فأعطاهُ. ثمَّ سألهُ أن يُصلّيَ عليه، فقام رسولُ الله ﷺ ليُصلّي عليه، فقامَ عمرُ فأخذَ بثوبِ رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أتُصلّي عليه وقد نهاك ربُّك أن تُصلّي عليه؟ فقال رسولُ الله ﷺ:إنما خَيّرني الله فقال: استغفر لهم أولا تَستغفِر لهم، إن تستغفرْ لهم سبعين مرَّةً، وسأزيدُهُ على السبعين. قال: إنهُ مُنافق. قال فصلّى عليه رسولُ الله ﷺ فأنزلَ الله {ولا تصَلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً، ولا تَقُم على قبرِه}».

٤٦٧١ ـ عن عمرَ بن الخطاب رضيَ الله عنه أنه قال: «لما مات عبدُ الله بن أبيِّ ابن سَلول، دُعِيَ له رسولُ الله ﷺ ليصلّيَ عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وَثَبْتُ إليه فقلت: يا رسولَ الله، أتصلّي على ابن أُبيِّ وقد قال يوم كذا كذا وكذا؟ قال: أُعدِّدُ عليه قولَه.

فتبسَّم رسولُ الله ﷺ وقال: أخِّرْ عني يا عمر. فلما أكثرتُ عليه قال: إني خُيِّرتُ فاخترت، لو أعلم أني إن زِدتُ على السبعين يغفَرْ لزِدت بها. قال فصلَّى عليه رسولُ الله ﷺ، ثمَّ انصرفَ فلم يَمكث إلاّ يسيراً حتى نزلَتِ الآيتانِ من بَراءة {ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم مات أبدا -إلى قوله- وهم فاسقون} قال: فعجِبتُ بعدُ من جُرأتي على رسولِ الله ﷺ، والله ورسولهُ أعلم».

قوله (لما توفي عبد الله بن أبي) ذكر الواقدي ثم الحاكم في «الإكليل» أنه مات بعد منصرفهم من تبوك وذلك في ذي القعدة سنة تسع، وكانت مدة مرضه عشرين يوما ابتداؤها من ليال بقيت من شوال، قالوا: وكان قد تخلف هو ومن تبعه عن غزوة تبوك، وفيهم نزلت {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا}.

قوله (جاء ابنه عبد الله بن عبد الله) وقع في رواية الطبري من طريق الشعبي: لما احتضر عبد الله جاء ابنه عبد الله إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله إن أبي قد احتضر فأحب أن تشهده وتصلي عليه، قال: ما اسمك؟ قال: الحباب -يعني بضم المهملة وموحدتين مخففا- قال: بل أنت عبد الله، الحباب اسم الشيطان، وكان عبد الله بن عبد الله ابن أبي هذا من فضلاء الصحابة وشهد بدرا وما بعدها واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق، ومن مناقبه أنه بلغه بعض مقالات أبيه فجاء إلى النبي ﷺ يستأذن في قتله، قال: بل أحسن صحبته، أخرجه ابن منده من حديث أبي هريرة بإسناد حسن، وفي الطبراني من طريق عروة بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أبي أنه استأذن نحوه، وهذا منقطع لأن عروة لم يدركه وكأنه كان يحمل أمر أبيه على ظاهر الإسلام فلذلك التمس من النبي ﷺ أن يحضر عنده ويصلي عليه، ولا سيما وقد ورد ما يدل على أنه فعل ذلك بعهد من أبيه، ويؤيد ذلك ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر والطبري من طريق سعيد كلاهما عن قتادة قال: «أرسل عبد الله بن أبي إلى النبي ﷺ، فلما دخل عليه قال: أهلكك حب يهود، فقال: يا رسول الله إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ولم أرسل إليك لتوبخني. ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابه، وهذا مرسل مع ثقة رجاله، ويعضده ما أخرجه الطبراني من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: «لما مرض عبد الله بن أبي جاءه النبي ﷺ فكلمه فقال: قد فهمت ما تقول، فامنن علي فكفني في قميصك وصل علي ففعل» وكأن عبد الله بن أبي أراد بذلك دفع العار عن ولده وعشيرته بعد موته فأظهر الرغبة في صلاة النبي ﷺ عليه، ووقعت اجابته إلى سؤاله بحسب ما ظهر من حاله إلى أن كشف الله الغطاء عن ذلك كما سيأتي، وهذا من أحسن الأجوبة فيما يتعلق بهذه القصة.

قوله (فقال: يا رسول الله ﷺ أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه) وقد استشكل جدا حتى أقدم بعضهم فقال: هذا وهم من بعض رواته، وعاكسه غيره فزعم أن عمر اطلع على نهي خاص في ذلك، وقال القرطبي: لعل ذلك وقع في خاطر عمر فيكون من قبيل الإلهام، ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين}، قلت: الثاني يعني ما قاله القرطبي أقرب من الأول، لأنه لم يتقدم النهي عن الصلاة على المنافقين، بدليل أنه قال في آخر هذا الحديث «قال فأنزل الله ولا تصل على أحد منهم» والذي يظهر أن في رواية الباب تجوزا بينته الرواية التي في الباب بعده من وجه آخر عن عبيد الله بن عمر بلفظ «فقال تصلي عليه وقد نهاك الله أن تستغفر لهم».

قوله (قال[١] إنه منافق فصلّى عليه) أما جزم عمر بأنه منافق فجرى على ما كان يطلع عليه من أحواله: وإنما لم يأخذ النبي ﷺ بقوله وﷺ عليه إجراء له على ظاهر حكم الإسلام كما تقدم تقريره، واستصحاباً لظاهر الحكم، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته، ومصلحة الاستئلاف لقومه ودفع المفسدة، وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح، ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك لمصلحة الاستئلاف وعدم التنفير عنه، ولذلك قال: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام وقل أهل الكفر وذلوا أمر بمجاهرة المنافقين وحملهم على حكم مر الحق، ولا سيما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم، وبهذا التقرير يندفع الإشكال عما وقع في هذه القصة بحمد الله تعالى.

قوله (فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخر عني) أي كلامك.

١٣ ـ باب {ولا تصلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبَداً ولا تَقُم على قبره}

٤٦٧٢ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «لما تُوفي عبدُ الله بن أُبيّ جاء ابنهُ عبدُ الله بن عبدِ الله إلى رسولِ الله ﷺ فأعطاهُ قميصَه، وأمرَهُ أن يُكفِّنَه فيه، ثمَّ قامَ يُصلّي عليه، فأخذ عمرُ بن الخطاب بثوبهِ فقال: تُصلّي عليه وهو منافق، وقد نَهاك اللهُ أن تَستغفرَ لهم؟ قال: إنما خَيَّرَني الله -أو أخبرَني الله- فقال: {استغفرِ لهم أولا تَستغفرِ لهم، إن تستغفرِ لهم سبعين مرَّةً فلن يَغفرَ الله لهم} فقال: سأزيدهُ على سبعين، قال: فصلّى عليه رسولُ الله ﷺ وصلّينا معه، ثم أنزلَ اللهُ عليه {ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم مات أبدا، ولا تَقُم على قبرِهِ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسِقون}».

(١) رواية الباب واليونينية "قال إنه منافق، قال فصلى عليه رسول الله ﷺ.

قوله (باب ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) ظاهر الآية أنها نزلت في جميع المنافقين، لكن ورد ما يدل على أنها نزلت في عدد معين منهم، قال الواقدي «أنبأنا معمر عن الزهري قال: قال حذيفة قال لي رسول الله ﷺ:إني مسر إليك سرا فلا تذكره لأحد، إني نهيت أن أصلي على فلان وفلان رهط ذوي عدد من المنافقين؛ قال فلذلك كان عمر إذا أراد أن يصلي على أحد استتبع حذيفة، فإن مشى معه وإلا لم يصل عليه» ومن طريق أخرى عن جبير بن مطعم أنهم اثنا عشر رجلا، وقد تقدم حديث حذيفة قريبا أنه لم يبق منهم غير رجل واحد. ولعل الحكمة في اختصاص المذكورين بذلك أن الله علم أنهم يموتون على الكفر، بخلاف من سواهم فإنهم تابوا.

قال ابن المنير: ليس عند أهل البيان تردد أن التخصيص بالعدد في هذا السياق غير مراد انتهى، وأيضاً فشرط القول بمفهوم الصفة وكذا العدد عندهم مماثلة المنطوق للمسكوت وعدم فائدة أخرى وهنا للمبالغة فائدة واضحة، فأشكل قوله سأزيد على السبعين مع أن حكم ما زاد عليها حكمها، وقد أجاب بعض المتأخرين عن ذلك بأنه إنما قال: «سأزيد على السبعين» استمالة لقلوب عشيرته لا أنه أراد إن زاد على السبعين يغفر له، ويؤيده تردده في ثاني حديثي الباب حيث قال: «لو أعلم إني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت» لكن قدمنا أن الرواية ثبتت بقوله «سأزيد» ووعده صدق، ولا سيما وقد ثبت قوله «لأزيدن» بصيغة المبالغة في التأكيد، وأجاب بعضهم باحتمال أن يكون فعل ذلك استصحابا للحال، لأن جواز المغفرة بالزيادة كان ثابتاً قبل مجيء الآية فجاز أن يكون باقيا على أصله في الجواز، وهذا جواب حسن، وحاصله أن العمل بالبقاء على حكم الأصل مع فهم المبالغة لا يتنافيان، فكأنه جوز أن المغفرة تحصل بالزيادة على السبعين لا أنه جازم بذلك، ولا يخفى ما فيه. وقيل إن الاستغفار يتنزل منزلة الدعاء، والعبد إذا سأل ربه حاجة فسؤاله إياه يتنزل منزلة الذكر لكنه من حيث طلب تعجيل حصول المطلوب ليس عبادة، فإذا كان كذلك والمغفرة في نفسها ممكنة، وتعلق العلم بعدم نفعها لا بغير ذلك، فيكون طلبها لا لغرض حصولها بل لتعظيم المدعو فإذا تعذرت المغفرة عوض الداعي عنها ما يليق به من الثواب أو دفع السوء كما ثبت في الخبر، وقد يحصل بذلك عن المدعو لهم تخفيف كما في قصة أبي طالب، هذا معنى ما قاله ابن المنير، وفيه نظر لأنه يستلزم مشروعية طلب المغفرة لمن تستحيل المغفرة له شرعاً، وقد ورد إنكار ذلك في قوله تعالى {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين} ووقع في أصل هذه القصة إشكال آخر، وذلك أنه ﷺ أطلق أنه خير بين الاستغفار لهم وعدمه بقوله تعالى {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم} وأخذ بمفهوم العدد من السبعين فقال: «سأزيد عليها» مع أنه قد سبق قبل ذلك بمدة طويلة نزول قوله تعالى {ما

كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى} فإن هذه الآية كما سيأتي في تفسير هذه السورة قريباً نزلت في قصة أبي طالب حين قال ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنزلت، وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة اتفاقاً، وقصة عبد الله بن أبي هذه في السنة التاسعة من الهجرة كما تقدم، فكيف يجوز مع ذلك الاستغفار للمنافقين مع الجزم بكفرهم في نفس الآية؟ وقد وقفت على جواب لبعضهم عن هذا حاصله أن المنهى عنه استغفار ترجى إجابته حتى يكون مقصوده تحصيل المغفرة لهم كما في قصة أبي طالب، بخلاف الاستغفار لمثل عبد الله بن أبي فإنه استغفار لقصد تطييب قلوب من بقى منهم، وهذا الجواب ليس بمرضي عندي، ونحوه قول الزمخشري فإنه قال: فإن قلت كيف خفي على أفصح الخلق وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته أن المراد بهذا العدد أن الاستغفار ولو كثر لا يجدي، ولا سيما وقد تلاه قوله {ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله} الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم؟ قلت: لم يخف عليه ذلك، ولكنه فعل ما فعل وقال ما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه، وهو كقول إبراهيم عليه السلام {ومن عصاني فإنك غفور رحيم} وفي إظهار النبي ﷺ الرأفة المذكورة لطف بأمته، وباعث على رحمة بعضهم بعضا انتهى، وقد تعقبه ابن المنير وغيره وقالوا لا يجوز نسبة ما قاله إلى الرسول، لأن الله أخبر أنه لا يغفر للكفار، وإذا كان لا يغفر لهم فطلب المغفرة لهم مستحيل، وطلب المستحيل لا يقع من النبي ﷺ، ومنهم من قال: إن النهي عن الاستغفار لمن مات مشركاً لا يستلزم النهي عن الاستغفار لمن مات مظهراً للإسلام، لاحتمال أن يكون معتقده صحيحا، وهذا جواب جيد، وقد قدمت البحث في هذه الآية في كتاب الجنائز، والترجيح أن نزولها كان متراخياً عن قصة أبي طالب جداً، وأن الذي نزل في قصته {إنك لا تهدي من أحببت} وحررت دليل ذلك هناك، إلا أن في بقية هذه الآية من التصريح بأنهم كفروا بالله ورسوله ما يدل على أن نزول ذلك وقع متراخيا عن القصة، ولعل الذي نزل أولا وتمسك النبي ﷺ به قوله تعالى {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} إلى هنا خاصة، ولذلك اقتصر في جواب عمر على التخيير وعلى ذكر السبعين، فلما وقعت القصة المذكورة كشف الله عنهم الغطاء، وفضحهم على رءوس الملأ، ونادى عليهم بأنهم كفروا بالله ورسوله. ولعل هذا هو السر في اقتصار البخاري في الترجمة من هذه الآية على هذا القدر إلى قوله {فلن يغفر الله لهم} ولم يقع في شيء من نسخ كتابه تكميل الآية كما جرت به العادة من اختلاف الرواة عنه في ذلك، وإذا تأمل المتأمل المنصف وجد الحامل على من رد الحديث أو تعسف في التأويل ظنه بأن قوله {ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله} نزل مع قوله {استغفر لهم} أي

نزلت الآية كاملة، لأنه لو فرض نزولها كاملة لاقترن بالنهي العلة وهي صريحة في أن قليل الاستغفار وكثيره لا يجدي، وإلا فإذا فرض ما حررته أن هذا القدر نزل متراخيا عن صدر الآية ارتفع الإشكال، وإذا كان الأمر كذلك فحجة المتمسك من القصة بمفهوم العدد صحيح، وكون ذلك وقع من النبي ﷺ متمسكاً بالظاهر على ما هو المشروع في الأحكام إلى أن يقوم الدليل الصارف عن ذلك لا إشكال فيه، فلله الحمد على ما ألهم وعلم.

وفيه جواز الشهادة على المرء بما كان عليه حيا وميتا، لقول عمر «أن عبد الله منافق» ولم ينكر النبي ﷺ قوله. ويؤخذ أن المنهي عنه من سب الأموات ما قصد به الشتم لا التعريف، وأن المنافق تجري عليه أحكام الإسلام الظاهرة، وأن الإعلام بوفاة الميت مجرداً لا يدخل في النعي المنهي عنه، وفيه جواز سؤال الموسر من المال من ترجى بركته شيئاً من ماله لضرورة دينية،[1] وفيه رعاية الحمى المطيع بالإحسان إلى الميت العاصي، وفيه التكفين بالمخيط وجواز تأخير البيان عن وقت النزول إلى وقت الحاجة والعمل بالظاهر إذا كان النص محتملاً، وفيه جواز تنبيه المفضول للفاضل على ما يظن أنه سها عنه، وتنبيه الفاضل المفضول على ما يشكل عليه، وجواز استفسار السائل المسئول وعكسه عما يحتمل ما دار بينهما، وفيه جواز التبسم في حضور الجنازة عند وجود ما يقتضيه، وقد استحب أهل العلم عدم التبسم من أجل تمام الخشوع، فيستثنى منه ما تدعو إليه الحاجة، وبالله التوفيق.

١٤ - باب {سيَحلِفونَ بالله لكم إذا انقلَبتم إليهم لتُعرِضوا عنهم، فأعرِضوا عنهم إنهم رِجسٌ ومأواهم جهنمُ جَزاءً بما كانوا يَكسبون}

٤٦٧٣ - عن عبدَ الله بنَ كعب قال: «سمعتُ كعبَ بن مالك حينَ تخلفَ عن تَبوك: والله ما أنعمَ اللهُ عليَّ من نعمةٍ بعدَ إذ هداني أعظمَ من صِدقي رسولَ الله ﷺ أنْ لا أكونَ كذَبتُه فأهَلِكَ كما هَلَك الذين كذَبوا حينَ أُنزِلَ الوحيُ {سيَحلِفونَ بالله لكم إذا انقلبتم إليهم -إلى- الفاسقين-}».

سبق شرح الحديث بطوله في كتاب المغازي[2].

باب {يَحلفونَ لكم لترَضوا عنهم، فإن ترَضوا عنهم -إلى قوله- الفاسقين}

١٥ - باب {وآخَرونَ اعترَفوا بذُنوبهم، خَلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيِّئاً عسى اللهُ أن يَتوبَ عليهم، إنَّ اللهَ غفورٌ رحيم}

٤٦٧٤ - عن سَمرةُ بن جُندب رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ لنا: أتاني الليلة آتيانِ فابتعثاني، فانتهَينا إلى مدينةٍ مبنيةٍ بلبِن ذَهَبٍ ولِبن فضة، فتلقَّانا رِجالٌ شطرٌ من

(١) هذا التبرك خاص بالنبي ﷺ سداً لذريعة الغلو والشرك.
(٢) كتاب المغازي باب / ٧٩ ح ٤٤١٨ - ٣ / ٤٢٦.

خَلْقهم كأحسَنِ ما أنتَ راءٍ وشطرٌ كأقبح ما أنتَ راءٍ. قالا لهم: اذهَبوا فقَعوا في ذلك النهر، فوقَعوا فيه، ثم رَجعوا إلينا قد ذهبَ ذلك السوءُ عنهم فصاروا في أحسَن صورة. قالا لي: هذهِ جَنّة عَدْنٍ، وهذاكَ منزِلُك. قالا: أما القومُ الذين كانوا شرطٌ منهم حسنٌ وشطرٌ منهم قَبيح فإنهم خَلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيِّئاً، تَجاوزَ اللهُ عنهم».

قوله (باب قوله[1]{وآخرون اعترفوا بذنوبهم} وذكر فيه طرفاً من حديث سمرة بن جندب في المنام الطويل، وسيأتي بتمامه مع شرحه في التعبير[2].

١٦ ـ باب {ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يَستَغفِروا للمشركين}

٤٦٧٥ ـ عن سعيد بن المسيَّب عن أبيه قال: «لما حضرَت أبا طالبٍ الوفاةُ دَخلَ عليه النبيُّ ﷺ وعندَه أبو جهل وعبدُ الله بن أبي أمية، فقال النبيُّ ﷺ: أي عمِّ، قلْ لا إله إلاّ الله، أحاجُّ لك بها عندَ الله. فقال أبو جهلٍ وعبدُ الله بن أبي أميةَ: يا أبا طالب، أترغَبُ عن ملةِ عبد المطلب؟ فقال النبيُّ ﷺ: لأستَغفِرنَّ لكَ ما لم أُنهَ عنك، فنزلَت {ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يَستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قُربى من بعدِ ما تبيَّنَ لهم أنهم أصحابُ الجَحيم}.

قوله (باب قوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) ذكر فيه حديث سعيد بن المسيب عن أبيه في قصة وفاة أبي طالب، وقد سبق شرحه في كتاب الجنائز[3].

١٧ ـ باب {لقد تابَ اللهُ على النبيِّ والمهاجرينَ والأنصارِ الذين اتَّبعوهُ في ساعةِ العُسرةِ من بعدِ ما كاد تَزيغُ[4] قلوبُ فريقٍ منهم، ثمَّ تاب عليهم إنه بهم رَءوفٌ رحيم}

٤٦٧٦ ـ عن عبدُ الله بن كعبٍ -وكان قائدَ كعبٍ من بنيهِ حينَ عَمِيَ- قال: «سمعتُ كعبَ بن مالك في حديثه {وعلى الثلاثةِ الذين خُلِّفوا} قال في آخرِ حديثه: إنَّ من تَوبتي أن أنخَلِعَ من مالي صدقةً إلى الله ورسوله، فقال النبيُّ ﷺ: أمسِكْ بعضَ مالك، فهو خيرٌ لك».

١٨ ـ باب {وعلى الثلاثةِ الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقَت عليهمُ الأرضُ بما رَحُبَت وضاقَت عليهم أنفُسُهم وظَنُّوا أن لا ملجأَ منَ الله إلاّ إليه ثمَّ تابَ عليهم ليَتوبوا، إنَّ اللهَ هو التوابُ الرَّحيم}

٤٦٧٧ ـ عن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبي كعبَ بن مالك وهو أحدُ الثلاثةِ الذين

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "قوله" في اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) كتاب التعبير باب / ٤٨ ح ٧٠٤٧ - ٥ / ٣٥٨.
(٣) كتاب الجنائز باب ٨٠ ح ١٣٦٠ - ١ / ٦٨٤.
(٤) قراءة حفص عن عاصم "يَزيغ" بالياء.

تيبَ عليهم «أنهُ لم يتخلفْ عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها قطُّ غير غزوتَين: غزوةِ العُسرة وغزوةِ بدر. قال فأجمعتُ صدقَ رسولِ الله ﷺ ضُحًى، وكان قلمَّا يَقدَمُ من سَفر سافرَهُ إلا ضُحى، وكان يَبدأُ بالمسجدِ فيركَعُ ركعتَين، ونَهى النبيُّ ﷺ عن كلامي وكلام صاحبيّ، ولم يَنهَ عن كلام أحدٍ منَ المتخلّفينَ غيرنا؛ فاجتَنَب الناسُ كلامَنا، فلبثْتُ كذلك حتى طال عليّ الأمرُ، وما من شيء أهمُّ أن من أموتَ فلا يُصلّي عليَّ النبيُّ ﷺ، أو يموتَ رسولُ الله ﷺ فأكونَ من الناس بتلكَ المنزلة فلا يُكلمني أحدٌ منهم ولا يصلّي عليّ فأنزَلَ اللهُ توبتَنا على نبيهِ ﷺ حين بقيَ الثلُث الآخرُ من الليل ورسول اللهِ ﷺ عندَ أمِّ سلمة، وكانت أمُّ سلمةَ محسِنةً في شأني، مَعِينةً في أمري، فقال رسولُ الله ﷺ:يا أمَّ سلمة، تِيبَ على كعبٍ. قالت: أفلا أرسِلُ إليه فأبشِّرُه؟ قال: إذاً يَحطِمكُم الناسُ فيَمنَعونكم النَّومَ سائرَ الليلة. حتى إذا صلّى رسولُ اللهِ ﷺ صلاةَ الفجرِ آذَنَ بتوبةِ الله علينا، وكان إذا استبشَرَ استَنارَ وَجهُهُ حتى كأنهُ قطعةٌ منَ القَمر. وكنّا أيُّها الثلاثةُ الذين خلفوا عن الأمر الذي قبِلَ من هؤلاءِ الذين اعتَذَروا حين أنزَل اللهُ لنا التوبة، فلما ذُكرَ الذين كذَبوا رسولَ الله ﷺ من المتخلفين فاعتذَروا بالباطل ذُكِروا بشرٍّ ما ذكرَ به أحدٌ. قال اللهُ سبحانه {يَعتَذِرونَ إليكم إذا رجَعتُم إليهم، قل لا تَعتذِروا، لن نُؤمِنَ لكم، قد نَبَّأنا الله من أخبارِكم، وسيرَى اللهُ عملكم ورسوله} الآية».

قوله (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت الآية) ثم ذكر المصنف قطعاً من قصة توبة كعب بن مالك، وقد تقدم شرحه مستوفى في المغازي[(١)].

١٩ ـ باب {يا أيها الذين آمَنوا اتقوا اللهَ وكونوا معَ الصادقين}

٤٦٧٨ ـ عن عبد الله بن كعب بن مالك -وكان قائدَ كعب بن مالك- قال: «سمعتُ كعبَ بن مالك يُحدِّث حين تخلف عن قصةِ تَبوك، فوالله ما أعلمُ أحداً أبلاه اللهُ في صِدقِ الحديث أحسنَ مما أبلاني، ما تعمَّدتُ منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذِباً، وأنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ على رسولِه ﷺ {لقد تاب اللهُ على النبيِّ والمهاجرين -إلى قوله- وكونوا معَ الصادقين}

٢٠ ـ باب {لقد جاءكم رسولٌ من أنفُسِكم عَزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حَريصٌ عليكم بالمؤمنينَ رَءوف رحيم} من الرأفة

٤٦٧٩ ـ عن زيد بن ثابتٍ الأنصاري رضيَ الله عنه -وكان مِّمن يكتبُ الوَحيَ- قال: أرسلَ إلى أبو بكرٍ مَقتَلَ أهلِ اليمامةِ وعندَهُ عمرُ فقال أبو بكرٍ: إن عمرَ أتاني فقال إنَّ

(١) كتاب المغازي باب / ٧٩ ح ٤٤١٨ - ٣ / ٤٢٦

القتلَ قدِ استحرَّ يوم اليمامةِ بالناس، وإني أخشى أن يَستحرَّ القتلُ بالقُرَّاءِ في المَواطِن فيذهبَ كثيرٌ من القرآنِ إلاَّ أن تجمَعوهُ، وإني لأرى أن تجمعَ القُرآن. قال أبو بكرٍ: قلتُ لعمرَ: كيفَ أفعلُ شيئاً لم يَفعلهُ رسولُ الله ﷺ؟ فقال عمرُ: هو واللهِ خيرٌ. فلم يَزَل عمرُ يُراجِعُني فيه حتى شرحَ الله لذلك صدري، ورأيتُ الذي رأى عمرُ -قال زيدُ بن ثابت: وعمر عندَهُ جالسٌ لا يتكلم- فقال أبو بكر: إنكَ رجلٌ شابٌّ عاقِل، ولا نَتهِمُك، وكنتَ تكتبُ الوحيَ لرسولِ الله ﷺ. فتَتبَّع القرآن فاجمَعْه، فواللهِ لو كلفَني نقلَ جبلٍ منَ الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرَني به من جَمْع القرآن. قلتُ كيفَ تَفعلانِ شيئاً لم يفعلهُ النبيُّ ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خيرٌ. فلم أزلَ أراجعهُ حتى شرحَ اللهُ صدري للذي شرحَ اللهُ له صدرَ أبي بكر وعمر، فقمتُ فتتَبَّعتُ القرآن أجمعهُ منَ الرِّقاع والأكتاف والعُسُب وصدور الرجال، حتى وَجدتُ من سورةِ التوبةِ آيتَين معَ خُزَيمةَ الأنصاريِّ لم أجدهما معَ أحدٍ غيره {لقد جاءكم رسولٌ من أنفُسِكم عزيزٌ عليه ما عنتم حَريصٌ عليكم} إلى آخرِها. وكانتِ الصُّحفُ التي جُمِعَ فيها القرآن عندَ أبي بكرٍ حتى تَوَفَّاه الله، ثم عندَ عمرَ حتى توفَّاه الله، ثم عندَ حفصةَ بنتِ عمر».

قوله (باب قوله[1] {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) وسيأتي شرح الحديث مستوفى في فضائل القرآن[2].

(١٠) سورةُ يونُسَ

١ - باب وقال ابن عباس {فاختَلَط}: فنبت بالماء من كل لون. {وقالوا اتخذَ اللهُ وَلَداً سبحانه هو الغني}، وقال زيدُ بن أسلَم {أنَّ لهم قدَم صِدق}: محمدٌ ﷺ. وقال مجاهد: خير. يقال {تلك آياتُ}: يعني هذه أعلامُ القرآن. ومثله {حتى إذا كنتم في الفُلكِ وجَرَينَ بهم} المعنى بكم {دَعواهم} دعاؤهم. {أحيط بهم}: دَنَوا من الهلكةَ. {أحاطت به خَطيئته}. فاتَّبعهم وأتبَعهم واحد. {عَدْواً} من العُدوان. وقال مجاهد {ولو يُعجِّلُ اللهُ للناس الشرَّ استعجالَهم بالخير}: قول الإنسان لوَلَدِه ومالهِ إذا غَضب: اللهمَّ لا تُبارِك فيه والْعَنه. {لَقُضِيَ إليهم أجَلُهم} لأهلكَ من دُعِيَ عليه ولأماته {للذين أحسَنوا الحسنى} مثلها حسنى {وزيادة}: مَغفِرة ورِضوان، وقال غيره: النظرُ إلى وجههِ. {الكبرياء} الملك.

قوله (وقال ابن عباس فاختلط فنبت بالماء من كل لون) وصله ابن جرير من طريق آخر عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله {إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض} قال: اختلط فنبت بالماء كل لون مما يأكل الناس كالحنطة

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "قوله" وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب فضائل القرآن باب / ٣ ح ٤٩٨٦ - ٤ / ٤

والشعير وسائر حبوب الأرض.

قوله (وقال زيد بن أسلم {أن لهم قدم صدق عند ربهم[١]} محمد ﷺ، وقال مجاهد خير) أما قول زيد بن أسلم فوصله ابن جرير من طريق ابن عيينة عنه بهذا الحديث.

وأما قول مجاهد فوصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى {وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق} قال: خير. وروى ابن جرير من وجه آخر عن مجاهد في قوله {قدم صدق} قال: صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم، ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى {أن لهم قدم صدق} قال سبقت لهم السعادة في الذكر الأول، ورجح ابن جرير قول مجاهد.

وروى الحاكم من طريق أنس عن أبي بن كعب في قوله {قدم صدق} قال: سلف صدق، وإسناده حسن.

قوله (وقال مجاهد: {ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير} قول الإنسان لولده وماله إذا غضب: اللهم لا تبارك فيه والعنه) وقد ورد في النهي عن ذلك حديث مرفوع أخرجه مسلم في أثناء حديث طويل وأفرده أبو داود من طريق عبادة بن الوليد عن جابر عن النبي ﷺ قال: «لا تدعوا على أنفسكم» ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم».

قوله (وقال غيره النظر إلى وجهه) أخرج الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه قال: الحسني هي الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن.

وقد ورد ذلك في حديث مرفوع أخرجه مسلم والترمذي وغيرهما من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا إن لكم عند الله وعدا، فيقولون ألم يبيض وجوهنا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة؟ قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم منه» ثم قرأ {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}.

٢ ـ باب {وجاوَزْنا ببني إسرائيلَ البحرَ فأتبعهم فرعَونُ وجنودُه بَغْياً وعَدْواً، حتى إذ أدركَهُ الغرَقُ قال آمنتُ أنهُ لا إلهَ إلاّ الذي آمَنَت به بنو إسرائيلَ وأنا منَ المسلمين}

{نُنجِّيك} نُلْقيك على نَجوة من الأرض، وهو النَّشز المكان المرتفع

(١) رواية الباب واليونينية بدون "عند ربهم".

٤٦٨٠ ـ عن ابن عباس رضيَ الله عنهما قال: «قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ واليهودُ تصومُ عاشوراءَ؛ فقالوا: هذا يومٌ ظهرَ فيه موسى على فِرعَونَ، فقال النبيُّ ﷺ لأصحابِه: أنتم أحقُّ بموسى منهم، فصوموا».

قوله (ننجيك نلقيك على نجوة من الأرض، وهو النشز، المكان المرتفع) أي نلقيك على نجوة أي ارتفاع اهـ، والنجوة هي الربوة المرتفعة وجمعها نِجا وليس قوله ننجيك من النجاة بمعنى السلامة، وقد قيل هو بمعناها والمراد مما وقع فيه قومك من قعر البحر.

ثم ذكر المصنف حديث ابن عباس في صيام عاشوراء وقد تقدم شرحه في الصيام[١]، ومناسبته للترجمة قوله في بعض طرقه: ذاك يوم نجى الله فيه موسى وأغرق فرعون.

(١١) سورةُ هودٍ

وقال أبو ميسرةَ: الأوّاه الرحيم بالحبشية، وقال ابن عباس: باديءَ الرأي ما ظهر لنا. وقال مجاهد: الجُودي جبل بالجزيرة. وقال الحسن: إنك لأنت الحليم يستهزئون به. وقال ابن عباس: أقلعي أمسكي. عصيب شديد. لا جَرَم بلى. وفار التَّنُّور نبعَ الماء، وقال عكرمة: وجه الأرض.

١ ـ باب {ألا إنهم يَثنونَ صدورَهم ليَستخفوا منه، ألا حين يستَغْشون ثيابَهم، يعلم ما يسرون وما يُعلنون إنه عليم بذات الصدور}

وقال غيرُه: وحاق نزَل، يَحيق ينزل. يَئوس فعول من يَئِست. وقال مجاهد: تَبتَئِس تحزن. يَثنون صدورَهم شك وامتراء في الحق، ليَستَخفوا منه من الله إن استطاعوا

٤٦٨١ ـ عن محمد بن عبادِ بن جعفر أنه «سمعَ ابن عباس يَقرأ {ألا إنهم تَثنَوني صدورُهم} قال سألته عنها فقال: أناسٌ كانوا يَستحيون أن يَتخلَّوا فيُفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيُفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم».

[الحديث ٤٦٨١ - طرفاه في: ٤٦٨٢، ٤٦٨٣]

٤٦٨٢ ـ عن محمد بن عباد بن جعفر «أن ابن عباس قرأة ألا إنهم تَثنَوني صدورُهم} قلت: يا أبا العباس ما تَثنون صدورُهم؟ قال: كان الرجلُ يجامعُ امرأتَه فيستحي، أو يَتخلى فيستحي، فنزلَت {ألا إنهم يثنون صدورهم}».

٤٦٨٣ ـ عن عمروٌ قال: «قرأ ابن عباس {ألا إنهم يَثنونَ صدورَهم ليستخفوا منه، ألا حين يستَغشونَ ثيابَهم}. وقال غيرُهُ عن ابن عباس {يستغشون} يُغطُّون رءوسهم {سيء بهم}

(١) كتاب الصوم باب / ٦٩ ح ٢٠٠٤ - ٢ / ٢٠٠.

ساء ظنُّه بقومه {وضاق بهم} بأضيافه {بقطعٍ منَ الليل} بسوادٍ. {إليه أنيب} أرجع».

قوله (أناس كانوا يستخفون(١)أن يتخلوا) أي أن يقضوا الحاجة في الخلاء وهم عراة.

قوله (سيء بهم ساء ظنه بقومه وضاق بهم بأضيافه) هو تفسير ابن عباس. وصله ابن أبي حاتم من طريق الضحاك قال: ساء مكانهم لما رأي بهم من الجمال.

قوله (بقطع من الليل بسواد) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقال أبو عبيدة معناه ببعض من الليل، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بطائفة من الليل.

٢ ـ باب {وكان عرشُهُ على الماء}

٤٦٨٤ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «قال اللهُ عزَّوجل: أنفِقْ أنفِقْ عليك. وقال: يدُ اللهِ مَلأى لا تَغيضُها نَفقة، سحاءُ الليلَ والنهار. وقال: أرأيتم ما أنفَقَ منذ خلقَ السماء والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشهُ على الماءَ وبيده الميزان يَخفِضُ ويَرفع» اعتراكَ: افتَعلت من عَرَوتهُ أي أصَبته، ومنه يَعروه واعتراني. آخذٌ بناصيَتها أي في مِلكه وسُلطانه. عَنيد وعَنود وعانِد واحِد، هو تأكيد التجبر. ويقول الأشهاد واحده شاهد مثل صاحب وأصحاب. استَعمَركم جعلكم عُماراً. أعمرْته الدارَ فهي عُمرَي جعلتها له. نَكِرَهم وأنكرهم واستنكرَهم واحد حميد مجيد كأنه فَعيل من ماجد، محمود من حَمِد. سِجِّيل الشديد الكبير، سِجِّيل وسِجِّين واحد واللام والنون أُختان، وقال تميم بن مُقبل:

ورَجلةٍ يَضرِبون البَيض ضاحيـةً   ضرباً تَواصىَ به الأبطالُ سِجِّينا

[الحديث ٤٦٨٤ - أطرافه في: ٥٣٥٢، ٧٤١١، ٧٤١٩، ٧٤٩٦]

قوله (باب قوله(٢)وكان عرشه على الماء) ذكر فيه حديث أبي هريرة، وفيه قوله «وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع» وسيأتي شرحه في كتاب التوحيد(٣)إن شاء الله تعالى.

٣ ـ باب {وإلى مَدَينَ أخاهم شُعَيبا}

إلى أهل مَدينَ، لأن مَدينَ بلد. ومثله {واسألِ القريةَ {واسألِ العيرَ} يعني أهلَ القرية والعير. {وراءكم ظِهْرِيّاً} يقول لم تَلتفتوا إليه. ويقال إذا لم يَقضِ الرجلُ حاجتَه ظَهرتَ بحاجتي، وجَعلتَني ظِهرِيّاً. والظهريُّ ها هنا أن تأخُذَ معكَ دابةً أو وعاء تَستظهرُ به،

(١) في الباب واليونينية "تستحيون".
(٢) رواية الباب واليونينية بدون "قوله" وبدون التبويب اليونينية.
(٣) كتاب التوحيد باب / ١٩ ح ٧٤١١ - ٥ / ٥٥٨.

أراذِلنا: سُقاطنا، إجرامي هو مصدر من أجرمت، وبعضهم يقول جَرَمتُ. الفُلك والفَلَك واحد وهي السفينة والسفن. مَجراها: مَدَفعها وهو مصدر أجرَيت. وأرسَيت: حَبَست. ويُقرأ، مَجراها من جَرَت هي، مَرساها من رَسَت. ومُجرِيها ومُرسِيها من فُعِلَ بها. الراسيات ثابتات.

٤ ـ باب {ويقول الأشهادُ هؤلاءِ الذين كَذَبوا على ربِّهم ألا لعنةُ الله على الظالمين}

واحدُ الأشهاد شاهد، مثل صاحب وأصحاب.

٤٦٨٥ ـ عن صَفوانَ بن محرِزٍ قال: «بَينا ابنُ عمرَ يَطوفُ إذ عرَض رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرحمن -أو قال يا ابن عمر- هل سمعتَ النبيَّ ﷺ يقول: يُدنى المؤمنُ من ربه. وقال هشام: يدنو المؤمن حتى يَضع عليه كَنَفَه فيُقرِّره بذنوبه: تَعرِفُ ذنْبَ كذا؟ يقول: أعرف، يقول ربِّ أعرف (مرتين) فيقول) سترتُها في الدنيا، وأغفرُها لك اليوم. ثم تُطوَى صحيفة حَسناته. وأما الآخرون -أو الكفّارة- فيُنادَى على رءوس الأشهاد: هؤلاء الذين كَذَبوا على ربهم».

قوله (وإلى مدين) أي لأهل مدين، لأن مدين بلد ومثله {واسأل القرية. والعير} أي أهل القرية وأصحاب العير.

٥ ـ باب {وكذلكَ أخذُ ربِّك إذا أخذَ القُرَى وهي ظالمة، إنَّ أخْذَه أليمٌ شديد}

الرِّفدُ المرفود: العون المعين. رَفَدتهُ: أعنته. تَركَنوا: تميلوا. فَلولا كان: فهلا كان. أُترِفوا: أهلِكوا. وقال ابنُ عباس: زَفيرٌ وشَهيق: شديدٌ وصوت ضعيف.

٤٦٨٦ ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: إنَّ اللهَ لَيُملي للظالم، حتى إذا أخذَه لم يُفلِتْه. قال ثم قرأ {وكذلكَ أخذُ ربِّكَ إذا أخذَ القُرَى وهي ظالمة، إنَّ أخْذَهُ أليمٌ شديد}».

قوله (أُترِفوا أهلكوا) هو تفسير باللازم أي كان الترف سبباً لإهلاكهم، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى {واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه} أي ما تجبروا وتكبروا عن أمر الله وصدوا عنه.

قوله (إن الله ليملي للظالم) أي يمهله.

قوله (حتى إذا أخذه لم يُفلته) أي لم يخلصه، أي إذا أهلكه لم يرفع عنه الهلاك، وهذا

على تفسير الظلم بالشرك على إطلاقه، وإن فسر بما هو أعم فيحمل كل على ما يليق به.

٦ ـ باب {وأقمِ الصلاةَ طَرَفَيِ النهارِ وزُلَفاً من الليل، إنَّ الحسناتِ يُذهبنَ السيِّئات، ذلكَ ذِكرَى للذاكرين}

وزُلفاً: ساعات بعدَ ساعات، ومنه سُمِّيتِ المزدَلفة، الزُّلَف: منزلةٌ بعد منزلة. وأما زُلفى فمصدرٌ من القُربى. إزدَلفوا: اجتَمعوا. أزلَفنا، جمعنا.

٤٦٨٧ ـ عن ابن مسعودٍ رضيَ الله عنه «أنَّ رجلا أصاب منِ امرأةٍ قُبلةً، فأتى رسولَ اللهِ ﷺ فذكرَ ذلكَ له، فأُنزلَت عليه {وأقم الصلاةَ طَرَفَيِ النهار وزُلَفاً من الليل، إن الحسَناتِ يُذهِبْنَ السَّيئات، ذلك ذِكرى للذاكِرين} قال الرجُل: أليَ هذهِ؟ قال لِمن عملَ بها من أمتي».

قوله (باب وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات الآية) واختلف في المراد بطرفي النهار فقيل الصبح والمغرب، وقيل الصبح والعصر، وعن مالك وابن حبيب الصبح طرف والظهر والعصر طرف.

قوله (وزلفاً ساعات بعد ساعات، ومنه سميت المزدلفة، الزلف منزلة بعد منزلة وأما زلفى فمصدر من القربى، ازدلفوا اجتمعوا، أزلفنا جمعنا) انتهى. قال أبو عبيدة: في قوله تعالى {وأزلفت الجنة للمتقين} أي قربت وأدنيت، وله عندي زلفى أي قربى.

واختلف في المراد بالزلف فعن مالك المغرب والعشاء، واستنبط منه بعض الحنفية وجوب الوتر لأن زلفاً جمع أقله ثلاثة فيضاف إلى المغرب والعشاء الوتر، ولا يخفى ما فيه.

قوله (أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له) في رواية معتمر بن سليمان التيمي عن أبيه عند مسلم والإسماعيلي فذكر أنه أصاب من امرأة قبلة أو مسا بيد أو شيئاً، كأنه يسأل عن كفارة ذلك. وعند عبد الرزاق عن معمر عن سليمان التيمي بإسناده «ضرب رجل على كَفَل[1] امرأة» الحديث، وفي رواية مسلم وأصحاب السنن من طريق سماك بن حرب عن إبراهيم النخعي عن علقمة والأسود عن ابن مسعود «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها، قبلتها ولزمتها، فافعل بي ما شئت» الحديث. وللطبري من طريق الأعمش عن إبراهيم النخعي قال: «جاء فلان بن معتب الأنصاري فقال: يا رسول الله دخلت عليَّ امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من أهله إلا أني لم أجامعها» الحديث.

قوله (قال الرجل ألي هذه؟) أي الآية يعني خاصة بي بأن صلاتي مذهبة لمعصيتي، وظاهر هذا أن صاحب القصة هو السائل عن ذلك.

---

(١) الكَفَل هو العَجُز للإنسان والدابة.

قوله (قال لمن عمل بها من أمتي) تقدم في الصلاة من هذا الوجه بلفظ «قال لجميع أمتي كلهم» وتمسك بظاهر قوله تعالى {إن الحسنات يذهبن السيئآت} المرجئة وقالوا: إن الحسنات تكفر كل سيئة كبيرة كانت أو صغيرة، وحمل الجمهور هذا المطلق على المقيد في الحديث الصحيح «إن الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر» فقال طائفة: إن اجتنبت الكبائر كانت الحسنات كفارة لما عدا الكبائر من الذنوب، وإن لم تجتنب الكبائر لم تحط الحسنات شيئاً، وقال آخرون: إن لم تجتنب الكبار لم تَحُط الحسنات شيئاً منها وتحط الصغائر.

واستدل بهذا الحديث على عدم وجوب الحد في القبلة واللمس ونحوهما، وعلى سقوط التعزير عمن أتى شيئاً منها وجاء تائباً نادماً، واستنبط منه ابن المنذر أنه لا حد على من وجد مع امرأة أجنبية في ثوب واحد.

(١٢) سورةُ يوسُفَ

وقال فُضَيل عن حُصَين عن مجاهد: مُتكأ: الأترُجُّ. بالحبشية مُتكا. وقال ابنُ عُيينة عن رجلٍ عن مجاهد: مُتكا كلُّ شيء قُطِعَ بالسكّين. وقال قتادةُ: لذو علمٍ عاملٌ بما علم. وقال سعيدُ بنُ جُبير: صُواعٌ مَكُّوكُ الفارسّي الذي يَلتقي طرَفاهُ، كانت تَشربُ به الأعاجم. وقال ابنُ عباس: تُفنِّدون تُجهِّلون. وقال غيره: غَيابةُ الجب كلُّ شيء غَيَّبَ عنك شيئاً فهو غَيابة، والجُبُّ الركيةُ التي لم تُطو. بمؤمنٍ لنا: بمصدِّق. أشُدَّه قبلَ أن يأخذَ في النقصان، يقال: بلغ أشُدَّه وبلغوا أشُدَّهم، وقال بعضهم: واحدُها شَدّ. والمتكأ ما اتكأت عليه لشرابٍ أو لحديثٍ أو لطعام. وأبطلَ الذي قال الأترجّ، وليس في كلام العربِ الأترج، فلما احتُجَّ عليهم بأنه المتكأ من نَمارِق فرّوا إلى شَرٍ منه فقالوا: إنما هو المتْكُ ساكنةَ التاء، وإنما المتك طَرَفُ البظر، ومن ذلك قيل لها مَتكاء وابن المتكاء، فإن كان ثَمَّ أترج فإنه بعد المتكأ: شَغَفها يقال بلغ إلى شِغافِها وهو غلافُ قلبها، وأما شَعَفها فمنَ المشعوف. أصْبُ إليهن أميلُ إليهن حبا. أضغاثُ أحلامٍ ما لا تأويلَ له، والضِّغث مِلءُ اليدِ من حشيشٍ وما أشبههَ، ومنه {وخُذ بيدِكَ ضِغثاً} لا من قوله {أضغاثُ أحلام} واحدُ ضِغث. {نمير} منَ الميرة. {وتَزدادُ كيلَ بعير} ما يَحمِلُ بعير. {أوَى إليه} ضمَّ إليه، السِّقايةُ مِكيال. {تَفتأ} لا تزالُ. استيأسوا يئسوا، ولا تيأسوا من روْح الله معناه الرجاء. خلَصوا نجيا اعتزلوا نجيا والجمع أنجية يتناجون الواحد نجي والإثنان والجمع نجى وأنجية. {حَرَضا} مُحرَضاً يُذيبك الهمُّ {يَحسَّسوا} تخبَّروا {مُزجاة} قليلة. {غاشية} من عذاب الله: عامَّة مُجَلِّلَة.

قوله (يقال بلغ أشده قبل أن يأخذ في النقصان) ويقال بلغوا أشدهم. واختلف النقلة في قدر الأشد الذي بلغه يوسف فلأكثر أنه الحلم، وعن سعيد ابن جبير ثمان عشرة.

وقال ابن التين: الأظهر أنه أربعون لقوله تعالى {فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما

وعلما} وكان النبي لا ينبأ حتى يبلغ أربعين، وتعقب بأن عيسى عليه السلام نبيء لدون أربعين ويحيى كذلك لقوله تعالى {وآتيناه الحكم صبيا} وسليمان لقوله تعالى {ففهمناها سليمان} إلى غير ذلك، والحق أن المراد بالأشد بلغو سن الحلم» ففي حق يوسف عليه السلام ظاهر ولهذا جاء بعده {وراودته التي هو في بيتها} وفي حق موسى عليه السلام لعله بعد ذلك كبلوغ الأربعين لما جاء بعده {واستوى} ووقع في قوله {آتيناه حكما وعلما} في الموضعين فدل على أن الأربعين ليست حداً لذلك، وأما المتكأ فقال أبو عبيدة: أعتدت أفعلت من العتاد ومعناه أعتدت لهن متكأ أي نمرقا يتكأ عليه.

قوله (ليس[1] في كلام العرب الأترج) يريد أنه ليس في كلام العرب تفسير المتكأ بالأترج.

قوله (وقال سعيد بن جبير {صواع الملك} مكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه، كانت تشرب الأعاجم به) ورواه ابن منده في «غرائب شعبة» وابن مردويه من طريق عمرو بن مرزوق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله {صواع الملك} قال كان كهيئة المكوك من فضة يشربون فيه، وقد كان للعباس مثله في الجاهلية، وكذا أخرجه أحمد وابن أبي شيبة عن محمد بن جعفر عن شعبة وإسناده صحيح، والمكوك: هو مكيال معروف لأهل العراق.

قوله (أضغاث أحلام ما لا تأويل له، الضغث ملء اليد من حشيش وما أشبه، ومنه {وخذ بيدك ضغثا} لا من قوله أضغاثا أحلام واحدها ضغث) وتوجيهه أنه أراد أن ضغثاً في قوله تعالى {وخذ بيدك ضغثا} بمعنى ملء الكف من الحشيش لا بمعنى ما لا تأويل له.

ولأبي يعلى من حديث ابن عباس في قوله {أضغاث أحلام} قال: هي الأحلام الكاذبة.

قوله (مزجاة قليلة) واختلف في بضاعتهم فقيل: كانت من صوف ونحوه، وقيل دراهم رديئة، وروى عبد الرزاق بإسناد حسن عن ابن عباس وسئل عن قوله {ببضاعة مزجاة} قال: رثة الحبل والغرارة والشن.

قوله (غاشية من عذاب الله عامة مجللة) وهو تأكيد لقوله عامة، وقال أبو عبيدة {غاشية من عذاب الله} مجللة، أي تعمهم .

قوله (حرضا محرضا يذيبك الهم) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {حتى تكون حرضا}: الحرض الذي أذابه الحزن أو الحب.

---

(١) رواية الباب واليونينية "وليس" بزيادة الواو.

١ ـ باب {ويُتمُّ نعمتَهُ عليكَ وعلى آل يعقوبَ كما أتمها على أبوَيكَ من قبلُ إبراهيمَ وإسحاق}

٤٦٨٨ ـ عن عبد اللهِ بن عمرَ رضيَ الله عنهما عنِ النبيِّ ﷺ قال: «الكريمُ ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسفُ بن يعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيم».

قوله (باب قوله[١]{ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب} الآية) ذكر فيه حديث ابن عمر «الكريم ابن الكريم» الحديث، وأخرج الحاكم مثله من حديث أبي هريرة، وهو دال على فضيلة خاصة وقعت ليوسف عليه السلام لم يشركه فيها أحد، ومعنى قوله أكرم الناس أي من جهة النسب، ولا يلزم من ذلك أن يكون أفضل من غيره مطلقا.

٢ ـ باب {لقد كان في يوسفَ وإخوته آياتٌ للسائلين}

٤٦٨٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله تعالى عنه قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ:أيُّ الناس أكرمُ؟ قال: أكرمُهم عند الله أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك قال فأكرمُ الناس يوسفُ نبيُّ الله، ابن نبيِّ الله، ابن نبيِّ الله، ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معَادنِ العرب تسألوني؟ قالوا: نعم. قال: فخياركم في الجاهليةِ خِياركم في الإسلام إذا فقهوا».

قوله (باب قوله[٢]لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) ذكر ابن جرير وغيره أسماء إخوة يوسف وهم: روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وريالون ويشجر ودان ونيال وجاد وأشر وبنيامين، وأكبرهم أولهم. ثم ذكر المصنف فيه حديث أبي هريرة «سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم» الحديث، وقد تقدم شرحه مستوفى في أحاديث الأنبياء[٣].

٣ ـ باب {قال بل سَوَّلَت لكم أنفُسُكم أمراً فصبر جميل}

سَوَّلت: زينَت

٤٦٩٠ ـ عن عُبيدَ الله بن عبد الله عن حديث عائشة زوجِ النبيِّ ﷺ حينَ قال لها أهلُ الإفك ما قالوا فبَرأها الله، كلٌّ حدَّثني طائفةً من الحديث «قال النبيُّ ﷺ:إن كنتِ بَريئةً فسيُبَرؤك الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنبٍ فاستغفِري اللهَ وتوبي إليه. قلت: إني واللهِ لا أجدُ مثلاً إلا أبا يوسفَ فصبرٌ جَميل، والله المستَعان على ما تَصِفون. وأنزَل الله {إنَّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم} العشرَ الآيات».

٤٦٩١ ـ عن أم رُومانَ وهي أمُّ عائشة قالت: «بَينا أنا وعائشة أخَذَتها الحُمى، فقال النبيُّ ﷺ:لعلَّ في حديث تُحدِّثَ؟ قالت: نعم. وقَعدَت عائشة قالت: مَثَلي ومَثلكم كيعقوبَ

---

(١) في المتن واليونينية بدون "قوله" وبدون التبويب وفي اليونينية
(٢) رواية الترجمة واليونينية بدون "قوله" ،في اليونينية بدون "باب وقوله
(٣) كتاب الأنبياء باب / ١٩ ح ٣٣٨٣ - ٣ / ٢٩

وبنيه، بل سوَّلت لكم أنفُسكم أمراً فصبر جميل واللهُ المستعانُ على ما تَصفون».

قوله (باب قوله[١]{قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل} سولت زينت) قال أبو عبيدة في قوله {بل سولت لكم أنفسكم} أي زينب وحسنت ثم ذكر المصنف طرفاً من حديث الإفك، وسيأتي شرحه بتمامه في تفسير سورة النور[٢].

٤ ـ باب {وراوَدَته التي هو في بيتها عن نفسِه وغلقَتِ الأبواب وقالت هَيتَ لك}

وقال عِكرِمة: هَيتَ لك بالحورانية هلُم. وقال ابن جُبير: تَعاله.

٤٦٩٢ ـ عن عبد الله بن مسعودٍ قال: هَيتَ لك، قال وإنما نَقرَؤها كما عُلِّمناها. مَثْواهُ: مُقامُه. وألفَيا: وجدا. ألفَوا آباءهم. ألفَينا. وعنِ ابن مسعودٍ {بل عَجِبت[٣] ويَسخَرون}

٤٦٩٣ ـ عن عبد اللهِ رضيَ الله عنه «إنَّ قريشاً لما أبطَئوا عن رسولِ الله ﷺ بالإسلام قال: اللهمَّ اكفِنيهم بسبع كسبع يوسفَ، فأصابَتْهم سَنةٌ حَصَّت كلَّ شيء، حتى أكلوا العظامَ، حتى جعلَ الرجلُ ينظرُ إلى السماءِ فيرى بينَهُ وبينها مثلَ الدُّخان، قال الله: {فارتَقِبْ يومَ تأتي السماءُ بدُخان مُبين}، قال اللهُ: {إنّا كاشِفوا العذابِ قليلا إنكم عائدون. أفيُكشَف عنهمُ العذابُ يوم القيامة} وقد مضى الدخان ومَضتِ البَطشة».

قوله (باب[٤]قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) اسم هذه المرأة في المشهور زليخا، وقيل راعيل، واسم سيدها العزيز قطفير.

قوله (وعن ابن مسعود بل عجبت ويسخرون وقد أشكلت مناسبة إيراد هذه الآية في هذا الموضع فإنها من سورة والصافات، وليس في هذه السورة من معناها شيء. لكن أورد البخاري في الباب حديث عبد الله وهو ابن مسعود «أن قريشاً لما أبطؤا على النبي ﷺ قال: اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف» الحديث ولا تظهر مناسبته أيضاً للترجمة المذكورة هي قوله «باب قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه» وقد تكلف لها أبو الإصبع عيسى بن سهل في شرحه فيما نقلته من رحلة أبي عبد الله بن رشيد عنه ما ملخصه: ترجم البخاري «باب قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه» وأدخل حديث ابن مسعود «أن قريشاً لما أبطئوا» الحديث وأورد قبل ذلك في الترجمة عن ابن مسعود {بل عجبت ويسخرون} قال فانتهى إلى موضع الفائدة ولم يذكرها وهو قوله {وإذ ذكروا لا يذكرون، وإذا رأوا آية يستسخرون} قال: ويؤخذ من ذلك مناسبة التبويب المذكورة، ووجهه أنه شبه ما عرض ليوسف

---

(١) رواية الترجمة واليونينية بدون "قوله" وبدون التبويب في اليونينية

(٢) كتاب التفسير "النور" باب / ٦ ح-٤٧٥٠ - ٣ / ٦١٥

(٣) قراءة حفص عن عاصم "عجبتَ" بفتح التاء.

(٤) رواية الترجمة واليونينية بدون "قوله" وبدون التبويب في اليونينية.

عليه السلام مع إخوته ومع امرأة العزيز بما عرض لمحمد ﷺ مع قومه حين أخرجوه من وطنه كما أخرجه يوسف إخوته وباعوه لمن استعبده فلم يعنف النبي ﷺ قومه لما فتح مكة كما لم يعنف يوسف إخوته حين قالوا له {تالله لقد آثرك الله علينا} ودعا النبي ﷺ بالمطر لما سأله أبو سفيان أن يستسقى لهم كما دعا يوسف لإخوته لما جاءوه نادمين فقال: {لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم} قال: فمعنى الآية بل عجبت من حلمي عنهم مع سخريتهم بك وتماديهم على غيهم، وعلى قراءة ابن مسعود بالضم بل عجبت من حلمك عن قومك إذ أتوك متوسلين بك فدعوت فكشف عنهم، وذلك كحلم يوسف عن إخوته إذ أتوه محتاجين، وكحلمه عن امرأة العزيز حيث أغرت به سيدها وكذبت عليه ثم سجنته ثم عفا عنها بعد ذلك ولم يؤاخذها. قال: فظهر تناسب هاتين الآيتين في المعنى مع بعد الظاهر بينهما. قال: ومثل هذا كثير في كتابه -مما عابه من لم يفتح الله عليه- والله المستعان.

قال الكرماني: أورد البخاري هذه الكلمة وإن كانت في الصافات هنا إشارة إلى أن ابن مسعود كان يقرؤها بالضم كما يقرأ هيت بالضم انتهى. وهي مناسبة لا بأس بها إلا أن الذي تقدم عن ابن سهل أدق والله أعلم.

٥ - باب {فلما جاءهُ الرسولُ قال ارجعْ إلى ربِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسوةِ اللاتي قَطعن أيدَيهن إنَّ ربي بكيدِهن عليم، قال ما خَطبُكنَّ إذا راودْتُنَّ يوسفَ عن نفسه؟ قلن حاشى[1] لله}

وحاشَ وحاشى تَنزيهٌ واستِثناء حَصْحَص: وَضَح

٤٦٩٤ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: يرحمُ اللهُ لوطاً، لقد كان يأوِي إلى ركنٍ شديد، ولو لبِثتُ في السجن ما لبثَ يوسفُ لأجَبتُ الداعي، ونحن أحقُّ من إبراهيمَ إذ قال له: {أوَ لم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليَطمئنَّ قلبي}».

تقدم شرح حديث الباب في ترجمتي إبراهيم ولوط من أحاديث الأنبياء[2].

٦ - باب {حتى إذا استَيأسَ الرُّسُل}

٤٦٩٥ - عن عائشة رضيَ الله عنها قالت له وهو يَسألها عن قول الله تعالى {حتى إذا استيأس الرُّسل قال: قلت: أكُذِبوا أم كُذِّبوا؟ قالت عائشة: كذِّبوا. قلتُ: فقد استيقنوا أنَّ قومَهم كذَّبوهم، فما هو بالظنّ. قالت أجل لعَمري، لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنوا أنهم قد كُذِبوا؟ قالت: معاذ الله، لم تكن الرسلُ تَظنُّ ذلك بربِّها. قلتُ: فما هذه الآية؟

---

(١) قراءة حفص عن عاصم "حاش" بغير ياء.
(٢) كتاب الأنبياء باب / ١٥ ح ٣٣٧٥ - ٣ / ٢٨.

قالت: هم اتباعُ الرُّسل الذين منوا بربِّهم وصدَّقوهم، فطال عليهمُ البَلاءُ واستأخَرَ عنهمُ النصرُ، حتى إذا استَيأسَ الرسُلُ ممن كذَّبهم من قومِهم، وظنَّت الرُّسلُ أنَّ اتباعَهم قد كذَّبوهم، جاءهم نصرُ اللهِ عندَ ذلك».

٤٦٩٦ ـ عن عروة «فقلت: لعلها كُذِبوا مخففةً قالت: مَعاذَ الله» نحوَه.

قوله (فما هو بالظن؟ قالت أجل) زاد الإسماعيلي «قلت فيه مخففة. قالت معاذ الله» وهذا ظاهر في أنها أنكرت القراءة بالتخفيف بناء على أن الضمير للرسل، وليس الضمير الرسل على ما بينته ولا لإنكار القراءة بذلك معنى بعد ثبوتها ولعلها لم يبلغها ممن يرجع إليه في ذلك. وقد قرأها بالتخفيف أئمة الكوفة من القراء عاصم ويحيى بن ثابت والأعمش وحمزة والكسائي، ووافقهم من الحجازيين أبو جعفر بن القعقاع، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري وحمد بن كعب القرظي في آخرين.

وقد روى الطبري أن سعيد بن جبير سئل عن هذه الآية فقال: يئس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا. فقال الضحاك بن مزاحم لما سمعه: لو رحلت إلى اليمن في هذه الكلمة لكان قليلا. فهذا سعيد بن جبير وهو من أكابر أصحاب ابن عباس العارفين بكلامه حمل الآية على الاحتمال الأخير الذي ذكرته، وعن مسلم بن يسار أنه سأل سعيد بن جبير فقال له: آية بلغت مني كل مبلغ، فقرأ هذه الآية بالتخفيف، قال في هذا ألوت أن تظن الرسل ذلك، فأجابه بنحو ذلك، فقال: فرَّجتَ عنِّي فرَّجَ اللهُ عنك، وقام إليه فاعتنقه. وجاء ذلك من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس نفسه، فعند النسائي من طريق أخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله {قد كذبوا} قال: استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم، وإسناده حسن، فليكن هو المعتمد في تأويل ما جاء عن ابن عباس في ذلك، وهو أعلم بمراد نفسه من غيره.

(١٣) سورةُ الرَّعْد

وقال ابنُ عباس {كباسطِ كفَّية}: مَثَلُ المشرك الذي عَبدَ مع اللهِ إلهاً غيرَه كمثَلِ العطشانِ الذي يَنظرُ إلى ظلِّ خَيالهِ في الماء من بعيد وهو يريدُ أن يَتناوَلَهُ ولا يَقدِر، وقال غيرُهُ: سَخَّر ذلل، {متجاورات}: مُتدانيات، {المثلات} واحدُها مَثُلة، وهي الأشباهُ والأمثال، وقال {إلاَّ مثلَ أيام الذين خَلَوا}، {بمقدار} بقدَر، {مُعقِّبات}: ملائكةٌ حفَظة تُعقِّب الأولى منها الأخرى، ومنه قيل العَقيب، يقال عَقَبت في إثره. {المِحال}: العقوبة، {كباسطِ كفيْه إلى الماء} ليقبضَ عَلى الماء، {رابِياً} من رَبا يربو، {أو مَتاع زبد} المتاع: ما تمتَّعت به {جُفاء} أجفأتِ القدرُ إذا غلَت فعَلاها الزَّبَد ثم تَسكنُ فيذهبُ الزبدُ بلا منفعة، فكذلك

يُميزُ الحقُّ من الباطل {المِهاد}: الفِراش، {يَدرءون}: يَدفَعون، دَرَأْتهُ: دَفَعتهُ،{سلام عليكم} أي يقولون سلام عليكم، {وإليهِ مَتابِ}: توبتي، {أفلم ييأس} لم يَتَبيَّن، {قارعة}: داهية، {فأمليْتُ}: أطلتُ، من الملى والملاوة، ومنه {مَلِيّاً} ويقال للواسع الطويل من الأرض: مَلَي من الأرض، {أشقُّ} أشدُّ، من المشقة، {مُعقِّب}: مغيِّر، وقال مجاهد: {متجاورات} طيبها وخبيثها السباخ {صِنوان} النخلتان أو أكثر في أصلٍ واحد، {وغيرُ صِنوان} وحدَها. {بماء واحد} كصالح بني آدمَ وخبيثهم أبوهم واحد {السَّحاب الثقال} الذي فيه الماء، {كباسط كفيه إلى الماء}: يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيدهِ فلا يأتيهِ أبدا. {سالَت أوديةٌ بقدَرِها} تملأُ بطنَ وادٍ، {زَبَداً رابِيا}: زبدُ السيل، {زَبَدٌ مثلُه}: خَبَثُ الحديد والحلية.

قوله (يقال معقبات ملائكة حفظة تعقب الأولى منها الأخرى ومنه قيل العقيب أي في أثره) سقط لفظ «يقال» من رواية غير أبي ذر وهو أولى فإنه كلام أبي عبيدة أيضاً قال في قوله تعالى {له معقبات من بين يديه} أي ملائكة تعقب بعد ملائكة، حفظة بالليل تعقب بعد حفظة النهار وحفظة النهار تعقب بعد حفظة الليل، ومنه قولهم فلان عقبني وقولهم عقبت في أثره. وروى الطبري بإسناد حسن عن ابن عباس في قوله تعالى {له معقبات من بين يديه ومن خلفه} قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خلوا عنه. ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {من أمر الله} يقول بإذن الله، فالمعقبات هن من أمر الله وهي الملائكة، ومن طريق سعيد بن جبير قال: حفظهم إياه بأمر الله. ومن طريق إبراهيم النخعي قال: يحفظونه من الجن، ومن طريق كعب الاحبار قال: لو لا أن الله وكل بكم ملائكة يبدون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتم.

قوله (قارعة داهية) قال أبو عبيدة في قوله {تصيبهم بما صنعوا قارعة} أي داهية مهلكة، تقول قرعت عظمه أي صدعته، وفسره غيره بأخص من ذلك: فأخرج الطبري بإسناد حسن عن ابن عباس في قوله تعالى {ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة} قال سرية أو تحل قريباً من دارهم قال أنت يا محمد حتى يأتي وعد الله فتح مكة.

قوله (وقال مجاهد متجاورات طيبها وخبيثها السباخ) وقد وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله {وفي الأرض قطع متجاورات} قال: طيبها عذبها، وخبيثها السباخ.

ومن طريق أخرى متصلة عن ابن عباس قال: تكون هذه حلوة وهذه حامضة وتسقى بماء واحد وهن متجاورات.

١ ـ باب {اللهُ يعلم ما تحمِلُ كلُّ أنثى وما تغيضُ الأرحام}

غِيضَ: نُقص

٤٦٩٧ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَفاتيحُ الغيب خمسٌ لا يعلمها إلاّ الله: لا يَعلمُ ما في غَدٍ إلا الله، ولا يَعلمُ ما تَغيضُ الأرحامُ إلاّ الله، ولا يعلمُ متى يأتي المطرُ أحدٌ إلاّ الله، ولا تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت، ولا يعلمُ متى تقومُ الساعة إلا الله».

قوله (باب قوله[١]{ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام} غيض نقص) قال أبو عبيدة: في قوله {وغيض الماء} أي ذهب وقبل. وهذا تفسير سورة هود، وإنما ذكره هنا لتفسير قوله، تغيض الأرحام، فإنها من هذه المادة، وروى عبد بن حميد من طريق أبي بشر عن مجاهد في قوله {الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد} قال: إذا حاضت المرأة وهي حامل كان نقصانا من الولد، فإن زادت على تسعة أشهر كان تماماً لما نقص من ولدها، ثم روى من طريق منصور عن الحسن قال: الغيض ما دون تسعة أشهر، والزيادة ما زادت عليها يعني في الوضع، ثم ذكر المصنف حديث ابن عمر في مفاتيح الغيب وقد تقدم في سورة الأنعام، ويأتي في تفسير سورة لقمان[٢] ويشرح هناك إن شاء الله تعالى.

(١٤) سورةُ إبراهيمَ

قال ابنُ عباس: {هادٍ} داعٍ، وقال مجاهد: {صديد} قَيحٌ ودم، وقال ابنُ عُيَينة، {اذكُروا نعمةَ اللهِ عليكم} أياديَ اللهِ عندكم وأيامَه، وقال مجاهد: {من كلِّ ما سألتموه} رَغبتم إليه فيه. {تبغونُها عوَجاً} تلتمسونَ لها عوَجاً {وإذ تأذنَ ربُّكم} أعلمكم، آذَنَكم، {رَدُّوا أيديَهم في أفواههم} هذا مَثَل كفوا عمّا أُمِروا به. {مَقامي} حيثُ يُقيمه اللهُ بين يدَيه. {مِن ورائهِ} قُدّامه جهنم. {لكم تَبَعاً} واحدُها تابعٍ، مثل غَيَب وغائب. {بمُصرِخكم} استصرَخني استغاثَني، يستَصرِخهُ منَ الصُّراخ. {ولا خِلال} مصدرُ خاللتهُ خِلال، ويَجوزُ أيضاً جمع خُلّة وخِلال. {اجتُثَّت} استُوصِلَت.

قوله ([٣]وقال ابن عباس: هاد داع) وهذه الكلمة إما وقعت في السورة التي قبلها في قوله تعالى {إنما أنت منذر ولكل قوم هاد} واختلف أهل التأويل في تفسيرها بعد اتفاقهم على أن المراد بالمنذر محمد ﷺ، فروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ولكل قوم هاد} أي داع.

قوله (وإذا تأذن ربكم: أعلمكم آذنكم) كذا للأكثر، ولأبي ذر أعلمكم ربكم، قال أبو عبيدة في قوله تعالى {وإذ تأذن ربكم} إذ زائدة، وتأذن تفعل من آذن أي أعلم، وهو قول

---

(١) في المتن واليونينية بدون "قوله"وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب التفسير "لقمان" باب / ٢ ح ٤٧٧٨ - ٣ / ٦٤٥.
(٣) رواية الباب واليونينية "قال ابن عباس ......".

أكثر أهل اللغة أن تأذن من الإيذان وهو الإعلام، ومعنى تفعل عزم عزماً جازما، ولهذا أجيب بما يجاب به القسم.

قوله (أيديهم في أفواههم، هذا مثل كفوا عما أمروا به) قال أبو عبيدة في قوله {فردوا أيديهم في أفواههم} مجازه مجاز المثل ومعناه كقوله عما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال رد يده في فمه إذا أمسك ولم يجب، وقد تعقبوا كلام أبي عبيدة فقيل: لم يسمع من العرب رد يده في فيه إذا ترك الشيء الذي كان يريد أن يفعله، وقد روى عبد بن حميد من طريق أبي الاحوص عن عبد الله قال: عضوا على أصابعهم، وصححه الحاكم وإسناده صحيح، ويؤيده الآية الأخرى {وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ}.

وقيل المعنى رد الكفار أيدي الرسل في أفواههم بمعنى أنهم امتنعوا من قبول كلامهم، أو المراد بالأيدي النعم أي ردوا نعمة الرسل وهي نصائحهم عليهم لأنهم إذا كذبوها كأنهم ردوها من حيث جاءت.

قوله (اجتثت استؤصلت) هو قول أبي عبيدة أيضاً أي قطعت جثثها بكمالها، وأخرجه الطبري من طريق سعيد عن قتادة مثله، ومن طريق العوفي عن ابن عباس: ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة بمثل الكافر، يقول: الكافر لا يقبل عمله ولا يصعد؛ فليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء ومن طريق الضحاك قال في قوله ما لها من قرار أي ما لها أصل ولا فرع ولا ثمرة ولا منفعة، كذلك الكافر ليس يعمل خيراً ولا يقول خيرا، ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة.

١ - باب {كَشجرةٍ طَيِّبة أصلُها ثابتَ وفَرعها في السماء تُؤْتي أُكُلَها كلَّ حينٍ}

٤٦٩٨ - عن ابن عمر رضيَ الله عنهما قال: «كنّا عندَ رسولِ الله ﷺ فقال: أخبروني بشجرةٍ تُشبِه أو كالرجُل المسلم لا يتحاتُّ ورقُها ولا ولا ولا، تُؤتي أكلها كل حين، قال ابنُ عمر: فوقعَ في نفسي أنها النخلة، ورأيتُ أبا بكر وعمرَ لا يتكلمان، فكرِهتُ أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسولُ الله ﷺ:هي النخلة، فلما قمنا قلت لعمرَ: يا أبَتاه، والله لقد كان وقعَ في نفسي أنها النخلة، فقال ما منَعَكَ أن تَكلَّمَ؟ قال: لم أركم تَكلمون فكَرِهتُ أن أتكلمَ أو أقول شيئاً قال عمرُ: لأن تكونَ قلتَها أحبُّ إليَّ من كذا وكذا».

وقد تقدم شرح الحديث مستوفى في كتاب العلم، وقد تقدم هناك البيان الواضح بأن المراد بالشجرة في هذه الآية النخلة، وفيه رد على من زعم أن المراد بها شجرة الجوز الهندي.

ومعنى قوله {طيبة} أي لذيذة الثمر أو حسنة الشكل أو نافعة، فتكون طيبة بما يئول إليه

نفعها، وقوله {أصلها ثابت} أي لا ينقطع، وقوله {وفرعها في السماء} أي هي نهاية في الكمال، لأنها إذا كانت مرتفعة بعدت عن عفونات الأرض، وللحاكم من حديث أنس «الشجرة الطيبة النخلة والشجرة الخبيثة الحنظلة».

٢ ـ باب {يُثبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت}

٤٦٩٩ ـ عن البَراء بن عازب أن رسولَ الله ﷺ قال: «المسلمُ إذا سُئلَ في القبر يشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، فذلك قوله {يُثبِّتُ اللهُ الذين امَنوا بالقول الثابت في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرة}».

قوله (باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) ذكر فيه حديث البراء مختصراً، وقد تقدم في الجنائز[١] أتم سياقاً واستوفيت شرحه في ذلك الباب.

٣ ـ باب {ألم ترَ إلى الذين بدَّلوا نعمةَ الله كفرا}

{ألم ترَ} ألم تعلم، كقوله {ألم تر إلى الذين خرجوا}، {البوار} الهلاك، بار يبور بورا، {قوماً بُوراً} هالكين

٤٧٠٠ ـ عن ابن عباس «{ألم ترَ إلى الذين بدَّلوا نعمةَ اللهِ كفراً} قال: هم كفّار أهل مكة».

ثم ذكر حديث ابن عباس فيمن نزلت فيه الآية مختصراً، وقد تقدم مستوفى مع شرحه في غزوة بدر[٢]، وروى الطبري من طريق أخرى عن ابن عباس أنه سأل عمر عن هذه الآية فقال: من هم قال هم الأفجران من بني مخزوم وبني أمية أخوالي وأعمامك، فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر، وأما أعمامك فأملى الله لهم إلى حين، ومن طريق علي قال: هم الأفجران بنو أمية وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، وهو عند عبد الرزاق أيضاً والنسائي وصححه الحاكم، قلت: والمراد بعضهم لا جميع بني أمية وبني مخزوم، فإن بني مخزوم لم يستأصلوا يوم بدرٍ، بل المراد بعضهم كأبي جهل من بني مخزوم وأبي سفيان من بني أمية.

(١٥) سورة الحِجر

وقال مجاهد {صراطٌ عليَّ مستقيم}: الحقُّ يَرجعُ إلى الله، وعليه طريقه. {لبإمام مبين}: على الطريق، وقال ابن عباس {لَعَمْرُكَ}: لَعيشُك، {قومٌ مُنكَرون} أنكرَهم لوط، وقال غيرهُ {كتاب معلوم}: أجَل، {لو ما تأتينا}: هلاً تأتينا، {شِيَع}: أمم، والأولياء أيضاً شِيَع، وقال ابنُ عباس {يُهرَعون}: مُسرعين. {للمتوسِّمين}: للناظرين. {سكِّرَت}: غُشِّيَت، {بُروجاً}:

(١) كتاب الجنائز باب / ٨٦ ح ١٣٦٩ - ٣ / ٦٩٠.
(٢) كتاب المغازي باب / ٨ ح٣٩٧٧ - ٣ / ٢٦٣.

مَنازل للشمس والقمر، {لواقح}: مَلاقح مُلقحة، {حَمَإٍ}: جماعةُ حَمْأَةٍ وهو الطينُ المتغيِّر، والمسنونُ: المصبوب، {تَوْجَل}: تَخَف {دابِرَ}: آخِر، {لَبِإمامٍ مبين}: الإمام كل ما ائتممتَ واهتديت به، {الصيحة}: الهلكة.

قوله {سكرت غشيت} وذكر الطبري عن ابن عمرو بن العلاء أنه كان يقول: هو مأخوذ من سكر الشراب، قال: ومعناه غشي أبصارنا مثل السكر، ومن طريق قتادة قال: سحرت .

قوله (لعمرك لعيشك) وسيأتي لهم في الأيمان والنذور[1] مع شرحه.

١ ـ باب {إلاّ مَنِ استرَقَ السمعَ فأتبَعَهُ شهابٌ مبين}

٤٧٠١ ـ عن أبي هريرةَ يَبلغُ به النبيَّ ﷺ قال: «إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماء ضَرَبَتِ الملائكةُ بأجنحَتِها خُضعاناً لقوله كالسِّلسلةِ على صفوانٍ قال عليٌّ، وقال غيرهُ: صفوانٍ يَنفذُهم ذلك، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا: للذي قال: الحقُّ، وهو العليُّ الكبير. فيسمعُها مُسترقو السمع، ومسترقو السمع، هكذا واحدٌ فوقَ آخر، ووَصفَ سفيانُ بيدهِ وفرَّجَ بين أصابع يدِهِ اليمنى، نَصبَها بَعضَها فوق بعض، فربُما أدركَ الشهابُ المستمعَ قبل أن يرمِيَ بها إلى صاحبِه، فيُحرِقَه، وربما لم يُدركهُ حتى يرميَ بها إلى الذي يَليه، إلى الذي هو أسفلَ منه، حتى يُلقوها إلى الأرض -وربما قال سفيانُ: حتى تنتهى إلى الأرض -فتُلقى على فم الساحرِ، فيَكذبُ معها مائةَ كَذْبَة، فيصدقُ، فيقولون: ألم يُخبرنا يومَ كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً؟ للكلمةِ التي سمُعت من السماء».

[الحديث ٤٧٠١ - طرفاه في: ٤٨٠٠، ٧٤٨١]

قوله (باب[2] قوله إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) ذكر فيه حديث أبي هريرة في قصة مسترقي السمع، وسيأتي شرحه في تفسير سورة سبأ[3] ويأتي الإلمام به في أواخر الطب وفي كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى.

٢ ـ باب {ولقد كذَّبَ أصحابُ الحِجْرِ المرسَلين}

٤٧٠٢ ـ عن عبد الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما «أن رسولَ اللهِ ﷺ قال لأصحابِ الحجرِ: لا تَدخُلوا على هؤلاءِ القوم إلاّ أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابهم».

٣ ـ باب {ولقد آتيناكَ سبعاً منَ المثاني والقرآنَ العظيم}

٤٧٠٣ ـ عن أبي سعيدِ بن المعلى قال: «مَرَّ بي النبيُّ ﷺ وأنا أصلي فدَعاني، فلم آتهِ حتى صلَّيتُ، ثمَّ أتيتُ فقال: ما منعك أن تأتيَ؟ فقلتُ: كنتُ أصلِّي، فقال: ألم يَقلِ اللهُ {يا

---

(١) كتاب الأيمان والنذور باب / ١٣ - ٥ / ١٢٩

(٢) في المتن واليونينية بدون "قوله" في اليونينية وبدون "باب وقوله

(٣) كتاب التفسير "سبأ" باب / ١ ح ٤٨٠٠ - ٣ / ٦٦١

أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسولِ؟} ثم قال: ألا أعلّمكَ أعظمَ سورةٍ في القرآنِ قبلَ أن أخرجَ منَ المسجد؟ فذهبَ النبيُّ ﷺ ليخرُجَ فَذكَّرْتُهُ فقال: الحمدُ لله ربِّ العالمين هي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتيتُه».

٤٧٠٤ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ «أمُّ القرآن هي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيم».

قوله (باب قوله[1]{ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم}) ذكر فيه حديث أبي سعيد بن المعلي في ذكر فاتحة الكتاب ، وقد سبق في أول التفسير مشروحاً، ثم ذكر حديث أبي هريرة مختصراً بلفظ «أم القرآن هي السبع المثاني» في رواية الترمذي من هذا الوجه «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني».

وللطبري من وجه آخر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رفعه «الركعة التي لا يقرأ فيها كالخداج، قال فقلت لأبي هريرة: فإن لم يكن معي إلا أم القرآن؟، قال: هي حسبك، هي أم الكتاب وهي أم القرآن وهي السبع المثاني» قال الخطابي: وفي الحديث رد على ابن سيرين حيث قال: إن الفاتحة لا يقال لها أم القرآن وإنما يقال لها فاتحة الكتاب، ويقول أم الكتاب هو اللوح المحفوظ؛ قال: وأم الشيء أصله، وسميت الفاتحة أم القرآن لأنها أصل القرآن، وقيل لأنها متقدمة كأنها تؤمه.

وقد روى الطبري بإسنادين جيدين عن عمر ثم عن علي قال: «السبع المثاني فاتحة الكتاب» زاد عن عمر «تثنى في كل ركعة» وبإسناد حسن عن ابن عباس أنه قرأ الفاتحة ثم قال: {ولقد آتيناك سبعاً من المثاني} قال: هي فاتحة الكتاب، وبسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة، ومن طريق جماعة من التابعين: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب، ومن طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: السبع المثاني فاتحة الكتاب، قلت للربيع: إنهم يقولون إنها السبع الطوال، قال: لقد أنزلت هذه الآية وما نزل من الطوال شيء، وهذا الذي أشار إليه هو قول آخر مشهور في السبع الطوال، وقد أسنده النسائي والطبري والحاكم عن ابن عباس أيضاً بإسناد قوي.

٤ ـ باب قوله {الذينَ جَعلوا القرآن عضِين}

{المقتسمين} الذين حَلَفوا، ومنه {لا أُقسمُ} أي أُقسم، وتُقرأ «لأُقسِمُ». {قاسَمَهُما} حَلفَ لهما ولم يحلفا له، وقال مجاهد: تَقاسَموا تحالفوا

٤٧٠٥ ـ عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما «الذين {جَعَلوا القرآن عِضِين} قال: هم أهلُ

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

الكتاب، جَزَّءوه أجزاء، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضِه».

٤٧٠٦ ـ عن ابن عبّاس رضيَ الله عنهما {كما أنزلنا على المقتسمين} قال: آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض، اليهود والنَّصارى».

قوله (باب[١] الذين جعلوا القرآن عضين) قيل إن {عضين} جمع عضو، فروى الطبري من طريق الضحاك قال في قوله {جعلوا القرآن عضين} أي جعلوه أعضاء كأعضاء الجزور، وقيل هي جمع عضة وأصلها عضهة، وروى الطبري من طريق قتادة قال: عضين عضهوه وبهتوه، ومن طريق عكرمة قال: العضه السحر بلسان قريش، تقول للساحرة العاضهة، أخرجه ابن أبي حاتم، وروى ابن أبي حاتم أيضاً من طريق عطاء مثل قول الضحاك ولفظه: عضوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: ساحر، وقال آخر: مجنون، وقال آخر: كاهن، فذلك العضين.

٥ ـ {واعبُدْ ربَّك حتى يأتَيك اليقين}

قال سالم اليقين: الموت

قوله (باب قوله[٢] {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} قال سالم: اليقين الموت) واستشهد الطبري لذلك بحديث أم العلاء في قصة عثمان بن مظعون «أما هو فقد جاءه اليقين، وإني لأرجو له الخير» وقد تقدم في الجنائز مشروحاً، وقد اعترض بعض الشراح على البخاري لكونه لم يخرج هنا هذا الحديث، وقال: كان ذكره أليق من هذا، قال: ولأن اليقين ليس من أسماء الموت. قلت: لا يلزم البخاري ذلك، وقد أخرج النسائي حديث بعجة عن أبي هريرة رفعه «خير ما عاش الناس به رجل ممسك بعنان فرسه» الحديث، وفي آخره «حتى يأتيه اليقين ليس هو من الناس إلا في خير» فهذا شاهد جيد لقول سالم، ومنه قوله تعالى: {وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين} واطلاق اليقين على الموت مجاز، لأن الموت لا يشك فيه.

(١٦) سورةُ النَّحل

{روحُ القدُس}: جبريل. {نزَلَ به الرُّوح الأمين}. {في ضَيْق} يقال أمرٌ ضَيق وضَيِّق مثل هَيْن وهَيِّن ولَين وليِّن ومَيت ومَيِّت، قال ابن عباس: {تتفيأ ظلاله}، تتهيأ، سبل ربك ذللا لا يتوعر عليها مكان سلكته، وقال ابنُ عباس: {في تَقلبهم}: اختلافهم، وقال مجاهد: {تميدُ} تَكفَّأُ، {مُفَرطون}: مَنسِيُّون، وقال غيرهُ: {فإذا قرأتَ القرآن فاستَعِذ بالله من الشيطان الرجيم}: هذا مقدَّم ومؤخرِ، وذلك أنَّ الاستِعاذةَ قبلَ القراءة، ومعناها الاعتصام بالله، وقال ابن عباس: {تُسيمون}، ترعون {شاكلته} ناحيته، {قَصْدُ السبيل}: البيان، الدِّفء: ما استدفأتَ به {تريحون} بالعشي، {وتَسرَحون} بالغداة، {بشقّ} يعني المشقة. {على تخوُّف}

(١) في المتن "باب قوله الذين ......" بدون التبويب وفي اليونينية.
(٢) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

تنقص. {الأنعام لعبرة} وهي تَؤنَّث وتُذكر، وكذلك النعَم. {الأنعام جماعة النعم. {أكنانا} واحدها كن مثل حمل وأحمال {سرابيلَ} قمص {تَقيكمُ الحرَّ} وأما {سَرابيلَ تقيكم بأسكم} فإنها الدُّروع: {دَخَلاً بينكم} كلُّ شيء لم يصحَّ فهو دَخَل. قال ابنُ عباس {حَفَدة}: من وَلَد الرجلُ. {السَّكَر} ما حُرِّمَ من ثمرتها. والرِّزقُ الحسن، ما أحلَّ الله، وقال ابن عيينة: عند صدقة {أنكاثاً} هي خرقاءُ كانت إذا أبرَمَت غزلها نَقَضته، وقال ابن مسعود: الأمة مُعلِّم الخير.

قوله (مفرطون منسيون) ومن طريق سعيد بن جبير قال: مفرطون: أي متركون في النار منسيون فيها، ومن طريق سعيد عن قتادة قال: معجلون، قال الطبري: ذهب قتادة إلى أنه من قولهم أفرطنا فلانا إذا قدموه فهو مفرط، ومنه «أنا فرطكم على الحوض»، قلت: وهذا كله على قراءة الجمهور بتخفيف الراء وفتحها، وقرأها نافع بكسرها وهو من الإفراط، وقرأها أبو جعفر بن القعقاع بفتح الفاء وتشديد الراء مكسورة أي مقصرون في أداء الواجب مبالغون في الأساءة.

قوله (الدفء ما استدفأت به) قال أبو عبيدة: الدفء ما استدفأت به من أوبارها ومنافع ما سوى ذلك.

قوله (دخلاً بينكم، كل شيء لم يصح فهو دخل) هو قول أبي عبيدة أيضاً، وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد عن قتادة قال: {دخلاً} خيانة.

قوله ([١]وقال ابن عباس: حفدة من ولد الرجل) وصله الطبري من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله {بنين وحفدة} قال: الولد وولد الولد، وإسناده صحيح.

ومن طريق عكرمة قال: الحفدة الخدام، ومن طريق الحسن قال: الحفدة البنون وبنو البنين، ومن أعانك من أهل أو خادم فقد حفدك، وهذا أجمع أقوال، وبه تجتمع.

قوله (السكر ما حرم من ثمرتها، والرزق الحسن ما أحل[٢]) وصله الطبري بأسانيد من طريق عمرو بن سفيان عن ابن عباس مثله وإسناده صحيح.

١ ـ باب {ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذَلِ العُمر}

٤٧٠٧ ـ عن أنس بن مالكٍ رضيَ الله عنه «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يدعو: أعوذُ بك منِ البُخل، والكسَل، وأرذلِ العُمر، وعذابِ القبر، وفِتنةِ الدَّجال، وفتنةِ المَحيا والممات».

---

(١) رواية الباب واليونينية "قال ابن عباس".
(٢) رواية الباب واليونينية ".... ما أحل الله".

قوله (باب قوله تعالى[١]: ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) ذكر فيه حديث أنس في الدعاء بالاستعاذة من ذلك وغيره، وسيأتي شرحه في الدعوات[٢].

(١٧) سورةُ بني إسرائيل

١ ـ باب * ٤٧٠٨ ـ عن ابن مسعودٍ رضيَ الله عنه قال: في بني إسرائيلَ والكهفِ ومريمَ: إنهنَّ منَ العِتاقِ الأوَل، وهنَّ من تِلادي». {فَسَيُنغِضون إليك رءوسَهم} قال ابنُ عبّاس: يَهُزُّون. وقال غيره: نَغَضت سنُّك أي تحركت».

قوله (سمعت ابن مسعود قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق) جمع عتيق وهو القديم أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودةِ.

وقوله «عن من تلادي» أي مما حفظ قديماً، والتلاد قديم الملك وهو بخلاف الطارف، ومراد ابن مسعود أنهن من أول ما تعلم من القرآن، وإن لهن فضلاً لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم، وسيأتي الحديث في فضائل القرآن بأتم من هذا السياق إن شاء الله تعالى.

قوله (فسينغضون إليك رؤسهم، قال ابن عباس: يهزون) قال أبو عبيدة في قوله {فيسنغضونون إليك رءوسهم} أي يحركونها استهزاء، وقال ابن قتيبة: المراد أنهم يحركون رءوسهم استبعاداً.

٢ ـ باب {وقَضَينا إلى بني إسرائيلَ}: أخبرناهم أنهم سيفسدون

والقضاء على وُجوه: {وقَضى ربُّك}: أمرَ ربك. ومنه الحُكم {إنَّ ربَّك يقضي بينهم}. ومنه: إن ربَّك الخَلْق: {فقَضاهنَّ سبعَ سماوات}: خلقهن. {نفيرا}: مَن يَنفِر مُعه. {وليُتَبِّروا}: يدمِّروا. {ما عَلَوا}. {حَصِيراً}: مَحبِساً مَحصرَاً. {حقَّ}: وَجَب. {مَيسورا} : ليِّناً. {خِطئاً} إثماً، هو اسم من خَطِئت، والخطأ مفتوح مصدره من الإثم، خَطِئت بمعنى أخطأت. {تخرِق}: تقطع، {وإذهم نَجْوى} مصدر من ناجيت فوصفهم بها والمعنى يتناجَون. {رُفاتا} حُطاماً. {واستفزِز} استخف {بَخَيلك}: الفرسان. {الرجل}: الرجالة واحدها راجل، مثل صاحب وصَحْب، واجر وتجْر. {حاصِباً}: الريح العاصِف. والحاصبُ أيضاً ما تَرمي به الريح، ومنه: {حَصَبُ جهنم} يُرمَى به في جهنم وهو حصَبُها، ويقال: حَصَبَ في الأرض ذهب، والحصبُ مُشتقٌ منَ الحصباءِ والحجارةِ. {تارَةً}: مرَّة، وجماعتهُ تِيَرةٌ وتارات. {لأحتَنِكنَّ}: لأستأصِلنهم، يقال: احتَنَك فلانٌ ما عندَ فلانٍ من علم: استقصاه، {طائره}: حظّه. قال ابنُ عباس: كل {سلطان} في القرآن فهو حجة، {وليٌّ من الذُّل} لم يُحالِف أحداً.

---

(١) في المتن واليونينية بدون "قوله" في اليونينية وبدون "باب وقوله".
(٢) كتاب الدعوات باب / ٣٨ ح ٦٣٦٧ – ٥ / ٥٩٦.
(٣) كتاب فضائل القرآن باب / ٦ ح ٤٩٩٤ -٤ / ١١.

وقال الازهري: القضاء مرجعه إلى انقطاع الشيء وتمامه، وقال أيضاً: كل ما أحكم عمله أو ختم أو أكمل أو وجب أو ألهم أو أنفذ أو مضى فقد قضى، وقال في قوله تعالى {وقضينا إلى بني إسرائيل} أي أعلمناهم علما قاطعا، انتهى.

قوله (رفاتاً حطاما) قال أبو عبيدة في قوله {رفاتا} أي حطاما أي عظاما محطمة.

٣ ـ باب {أسرَى بعبده ليلاً من المسجدِ الحرام}

٤٧٠٩ ـ عن أبي هريرة قال: «أُتِيَ رسولُ الله ﷺ ليلةَ أُسرِيَ به بإيلياءَ بقدَحَين من خمر ولبن، فنظر إليهما، فأخذَ اللبن، قال جبريلُ: الحمدُ لله الذي هداك للفطرة، لو أخذتَ الخمرَ غوَت أمتُك».

٤٧١٠ ـ عن جابرِ بن عبد الله رضيَ الله عنهما قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: لما كذَّبتني قريشٌ قمتُ في الحِجْر فجلى الله لي بيتَ المقدِس فطفِقْتُ أخبرهم عن آياتهِ وأنا أنظرُ إليه».

ذكر فيه حديث أبي هريرة «أتي رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء بقدحين» وقد تقدم شرحه في السيرة النبوية.

وأخرج النسائي من طريق زرارة بن أبي أوفى عن ابن عباس هذه القصة مطولة، وقد ذكرت طرفاً منها في أول شرح حديث الإسراء معزوا إلى أحمد والبزار ولفظ النسائي «لما كان ليلة أسري به ثم أصبحت بمكة قطعت بأمري وعرفت أن الناس مكذبي، فقعدت معتزلا حزينا، فمر بي عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزيء: هل كان من شيء؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال: إني أسري بي الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم. قال: فلم ير أن يكذبه مخافة أن يجهد ما قال أن دعا قومه، قال: إن دعوت قومك لك تحدثهم؟ قال: نعم. قال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي هلم، قال: فانقضت إليه المجالس، فجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتني، فحدثهم، قال فمن مصفق ومن واضع يده على رأسه متعجباً، وفي القوم من سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد قال: فهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد، قال النبيُّ ﷺ: فذهبت أنعت لهم، قال: فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت، فجيء بالمسجد حتى وضع فنعته وأنا أنظر إليه، قال فقال القوم: أما النعت فقد أصاب».

٤ ـ باب {ولقد كرَّمنا بني آدمَ}

كرَّمْنا وأكرمنا واحد. {ضِعفَ الحياةِ وضعفَ المماتِ} عذابَ الحياة وعذابَ المماتِ. خِلافَك وخَلْفَك سواء. {ونأى} تباعد، {شاكلتهِ} ناحيته، وهي من شكلهِ {صرَّفنا} وجَّهْنا. {قَبيلاً}

مُعاينةً ومقابلةً، وقيل القابلة لأنها مقابلتُها وتقبلُ ولدَها. {خشيةَ الإنفاق} أنفقَ الرجلُ: أملقَ:، ونفق الشيء ذهب. {قَتوراً} مُقَتِّراً للأذقان مجتمع اللحيين والواحد ذَقَن. وقال مجاهد: {موفوراً} وافِراً. {تبيعاً} ثائِراً، وقال ابن عباس: نصيرا. {خَبَتْ} طَفِئتَ. وقال ابن عباس {لا تُبذِّر} لا تنفق في الباطل، {ابتِغاءَ رحمةٍ} رزق. {مثبوراً} ملعوناً. {لا تَقْفُ} لا تَقل. {فجاسوا} تيمَّموا. {يُزجي الفلكَ} يُجري الفلك. {يَخِرُّونَ للأذقان} للوجوه.

قوله (ضعف الحياة وضعف الممات عذاب الحياة وعذاب الممات) قال أبو عبيدة: في قوله {ضعف الحياة} مختصر، والتقدير ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات. وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ضعف عذاب الدنيا والآخرة، وتوجيه ذلك أن عذاب النار يوصف بالضعف، قال: لقوله تعالى { عذاباً ضعفاً من النار } أي عذاباً مضاعفاً، فكأن الأصل لأذقناك عذاباً ضعفا في الحياة ثم حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف، فهو كما لو قيل أليم الحياة مثلاً.

قوله (شاكلته ناحيته وهي من شكلته[١]) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {على شاكلته} قال على ناحيته، ومن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: على طبيعته وعلى حدته، ومن طريق سعيد عن قتادة قال: يقول على ناحيته وعلى ما ينوى، وقال أبو عبيدة {قل كل يعمل على شاكلته} أي على ناحيته وخلقته، ومنها قولهم هذا من شكل هذا.

قوله (خشية الإنفاق، يقال أنفق الرجل أملق: ونفق الشيء ذهب) كذا ذكره هنا، والذي قاله أبو عبيدة في قوله {ولا تقتلوا أولادكم من إملاق} أي ذهاب مال، يقال أملق فلان ذهب ماله، وفي قوله {ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق} أي فقر.

قوله (لا تبذر لا تنفق في الباطل) وصله الطبري من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله {ولا تبذر}: لا تنفق في الباطل، والتبذير السرف في غير حق، ومن طريق عكرمة قال: المبذر المنفق في غير حق.

قوله {فجاسوا تيمموا} أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {فجاسوا خلال الديار} أي فمشوا. وقال أبو عبيدة: جاس يجوس أي نقب، وقيل نزل وقيل قتل وقيل تردد وقيل هو طلب الشيء باستقصاء وهو بمعنى نقب.

باب {وإذا أردنا أن نُهلكَ قريةً أمرنا مترفَيها}

٤٧١١ ـ عن عبدِ الله قال: «كنا نقول للحيِّ إذا كَثُروا في الجاهلية: أَمِرَ بنو فلان».

(١) رواية الباب واليونينية "... وهي من شكله".

قوله (باب {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها} الآية ذكر فيه حديث عبد الله، وهو ابن مسعود «كنا نقول للحيِّ إذا كثروا في الجاهلية: أمر بنو فلان» ثم ذكره عن شيخ آخر عن سفيان يعني بسنده قال: أمر، فالأولى بكسر الميم والثانية بفتحها وكلاهما لغتان.

وقراءة الجمهور بفتح الميم، وحكى أبو جعفر عن ابن عباسٍ أنه قرأها بكسر الميم وأثبتها أبو زيد لغة وأنكرها الفراء.

وقرأ أبو عثمان النهدي كالأول لكن بتشديد الميم بمعنى الإمارة، واستشهد الطبري بما أسنده من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {أمرنا مترفيها} قال: سلطنا شرارها. ثم ساق عن أبي عثمان وأبي العالية ومجاهد أنهم قرءوا بالتشديد، وقيل التضعيف للتعدية والأصل أمرنا بالتخفيف أي كثرنا كما وقع في هذا الحديث الصحيح، ومنه حديث «خير المال مُهْرَةٌ مأمورة» أي كثيرة النتاج أخرجه أحمد، ويقال أمر بنو فلان أي كثروا وأمرهم الله كثرهم وأمروا أي كثروا، وقد تقدم قول أبي سفيان في أول هذا الشرح في قصة هرقل حيث قال: «لقد أمر أمر ابن أبي كبشة» أي عظم، واختار الطبري قراءة الجمهور، واختار في تأويلها حملها على الظاهر وقال: المعنى أمرنا مترفيها بالطاعة فعصوا، ثم أسنده عن ابن عباس ثم سعيد بن جبير.

٥ ـ باب {ذُرِّيَّةَ مَن حَمَلنا مع نوحٍ إنهُ كان عبداً شَكورا}

٤٧١٢ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بلحمٍ، فرُفِعَ إليه الذِّراع - وكانت تُعجبهُ - فنهَسَ منها نَهسةً ثم قال: أنا سيِّدُ الناس يومَ القيامة، وهل تدرونَ ممَّ ذلك؟ يُجمعُ الناس - الأولين والآخِرين - في صَعيدٍ واحد، يُسمعهمُ الداعي، ويَنفذهمُ البصر، وتدنو الشمسُ فيبلُغُ الناسَ من الغمِّ والكَربِ مالا يُطيقون ولا يَحتمِلون، فيقولُ الناس: ألا ترَونَ ما قد بَلَغكم؟ ألا تنظرون من يَشفعُ لكم إلى ربكم؟ فيقولُ بعضُ الناس: لبعض: عليكم بآدمَ، فيأتون آدمَ عليهِ السلام فيقولون له: أنتَ أبو البشر، خَلَقَكَ اللهُ بيدهِ، ونفخ فيكَ من رُوحهِ، وأمرَ الملائكةَ فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترَى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بَلَغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضبَ اليوم غضباً لم يَغضَبْ قبلَه مثله، ولن يَغضبَ بعدَهُ مثلَه، وإنهُ نهاني عنِ الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، إذهبوا إلى غيري، اذهَبوا إلى نوح، فيأتونَ نوحاً فيقولون: يا نوح، إنك أنتَ أوَّل الرُّسل إلى أهل الأرض، وقد سماك اللهُ عبداً شَكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا تَرَى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عزَّوجل قد غضبَ اليومَ غضباً لم يَغضَب قبلَه مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دَعوةٌ دَعَوتُها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى

غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيمُ، أنت نبيُّ الله وخليله من أهل الأرض، اشفعْ لنا إلى ربك، ألا تَرَى إلى ما نحنُ فيه؟ فيقول لهم: إنَّ ربي قد غضبَ اليومَ غضباً لم يَغضب قبله مثله، ولن يَغضبَ بعده مثله، وإني قد كنتُ كذبتُ ثلاثة كذبات - فذكرهنَّ أبو حَيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي، اذهَبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسولُ الله، فضلك الله برسالتهِ وبكلامهِ على الناس، اشفعْ لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضبَ اليومَ غضباً لم يعضب قبله مثله، ولن يَغضبَ بعدَه مثله، وإني قد قَتلتُ نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبو إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنتَ رسولُ الله وكلمتهُ ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وكلمتَ الناسَ في المهد صبيا، اشفع لنا، ألا ترى إلا ما نحن فيه؟ فيقول: عيسى: إن ربي قد غضبَ اليوم غضباً لم يَغضب قبلهُ مثله ولن يَغضبَ بعدهُ مثله - ولم يذكر ذَنباً - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد، أنتَ رسولُ الله، وخاتمُ الأنبياء، وقد غفرَ الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحنُ فيه؟ فأنطلقُ، فآتي تحتَ العرش فأقعُ ساجداً لربي عزَّ وجل، ثمَّ يَفتح اللهُ عليَّ من مَحامِده وحُسن الثناءِ عليهِ شيئاً لم يَفتحهُ على أحدٍ قبلي، ثم يُقال: يا محمد، ارفَع رأسك، سَلْ تُعطَه، واشفع تُشَفَّع، فأرفعُ رأسي فأقول: أمَّتي يارب، أمتي يارب، فيُقال: يا محمد، أدخِلْ من أمتكَ مَن لا حِسابَ عليهم من الباب الأيمن من أبوابِ الجنة، وهم شركاءُ الناس فيما سَوى ذلك منَ الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيدهِ إنَّ ما بينَ المصراعَين من مصاريع الجنة كما بينَ مكة وحِميَر، أو كما بين مكةَ وبُصَرى».

قوله (باب {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا}) ذكر فيه حديث أبي هريرة في الشفاعة من طريق أبي زرعة بن عمرو عنه، وسيأتي في شرحه في الرقاق[١].

وقوله «ينفذهم[٢] البصر» بفتح أوله وضم الفاء من الثلاثي أي يخرقهم وبضم أوله وكسر الفاء من الرباعي أي يحيط بهم، والذال معجمة في الرواية، وقال أبو حاتم السجستاني: أصحاب الحديث يقولونه بالمعجمة، وإنما هو بالمهملة، ومعناه يبلغ أولهم وآخرهم، وأجيب بأن المعنى يحيط بهم الرائي لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض، فلا يكون فيها ما يستتر به أحد من الرائي، وهذا أولى من قول أبي عبيدة «يأتي عليهم بصر الرحمن» إذ رؤية الله تعالى محيطة بجميعهم في كل حال سواء الصعيد المستوي وغيره، ويقال نفذه البصر إذا

(١) كتاب الرقاق باب / ٥١ ح ٦٥٦٥ - ٥ / ٧٦
(٢) رواية الباب واليونينية "وينفذهم البصر" بزيادة الواو.

بلغه وجاوزه، والنفاذ الجواز والخلوص من الشيء، ومنه نفذ السهم إذا خرق الرمية وخرج منها.

٦ ـ باب {وآتينا داودَ زَبُورا}

٤٧١٣ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «خُفِّفَ على داودَ القرآنُ، فكان يأمرُ بدابَّتهِ لِتُسرَجَ، فكان يَقرأُ قبلَ أن يَفرُغَ». يعني القرآن.

قوله (باب قوله[1]: وآتينا داود زبورا) ذكر فيه حديث أبي هريرة «خفف على داود القرآن» ووقع في رواية لأبي ذر «القراءة» والمراد بالقرآن مصدر القراءة لا القرآن المعهود لهذه الأمة، وقد تقدم إشباع القول فيه في ترجمة داود عليه السلام من أحاديث الأنبياء[2].

٧ ـ {قُلِ ادعوا الذينَ زَعمتم من دُونه فلا يَملِكونَ كشفَ الضرِّ عنكم ولا تَحويلا}

٤٧١٤ ـ عن عبد الله {إلى ربهم الوَسيلَة} قال: كان ناسٌ من الإنسِ يَعبُدون ناساً من الجنِّ، فأسلَم الجنُّ، وتمسَّكَ هؤلاءِ بدينِهم.

[الحديث ٤٧١٤ - طرفه في: ٤٧١٥]

قوله (عن عبد الله {إلى ربهم الوسيلة} قال: كان ناس) المراد بالوسيلة القربة.

قوله (فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم) أي استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة. وروى الطبري من وجه آخر عن ابن مسعود فزاد فيه «والأنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم» وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية.

٨ ـ باب {أولئك الذينَ يدعونَ يَبتغون إلى ربِّهم الوسيلةَ} الآية

٤٧١٥ ـ عن عبد اللهِ رضيَ الله عنه في هذهِ الآية {الذين يَدعونَ يَبتغونَ إلى ربهم الوسيلةَ} قال: ناسٌ من الجن يُعبَدون، فأسلموا.

٩ ـ باب {وما جعلنا الرؤْيا التي أريناكَ إلا فتنةً للناس}

٤٧١٦ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {وما جعلنا الرؤيا التي أريناكَ إلا فتنةً للناس} قال: هيَ رُؤيا عَين أُرِيَها رسولُ اللهِ ﷺ ليلةَ أُسرِيَ به {والشجرةَ الملعونةَ في القرآن} قال: شجرة الزَّقُّوم.

قوله (والشجرة الملعونة في القرآن قال: شجرة الزقوم) هذا هو الصحيح، وذكره ابن أبي

(١) رواية الباب بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) كتاب الأنبياء باب / ٣٧ ح ٣٤١٧ - ٣ / ٤٧.

حاتم عن بضعة عشر نفساً من التابعين. وأما الزقوم فقال أبو حنيفة الدينوري في «كتاب النبات»: الزقوم شجرة غبراء تنبت في السهل صغيرة الورق مدورته لا شوك لها زفرة مرة ولها نور أبيض ضعيف تجرسه النحل ورءوسها قباح جداً.

وقال السهيلي: الزقوم فعول من الزقم وهو اللقم الشديد، وفي لغة تميمية: كل طعام يتقيأ منه يقال له زقوم، وقيل: هو كل طعام ثقيل.

١٠ ـ باب {إنَّ قرآنَ الفجر كان مشهودا}

قال مجاهد: صلاةَ الفجر

٤٧١٧ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «فضلُ صلاةِ الجمع على صلاةِ الواحد خمسٌ وعشرون درجةً، وتجتمعُ ملائكة الليلِ وملائكةُ النهارِ في صلاةِ الصبح، يقول أبو هريرةَ: اقرَءوا إن شئتم {وقُرآنَ الفجر، إن قرآنَ الفجرِ كان مَشهودا}».

١١ ـ باب {عسى أن يَبعثَكَ ربُّكَ مَقاماً محموداً}

٤٧١٨ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «إنَّ الناسَ يَصيرونَ يومَ القيامةِ جُثاً، كل أمةٍ تَتْبَعُ نبيَّها، يقولون: يا فلانُ اشفَعْ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبيِّ ﷺ، فذلكَ يومَ يَبعثهُ اللهُ المقامَ المحمود».

٤٧١٩ ـ عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضيَ الله عنهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «مَن قال حين يسمعُ النداءَ: اللهمَّ ربَّ هذهِ الدعوةِ التَّامَّة والصلاةِ القائمة، آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعَثْهُ مَقاماً محموداً الذي وعَدْتَه، حَلَّت له شفاعتي يومَ القيامة».

قوله (باب قوله[1]: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا) روى النسائي بإسناد صحيح من حديث حذيفة قال: «يجتمع الناس في صعيد واحد، فأول مدعو محمد فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، المهدي من هديت عبدك وابن عبديك، وبك وإليك، ولاملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت» فهذا قوله {عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا} وصححه الحاكم، ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر في الباب لأن هذا الكلام كأنه مقدمة الشفاعة.

وقد تقدم في كتاب الزكاة أن المراد بالمقام المحمود أخذه بحلقة باب الجنة، وقيل إعطاؤه لواء الحمد، وسيأتي بيانه في كتاب الرقاق[2] إن شاء الله تعالى.

---

(١) ترجمة الباب بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) كتاب الرقاق باب / ٥١ ح ٦٥٦٥ - ٥ / ٧٦.

١٢ - باب {وقلْ جاءَ الحقُّ وزَهقَ الباطل، إنَّ الباطلَ كان زَهوقا}

يَزهَق: يَهلِك.

٤٧٢٠ - عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضيَ الله عنه قال: «دَخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ وحولَ البيتِ ستُّونَ وثلاثمائة نُصُبٍ، فجعلَ يَطعُنها بعودٍ في يدهِ ويقول {جاء الحقّ وزهقَ الباطلُ، إنَّ الباطلَ كان زَهوقا}، {جاء الحقُّ وما يُبدئُ الباطلُ وما يُعيد}».

قوله (باب {وقل جاء الحق وزهق الباطل} الآية، يزهق يهلك) قال أبو عبيدة في قوله {تزهق أنفسهم وهم كارهون} أي تخرج وتموت وتهلك، ويقال زهق ما عندك أي ذهب كله، وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباسٍ {إن الباطل كان زهوقا} أي ذاهبا.

قوله (دخل رسول الله[1] ﷺ) في حديث أبي هريرة عند مسلم والنسائي أن ذلك كان في فتح مكة وأوله في قصة فتح مكة إلى أن قال: «فجاء رسول الله ﷺ حتى طاف بالبيت، فجعل يمر بتلك الأصنام فجعل يطعنها بسية القوس ويقول: جاء الحق وزهق الباطل» الحديث بطوله، وقد تقدم شرح ذلك مستوفى في غزوة الفتح بحمد الله تعالى، وقوله «وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب» كذا للأكثر هنا بغير ألف وكذا وقع في رواية سعيد بن منصور لكن بلفظ «صنم» والأوجه نصبه على التمييز إذ لو كان مرفوعاً لكان صفة، والواحد لا يقع صفة للجمع، ويحتمل أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف والجملة صفة، أو هو منصوب لكنه كتب بغير ألف على بعض اللغات.

١٣ - باب {ويسألونَكَ عنِ الرُّوح}

٤٧٢١ - عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: «بَينا أنا معَ النبيِّ ﷺ في حَرثٍ -وهو متَّكئٌ على عَسيبٍ- إذ مرَّ اليهودُ، فقال بعضُهم لبعض: سَلوهُ عنِ الرُّوح، فقال ما رابكم إليه - وقال بعضُهم لا يَستقبلكم بشيء تكرهونه - فقالوا: سَلوهُ، فسألوهُ عنِ الرُّوح، فأمسكَ النبيُّ ﷺ فلم يَرُدَّ عليهم شيئاً، فعلمتُ أنه يوحى إليه، فقمتُ مَقامي. {فلما نزَلَ قال: {ويَسألونَكَ عنِ الرُّوح، قلِ الرُّوحُ مِن أمرِ ربِّي، وما أُوتيتُم منَ العلم إلا قليلا}».

قوله (يتوكأ[2]) أي يعتمد.

قوله (على عسيب) وهي الجريدة التي لا خوص فيها.

قوله (ما رابكم إليه) من الريْب.

قوله (فسألوه عن الروح) قال ابن التين: اختلف الناس في المراد بالروح المسئول عنه في هذا الخبر على أقوال: الأول روح الإنسان، الثاني روح الحيوان، الثالث جبريل، الرابع

(١) رواية الباب واليونينية "دخل النبيّ ﷺ".
(١) رواية الباب واليونينية "وهو متكئٌ".

عيسى، الخامس القرآن، السادس الوحي، السابع ملك يقوم وحده صفا يوم القيامة، الثامن ملك له أحد عشر ألف جناح ووجه.

وهذا إنما اجتمع من كلام أهل التفسير في معنى لفظ الروح الوارد في القرآن، لا خصوص هذه الآية، فمن الذي في القرآن: {نزل به الروح الأمين}، {وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا}، {يلقي الروح من أمره}، {وأيدهم بروح منه}، {يوم يقوم الروح والملائكة صفا}، {تنزل الملائكة والروح فيها}: فالأول جبريل، والثاني القرآن، والثالث الوحي، والرابع القوة، والخامس والسادس محتمل لجبريل ولغيره، ووقع إطلاق روح الله على عيسى، وقد روى ابن إسحق في تفسيره بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: الروح من الله، وخلق من خلق الله وصور كبني آدم، لا ينزل ملك إلا ومعه واحد من الروح، وثبت عن ابن عباس أنه كان لا يفسر الروح، أي لا يعين المراد به في الآية وقال الخطابي: حكوا في المراد بالروح في الآية أقوالاً: قيل سألوه عن جبريل، وقيل عن ملك له ألسنة، وقال الأكثر: سألوه عن الروح التي تكون بها الحياة في الجسد، وقال أهل النظر: سألوه عن كيفية مسلك الروح في البدن وامتزاجه به، وهذا هو الذي استأثر الله بعلمه، وقال القرطبي: الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله ولا تجهل أن جبريل ملك وأن الملائكة أرواح، وقال الإمام فخر الدين الرازي: المختار أنهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة، وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه.

قوله (من أمر ربي) قال الإسماعيلي: يحتمل أن يكون جواباً وأن الروح من جملة أمر الله وأن يكون المراد أن الله اختص بعلمه ولا سؤال لأحد عنه، وقال ابن القيم: ليس المراد هنا بالأمر الطلب اتفاقاً، وإنما المراد به المأمور، والأمر يطلق على المأمور كالخلق على المخلوق، ومنه {لما جاء أمر ربك} وقال ابن بطال: معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر، قال: والحكمة في إبهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه، وقال القرطبي: الحكمة في ذلك إظهار عجز المرء، لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب الأولى، وجنح ابن القيم في «كتاب الروح» إلى ترجيح أن المراد بالروح المسئول عنها في الآية ما وقع في قوله تعالى {يوم يقوم الروح والملائكة صفا} قال: وأما أرواح بني آدم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا نفساً، كذا قال، ولا دلالة في ذلك لما رجحه، بل الراجح الأول.

ونقل ابن منده في «كتاب الروح» له عن محمد بن نصر المروزي الإمام المطلع على اختلاف الأحكام من عهد الصحابة إلى عهد فقهاء الأمصار أنه نقل الإجماع على أن الروح

مخلوقة، وإنما ينقل القول بقدمها عن بعض غلاة الرافضة والمتصوفة، واختلف هل تفني عند فناء العالم قبل البعث أو تستمر باقية؟ على قولين، والله أعلم.

وفي الحديث من الفوائد غير ما سبق جواز سؤال العالم في حال قيامه ومشيه إذا كان لا يثقل ذلك عليه، وأدب الصحابة مع النبي ﷺ، والعمل بما يغلب على الظن، والتوقف عن الجواب بالاجتهاد لمن يتوقع النص، وأن بعض المعلومات قد استأثر الله بعلمه حقيقة، وأن الأمر يرد لغير الطلب، والله أعلم.

١٤ ـ باب {ولا تَجْهَرْ بصلاتكَ ولا تُخافتْ بها}

٤٧٢٢ ـ عن ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما في قولِه تعالى {ولا تجهَرْ بصلاتِكَ ولا تُخافت بها} قال: نَزَلَت ورسولُ الله ﷺ مُختَفٍ بمكة كان إذا ﷺ بأصحابِه رفعَ صَوتَهُ بالقرآن، فإذا سمعَ المشركون سبُّوا القرآنَ ومن أنزَلَهُ ومَن جاء به، فقال اللهُ تعالى لنبيِّه ﷺ {ولا تجهَر بصلاتِك} أي بقراءتك فيسمعَ المشركون فيَسُبُّوا القرآن {ولا تُخافِت بها} عن أصحابِك فلا تُسمِعُهم {وابتَغ بينَ ذلكَ سبيلا}».

[الحديث ٤٧٢٢ - اطرافه في: ٧٤٩٠، ٧٥٢٥، ٧٥٤٧]

٤٧٢٣ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «أُنزلَ ذلك في الدُّعاء».

[الحديث ٤٧٢٣ - طرفاه في: ٦٣٢٧، ٧٥٢٦]

قوله (نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة) يعنى في أول الإسلام.

قوله (رفع صوته بالقرآن) وللطبري من وجه آخر عن سعيد بن جبير «فقالوا له لا تجهر فتؤذي آلهتنا فنهجوا إلهك».

قوله (ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك) أي لا تعلن بقراءة القرآن إعلانا شديداً فيسمعك المشركون فيؤذونك، «ولا تخافت بها» أي لا تخفض صوتك حتى لا تسمع أذنيك «وابتغ بين ذلك سبيلا» أي طريقاً وسطا.

وقال الطبري: لولا أننا لا نستجيز مخالفة أهل التفسير فيما جاء عنهم لا حتمل أن يكون المراد {لا تجهر بصلاتك} أي بقراءتك نهاراً {ولا تخافت بها} أي ليلا، وكان ذلك وجهاً لا يبعد من الصحة، انتهى، وقد أثبته بعض المتأخرين قولا، وقيل: الآية في الدعاء، وهي منسوخة بقوله {ادعوا ربكم تضرعا وخفية}.

(١٨) سورةُ الكهْف

وقال مجاهدٌ {تقرِضُهم} تَترُكُهم، {وكان له ثمر}: ذهبٌ وفِضّةٌ، وقال غيرهُ: جماعةُ الثمر، {باخعٌ}: مُهلِك، {أسَفاً}: نَدَماً، {الكهف}: الفتح في الجبل، {والرَّقيم}: الكتابِ،

{مرقوم}: مكتوب، من الرَّقْم. {رَبَطنا على قُلُوبهم} ألهمناهُم صَبراً. {لولا أن ربَطنا على قلبها}، {شَطَطا}: إفراطاً، {الوَصيد}: الفِناء، جمعهُ وصائد ووُصُدٌ، ويقال: الوَصيد الباب، {مُؤصَدة}: مُطبَقة، آصَدَ الباب وأوصد، {بَعَثناهم} أحييناهم، {أزكى}: أكثر، ويقال: أحلُّ، ويقال: أكثرُ رَيعاً، قال ابنُ عباسٍ: أُكُلَها، ولم {تَظلِم} لم تَنقُص، وقال سعيد عن ابن عباسٍ: {الرَّقيم} اللوحُ من رَصاص، كتبَ عاملهم أسماءهم ثمَّ طرَحه في خِزانته، {فضربَ اللهُ على آذانهم}: فناموا، وقال غيرهُ: وألَت تَئل تنجو، وقال مجاهد: {مَوئِلاً} مَحرِزاً. {لا يستطيعون سمعا}: لا يَعقِلون.

١ ـ باب {وكان الإنسانُ أكثر شيءٍ جَدَلا}

٤٧٢٤ ـ عن علي رضيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ طرقهُ وفاطمةَ قال: ألا تُصلِّيانِ».
{رَجماً بالغيب}: لم يَستَبِن. {فُرُطاً} نَدَماً، {سُرادِقُها} مثلُ السُّرادقِ، والحجرةِ التي تُطيف بالفساطيط، {يُحاورُهُ} من المُحاوَرَة {لكنَّا هوَ اللهُ ربِّي} أي لكن أنا هو اللهُ ربِّي، ثم حذفَ الألف وأدغمَ إحدى النونين في الأخرى {وفجَّرنا خِلالهما نهرا} تقول بينهما نهراً، {زَلَقاً} لا يَثبتُ فيه قدم، {هنالك الوَلاَيَةُ} مصدرُ وَلِي الوليِّ ولاء، {عُقُباً} عاقبة، وعقبى وعُقبة واحد وهي الآخرة، {قِبَلاً} وقُبُلا وقَبَلا: استئنافاً، {لِيُدحِضوا}: ليُزيلوا، الدَّحض الزَّلَق.

قوله (باب وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) ذكر فيه حديث علي مختصرا. وقد تقدم شرحه مستوفى في صلاة الليل[1].

قوله (فرطاً ندما) وقال أبو عبيدة في قوله {وكان أمره فرطا} أي تضييعا وإسرافا، وللطبري عن مجاهد قال ضياعا.

٢ ـ باب {وإذ قال موسى لفتاهُ لا أبرَحُ حتى أبلُغَ مجمعَ البحرَينِ أو أمضيَ حُقُبا}

زماناً، وجمعهُ أحقاب

٤٧٢٥ ـ عن سعيد بن جُبَيرٍ قال: «قلتُ لابن عباسٍ: إنَّ نوفاً البِكاليَّ يزعمُ أن موسى صاحبَ الخَضِرِ ليس هو موسى صاحبَ بني إسرائيلَ، فقال ابنُ عباس: كذَبَ عدوُّ الله، حدَّثني أُبيُّ بن كعب أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: إنَّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيلَ، فسُئل: أيُّ الناسِ أعلمُ؟ فقال: أنا، فعتَبَ اللهُ عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليه، فأوحى اللهُ إليه إنَّ لي عبداً بمَجمَعِ البحرَين هو أعلمُ منك، قال موسى: يا ربِّ فكيف لي به؟ قال: تأخذُ معك حُوتاً فتجعله في مِكتَلٍ، فحيثما فقَدتَ الحوتَ فهو ثَمَّ، فأخذَ حُوتاً فجعلهُ في

---

(١) كتاب التهجد باب / ٥ ح ١١٢٧ - ١ / ٥٧٤.

مِكتَلٍ ثم انطلَقَ، وانطلَقَ معه بفتاهُ يوشَعَ بن نُونٍ، حتى إذا أتيا الصخرةَ وضَعا رءوسهما فناما، واضطرَبَ الحوتُ في المِكتَلِ فخرَجَ منه فسقطَ في البحر، فاتخذَ سبيلَهُ في البحرِ سرَبا، وأمسكَ اللهُ عنِ الحوتِ جريةَ الماء فصارَ عليه مثلَ الطاقِ، فلما استيقظَ نَسيَ صاحبُهُ أن يُخبِرَهُ بالحوت، فانطلَقا بَقيةَ يومِهما وليلتِهما، حتى إذا كان منَ الغَدِ قال موسى لفَتاهُ: آتنا غَداءَنا لقد لَقينا من سفرِنا هذا نَصَباً، قال: ولم يَجد موسى النَّصَبَ حتى جاوزا المكانَ الذي أمرَ اللهُ به، فقال له فَتاهُ: أرأيتَ إذ أوَينا إلى الصخرةِ فإني نسيتُ الحوتَ وما أنسانيه إلا الشيطانُ أن أذكُرَه، واتخذَ سبيلَهُ في البحرِ عجباً، قال: فكان للحوت سَرَباً، ولموسى ولفَتاهُ عَجَباً، فقال موسى: ذلكَ ما كنّا نبغي، فارتدّا على آثارِهما قَصَصا، قال: رَجعا يَقُصّانِ آثارَهما حتى انتَهيا إلى الصخرة فإذا رجُلٌ مُسجّى ثَوباً، فسلّم عليه موسى فقال الخَضِرُ: وأنّى بأرضِكَ السلامُ، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟، قال: نعم، أتيتُكَ لتُعلّمني مما عُلّمتَ رشدا، قال: إنك لن تستطيعَ معيَ صَبرا، يا موسى إني على علمٍ من علم الله علّمنيه لا تعلمُهُ أنت، وأنتَ على علمٍ من علم اللهِ علّمكَ اللهُ لا أعلمهُ، فقال موسى: ستَجِدُني إن شاء اللهُ صابراً ولا أعصي لك أمراً: فقال له الخَضِر: فإنِ اتّبعتَني فلا تسألني عن شيءٍ حتى أُحدثَ لكَ منه ذِكرا، فانطَلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت سفينة، فكلموهم أن يَحمِلوهم، فعرَفوا الخَضِرَ فحملوهُ بغيرِ نَوْلٍ، فلمّا ركِبا في السفينةِ لم يَفجأ إلا والخَضِرُ قد قَلَعَ لوحاً من ألواحِ السَّفينةِ بالقَدوم، فقال له موسى: قومٌ حَملونا بغير نولٍ، عمدتَ إلى سَفينتهم فخرَقتَها لتُغرِقَ أهلها، لقد جئتَ شيئاً إمراً، قال: ألم أقُل لكَ إنكَ لن تَستَطيعَ معيَ صبراً؟ قال: لا تُؤاخِذني بما نسيتُ، ولا تُرهِقني من أمري عُسْراً، قال: وقال رسولُ اللهِ ﷺ: وكانتِ الأولى من موسى نِسياناً، قال: وجاء عُصفورٌ فوقعَ على حرفِ السَّفينةِ فنَقَرَ في البحر نَقرةً، فقال له الخضرُ: ما عِلمي وعلمُك مِن علم الله إلا مثلُ ما نقصَ هذا العُصفور من هذا البحر، ثم خَرجا منَ السفينةِ، فبينما هما يَمشيانِ على الساحلِ إذ أبصرَ الخَضِرُ غلاماً يَلعبُ معَ الغلمانِ، فأخذ الخَضِرُ رأسَهُ بيدهِ فاقتَلَعَهُ بيده فقتَلَه، فقال له موسى: أقتلتَ نفساً زاكيةً بغير نفس؟ لقد جئتَ شيئاً نُكرا، قال: ألم أقُل لكَ إنكَ لن تستطيعَ معيَ صبراً؟ قال: وهذه أشدُّ منَ الأولى، قال: إن سألتُكَ عن شيءٍ بعدَها فلا تُصاحِبْني، قد بَلغتَ من لَدُنّي عُذراً، فانطلقا، حتى إذا أتَيا أهلَ قريةٍ استَطعما أهلها، فأبَوا أن يضيّفوهما، فوجدا فيها جِداراً يريد أن يَنقضّ - قال: مائلٌ - فقام الخَضرُ فأقامَهُ بيده، فقال موسى: قومٌ أتَيناهم فلم يُطعِمونا، ولم يُضَيّفونا، لو شئتَ لا تخذتَ عليهِ أجراً، قال: هذا فِراقُ بَيني وبَينك - إلى قوله - ذلك تأويلُ ما لم تَسطِع عليهِ صَبراً، فقال رسولُ اللهِ

ﷺ: وددْنا أنَّ موسى كان صبرَ حتى يَقُصَّ اللهُ علينا من خبرهما، قال سعيدُ بن جبيرٍ: فكان ابن عباسٍ يَقرأ {وكان أمامهم ملكٌ يأخذ كل سفينةٍ - صالحةٍ - غَصبا} وكان يقرأ {وأما الغلامُ فكان - كافراً وكان - أبواه مؤمنَين}».

قوله (باب قوله[1]: وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) اختلف في مكان مجمع البحرين، فروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: بحر فارس والروم.

قال ابن عطية: مجمع البحرين ذراع في أرض فارس من جهة أذربيجان يخرج من البحر المحيط من شماليه إلى جنوبيه وطرفيه مما يلي بر الشام، وقيل هما بحر الأردن والقلزم، وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين بطنجة. كما قال السهيلي: اجتمع البحران بمجمع البحرين.

قوله (أو أمضي حقبا زمانا، وجمعه أحقاب) هو قول أبي عبيدة قال: ويقال فيه أيضاً حقبه أي بكسر أوله والجمع حقب، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: الحقب الزمان، وعن ابن عباس: الحقب الدهر.

٣ ـ باب {فلما بَلَغا مَجمَعَ بَيْنِهِمَا نَسيا حُوتَهُما، فاتخذَ سَبيلهُ في البحرِ سَرَبا}

مذهبا يُسربُ: يَسلك، ومنه {وساربٌ بالنهار}

٤٧٢٦ ـ عن سعيدِ بن جُبيرٍ قال: «إنَّا لَعندَ ابن عباسٍ في بيتهِ إذ قال: سَلوني، قلتُ: أي أبا عبّاسٍ، جَعلني اللهُ فداءَك، بالكوفةِ رجلٌ قاصٌّ يقال له نَوفٌ يَزعمُ أنه ليس بموسى بني إسرائيل، أما عمروٌ فقال لي: قال: قد كَذَبَ عدوُّ الله: وأما يَعلى فقال لي: قال ابنُ عباس: حدَّثني أُبيُّ بن كعبٍ قال قال رسولُ الله ﷺ: موسى رسولُ الله عليه السلامُ قال: ذكّرَ الناسَ يوماً، حتى إذا فاضتِ العيونُ ورقَّتِ القلوب ولّى، فأدركهُ رجلٌ فقال: أي رسولَ الله، هل في الأرض أحدٌ أعلم منك؟ قال: لا، فعتَبَ عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إلى الله، قيل: بَلى، قال: أي ربِّ فأينَ؟ قال: بمجمع البحرَين، قال: أي ربِّ اجعَلْ لي علماً أعلمُ ذلكَ منه، فقال لي عمروٌ: قال حيثُ يُفارقُكَ الحُوت، وقال لي يَعلى قال: خُذ نُوناً ميِّتاً حيث يُنفَخُ فيه الرُّوح، فأخذَ حُوتاً فجعلهُ في مِكتَل، فقال لفتاهُ: لا أكلِّفكَ إلا أن تخبرَني بحيثُ يُفارقُكَ الحوتُ، قال: ما كلّفتَ كثيرا، فذلك قوله جلَّ ذِكرهُ {وإذ قال موسى لِفَتاهُ} يُوشعَ بن نونٍ - ليست عن سعيد - قال: فبينا هوَ في ظلِّ صخرةٍ في مكان ثَرْيانَ إذا تَضرَّبَ الحوتُ وموسى نائم؛ فقال فتاهُ: لاأوقظهُ، حتى إذا استيقظ نَسِيَ أن يُخبِرَه، وتَضرَّبَ الحوتُ حتى دخلَ

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

البحرَ، فأمسكَ اللهُ عنه جِريةَ البحرِ حتى كأنَّ أثرَهُ في حجَر، قال لي عمروٌ: هكذا كان أثرُهُ في حجَر - وحلَّقَ بين إبهامَيه واللَّتينِ تليانهما - {لقد لَقينا من سَفَرنا هذا نَصَبا} قال قد قطعَ اللهُ عنكَ النَّصَبَ - ليست هذه عن سعيد - أخبرَهُ، فرجَعا، فوجَدا خَضِراً، قال لي عثمانُ بن أبي سليمانَ: على طِنفِسةٍ خضراء عَلى كبدِ البحر، قال سعيدُ بن جبير: مُسَجّى بثوبهِ قد جعلَ طرَفَهُ تحتَ رجلَيه وطرَفَهُ تحت رأسه، فسلَّمَ عليهِ موسى، فكشفَ عن وجههِ وقال: هل بأرضي من سَلامٍ؟ مَن أنتَ؟ قال: أنا موسى، قال: موسى: بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: فما شأنُكَ؟ قال: جئتُ لتعلِّمني مما علِّمت رشدا، قال: أما يكفيكَ أنَّ التوراةَ بيدَيك، وأنَّ الوحيَ يأتيك؟ يا موسى، إنَّ لي علماً لا يَنبغي لكَ أن تَعلمهُ، وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلَمهُ، فأخذ طائرٌ بمنقارهِ من البحر، فقال: واللهِ ما علمي وما علمُك في جنب علم اللهِ إلا كما أخذَ هذا الطائرُ بمنقارهِ من البحر، حتى إذا ركبا في السفينة وَجدا مَعابرَ صغاراً تحملُ أهلَ هذا الساحلِ إلى أهل هذا الساحلِ الآخرِ عرَفوه، فقالوا: عبدُ الله الصالح - قال قلنا لِسعيد: خَضِرٌ؟ قال: نعم - لا نحملهُ بأجر، فخرَقها ووَتدَ فيها وَتدا، قال موسى: أخَرَقْتَهَا لتُغرقَ أهلها؟ لقد جئتَ شيئاً إمراً - قال مجاهد: منكَراً - قال: ألم أقُل إنكَ لن تَستطيعَ معيَ صبرا؟ كانت الأولى نِسياناً والوُسطى شرطاً والثالثة عَمداً، قال لا تُؤاخِذني بما نَسيتُ ولا تُرهِقني من أمري عُسرا، لَقيا غلاماً فقتَلَه، قال يعلي: قال سعيد: وجدَ غِلماناً يَلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجَعَهُ ثم ذَبَحهُ بالسكِّين، قال: أقتلتَ نفساً زكيةً بغير نفسٍ - لم تَعمل بالحِنث، وكان ابنُ عباسٍ قرأها زكيةً زاكية مسلمة كقولكَ غُلاماً زكيّاً فانطلقا فوَجدا جداراً يُريدُ أن يَنقضَّ فأقامَه، قال سعيدٌ بيده هكذا ورَفَعَ يدَهُ فاستَقام، قال يَعلى حَسِبتُ أن سعيداً قال: فمسحَهُ بيدِه فاستقام، لو شئتَ لاتخَذتَ عليه أجراً، قال سعيد: أجراً نأكلهُ، وكان وراءهم، وكان أمامَهم -قرأها ابن عباس أمامهم- مَلكٌ، يزعمون عن غيرِ سعيد أنه هُدَد بن بُدَد، والغلامُ المقتول اسمه يَزعمون حِيسور، مَلِكٌ يأخذُ كل سفينةٍ غَصباً، فأردتُ إذا هي مرَّت به أن يَدَعَها لِعَيبِها، فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها، ومنهم مَن يقول سَدُّوها بقارورةٍ، ومنهم من يقول بالقار، كان أبواهُ مؤمنَينِ وكان كافراً، فَخشينا أن يرهقهما طُغياناً وكفرا: أن يَحملَهما حبّه على أن يُتابعاهُ على دينه، فأردْنا أن يُبدِّلهُما ربُّهما خيراً منه زكاةً وأقربَ رُحماً لقوله أقتلت نفساً زكيةً وأقربَ رُحماً: هما به أرحمُ منهما بالأول الذي قتلَ خَضِرٌ، وزعم غيرُ سعيد أنهما أُبدلا جارية، وأما داودُ بن أبي عاصم فقال عن غيرِ واحد: إنها جارية».

قوله (فاتخذ سبيله في البحر سربا): مذهبا، يسرب يسلك، ومنه: وسارب بالنهار) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {فاتخذ سبيله في البحر سربا} أي مسلكا ومذهبا يسرب فيه،

وفي آية أخرى {وسارب بالنهار} وقال أيضاً في قوله {وسارب بالنهار}: سالك في سربه أي مذهبه: ومنه أصبح فلان آمنا في سربه، ومنه انسرب فلان إذا مضى.

قوله (إذ قال سلوني) فيه جواز قول العالم ذلك، ومحله إذا أمن العجب أودعت الضرورة إليه كخشية نسيان العلم.

قوله (أي أبا عباس) هي كنية عبد الله بن عباس،.

قوله (جعلني الله فداءك) فيه حجة لمن أجاز ذلك خلافاً لمن منعه، وسيأتي البحث في في كتاب الأدب[١].

قوله (إن بالكوفة رجلاً قاصا[٢]) والقاص بتشديد المهملة الذي يقص على الناس الأخبار من المواعظ وغيرها.

قوله (أما عمرو) ابن دينار (قال لي كذب عدو الله) وقوله كذب وقوله عدو الله محمولان على إرادة المبالغة في الزجر والتنفير عن تصديق تلك المقالة، وقد كانت هذه المسألة دارت أولا بين ابن عباس والحر بن قيس الفزار وسألا عن ذلك أبيّ بن كعب، لكن لم يفصح في تلك الرواية ببيان ما تنازعا فيه، وقد تقدم بيان ذلك في كتاب العلم[٣].

قوله (حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب) فيه أن الواعظ إذا أثر وعظه في السامعين فخشعوا وبكوا ينبغي أن يخفف لئلا يملوا.

قوله (أعلم ذلك به)[٤] أي المكان الذي أطلب فيه.

قوله (قال حيث يفارقك الحوت) يعني فهو ثم، وقع ذلك مفسراً في رواية سفيان عن عمرو قال: «تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل، فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم» ونحوه في قصة الحر بن قيس ولفظه «وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه».

قوله (إذا تضرب الحوت) وهو تفعل من الضرب في الأرض وهو السير، وفي رواية سفيان «واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر».

قوله {لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا} وفي رواية سفيان المذكورة «ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به».

قوله (فرجعا فوجدا خضرا) في رواية سفيان «فقال موسى {ذلك ما كنا نبغ} أي نطلب» وفي رواية للنسائي «هذه حاجتنا» وذكر موسى ما كان الله عهد إليه يعني في أمر الحوت.

---

(١) كتاب الأدب باب / ١٠٤ ح ٦١٨٥ - ٤ / ٥٠١.
(٢) رواية الباب واليونينية "بالكوفة رجل قاص".
(٣) كتاب العلم باب / ١٦ ح ٤٧ - ١ / ٩٤.
(٤) الذي في رواية الباب "أعلم ذلك منه" واليونينية توافق الشرح.

قوله (فوجدا خضرا) تقدم ذكر نسبه وشرح حاله في أحاديث الأنبياء[(١)]، وفي رواية سفيان «حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل»، وزعم الداودي أن هذه الرواية وهم وأنهما إنما وجداه في جزيرة البحر، قلت: ولا مغايرة بين الروايتين، فإن المراد أنهما لما انتهيا إلى الصخرة تتبعاه إلى أن وجداه في الجزيرة.

قوله (قال لي عثمان بن أبي سليمان على طِنْفِسَةٍ خَضراءَ) والطنفسة فرش صغير.

قوله (قال سعيد بن جبير مسجًى بثوبه) وقد تقدم في أحاديث الأنبياء حديث أبي هريرة رفعه «إنما سمي الخَضِر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء» والمراد بالفروة وجه الأرض.

قوله (فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه) في رواية أبي إسحق عند مسلم «فقال: السلام عليكم، فكشف الثوب عن وجهه وقال: وعليكم السلام».

قوله (وقال هل بأرضي من سلام) وفي رواية سفيان «قال وأنّى بأرضك السلام» وهي بمعنى أين أو كيف، وهو استفهام استبعاد يدل على أن أهل تلك الأرض، لم يكونوا إذ ذاك مسلمين، ويجمع بين الروايتين بأنه استفهمه بعد أن رد عليه السلام.

قوله (جئتُ لتعلّمني مما علمتَ رُشدا) قرأ أبو عمر بفتحتين والباقون كلهم بضم أوله وسكون ثانية، والجمهور على أنهما بمعنى كالبخل والبخل، وقيل بفتحتين: الدين، وبضم ثم سكون: صلاح النظر.

قوله (يا موسى إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه) أي جميعه (وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه) أي جميعه، وتقدير ذلك متعين لأن الخضر كان يعرف من الحكم الظاهر ما لا غنى بالمكلف عنه، وموسى كان يعرف من الحكم الباطن ما يأتيه بطريق الوحي.

قوله في رواية سفيان (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) كذا أطلق بالصيغة الدالة على استمرار النفي لما أطلعه الله عليه من أن موسى لا يصبر على ترك الإنكار إذا رأى ما يخالف الشرع، لأن ذلك شأن عصمته ولذلك لم يسأله موسى عن شيء من أمور الديانة بل مشى معه ليشاهد منه ما اطلع به على منزلته في العلم الذي اختص به، وقوله «وكيف تصبر» استفهام عن سؤال تقديره: لم قلت إني لا أصبر وأنا سأصبر، قال: كيف تصبر؟ وقوله «ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك» قيل استثنى في الصبر فصبر ولم يستثن في العصيان فعصاه، وفيه نظر، وكأن المراد بالصبر أنه صبر عن اتباعه والمشي معه وغير ذلك، لا الإنكار عليه فيما يخالف ظاهر الشرع.

قوله (فأخذ طائر بمنقاره) تقدم شرحه في كتاب العلم، وظاهر هذه الرواية أن الطائر نقر

---

(١) كتاب الأنبياء باب / ٢٧ ح ٣٤٠١ - ٣ / ٥٣.

في البحر عقب قول الخضر لموسى ما يتعلق بعلمهما، ورواية سفيان تقتضي أن ذلك وقع بعد ما خرق السفينة، ولفظه «كانت الأولى من موسى نسيانا» قال: «وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر الخ» فيجمع بأن قوله فأخذ طائر بمنقاره معقب بمحذوف وهو ركوبهما السفينة لتصريح سفيان بذكر السفينة، وروى النسائي من وجه آخر عن ابن عباس أن الخضر قال لموسى: «أتدري ما يقول هذا الطائر؟ قال: لا. قال: يقول ما علمكما الذي تعلمان في علم الله إلا مثل ما أنقص بمنقاري من جميع هذا البحر».

قوله (بأجر) أي أجرة، وفي رواية سفيان «فحملوا بغير نَوْل» وهو الأجرة.

قوله (لقد جئت شيئاً إمرا، قال مجاهد: مُنْكَراً) وروى ابن أبي حاتم من طريق خالد بن قيس عن قتادة في قوله {إمرا} قال: عجبا.

وفي رواية الربيع بن أنس عند ابن أبي حاتم «أن موسى لما رأى ذلك امتلأ غضبا وشد ثيابه وقال: أردت إهلاكهم، ستعلم أنك أو هالك، فقال له يوشع: ألا تذكر العهد؟ فأقبل عليه الخضر فقال: ألم أقل لك؟ فأدرك موسى الحلم فقال: لا تؤاخذني، وإن الخضر لما خلصوا قال لصاحب السفينة: إنما أردت الخير، فحمدوا رأيه، وأصلحها الله على يده».

قوله (وجد غلمانا يلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ظريفا) في رواية أخرى عن ابن جريج عند عبد بن حميد «غلاماً وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين» وفي رواية سفيان «فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله» وفي روايته في الباب الذي يليه «فقطعه» ويجمع بينهما بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه.

قوله (قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لم تعمل[1] الحنث) وقوله «لم تعمل» تفسير لقوله «زكية» والتقدير: أقتلت نفساً زكية لم تعمل الحنث بغير نفس.

قوله (فانطلقا فوجدا جدارا) في رواية سفيان «فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية» وفي رواية أبي إسحق عند مسلم «أهل قرية لئاما».

قوله (فأردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها) في رواية النسائي «فاردت أن أعيبها حتى لا يأخذها».

قوله (فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها) في رواية النسائي «فإذا جاوزوه وقعوها فانتفعوا بها وبقيت لهم».

قوله (ومنهم من يقول سدوها بقارورة، ومنهم من يقول بالقار) أما القار فهو بالقاف وهو الزفت.

---

(١) رواية الباب واليونينية "..... لم تعمل بالحنث".

ووقع في رواية مسلم «وأصلحوها بخشبة» ولا إشكال فيها.

قوله (كان أبواه مؤمنين وكان كافرا) يعني الغلام المقتلول، في رواية سفيان «وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً، وكان أبواه قد عطفا عليه».

قوله (وزعم غير سعيد أنهما أبدلا جارية) هو قول ابن جريج، وللنسائي من طريق أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «فأبدلهما ربهما خيراً منه زكاة قال: أبدلهما جارية فولدت نبياً من الأنبياء».

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم: استحباب الحرص على الازدياد من العلم، والرحلة فيه، ولقاء المشايخ وتجشم المشاق في ذلك، والاستعانة في ذلك بالأتباع، وإطلاق الفتى على التابع، واستخدام الحر، وطواعية الخادم لمخدومه وعذر الناسي، وقبول الهبة من غير المسلم، واستدل به على أن الخضر نبي لعدة معان قد نبهت عليها فيما تقدم كقوله {وما فعلته عن أمري} وكاتباع موسى رسول الله له ليتعلم منه، وكإطلاق أنه أعلم منه، وكإقدامه على قتل النفس لما شرحه بعد وغير ذلك، وأما من استدل به على جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما، والإغضاء على بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد، وإفساد بعض المال لإصلاح معظمه كخصاء البهيمة للسمن وقطع أذنها لتتميز، ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان على بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعه فصحيح، لكن فيما لا يعارض منصوص الشرع، فلا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفساً كثيرة قبل أن يتعاطى شيئاً من ذلك. وإنما فعل الخضر ذلك لاطلاع الله تعالى عليه.

وقال ابن بطال: قول الخضر وأما الغلام فكان كافراً هو باعتبار ما يئول إليه أمره أن لوعاش حتى يبلغ، واستحباب مثل هذا القتل لا يعلمه إلا الله، ولله أن يحكم في خلقه بما يشاء قبل البلوغ وبعده انتهى.

ويحتمل أن يكون جواز تكليف المميز قبل أن يبلغ كان في تلك الشريع فيرتفع الإشكال، وفيه جواز الإخبار بالتعب ويلحق به الألم من مرض ونحوه، ومحل ذلك إذا كان على غير سخط من المقدور، وفيه أن المتوجه إلى ربه يعان فلا يسرع إليه النصب والجوع، بخلاف المتوجه إلى غيره كما في قصة موسى في توجهه إلى ميقات ربه وذلك في طاعة ربه فلم ينقل عنه أنه تعب ولا طلب غداء ولا رافق أحدا، وأما في توجهه إلى مدين فكان في حاجة نفسه فأصابه الجوع، وفي توجهه إلى الخضر لحاجة نفسه أيضاً فتعب وجاع، وفيه جواز طلب القوت وطلب الضيافة، وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة وقيام الحجة بالثانية.

وفيه حسن الأدب مع الله وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه وإن كان الكل بتقديره وخلقه لقول الخضر عن السفينة {فأردت أن أعيبها} وعن الجدار {فأراد ربك} ومثل هذا قوله

ﷺ «والخير بيدك، والشر ليس إليك».

٤ ـ باب {فلمَّا جاوَزا قال لِفَتَاهُ آتِنَا غَداءَنا لقد لَقِينا من سَفرِنا هذا نَصَباً -إلى قولِه- قصصا}

{صُنْعاً} عَمَلاً، {حِوَلاً} تحَوُّلاً، قال: {ذلك ما كنَّا نَبْغِ، فارتدَّا على آثارِهما قَصًا}، {إمراً} {ونكراً}: داهية. {يَنقضّ}: يَنقاضُ كما تنقاض السِّنُّ، {لَتَخِذتَ} واتخذت واحد، {رُحماً} من الرُّحم وهي أشدُّ مبالغةً منَ الرحمة، ويظنُّ أنه منَ الرحيم، وتدعى مكة أمّ رُحم، أي الرحمةُ تنزلُ بها.

باب {قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة}

٤٧٢٧ ـ عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ قال: «قلتُ لابن عباسٍ إنَّ نَوفاً البِكاليَّ يزعُم أن موسى بني إسرائيلَ ليس بموسى الخَضرِ، فقال: كذَبَ عدوُّ الله، حدَّثنا أُبيُّ بن كعبٍ عن رسولِ الله ﷺ قال: قام موسى خطيباً في بني إسرائيلَ، فقيل له: أيُّ الناسِ أعلم؟ قال: أنا، فعتَبَ اللهُ عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليه، وأوحى إليه: بلى عبدٌ من عبادي بمجمع البحرَين هو أعلَمُ منك، قال أي ربِّ كيفَ السبيلُ إليه؟ قال تأخُذُ حوتاً في مِكتَل، فحيثما فقَدتَ الحوتَ فاتَّبِعهُ، قال فخرجَ موسى ومعهُ فَتاهُ يوشَعُ بن نونٍ ومعَهما الحوتُ، حتى انتهيا إلى الصخرةِ فنزَلا عندَها، قال فوَضعَ موسى رأسهُ فنام، قال سفيانُ: وفي حديث غير عمروٍ قال: وفي أصلِ الصخرةِ عينٌ يقال لها الحياةُ لا يُصيب من مائها شيءٌ إلا حَييَ فأصاب الحوتَ من ماء تلك العَين، قال: فتحرَّك وانسَلَّ من المِكتل فدخلَ البحر، فلما استيقَظَ موسى قال لفتاهُ: {آتِنا غَداءنا}، الآية، قال: ولم يَجدِ النصب حتى جاوزَ ما أُمِرَ به، قال له فتاهُ يوشَعُ بنُ نونٍ: {أرأيتَ إذ أوَينا إلى الصخرةِ فإني نَسِيتُ الحوتَ}. الآية، قال: فرَجَعا يَقُصَّان في آثارِهما، فوجَدا في البحرِ كالطاقِ مَمرَّ الحوت، فكانَ لفتاهُ عجباً، وللحوتِ سَرَبا، قال فلما انتهيا إلى الصخرة إذ هما برجُلٍ مُسَجًى بثَوبٍ، فسلَّمَ عليه موسى، قال: وأنَّى بأرضكَ السلامُ؟ فقال: أنا موسى، قال موسى بني إسرائيلَ؟ قال: نعم، قال: هل أتَّبِعُكَ على أن تُعلِّمني مما عُلِّمتَ رشدا؟ قال له الخَضرُ: يا موسى، إنكَ على علمٍ من علم الله عَلَّمكَهُ اللهُ لا أعلَمهُ، وأنا على علمٍ من علم الله علمنيهِ الله لا تَعلمهُ. قال: بل أتَّبِعُك. قال: فإنِ اتَّبعْتَني فلا تسألني عن شيءٍ حتى أُحدثَ لكَ منه ذِكرا. فانطَلَقا يمشيانِ على الساحلِ، فمرَّت بهما سفينةٌ، فعُرِفَ الخَضرُ فحملوهم في سفينتهم بغير نَولٍ - يقولُ بغير أجرٍ - فركبا السفينةَ، قال: ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقارَهُ في البحر؛ فقال الخَضرُ لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائقِ في علم الله إلا مِقدار ما غَمسَ هذا

العُصفور منقارَه قال فلم يَفجأ موسى إذ عمدَ الخضرُ إلى قَدُومٍ فخرَق السفينةَ، فقال له موسى: قومٌ حَملونا بغيرِ نَولٍ عمدتَ إلى سفينتهم فخرَقتها لتغرِقَ أهلَها {لقد جئتَ} الآية، فانطَلقا، إذا هما بغُلام يَلعبُ معَ الغلمان، فأخذَ الخَضِرُ برأسهِ فقطعَهُ، قال له موسى: أقتلتَ نفساً زكيةً بغير نفس؟ لقد جئتَ شيئاً نكراً قال ألم أقل لكَ إنكَ لن تستطيعَ معيَ صَبرا - إلى قوله - فأبوا أن يُضيِّفوهما، فوجدا فيها جِداراً يُريدُ أن ينقضَّ، فقال بيدِهِ هكذا فأقامه، فقال له موسى: إنا دخلنا هذه القريةَ فلم يُضيفونا، ولم يُطعمونا، لو شئتَ لاتخذتَ عليه أجراً، قال هذا فِراقُ بيني وبينِكَ، سأُنَبِّئُكَ بتأويلِ ما لم تستَطِعْ عليه صبرا. فقال رسولُ الله ﷺ: ودِدْنا أن موسى صبرَ حتى يُقَصَّ علينا من أمرهما، قال وكان ابنُ عباسٍ يَقرأ: وكان أمامَهم مَلِكٌ يأخذُ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غصباً، وأما الغلامُ فكان كافراً».

قوله (ينقض يناقض كما ينقاض السن) وهو قول أبي عبيدة قال: في قوله {يريد أن ينقض} أي يقع، يقال انقضت الدار إذا انهدمت.

٥ ـ باب {قُل هل نُنَبِّئُكُم بالأخسَرينَ أعمَالاً}

٤٧٢٨ ـ عن عمرٍو عن مُصعَبٍ قال: «سألتُ أبي {قل هل نُنَبِّئُكم بالأخسرينَ أعمالاً} همُ الحَرُورية؟ قال: لا همُ اليهودُ والنصارَي، أما اليهودُ فكذَّبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى كفَروا بالجنة وقالوا لا طعامَ فيها ولا شراب، والحرورية الذين يَنقضونَ عهدَ اللهِ من بعدِ ميثاقه». وكان سعدٌ يسميهم الفاسقين.

قوله (باب قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) ذكر فيه حديث مصعب بن سعد «سألت أبي -يعني سعد بن أبي وقاص- عن هذه الآية.

قوله (هم الحرورية؟) نسبة إلى حروراء وهي القرية التي كان ابتداء خروج الخوارج على علي منها، ولابن مردويه من طريق حصين بن مصعب «لما خرجت الحرورية قلت لأبي: أهؤلاء الذين أنزل الله فيهم؟» وله من طريق القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل عن علي في هذه الآية قال: «أظن أن بعضهم الحرورية» وللحاكم من وجه آخر عن أبي الطفيل قال: «قال علي منهم أصحاب النهروان» وذلك قبل أن يخرجوا، وأصله عند عبد الرزاق بلفظ «قام ابن الكواء إلى علي فقال: ما الأخسرين أعمالا؟ قال: ويلك، منهم أهل حروراء» ولعل هذا هو السبب في سؤال مصعب أباه عن ذلك، وليس الذي قاله علي ببعيد، لأن اللفظ يتناوله وإن كان السبب مخصوصاً.

قوله (والحرورية الذين ينقضون الخ) في رواية النسائي «والحرورية الذين قال الله {ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل -إلى- الفاسقين} وقع عند ابن مردويه «أولئك هم

الفاسقون» والصواب «الخاسرون».

قوله (وكان سعد يسميهم الفاسقين) وفي رواية للحاكم «الخوارج قوم زغوا فأزاغ الله قلوبهم».

وقد روى ابن مردويه من طريق أبي عون عن مصعب قال: «نظر رجل من الخوارج إلى سعد فقال: هذا من أئمة الكفر، فقال له سعد: كذبت، أنا قاتلت أئمة الكفر، فقال له آخر: هذا من الأخسرين أعمالا، فقال له سعد: كذبت، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم» الآية، قال ابن الجوزي: وجه خسرانهم أنهم تعبدوا على غير أصل، فابتدعوا، فخسروا الأعمار والأعمال.

٦ ـ باب {أولئكَ الذّين كفروا بآيَاتِ ربِّهِم ولِقائِه فَحَبِطَتْ أعمَالُهُم} الآية

٤٧٢٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ السمين يوم القيامةِ لا يَزِنُ عندَ الله جناحَ بعوضة، وقال: اقرءوا {فلا نُقيمُ لهم يومَ القيامةِ وَزنا}».

قوله (الرجل العظيم السمين) في رواية ابن مردويه من وجه آخر عن أبي هريرة «الطويل العظيم الأكول الشروب».

(١٩) {كهيعص}

قال ابن عباس: {أبصِرْ بهم وأسمعْ} اللهُ يقولهُ، وهمُ اليوم لا يَسمَعون ولا يُبصِرون. {في ضلالٍ مبين} يعني قوله {أسمِعْ بهم وأبصِرْ} الكفارُ يومئذٍ أسمعُ شيءٍ وأبصَرُهُ. {لأرجُمنَّكَ}: لأشتِمنَّك. و{رِئياً}: مَنْظراً. وقال ابنُ عُيَينةَ {تَؤزُّهم أزاً}: تُزعِجُهم إلى المعاصي إزعاجا، وقال مجاهد: {إداً}: عِوَجاً. قال ابن عباس {وِرْداً}: عِطاشاً. {أثاثاً}: مالا {إدًا} قولاً عظيما. {رِكزاً}: صَوتاً. {غياً}: خُسراناً. {بُكِيًا} جماعة باكٍ. {صِلِيًا} صَلِيَ يَصْلَى. {نَدِيًا} والنادي واحد: مَجْلِساً.

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم[١]- سورة كهيعص) روى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «كهيعص قسم، أقسم الله به، وهو من أسمائه» وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: هي اسم من أسماء القرآن.

قوله (وقال ابن عباس: أسمع بهم وأبصر الله يقوله، وهم اليوم لا يسمعون ولا يبصرون

(١) رواية الباب واليونينية بدون "بسملة وسورة...".

في ضلال مبين» يعني قوله {أسمع[(١)] بهم وأبصر} الكفار يومئذ أسمع شيء وأبصره) وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وعن عبد الرزاق عن قتادة {أسمع بهم وأبصر} يعني يوم القيامة، زاد الطبري من وجه آخر عن قتادة: سمعوا حين لا ينفعهم السمع، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر.

قوله (وقال غيره بكيا جماعة باك) هو قول أبي عبيدة، وتعقب بأن قياس جمع باك بكاة مثل قاض وقضاة، وأجاب الطبري بأن أصله بكوا بالواو الثقيلة مثل قاعد وقعود فقلبت الواو ياء لمجيئها بعد كسرة.

ثم قال: يجوز أن يكون المراد بالبكي نفس البكاء، ثم أسند عن عمر أنه قرأ هذه الآية فسجد ثم قال: ويحك هذا السجود فأين البكاء؟ كذا قال، وكلام عمر يحتمل أن يريد الجماعة أيضاً أي اين القوم البكى.

١ ـ باب {وأنذِرهم يومَ الحَسْرة}

٤٧٣٠ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ «يُؤْتى بالموتِ كهيئةِ كبشٍ أملحَ، فيُنادِي منادٍ: يا أهل الجنة فيَشرئِبُّون ويَنظُرون، فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلُّهم قد رآه، ثم يُنادَي: يا أهلَ النار، فيَشرئبون ويَنظُرون، فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلُّهم قد رآه، فيُذْبَح، ثم يقول: يا أهلَ الجنة، خُلودٌ فلا مَوت، ويا أهلَ النار، خلودٌ فلا موت، ثم قرأ {وأنذِرهم يومَ الحَسرةِ إذ قُضيَ الأمرُ وهم في غفلة -وهؤلاءِ في غفلةِ أهْلُ الدنيا- وهو لا يؤمنون}.

قوله (باب قوله عز وجل[(٢)] وأنذرهم يوم الحسرة) ذكر فيه حديث أبي سعيد في ذبح الموت، وسيأتي في الرقاق مشروحاً، وقوله فيه «فيشرئبون»، أي يمدون أعناقهم ينظرون، وقوله «أملح» قال القرطبي الحكمة في ذلك أن يجمع بني صفتي أهل الجنة والنار السواد والبياض.

٢ ـ باب {وما نَتَنزَّلُ إلا بأمرِ ربِّك}

٤٧٣١ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ لجبريل: ما يَمنعُكَ أن تَزورَنا أكثرَ مما تَزورُنا؟ فنزلت {وما نتنزَّلُ إلا بأمر ربك، لهُ ما بينَ أيدينا وما خَلفَنا}».

(١) رواية الباب واليونينية "أبصر بهم وأسمع".
(٢) رواية الباب واليونينية بدون "قوله عز وجل" وبدون التبويب في اليونينية.

قوله (باب قوله[١]: {وما نتنزل إلا بأمر ربك، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة «مابين أيدينا الآخرة، وما خلفنا الدنيا، وما بين ذلك ما بين النفختين».

قوله (قال النبي[٢] ﷺ لجبريل ما يمنعك أن زورنا) روى الطبري من طريق سماك بن حرب عن سعيد بن جبير كلاهما عن ابن عباس قال: «احتبس جبريل عن النبي ﷺ» وروى عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق عكرمة قال: «أبطأ جبريل في النزول أربعين يوما، فقال له النبي ﷺ: يا جبريل ما نزلتَ حتى اشتقت إليك، قال: قال: أنا كنت أشوق إليك، ولكني مأمور، وأوحى الله إلى جبريل قل له {وما نتنزل إلا بأمر ربك}

(تنبيه): الأمر في هذه الآية معناه الإذن بدليل سبب النزول المذكور، ويحتمل الحكم أي نتنزل مصاحبين لأمر الله عباده بما أوجب عليهم أو حرم، ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك عند من يجيز حمل اللفظ على جميع معانيه.

٣ ـ باب {أفرأيتَ الذي كَفَرَ بآياتنا وقال لأُوتَيَنَّ مالاً ووَلَداً}

٤٧٣٢ ـ عن مَسروقٍ قال: «سمعتُ خَبّاباً قال: جئتُ العاصَ بن وائلٍ السهميَّ أتقاضاهُ حَقاً لي عندَه، فقال: لا أُعطِيكَ حتى تكفُرَ بمحمدٍ ﷺ. فقلتُ لا، حتى تموتَ ثم تُبعَث، قال: وإني لَميتٌ ثم مبعوث؟ قلتُ: نعم. قال: إنَّ لي هناك مالاً وولَداً فأقضيكَ، فنزَلَت هذه الآية {أفرَأيتَ الذي كفرَ بآياتِنا وقال: لأُوتَيَنَّ مالا وولَدا}».

قوله (جئت العاص بن وائل السهمي) هو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور، وكان له قدر في الجاهلية ولم يوفق للإسلام، قال ابن الكلبي: كان من حكام قريش، وقد تقدم في ترجمة عمر بن الخطاب أنه أجار عمر بن الخطاب حين أسلم. وقد أخرج الزبير بن بكار هذه القصة مطولة وفيها «أن العاص بن وائل قال: رجل اختار لنفسه أمراً، فما لكم وله؟ فرد المشركين عنه» وكان موته بمكة قبل الهجرة، وهو أحد المستهزئين.

قوله (فقلت لا) أي لا أكفر.

قوله (حتى تموت ثم تبعث) مفهومه أنه يكفر حينئذ لكنه لم يرد ذلك لأن الكفر حينئذ لا يتصور، فكأنه قال لا أكفر أبداً. والنكتة في تعبيره بالبعث تعيير العاص بأنه لا يؤمن به.

٤ ـ باب {أطَّلعَ الغَيْبَ أمِ اتَّخذَ عندَ الرَّحمَن عَهْداً} قال: مَوْثقاً

٤٧٣٣ ـ عن خَبّابٍ قال: «كنتُ قَيناً بمكةَ فعملتُ للعاصي بن وائل السهميِّ سيفاً، فجئتُ أتقاضاه، فقال: لا أُعطِيكَ حتى تكفرَ بمحمدٍ، قلت لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يُميتَكَ

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) رواية الباب واليونينية "قال رسول الله ﷺ...".

اللهُ ثم يُحيِيك. قال: إذا أماتَني الله ثم بَعثَني ولي مالٌ وولَد، فأنزلَ الله {أفرأيتَ الذي كفرَ بآياتِنا وقال: لأوتَيَنَّ مالا وولدا، أطَّلعَ الغيبَ، أم اتخذَ عند الرحمن عهدا} قال: مَوثقا. لم يَقل الأشجعيُّ عن سفيان «سيفاً» ولا «مَوثقاً».

٥ - باب {كلاَّ سَنَكْتُبُ ما يقول، ونَمُدُّ له منَ العذابِ مَدّاً}

٤٧٣٤ - عن خَبّابٍ قال: «كنت قَيناً في الجاهليةِ وكان لي دَين على العاص بن وائلٍ، قال فأتاهُ يتقاضاهُ فقال: لا أعطيكَ حتى تكفرَ بمحمد ﷺ، فقال: والله لا أكفرُ حتى يُميتَكَ اللهُ ثم تُبعَثَ، قال: فذَرني حتى أموتَ ثم أبعثَ، فسوفَ أوتى مالاً وولداً فأقضِيكَ، فنزلت هذه الآية {أفرأيت الذي كفرَ بآياتنا وقال: لأوتَيَنَّ مالا وولَدا}

٦ - باب قوله عزَّ وجلَّ {ونَرِثُهُ ما يقولُ ويأتينا فَردا}

وقال ابنُ عباس {الجبال هَدّاً}: هَدْماً

٤٧٣٥ - عن خَبّابٍ قال: كنتُ رجلاً قَيناً، وكان لي على العاص بن وائلٍ دَينٌ، فأتيتُه أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلتُ: لن أكفُرَ به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوثٌ بعد الموت؟ فسوف أقضِيكَ إذا رجَعتُ إلى مالٍ وولدٍ، قال: فنزلَتْ {أفرأيتَ الذي كفرَ بآياتِنا وقال لأوتيَنَّ مالاً وولدا. أطلعَ الغيبَ أمِ اتَّخذَ عند الرحمن عهدا، كلا سنكتب ما يقولُ ونمدُّ له من العذابِ مَدّاً، ونَرِثُهُ ما يقولُ ويأتينا فردا}».

(٢٠) سورة طه

قال ابنُ جُبَير: بِالنَّبَطيَّةِ {طه} يا رجُل، يُقالُ: كلُّ ما لم يَنطق بحرفٍ أو فيه تَمتمةٌ أو فَأفأة فهي عُقدة، {أزري} ظهري، {فَيَسْحِتَكُمْ} يُهلِكَكُم، {المُثلى} تأنيث الأمثل، يقول: بدِينكم، يقال: خُذِ المثلى؛ خذِ الأمثل، {ثمَّ ائتوا صَفّاً} يقال: هل أتيتَ الصفَّ اليومَ؟ يعني المصلَّى الذي يُصلَّى فيه، {فأوجَسَ} أضمر خوفا فذهبت الواو من {خِيفةً} لكسرةِ الخاء، {في جُذوعِ} أي على جذوعِ النخل {خَطْبُكَ} بالك {مِساس} مصدر ماسَّهُ مساساً. {لَنَنْسِفَنَّهُ} لنَذْرِيَنَّهُ {قاعاً} يَعلوه الماء والصَّفْصَف المستوي منَ الأرض، وقال مجاهد {أوزاراً} أثقالاً {من زينةِ القوم} الحلْي الذي استعاروا من آل فِرعَونَ {فقذَفتها} فألقيتها {ألقى} صَنَعَ، {فنسي} موسى -هم يقولونه أخطأ الرب، {لا يرجعُ إليهم قولا} العجل، {هَمساً}: حِسُّ الأقدام، {حَشَرتني أعمي} عن حُجَّتي {وقد كنتُ بَصيرا} في الدنيا، قال ابنُ عباس: {بقَبَسٍ} ضلوا الطريق وكانوا شاتين، فقال: إن لم أجد عليها من يهدي الطريق آتِكم بنار توقدون. قال ابنُ عيينة: {أمثَلُهم} طريقة أعدلهم، وقال ابنُ عباس {هضماً} لا يُظلم فيُهضمُ من حسناته. {عِوَجا} واديا، {ولا أمتاً} رابية. {سيرَتها}: حالتها الأولى، {النُّهَى} التُّقَى،

{ضنكا} الشقاء، {هوى} شقي، {بالوادي المقدس} المبارك {طُوًى}: اسم الوادي {بِمَلْكِنا} بأمرنا. {مَكانا سِوًى} مَنصَفٌ بينهم، {يَبَسا} يابسا. {على قَدَر}: على مَوعد، { تنيا}: تضعفا. {يفرط} عقوبة.

قوله (سورة طه -بسم الله الرحمن الرحيم)(١)قال عكرمة والضحاك بالنبطية أي (طه يا رجل) وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس في قوله طه «قال هو كقولك يا محمد بالحبشية».

قوله (من زينة القوم: الحلي الذي استعاروا من آل فرعون) وهو الأثقال، وصله الفريابي أيضاً، وقد تقدم في قصة موسى، وروى الحاكم من حديث علي قال: «عمد السامري إلى ما قدر عليه من الحلي فضربه عجلا، ثم ألقى القبضة في جوفه فإذا هو عجل له خوار» الحديث».

وروى النسائي في الحديث الطويل الذي يقال له حديث الفتون عن ابن عباس قال: «لما توجه موسى لميقات ربه خطب هارون بني إسرائيل فقال: إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم ودائع وعواري، وأنا أرى أن نحفر حفيرة ونلقي فيها ما كان عندكم من متاعهم فنحرقه، وكان السامري من قوم يعبدون البقر وكان من جيران بني إسرائيل فاحتمل معهم فرأى أثراً فأخذ منه قبضة فمر بهارون فقال: ألا تلقي ما في يدك؟ فقال: لا ألقيها حتى تدعو الله أن يكون ما أريد، فدعا له فألقاها فقال: أريد أن يكون عجلاً له جوف يخور، قال ابن عباس: ليس له روح، كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه فكان الصوت من ذلك، فتفرق بنو إسرائيل عند ذلك فرقا».

قوله (همسا حس الأقدام) عن قتادة قال: «صوت الأقدام».

قوله (ضنكا الشقاء) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ومن طريق قيس بن أبي حازم في قوله {معيشة ضنكا} قال: رزقاً في معصية.

١ ـ باب {واصطَنَعتُك لِنفسي}

٤٧٣٦ ـ عن أبي هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «التَقى آدمُ وموسى، فقال موسى لآدمَ: أنتَ الذي أشقيتَ الناسَ وأخرجتَهم من الجنة؟ قال له آدم: أنتَ الذي اصطفاكَ الله برسالته، واصطفَاكَ لنفسه، وأنزلَ عليكَ التوراة؟ قال: نعم، قال: فوجدتَها كُتبَ عليَّ قبلَ أن يَخلُقَني؟ قال: نعم، فحجَّ آدمُ موسى». {اليمُّ}: البحر.

---

(١) رواية الباب واليونينية بغير البسملة.

قوله (باب واصطنعتك لنفسي) وذكر في الباب حديث أبي هريرة في محاجة موسى وآدم عليهما السلام وسيأتي شرحه في كتاب القدر[١].

٢ ـ باب {ولقد أوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي فاضرِبْ لهم طريقاً في البحر يَبَساً، لا تَخافُ دَركاً ولا تخشى، فأتْبَعَهُم فِرعونُ بجنودِهِ فغَشِيهم من الْيَمِّ ما غشيهم، وأضلَّ فِرعونُ قَومَهُ وما هَدَى}

٤٧٣٧ ـ عن سعيدِ بن جُبَيرٍ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، واليهودُ تصومُ عاشوراءَ، فسألهم فقالوا: هذا اليومَ ظهرَ فيه موسى على فِرعونَ، فقال النبيُّ ﷺ: نحنُ أولى بموسى منهم فصوموه».

قوله (باب ولقد أوحينا إلى موسى الخ) وذكر حديث ابن عباس في صيام عاشوراء، وقد سبق شرحه في كتاب الصيام[٢] مستوفى.

٣ ـ باب {فلا يُخرِجَنَّكما من الجنَّة فتشقى}

٤٧٣٨ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «حاجَّ موسى آدمَ فقال له: أنتَ الذي أخرجتَ الناسَ من الجنة بذَنبكَ وأشقَيتَهم، قال: قال آدمُ: يا موسى أنتَ الذي اصطفَاكَ اللهُ برسالاتهِ وبكلامهِ، أتلومُني على أمرٍ كتبهُ اللهُ عليَّ قبلَ أن يَخلُقَني، أو قدَّرَهُ عليَّ قبلَ أن يَخلُقَني؟ قال رسولُ الله ﷺ: فحج آدمُ موسى».

(٢١) سورةُ الأنبياء

٤٧٣٩ ـ عن عبد اللهِ قال: بنى إسرائيلَ، والكهفُ، ومريمُ، وطه، والأنبياء هنَّ من العتاق الأُوَل، وهنَّ من تِلادي، وقال قَتادةُ: جُذاذاً: قَطعهنَّ، وقال الحسنُ: في {فَلَكٍ}، مثل فَلْكةِ المِغزَل، {يَسبَحون} يَدُورون، قال ابن عباس نَفَشت: رَعَت ليلاً، {يُصحَبون} يُمنَعون، {أمَّتُكم أمةً واحدة} قال دينُكم دِين واحد، وقال عِكرمة: {حَصَب جهنم} حطَب بالحبشة، وقال غيرهُ: {أحَسُّوا} توَّقعوا، من أحسست، {خامِدين} هامدين، {حَصيد} مستأصَل، يقع على الواحد والاثنين والجميع، لا يَستحسِرون: لا يَعيُون، ومنه {حَسير} وحسرتُ بعيري، {عميق} بعيد {نُكِسوا} رُدُّوا، {صَنعةَ لَبوسٍ} الدُّروع {تقطعوا أمرهم} اختلفوا، الحَسيس والحس والجَرْس والهمس واحد وهو الصوت الخفي، {آذنَّاك} أعلمناك، {آذنتُكم} إذا أعلمتَهُ، فأنت وهو {على سواء} لم تَغدِر، وقال مُجاهد: {لعلكم تُسألون} تُفهمون، ارتضى رَضِي، {التماثيل} الأصنام، {السِّجِلّ} الصحيفة.

قوله (صنعة لبوس الدروع) قال أبو عبيدة: اللبوس السلاح كله من درع إلى رمح، وروى

(١) كتاب القدر باب / ١١ ح ٦٦١٤ - ٥ / ١٠٦.
(٢) كتاب الصوم باب / ٦٩ ح ٢٠٠٤ - ٢ / ٢٠.

عبد الرزاق عن معمر عن قتادة اللبوس الدروع كانت صفائح، وأول من سردها وحلقها داود.

قوله (السجل الصحيفة) وصله الفريابي من طريقه وجزم به الفراء، وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {كطي السجل} يقول كطي الصحيفة على الكتاب، قال الطبري: معناه كطي السجل على ما فيه من الكتاب وقيل على بمعنى من أي من أجل الكتاب لأن الصحيفة تطوى حسناته لما فيها من الكتابة، وجاء عن ابن عباس أن السجل اسم كاتب كان للنبي ﷺ أخرجه أبو داود والنسائي والطبري من طريق عمرو بن مالك عن أبو الجوزاء عن ابن عباس بهذا.

٢ - باب {كما بدَأْنا أوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا}

٤٧٤٠ - عنِ ابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما قال: خَطبَ النبيُّ ﷺ فقال: إنكم مَحْشورونَ إلى اللهُ حفاةً عراةً غُرلاً {كما بدأنا أوَّلَ خلقٍ نعيدُه، وَعداً علينا، إنَّا كنَّا فاعلين}، ثم إن أوَّلَ مَن يُكسى يومَ القيامة إبراهيم، ثم يجاءُ برجال من أمتي فيؤخَذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربِّ أصحابي، فيقال: لا تَدري ما أحدَثوا بعدك فأقول كما قال العبدُ الصالح {وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم - إلى قولهِ - شهيد} فيقال: إنَّ هؤلاء لم يَزالوا مُرتدِّين على أعقابهم منذ فارقتهم».

ثم ذكر المصنف حديث ابن عباس «إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة» الحديث، وسيأتي شرحه في كتاب الرقاق[1] إن شاء الله تعالى.

(٢٢) سورةُ الحج

وقال ابنُ عيينةَ المخبِتين: المطمئنين وقال ابن عباسٍ في {إذا تمنَّى ألقى الشيطانُ في أمنيَّتهِ}: إذا حدَّث ألقى الشيطانُ في حديثه، فيُبطِلُ اللهُ ما يلقي الشيطانُ ويُحكمُ آياته، ويقال {أمنيته}: قراءته، {إلا أمانيَّ} يقرءون ولا يكتبون، وقال مجاهد {مَشيد} بالقَصَّة، جص، وقال غيرُهُ {يَسطون} يَفرُطون، منَ السطوة: ويقال: يَسطون يَبطِشون {وهُدوا إلى الطَّيبِ منَ القول} ألهموا إلى القرآن، {وهُدوا إلى صراطِ الحميد} الإسلام، وقال ابنُ عباس {بسبب}: بحبلٍ إلى سقفِ البيت، {ثانيَ عِطفهِ} مستكبِر {تَذهَل}: تُشغل.

قوله (وقال ابن عباس[2] {إذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته} إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقى الشيطان ويحكم آياته)، وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مقطعاً.

قوله (ويقال أمنيته قراءته، إلا أماني: يقرؤن ولا يكتبون) هو قول الفراء قال: التمني

(١) كتاب الرقاق باب / ٤٥ ح ٦٥٢٦ - ٥ / ٦٣.
(٢) رواية الباب واليونينية "وقال ابن عباس في ....".

التلاوة قال وقوله {لا يعلمون الكتاب إلا أماني} قال: الأماني أن يفتعل الأحاديث، وكانت أحاديث يسمعونها من كبرائهم وليست من كتاب الله، قال ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة تمني داود الزبور على رسل

قال الفراء: والتمني أيضاً حديث النفس انتهى.

قال أبو جعفر النحاس في كتاب «معاني القرآن» له بعد أن ساق رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تأويل الآية: هذا من أحسن ما قيل في تأويل الآية وأعلاه وأجله، ثم أسند عن أحمد بن حنبل قال: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً انتهى، وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهي عند البخاري عن أبي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه هذا كثيراً على ما بيناه في أماكنه وهي عند الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر بوسائط بينهم وبين أبي صالح انتهى، وعلى تأويل ابن عباس هذا يحمل ما جاء عن سعيد بن جبير، وقد أخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر عنه قال: «قرأ رسول الله ﷺ بمكة والنجم، فلما بلغ {أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى} ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية.

وقد سلك العلماء في ذلك مسالك، فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته، وهذا أخرجه الطبري عن قتادة، ورده عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم، وقيل إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره، ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان {وما كان لي عليكم من سلطان} الآية قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة، وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك، فعلق ذلك بحفظه ﷺ فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا، وقد رد ذلك عياض فأجاد، وقيل لعله قالها توبيخاً للكفار، قال عياض: وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزاً، وإلى هذا نحا الباقلاني، وقيل إنه لما وصل إلى قوله «ومناة الثالثة الأخرى» خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عامتهم في قولهم {لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه} ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك، أو المراد بالشيطان

شيطان الإنس، وقيل: المراد بالغرانيق العلى الملائكة وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله ويعبدونها، فسيق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله تعالى {ألكم الذكر وله الأنثى} فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا: قد عظم آلهتنا، ورضوا بذلك، فنسخ الله تلك الكلمتين وأحكم آياته، وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها، قال: وهذا أحسن الوجوه، ويؤيده ما تقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير {تمنى} بتلا، وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال قبله أن هذه الآية نص في مذهبنا في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه، قال: ومعنى قوله {في أمنيته} أي في تلاوته، فأخبر تعالى في هذه الآية أن سنته في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قاله قال: وقد سبق إلى ذلك الطبري لجلالة قدره وسعه علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى وحوم عليه.

قوله (وقال غيره: {يسطون} يفرطون من السطوة، ويقال يسطون يبطشون) قال أبو عبيدة في قوله {يكادون يسطون} أي يفرطون عليه من السطوة، وقال الفراء كان مشركو قريش إذا سمعوا المسلم يتلو القرآن كادوا يبطشون به وتقدم في تفسير طه.

وروى ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {يسطون} فقال يبطشون.

قوله (وقال ابن عباس {بسبب} بحبل إلى سقف البيت) وصله عبد بن حميد من طريق أبي إسحق عن التميمي عن ابن عباس بلفظ «من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب بحبل إلى سماء بينه فليختنق به».

قوله (وهدوا إلى الطيب من القول: ألهموا إلى القرآن) ووقع في رواية النسفي «وهدوا إلى الطيب: ألهموا» وقال ابن أبي خالد «إلى القرآن، وهدوا إلى صراط الحميد: الإسلام» وهذا هو التحرير، وقد أخرج الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {وهدوا إلى الطيب من القول} قال: ألهموا، وروى ابن المنذر من طريق سفيان عن إسماعيل ابن أبي خالد في قوله {إلى الطيب من القول} قال: القرآن، وفي قوله {وهدوا إلى صراط الحميد}: الإسلام.

قوله (تذهل تشغل) قال أبو عبيدة في قوله {تذهل كل مرضعة} أي تسلو، وقيل: الذهول الاشتغال عن الشيء مع دهش.

١ ـ باب {وتَرَى الناسَ سُكارَى}

٤٧٤١ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: قال النبيُّ ﷺ: «يَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامة: يا آدم، فيقول: لَبَّيك ربَّنا وسَعدَيك، فيُنادَى بصوت: إنَّ اللهَ يأمُرُك أن تُخرِجَ من ذرِّيتكَ بَعثا إلى النار، قال: يا ربِّ وما بَعثُ النار؟ قال: من كلِّ ألفٍ - أُراهُ قال:- تِسعَمائةٍ وتسعةً وتِسعين. فحينئذٍ تَضعُ الحاملُ حَملَها، ويَشيبُ الوليدُ، وترَى الناسَ سُكارَى وما هم بسُكارى ولكنَّ عذابَ الله شديد، فشقَّ ذلك على الناس حتى تغيَّرت وُجوهُهم، فقال النبيُّ ﷺ: من يأجوجَ ومأجوجَ تسعمائة وتسعةً وتسعين، ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرةِ السوداء في جَنبِ الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا رُبعَ أهلِ الجنةِ، فكبَّرنا، ثم قال: ثُلثَ أهلِ الجنة فكبَّرنا، ثمَّ قال: شطرَ أهل الجنة، فكبَّرنا».

وسيأتي شرح الحديث الموصول في كتاب الرقاق[١] إن شاء الله تعالى.

٢ ـ باب {ومنَ الناسِ من يَعبُدُ اللهَ على حَرف}

شك، {فإن أصابَهُ خيرٌ اطمأنَّ به، وإن أصابَتْهُ فتنةٌ انقلَبَ على وَجهه خَسِرَ الدنيا والآخِرة - إلى قوله - ذلكَ هو الضلال البَعيد} أترفْناهم: وسَّعناهم.

٤٧٤٢ ـ عن سعيدِ بن جبيرٍ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: {ومن الناس مَن يَعبُد اللهَ على حَرف} قال: كان الرجل يَقدَمُ المدينةَ، فإن ولدتِ امرأتهُ غلاماً ونتجت خيلهُ قال: هذا دينٌ صالح، وإن لم تَلِدِ امرأتهُ ولم تُنتَجْ خيلهُ قال: هذا دينُ سوء.

قوله (باب ومن الناس من يعبد الله على حرف: شك) وهو تفسير مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم من طريقه، وقال أبو عبيدة: كل شاك في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم، وزاد غير أبي ذر بعد حرف {فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة - إلى قوله - ذلك هو الضلال البعيد}.

قوله (أترفناهم وسعناهم) وهو تفسير أبو عبيدة، قال في قوله تعالى {وأترفناهم في الحياة الدنيا}: مجازه وسعنا عليهم، وأترفوا بغوا وكفروا.

قوله (كان الرجل يقدم المدينة فيسلم[٢]) في رواية جعفر «كان ناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ يسلمون».

قوله (وإن لم تلد الخ) في رواية جعفر «وإن وجدوا عام جدب وقحط وولاد سوء قالوا ما في ديننا هذا خير».

---

(١) كتاب الرقاق باب / ٤٦ ح ٦٥٣٠ - ٥ / ٦٦.
(٢) رواية الباب واليونينية بدون "..... فيسلم".

وذكر الفراء أنها نزلت في أعاريب من بني أسد انتقلوا إلى المدينة بذراريهم وامتنوا بذلك على النبي ﷺ، ثم ذكر نحو ما تقدم.

٣ ـ باب {هذانِ خَصمانِ اختَصَموا في ربِّهم}

٤٧٤٣ ـ عن أبي ذَرٍّ رضيَ الله عنه أنه كان يُقسِمُ فيها قَسَماً: إنَّ هذه الآية {هذانِ خَصمانِ اختَصموا في ربِّهم} نزلَت في حمزةَ وصاحبَيه وعُتبةَ وصاحبيهِ يومَ بَرزوا في يوم بدر».

٤٧٤٤ ـ عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضيَ الله عنه قال: «أنا أوَّلُ من يجثو بينَ يدَيِ الرحمنِ للخُصومةِ يومَ القيامة» قال قَيسٌ: وفيهم نَزَلَت {هذانِ خَصمانِ اختصموا في ربهم} قال: همُ الذين بارَزوا يومَ بدرٍ: عليٌّ وحمزةُ وعُبيدةُ وشَيبةُ بن ربيعةَ وعُتبة بن ربيعة والوَليدُ بن عُتبةَ.

قوله (باب هذان خصمان اختصموا في ربهم) الخصمان تثنية خصم، وهو من تقع منه المخاصمة.

قوله (نزلت في حمزة) أي ابن عبد المطلب، وقد تقدم مشروحاً في غزوة بدر[١] مستوفى.

وقد روى الطبري من طريق الحسن قال: هم الكفار والمؤمنون، ومن طريق مجاهد هو اختصام المؤمن والكافر في البعث، واختار الطبري هذه الأقوال في تعميم الآية قال: ولا يخالف المروي عن علي وأبي ذر لأن الذين تبارزوا ببدر كانوا فريقين مؤمنين وكفار، إلا أن الآية إذا نزلت في سبب من الأسباب لا يمتنع أن تكون عامة في نظير ذلك السبب.

(٢٣) سورةُ المؤمنون

قال ابنُ عيينة {سبعُ طرائقَ}: سبعُ سماوات، {لها سابقون}: سبقَت لهمُ السعادة. {قلوبُهم وَجِلة}: خائفين، وقال ابنُ عباس {هَيهاتَ هَيهات}: بَعيدٌ بعيدٌ، {فاسألِ العادِّين}: الملائكة، {لَناكِبون}: لعادِلون، {كالحون} عابِسون، وقال غيره: {مِن سُلالة}: الوَلَدُ، والنُّطفة السُّلالة، والجِنَّة والجنون واحد، والغُثاءُ: الزَّبَد، وما ارتفعَ عنِ الماءِ، وما لا يُنتفَعُ به، {يَجأَرون}: يرفعونَ أصواتهم كما تجأرُ البقرة {على أعقابكم}: رجعَ على عَقبيه، {سامِراً} منَ السَّمَر، والجمعُ السُّمار، والسامرُ ها هنا في موضع الجمع، {تُسحَرون}: تعمون من السِّحر.

قوله (قلوبهم وجلة خائفين) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباسٍ في قوله {وقلوبهم وجلة} قال: يعملون خائفين، وللطبري من طريق يزيد النحوي عن عكرمة مثله، وفي الباب «عن عائشة قالت: يا رسول الله في قوله تعالى {وقلوبهم وجلة} أهو الرجل يزني ويسرق وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال: لا، بل هو الرجل يصوم ويصلي وهو

---

(١) كتاب المغازي باب / ٨ ح ٣٩٦٥ - ٣ / ٢٦٣.

مع ذلك يخاف الله» أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه وصححه الحاكم.

قوله (كالحون عابسون) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مثله، ومن طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود قال: مثل كلوح الرأس النضيخ، وكشر عن ثغره، وأخرجه الحاكم وصححه من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً «تشويه النار فتقلص شفته العليا وتسترخي السفلى».

(٢٤) سورةُ النُّور

{من خلالهِ} من بين أضعافِ السحاب: {سَنا بَرقه}: وهو الضياء {مُذعِنين}: يقال للمستخذي مذعن {أشتاتاً} وشَتَّى وشتات وشَتٌّ واحد، وقال ابنُ عباس {سورةٌ أنزلْناها}: بَيِنّاها، وقال غيرُه: سُمي القرآنُ لجماعة السُّوَر، وسميت السورة لأنها مقطوعة منَ الأخرى، فلما قُرِنَ بعضُها إلى بعض سمي قرآنا، وقال سعدُ بن عياضٍ الثُّمالي المشكاةُ الكوَّة بلسانِ الحبشة وقوله تعالى {إنَّ علينا جَمعَهُ وقرآنَه} تأليفُ بعضهِ إلى بعض {فإذا قَرَأناهُ فاتَّبِعْ قُرآنَه} فإذا جمعناه وألفناه فاتَّبِع قرآنه أي ما جمع فيه، فاعملْ بما أمَرَك وانتهِ عما نَهاك ويقال ليس لشعرهِ قرآن أي تأليف وسمي الفرقان لأنه يفرِّق بين الحقّ والباطل؛ ويقال للمرأة: ما قَرأت بِسَلاً قطُّ أي لم تجمع في بطنها ولداً، وقال {فرَّضناها}: أنزلنا فيها فَرائضَ مختلفة ومن قرأ {فَرَضناها} يقول: فرضنا عليكم وعلى مَن بعدكم، قال مجاهد: {أو الطفلِ الذين لم يَظهَروا} لم يَدروا، لما بهم منَ الصغَر، وقال الشَّعبي {أولى الإرْبة} مَن ليسَ لهُ أرَب، وقال مجاهد: لا يَهمه إلا بطنه، ولا يُخاف على النساء وقال طاوس: هو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء.

١ ـ باب {والذين يَرمونَ أزواجَهم ولم يكن لهم شُهداءُ إلا أنفُسهم فشهادة أحدِهم أربعُ شهاداتٍ بالله إنهُ لَمنَ الصادقين}

٤٧٤٥ ـ عن سهلِ بن سعدٍ «أن عُوَيمراً أتى عاصمَ بن عَدِيٍّ وكان سيِّدَ بني عَجلانَ فقال: كيفَ تقولون في رجلٍ وَجدَ مع امرأتهِ رجلاً، أيَقتله فتقتلونه، أم كيفَ يَصنَعُ؟ سلْ لي رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فأتى عاصمٌ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، فكَرِهَ رسولُ الله ﷺ المسائلَ، فسألهُ عُوَيمِرٌ، فقال: إن رسولَ الله ﷺ كرهَ المسائلَ وعابها قال عُوَيمِرٌ: والله لا أنتهي حتى أسألَ رسولَ الله ﷺ عن ذلك فجاء عُوَيمِرٌ فقال: يا رسولَ الله، رجلٌ وجدَ مع امرأتهِ رجلا، أيَقتله فتقتلونه أم كيف يَصنَع؟ فقال رسول الله ﷺ: قد أنزَلَ اللهُ القرآنَ فيك وفي صاحبتِك فأمَرَهما رسولُ الله بالملاعنة بما سمَّى اللهُ في كتابه فلا عنَها ثم قال: يا رسولَ الله، إن حَبستُها فقد ظلمتها فطلَّقها، فكانت سُنَّةً لمن كان بعدَهما في المتلاعنَين، ثم قال رسولُ الله: انظُروا فإن جاءت به أسحمَ أدعجَ العينَين عظيمَ الأليتَين خَدَلَّج الساقَين فلا

احسب عُوَيمراً إلا قد صَدق عليها، وإن جاءت به أحيمرَ كأنه وَحَرَة فلا أحسبُ عويمراً إلا قد كذَبَ عليها فجاءت بهِ على النعتِ الذي نعتَ رسولُ الله ﷺ من تصديق عُويمر، فكان بعدُ ينسَبُ إلى أمه».

٢ ـ باب {والخامسة أنَّ لعنةَ اللهِ عليه إن كان منَ الكاذبين}

٤٧٤٦ ـ عن سهلِ بن سعدٍ «أنَّ رجلاً أتى رَسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أرأيتَ رجُلاً رأى مع امرأته رجلاً أيَقتله فتقتُلونَه، أم كيفَ يفعل؟ فأنزلَ اللهُ فيهما ما ذكرَ في القرآنِ منَ التَّلاعُن، فقال له رسولُ الله ﷺ: قد قُضِيَ فيك وفي امرأتِك، قال: فتَلاعَنا -وأنا شاهدٌ عندَ رسولِ الله ﷺ- ففارَقَها، فكانت سُنَّةً أن يُفرِّقَ بينَ المتلاعنَين، وكانت حاملاً فأنكرَ حملَها وكان ابنُها يُدعى إليها، ثمَّ جرَتِ السنةُ في الميراث أن يَرِثها وتَرِثَ منه ما فرَضَ الله لها».

قوله (باب قوله عز وجل[١] {والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء} الآية) ذكر فيه حديث سهل بن سعد مطولاً وفي الباب الذي بعده مختصراً، وسيأتي شرحه في كتاب اللعان[٢].

٣ ـ باب {ويَدرَأُ عنها العذابَ أن تَشهدَ أربعَ شهاداتٍ باللهِ إنه لَمنَ الكاذبين}

٤٧٤٧ ـ عن ابن عباسٍ أن هِلالَ بن أميَّةَ قَذَفَ امرأتَهُ عندَ النبيِّ ﷺ بشَريكِ بن سَمحاء، فقال النبيُّ ﷺ: البَيِّنةُ أو حَدٌّ في ظَهرك فقال: يا رسولَ الله، إذا رأى أحدُنا على امرأته رجلا يَنطلقُ يَلتمسُ البَيِّنة؟ فجعلَ النبيُّ ﷺ يقول البيِّنةَ وإلا حَدٌّ في ظهرك، فقال هلالٌ: والذي بَعثكَ بالحق إني لَصادق، فَلَينزلنَّ اللهُ ما يُبرِّئ ظهري منَ الحد، فنَزلَ جبريلُ وأنزَلَ عليه {والذينَ يَرمونَ أزواجَهم} فقرأ حتى بلغَ {إن كان من الصادقين} فانصرفَ النبيُّ ﷺ فأرسلَ إليها، فجاءَ هلالٌ فشَهِدَ، والنبيُّ ﷺ يقول: إنَّ اللهَ يعلمُ أنَّ أحدكما كاذِب، فهل منكما تائب؟ ثم قامَت فشَهدَت، فلما كانت عندَ الخامسة وقَّفوها وقالوا: إنها موجبة، قال ابنُ عباس: فتَلكَّأت ونَكصَت حتى ظنَنا أنها ترجِع، ثمَّ قالت: لا أفضحُ قومي سائرَ اليوم، فمَضت، فقال النبيُّ ﷺ: أبصِروها، فإن جاءت به أكحلَ العَينين سابغَ الأليتَين خَدلَّج الساقين فهو لشَريك بِن سمحاء؛ فجاءت به كذلك، فقال النبيُّ ﷺ: لولا ما مَضى من كتابِ الله لكان لي ولها شَأن».

قوله (فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد،

---

(١) في المتن بدون "قوله عز وجل" وفي اليونينية بدون "باب قوله".
(٢) كتاب الطلاق باب / ٢٩ ح ٥٣٠٨ - ٤ / ١٧٠.

فنزل جبريل وأنزل عليه: والذين يرمون أزواجهم) كذا في هذه الرواية أن آيات اللعان نزلت في قصة هلال بن أمية، وفي حديث سعد الماضي أنها نزلت في عويمر لفظه «فجاء عويمر فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك، فأمرهما بالملاعنة» وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع: فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معا في وقت واحد، وقد جنح النووي إلى هذا، وسبقه الخطيب فقال: لعلهما اتفق كونهما جاءا في وقت واحد، ويؤيد التعدد أن القائل في قصة هلال سعد بن عبادة كما أخرجه أبو داود والطبري من طريق عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس مثل رواية هشام بن حسان بزيادة في أوله «لما نزلت {والذين يرمون أزواجهم} الآية قال سعد بن عبادة: «لو رأيت لكاعاً قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء، ما كنت لآتي بهم حتى يفرغ من حاجته، قال: فما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية» الحديث.

والقائل في قصة عويمر عاصم بن عدي كما في حديث سهل بن سعد في الباب الذي قبله، وأخرج الطبري من طريق الشعبي مرسلا قال: «لما نزلت {والذين يرمون أزواجهم} الآية قال عاصم بن عدي: إن أنا رأيت فتكلمت جلدت، وإن سكت سكت على غيظ» الحديث، ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول.

٤ ـ باب {والخامسةَ أنَّ غَضبَ الله عليها إن كان من الصادقين}

٤٧٤٨ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عنهما «أنَّ رجُلاً رمى امرأتَهُ فانتَفى من وَلَدِها في زمانِ رسولِ الله ﷺ، فأمرَ بهما رسولُ الله ﷺ فَتَلاعنا كما قال الله، ثم قضى بالوَلَدِ للمرأةِ وفرَّقَ بينَ المتلاعنَين».

[الحديث ٤٧٤٨ - أطرافه في: ٥٣٠٦، ٥٣١٣، ٥٣١٤، ٥٣١٥، ٦٧٤٨]

قوله (إن رجلاً رمى امرأته فانتفى من ولدها) سيأتي البحث فيه مفصلاً في كتاب اللعان[1] إن شاء الله تعالى.

١(أ) كتاب الطلاق باب / ٢٧ ح ٥٣٠٦ - ٤ / ١٦٨.
١(ب) كتاب الطلاق باب / ٣٤ ح ٥٣١٤ - ٤ / ١٧٤.
١(ج) كتاب الطلاق باب / ٣٥ ح ٥٣١٥ - ٤ / ١٧٤.

٥ ـ باب {إنَّ الذينَ جاءوا بالإفكِ عصبةٌ منكم لا تحسبوهُ شراً لكم بل هوَ خيرٌ لكم لكلِّ امرئٍ منكم ما اكتسبَ منَ الإثم، والذي تَولى كِبرَهُ منهم لهُ عذابٌ عظيم}

أفاك: كذّاب.

٤٧٤٩ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها «{والذي تولى كِبرَه} قالت: عبد الله بن سَلول».

قوله (قالت عبد الله بن أبيّ بن سلول) أي هو عبد الله، وتقدمت ترجمته قريباً في سورة براءة، وهذا هو المعروف أن المراد بقوله {والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم} وهو عبد الله بن أبي، وبه تظاهرت الروايات عن عائشة من قصة الإفك المطولة كما في الباب الذي بعد هذا.

٦ ـ باب {لولا إذ سَمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانَكَ هذا بهتانٌ عظيم لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء، فإذ لم يأتُوا بالشُّهداء فأولئكَ عندَ الله همُ الكاذبون}

٤٧٥٠ ـ عن ابن شهابٍ قال: أخبرَني عروةُ بن الزُّبير وسعيد بن المسيَّب وعلقمة بن وقّاص وعُبيَدُ الله بن عبد الله بن عتبةَ بن مسعود عن حديث عائشةَ رضيَ الله عنها زوج النبيِّ ﷺ حينَ قال لها أهلُ الإفكِ ما قالوا، فبرّأها الله مما قالوا -وكلٌّ حدَّثني طائفةً من الحديث، وبعض حديثهم يصدِّقُ بعضا، وإن كان بعضُهم أوعى له من بعض- الذي حدَّثني عروةُ عن عائشةَ رضيَ الله عنها أن عائشة رضيَ الله عنها زوجَ النبيِّ ﷺ قالت: «كان رسولُ الله ﷺ إذا أراد أن يَخرُجَ أقرعَ بينَ أزواجهِ، فأيتهُنَّ خرج سهمها خرجَ بها رسولُ اللهِ ﷺ معهُ، قالت عائشة: فأقرعَ بيننا في غَزوةٍ غَزاها فخرجَ سهمي، فخرجتُ مع رسولِ الله ﷺ بعدَ ما نزلَ الحجابُ، فأنا أُحمَلُ في هَودَجي وأُنزَلُ فيه، فسِرنا حتى إذا فرَغَ رسولُ اللهِ ﷺ من غزوته تلك وقفل ودَنونا من المدينةِ قافلينَ آذَن ليلةً بالرَّحيل، فقمتُ حينَ آذنوا بالرَّحيل فمشَيتُ حتى جاوَزتُ الجيشَ، فلما قَضيتُ شأني أقبلَتُ إلى رحلي، فإذا عِقدٌ لي من جَزعِ أظفارٍ قد انقطع، فالتمستُ عِقدي وحبَسَني ابتغاؤه، وأقبلَ الرَّهطُ الذين كانوا يَرحَلونَ فاحتَملوا هودَجي، فَرحلوهُ على بَعيري، الذي كنتُ ركبتُ وهم يحسبونَ أنّي فيه، وكان النساءُ إذ ذاك خِفافاً لم يُثقِلهُنَّ اللحم، إنما يأكلنَ العلقةَ من الطعام، فلم يَستنكِرِ القومُ خِفةَ الهودج حين رَفعوه، وكنتُ جاريةً حديثةَ السن، فَبعَثوا الجملَ وساروا، فوَجَدتُ عِقدي بعدَ ما استمرَّ الجيشُ، فجئتُ منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فأممتُ منزلي الذي كنتُ به، وظَنَنتُ أنهم سيفقِدوني فيرجعونَ إليَّ فبينا أنا جالسٌ في منزلي غلَبتني عيني

فنمت، وكان صفوانُ بن المعطل السُلَميُّ ثم الذكوانيُّ من وراءِ الجيش، فأدلج، فأصبحَ عندَ منزلي، فرأى سَوادَ إنسانٍ نائم، فأتاني فعرَفني حينَ رآني، وكان يُراني قبلَ الحجاب، فاستَيقظتُ باسترجاعهِ حينَ عرَفَني، فخمّرتُ وَجهي بجلبابي، واللهِ ما كلمني كلمةً ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعه، حتى أناخَ راحلتَهُ فوطئَ على يدَيها فركبتُها، فانطلقَ يَقودُ بي الراحلة حتى أتَينا الجيشَ بعدَ ما نزلوا مُوغرينَ في نحر الظهيرة، فهلكَ من هلك، وكان الذي تولّى الإفك عبدَ الله بن أبيٍّ بن سلول؛ فقَدمنا المدينة، فاشتكيتُ حينَ قدمتُ شهراً، والناسُ يفيضون في قولِ أصحابِ الإفك، ولا أشعرُ بشيء من ذلك، وهو يَريبُني في وَجَعي أني لا أعرفُ من رسولِ الله ﷺ اللطفَ الذي كنتُ أرى منه حينَ أشتكي، إما يدخُلُ عليَّ رسولُ الله ﷺ فيُسلِّمُ ثم يقول: كيفَ تِيكم، ثمَّ ينصرفُ، فذاكَ الذي يريبني ولا أشعرُ بالشرِّ، حتى خَرَجتُ بعدَ ما نقهتُ، فخرجَتَ معي أمُّ مِسْطح قِبلَ المَناصِعِ، وهو مُتبرزنا وكنا لا نخرُجُ إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبلَ أن تتَّخذَ الكُنفَ قريباً من بُيوتنا، وأمرُنا أمرُ العرب الأوَل في التبرُّز قبلَ الغائط، فكنا نتأذى بالكُنف أن نتخذَها عندَ بيوتنا، فانطلَقتُ أنا وأمُّ مسطح - وهي ابنة أبي رُهم بن عبد مَناف، وأمُّها بنتُ صخرِ بن عامر خالةُ أبي بكرِ الصديق، وابنها مسطحُ بن أثاثة - فأقبلتُ أنا وأمُّ مسطح قبل بيتي وقد فرَغنا من شأننا، فَعثَرت أمُّ مسطحٍ في مِرطِها، فقالت: تَعِسَ مسطح، فقلت لها: بئس ما قلتِ، أتَسُبِّينَ رجلاً شهدَ بدراً؟ قالت: أي هَنْتاه، أوَ لم تسمعي ما قال؟ قالت قلت: وما قال؟ فأخبرَتني بقولِ أهلِ الإفك، فازددتُ مرضاً عَلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ تعني سلم ثم قال: كيفَ تيكم؟ فقلت: أتأذَنُ لي أن آتي أبويَّ - قالت: وأنا حينئذ أريدُ أن استيقَنَ الخبرَ من قِبَلهما - قالت: فأذِنَ لي رسولُ الله ﷺ، فجئتُ أبويَّ، فقلتُ لأمي: يا أمَّتاهُ ما يتحدَّث الناس؟ قالت: يا بُنَيَّة هَوِّني عليك، فو اللهِ لقَلَّما كانت امرأةٌ قط وَضيئةٌ عندَ رجلٍ يُحبُّها ولها ضَرائر إلا أكثَرنَ عليها، قالت فقلتُ: سبحانَ الله؛ أو لقد تحدَّث الناس بهذا؟ قالت: فبكَيتُ تلكَ الليلةَ حتى أصبحتُ لا يَرقأُ لي دمع، ولا أكتَحِلُ بنوم حتى أصبحتُ أبكي، فدعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ وأسامةَ بن زيد رضيَ الله عنهما حينَ استلبَثَ الوَحيُ يَستأمِرُهما في فراقِ أهله، قالت: فأما أسامةُ بن زيد فأشار على رسولِ الله ﷺ بالذي يعلم من بَراءةِ أهله، وبالذي يعلمُ لهم في نفسهِ من الوُدِّ فقال: يا رسولَ الله، أهلَكَ، وما نعلمُ إلا خَيرا، وأما عليُّ بن أبي طالب فقال: يا رسولَ الله، لم يضيِّقِ اللهُ عليك والنساء سِواها كثير، وإن تسألِ الجاريةَ تَصدُقْكَ، قالت: فدَعا رسولُ اللهِ ﷺ بريرة، فقال أي بريرة هل رأيتِ من شيءٍ يَريبُكِ؟ قالت بَريرة: لا والذي

بَعثَك بالحق، إن رأيتُ عليها أمراً أغمِصُهُ عليها أكثرَ من أنها جاريةٌ حديثةُ السنِّ تنام عن عَجينِ أهلها فتأتي الداجنُ فتأكله، فقام رسولُ الله ﷺ فاستعذَرَ يومئذٍ من عبدِ الله بن أُبيِّ ابنِ سَلول، فقال رسولُ الله ﷺ وهو عَلَى المنبر: يا معشر المسلمين، من يَعذِرُني من رجلٍ قد بَلغني أذاهُ في أهل بيتي؟ فو الله ما علمتُ على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجُلاً ما علمتُ عليه إلا خيرا، وما كان يدخلُ على أهلي إلا معي، فقام سعدُ بن مُعاذٍ الأنصاريُّ فقال: يا رسولَ الله، أنا أعذرُك منه، إن كان منَ الأوس ضربتُ عُنقَهُ، وإن كان من إخواننا منَ الخزرَج أمرتَنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعدُ بن عبادةَ - وهو سيّد الخزرج، وكان قبلَ ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملَتْه الحمية - فقال لسعدٍ: كذبتَ لَعمرُ الله، لا تقتلهُ ولا تقدرُ على قتله، فقام أُسَيدُ بن حُضَير -وهو ابن عمِّ سعدِ بن مُعاذ- فقال لسعدِ بن عبادة: كَذبتَ لَعمرُ الله لَنقتُلَنَّه، فإنك منافقٌ تجادِلُ عن المنافقين، فَتَساوَرَ الحيّانِ الأوسُ والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسولُ الله ﷺ قائمٌ على المنبر، فلم يزل رسولُ الله ﷺ يُخفِّضُهم حتى سَكتوا وسكت، قالت: فمكثتُ يومي ذلك لا يَرقَأُ لي دَمعٌ ولا أكتحِلُ بنوم، قالت: فأصبحَ أبَوايَ عندي وقد بكَيتُ لَيلتَين ويوما لا أكتحِلُ بنوم ولا يرقأُ لي دمع يَظُنّان أنَّ البكاءَ فالقٌ كبِدي، قالت: فبينما هما جالِسانِ عندي وأنا أبكي فاستأذنَتْ عليَّ امرأةٌ منَ الأنصار فأذنتُ لها، فجلستْ تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخلَ علينا رسولُ الله ﷺ فسلَّمَ ثم جلس، قالت: ولم يَجلِسْ عندي منذ قيلَ ما قيل قبلها، وقد لَبثَ شهراً لا يُوحى إليه في شأني قالت: فتشهَّدَ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ جلسَ ثم قال: أما بعدُ، يا عائشة فإنه قد بلَغني عنكِ كذا وكذا، فإن كنتِ بَريئةً فسيُبرِّؤكِ الله، وإن كنت ألممتِ بذَنب فاستغفري اللهَ وتُوبي إليه، فإنَّ العبدَ إذا اعترَفَ بذنبه ثم تابَ إلى الله تابَ اللهُ عليه، قالت: فلما قضى رسولُ الله مَقالتَهُ قَلصَ دَمعي حتى ما أحِسُّ منه قَطرة، فقلت لأبي: أجِبْ رسولَ الله ﷺ فيما قال، قال: واللهِ ما أدري ما أقول لرسولِ الله ﷺ. فقلتُ لأمي: أجيبي رسولَ الله قالت ما أدري ما أقولُ لرسولِ الله ﷺ. قالت فقلت -وأنا جارية حديثة السنِّ لا أقرأ كثيراً منَ القرآن-: إني واللهِ لقد علمتُ لقد سَمعتم هذا الحديثَ حتى استقرَّ في أنفُسِكم وصدَّقتم به، فلَئِن قلتُ لكم إني بَريئة - والله يَعلمُ أني بريئة - لا تُصدِّقونني بذلك، ولئن اعترَفتُ لكم بأمر - واللهُ يعلم أني منه بريئة - لتصدِّقنّي، واللهِ ما أجدُ لكم مثلاً إلا قولَ أبي يوسف، قال: {فصبرٌ جميل، واللهُ المستَعانُ على ما تَصفون} قالت: ثم تحوَّلت فاضطَجعتُ على فِراشي، قالت: وأنا حينئذٍ أعلم أني بريئةٌ وأنَّ الله مُبرِّئي ببراءتي، ولكنْ والله ما كنت أظنُّ أنَّ اللهَ منزلٌ في شأني وَحياً يُتلى ولَشأني في نفسي كان أحقرَ

من أن يتكلَم اللهُ فيّ بأمر يُتلى ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسولُ الله ﷺ في النومِ رؤيا يبرِّؤني اللهُ بها، قالت: فو الله ما رامَ رسولُ الله ﷺ ولا خرَجَ أحدٌ من أهلِ البيت حتى أُنزلَ عليه، فأخذَه ما كان يأخذُه من البُرَحاء، حتى إنه ليتحدَّرُ منه مثلُ الجُمان من العَرق وهو في يومٍ شاتٍ من ثِقَل القول الذي يُنزلَ عليه، قالت: فلما سُرِّيَ عن رسولِ الله ﷺ سُرِّي عنه وهو يضحَك، فكانت أولُ كلمةٍ تكلمَ بها: يا عائشة، أما الله عزَّ وجل فقد برَّأك، فقالت أمي: قومي إليه قالت فقلت: واللهِ لا أقومُ إليهِ، ولا أحمدُ إلا اللهَ عزَّ وجل، وأنزلَ الله {إنَّ الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوه...} العشرَ الآياتِ كلها، فلما أنزلَ اللهُ في بَراءتي قال أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ الله عنه وكان يُنفِقُ على مِسطح بن أُثاثةَ لِقَرابته منه وفقره: والله لا أنفقُ على مسطحٍ شيئاً أبدا بعدَ الذي قال لعائشةَ ما قال فأنزَلَ الله {ولا يأتَلِ أولو الفضلِ منكم والسَّعة أن يُؤتوا أولي القُربى والمساكينَ والمهاجرينَ في سبيل الله، ولْيعفوا ولْيَصفَحوا، ألا تحبُّون أن يغفرَ الله لكم واللهُ غفورٌ رحيم} قال أبو بكر: بلى والله، إني أحبُّ أن يغفرَ اللهُ لي، فرجَعَ إلى النفقةِ التي كان يُنفق عليه وقال: واللهِ لا أنزعُها منه أبداً، قالت عائشة وكان رسولُ اللهِ ﷺ يسأل زينب ابنة جحشٍ عن أمري فقال: يا زينبُ، ماذا علمتُ أو رأيتِ؟ فقالت: يا رسولَ الله، أحمي سمعي وبصَري، ما علمتُ إلا خيرا، قالت -وهيَ التي كانت تساميني من أزواج رسولِ الله ﷺ فعصَمَها الله بالوَرَع، وطفِقَت أختُها حَمنةُ تحارِبُ لها، فهلكَت فيمن هلكَ من أصحابِ الإفك».

قوله (أقرع بين أزواجه) فيه مشروعة القرعة والرد على من منع منها، وقد تقدم التعريف بها وحكمها في أواخر كتاب الشهادات[1] في «باب القرعة في المشكلات».

قوله (في غزوة غزاها) هي غزوة بني المصطلق.

قوله (بعد ما نزل الحجاب) أي بعد ما نزل الأمر بالحجاب، والمراد حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن، وكن قبل ذلك لا يمنعن، وهذا قالته كالتوطئة للسبب في كونها كانت مستترة في الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميله وهي ليست فيه وهم يظنون أنها فيه، بخلاف ما كان قبل الحجاب، فلعل النساء حينئذ كن يركبن ظهور الرواحل بغير هوادج، أو يركبن الهوادج غير مستترات، فما كان يقع لها الذي يقع، بل كان يعرف الذي كان يخدم بعيرها إن كانت ركبت أم لا.

قوله (وقفل) أي رجع من غزوته.

قوله (ودنونا من المدينة قافلين) أي راجعين، أي إن قصتها وقعت حال رجوعهم من الغزوة قرب دخولهم المدينة.

(١) كتاب الشهادات باب / ٣٠ ح ٢٦٨٩ - ٢ / ٤٩٠.

قوله (آذن) بمعنى أعلم بالرحيل.

قوله (فمشيت حتى جاوزت الجيش) أي لتقضي حاجتها منفردة.

قوله (فلما قضيت شأني) الذي توجهت بسببه.

قوله (عِقْد) قلادة تعلق في العنق للتزين بها.

قوله (من جزع) خزر معروف في سواده بياض كالعروق.

قوله (جزع أظفار) حكى ابن التين أن قيمته كانت اثني عشر درهماً.

قوله (فلما قضيت شأني) أي فرغت من قضاء حاجتي (أقبلت) أي رجعت إلى المكان الذي كانت نازلة فيه.

قوله (والعُلْقة) أي القليل، قال القرطبي: كأن المراد الشيء القليل الذي يسكن الرمق.

قوله (فلم يستنكر القوم خفة الهودج) المراد لم يستنكروا الثقل الذي اعتادوه، لأن ثقله في الأصل إنما هو مما ركب الهودج منه من خشب وحبال وستور وغير ذلك، وأما هي فلشدة نحافتها كان لا يظهر بوجودها فيه زيادة ثقل، والحاصل أن الثقل والخفة من الأمور الإضافية فيتفاوتان بالنسبة، ويستفاد من ذلك أيضاً أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها والمبالغة في ترك التنقيب عما في الهودج بحيث أنها لم تكن فيه وهم يظنون أنها فيه، وكأنهم جوزوا أنها نائمة.

قوله (وكنت جارية حديثة السن) هو كما قالت، لأنها أدخلت على النبي ﷺ بعد الهجرة في شوال ولها تسع سنين.

وقد أشرت إلى فائدة ذكرها قبل ذلك، ويحتمل أن تكون أشارت بذلك إلى بيان عذرها فيما فعلته من الحرص على العقد الذي انقطع، ومن استقلالها بالتفتيش عليه في تلك الحال وترك إعلام أهلها بذلك وذلك لصغر سنها وعدم تجاربها للأمور بخلاف ما لو كانت ليس صغيرة لكانت تتفطن لعاقبة ذلك، وقد وقع لها بعد ذلك في ضياع العقد أيضاً أنا أعلمت النبي ﷺ بأمره فأقام بالناس على غير ماء حتى وجدته ونزلت آية التيمم بسبب ذلك، فظهر تفاوت حال من جرب الشيء ومن لم يجربه، وقد تقدم إيضاحه في كتاب التيمم.

قوله (بعد ما استمر الجيش) أي ذهب ماضيا.

قوله (فجئت منازلهم وليس بهاد داع ولا مجيب) في رواية فليح «وليس فيها أحد» فإن قيل لم لم تستصحب عائشة معها غيرها فكان أدعى لأمنها مما يقع للمنفرد ولكانت لما تأخرت للبحث عن العقد ترسل من رافقها لينتظروها إن أرادوا الرحيل؟ والجواب أن هذا من جملة ما يستفاد من قوله حديثة السن، لأنها لم يقع لها تجربة مثل ذلك، وقد صارت بعد

ذلك إذا خرجت لحاجتها تستصحب كما سيأتي في قصتها مع أم مسطح، وقوله فأممت منزلي بالتخفيف أي قصدت.

قوله (فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت)، يحتمل أن يكون سبب النوم شدة الغم الذي حصل لها في تلك الحالة، ومن شأن الغم - وهو وقوع ما يكره - غلبة النوم، بخلاف الهم وهو توقع ما يكره فإنه يقتضي السهر، أو لما وقع من برد السحر لها مع رطوبة بدنها وصغر سنها، وعند ابن إسحق «فتلففت بجلباب ثم اضطجعت في مكاني، أو أن الله سبحانه وتعالى لطف بها فألقى عليها النوم لتستريح من وحشة الإنفراد في البرية بالليل.

قوله (وكان صفوان بن المعطل) وكان صحابياً فاضلا، وسيأتي في أثناء شرح هذا الحديث ما يدل على تقدم إسلامه، ويأتي أيضاً بعد خمسة أبواب قول عائشة إنه قتل شهيداً في سبيل الله، ومرادها أنه قتل بعد ذلك لا أنه في تلك الأيام، وقد ذكر ابن إسحق أنه استشهد في غزاة أرمينية في خلافة عمر سنة تسع عشرة.

قوله (فأدلج فأصبح عند منزلي) أدلج سار من أوله.

قوله (فرأى سواد إنسان نائم) السواد بلفظ ضد البياض يطلق على الشخص أي شخص كان، فكأنها قالت رأى شخص آدمي، لكن لا يظهر أهو رجل أو امرأة.

قوله (فعرفني حين رآني) هذا يشعر بأن وجهها انكشف لما نامت لأنه تقدم أنها تلففت بجلبابها ونامت، فلما انتبهت باسترجاع صفوان بادرت إلى تغطية وجهها.

قوله (وكان يراني قبل الحجاب) أي قبل نزول آية الحجاب، وهذا يدل على قدم إسلام صفوان، فإن الحجاب كان في قول أبي عبيدة وطائفة في ذي القعدة سنة ثلاث.

قوله (فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني) أي بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون، وصرح بها ابن إسحق في روايته، وكأنه شق عليه ما جرى لعائشة أو خشي أن يقع ما وقع، أو أنه اكتفى بالاسترجاع رافعاً به صوته عن مخاطبتها بكلام آخر صيانة لها عن المخاطبة في الجملة، وقد كان عمر يستعمل التكبير عند إرادة الإيقاظ، وفيه دلالة على فطنة صفوان وحسن أدبه.

قوله (فخمرت) أي غطيت (وجهي بجلبابي) أي الثوب الذي كان عليها.

قوله (فوطئ على يدها) أي ليكون أسهل لركوبها ولا يحتاج إلى مسها عند ركوبها، وفي حديث أبي هريرة «فغطى وجهه عنها ثم أدنى بعيره منها».

قوله (بعد ما نزلوا موغرين) أي نالين في وقت الوْغرة وهي شد الحر لما تكون الشمس في كبد السماء.

قوله (فهلك من هلك) أشارت بذلك إلى الذين تكلموا بالإفك وخاضوا في ذلك، وأما أسماؤهم فالمشهور في الروايات الصحيحه: عبد الله بن أبيّ، ومسطح بن أثاثة؛ وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش.

قوله (وكان الذي تولى كبره[١]) أي تصدى لذلك وتقلده، وكبره أي كبر الإفك وكبر الشيء معظمه وهو قراءة الجمهور بكسر الكاف.

قوله (فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك) ووقع في حديث ابن عمر: فشاع ذلك في العسكر فبلغ النبي ﷺ، فلما قدموا المدينة أشاع عبد الله بن أبي ذلك في الناس فاشتد على رسول الله ﷺ، وقوله «والناس يفيضون» أي يخوضون، من أفاض في قول إذا كثر منه.

قوله (الذي كنت أرى منه حين أشتكي) أي حين أمرض.

قوله (إنما يدخل[٢]فيسلم ثم يقول كيف تيكم) واستدلت عائشة بهذه الحالة على أنها استشعرت منه بعض جفاء، ولكنها لما لم تكن تدري السبب، لم تبالغ في التنقيب عن ذلك حتى عرفته.

قوله (نقهت) والناقة الذي أفاض من مرضه ولم تتكامل صحته.

قوله (فقالت تعس مسطح) أي كُبَّ لوجهه أو هلك ولزمه الشر أو بَعُد.

قوله (فقلت لها بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرا) قال أبو محمد بن أبي جمرة: يحتمل أن يكون قول أم مسطح هذا عمداً لتتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها وهي غافلة، ويحتمل أن يكون اتفاقاً أجراه الله على لسانها لتستيقظ عائشة من غفلتها عما قيل فيها.

قوله (قالت أي هَنْتاه) وهنتاه قيل امرأة وقيل بلْهَى، كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس، وإذا خوطب المذكر قيل ياهنة.

قوله (وضيئة) من الوضاءة أي حسنة جميلة.

قوله (ضرائر) جمع ضرة قيل للزوجات ضرائر لأن كل واحد يحصل لها الضرر من الأخرى بالغيرة.

قوله (أكثرن عليها) وفي هذا الكلام من فطنة أمها وحسن تأتيها في تربيتها مالا مزيد عليه، فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك، لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له، وأدمجت في ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة

---

(١) رواية الباب واليونينية "وكان الذي تولى الإفك".
(٢) رواية الباب واليونينية "إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ....".

في الجمال والحظوة، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به، مع ما فيه من الإشارة إلى ما وقع من حمنة بنت جحش، وأن الحامل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش، وعرف من هذا أن الاستثناء في قولها إلا أكثرن عليها متصل لأنها لم تقصد قصتها بعينها بل ذكرت شأن الضرائر وأما ضرائرها هي فإنهن وإن كن لم يصدر منهن في حقها شيء مما يصدر من الضرائر لكن لم يعدم ذلك ممن هو منهن بسبيل كما وقع من حمنة لأن ورع أختها منعها من القول في عائشة كما منع بقية أمهات المؤمنات، وإنما اختصت زينب بالذكر لأنها التي كانت تضاهي عائشة في المنزلة.

قوله (فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟) وفي رواية هشام بن عروة «فاستعبرت فبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فقال لأمي: ما شأنها؟ فقالت: بلغها الذي ذكر من شأنها، ففاضت عيناه فقال: أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك، فرجعت».

قوله (فقلت سبحان الله) استغاثت بالله متعجبة من وقوع مثل ذلك في حقها مع براءتها المحققة عندها.

قوله (لا يرقأ لي دمع) أي لا ينقطع.

قوله (ولا أكتحل بنوم) استعارة للسهر.

قوله (علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد[1]) في حديث ابن عمر «وكان إذا أراد أن يستشير أحداً في أمر أهله لم يعْد علياً وأسامة».

قوله (حين استلبث الوحي) بالرفع أي طال لبث نزوله، وبالنصب أي استبطأ النبي ﷺ نزوله.

قوله (أهلك) بالرفع فإن في رواية معمر «هم أهلك» ولو لم تقع هذه الرواية لجاز النصب أي أمسك ومعناه هم أهلك أي العفيفة اللائقة بك، ثم لم يكتف بذلك حتى أخبر بما عنده فقال: «ولا نعلم إلا خيرا».

قوله (وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير) وهذا الكلام الذي قاله عليّ حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ لما رأى عنه من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان ﷺ شديد الغيرة، فرأى علي أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما، وقال النووي: رأى علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ

(١) في المتن واليو نينية "... علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما".

واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة لإرادة راحة خاطره ﷺ، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها لأنه عقب ذلك بقوله «وسل الجارية تصدقك» ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ، فكأنه قال: إن أردت تعجيل الراحة ففارقها، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلع على براءتها، لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلى البراءة المحضة، والعلة في اختصاص علي وأسامة بالمشاورة أن علياً كان عنده كالولد لأنه رباه من حال صغره ثم لم يفارقه، بل وازداد اتصاله بتزويج فاطمة فلذلك كان مخصوصا بالمشاورة فيما يتعلق بأهله لمزيد اطلاعه على أحواله أكثر من غيره، وكان أهل مشورته فيما يتعلق بالأمور العامة أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر، وأما أسامة فهو كعلي في طول الملازمة ومزيد الاختصاص والمحبة، ولذلك كانوا يطلقون عليه أنه حبُّ رسول الله ﷺ؛ وخصه دون أبيه وأمه لكونه كان شاباً كعلي، وإن كان علي أسن منه، وذلك أن للشاب من صفاء الذهن ما ليس لغيره، ولأنه أكثر جرأة على الجواب بما يظهر له من المسن، لأن المسن غالباً يحسب العاقبة فربما أخفى بعض ما يظهر له رعاية للقائل تارة والمسؤول عنه أخرى، مع ما ورد في بعض الأخبار أنه استشار غيرهما.

قوله (إن رأيت عليها أمراً) أي ما رأيت فيها مما تسألون عنه شيئاً أصلاً وأما من غيره ففيها ما ذكرت من غلبة النوم لصغر سنها ورطوبة بدنها.

قوله (أغمصه) أي أعيبه.

قوله (سوى[1] أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها) في رواية ابن إسحق «ما كنت أعيب عليها إلا أني كنت أعجن عجيني وآمرها أن تحفظه فتنام عنه» وفي رواية مقسم «مارأيت منها مذ كنت عندها إلا أني عجنت عجينا لي فقلت: احفظي هذه العجينة حتى أقتبس ناراً لاخبزها، فغفلت، فجاءت الشاة فأكلتها» وهو يفسر المراد بقوله في رواية الباب «حتى تأتي الداجن» الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى، وقيل هي كل ما يألف البيوت مطلقاً شاة أو طيرا، قال ابن المنير في الحاشية: هذا من الاستثناء البديع الذي يراد به المبالغة في نفي العيب، فغفلتها عن عجينها أبعد لها من مثل الذي رميت به وأقرب إلى أن تكون من الغافلات المؤمنات، وكذا في قولها في رواية هشام بن عروة «ما علمت منها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر» أي كما لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلا الخلوص من العيب فكذلك أنا لا أعلم منها إلا الخلوص من العيب.

قوله (فاستعذر من عبد الله بن أبي[2]) أي طلب من يعذره منه، أي ينصفه، قال

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "سوى"

(٢) رواية الباب واليونينية "فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أبي ابن سلول"

الخطابي: يحتمل أن يكون معناه من يقوم بعذره فيما رمى أهلي به من المكروه، ومن يقوم بعذري إذا عاقبته على سوء ما صدر منه؟ ورجح النووي هذا الثاني.

قوله (بلغني أذاه في أهل بيتي) قال ابن الجوزي: المراد رموا أهلي بالقبيح.

قوله (ولقد ذكروا رجلاً) زاد الطبري في روايته «صالحا» وزاد أبو أويس في روايته «وكان صفوان بن المعطل قعد لحسان فضربه ضربة بالسيف وهو يقول:

تلق ذباب السيف مني فإنني غلام إذا هوجئت لست بشاعر

فصاح حسان، ففر صفوان، فاستوهب النبي ﷺ من حسان ضربة صفوان فوهبها له.

قوله (وكان قبل ذلك رجلاً صالحا) أي كامل الصلاح، في رواية الواقدي «وكان صالحاً لكن الغضب بلغ منه ومع ذلك لم يغمص عليه في دينه».

قوله (ولكن احتملته الحمية) أي أغضبته.

قوله (ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل) ونقل ابن التين عن الداودي أن معنى قوله كذبت لا تقتله أن النبي ﷺ لا يجعل حكمه إليك فلذلك لا تقدر على قتله، وهو حمل جيد.

ولم يرد سعد بن عبادة الرضا بما نقل عن عبد الله بن أبي، وإنما معنى قول عائشة «وكان قبل ذلك رجلاً صالحا» أي لم يتقدم منه ما يتعلق بالوقوف مع أنفة الحمية، ولم ترد أنه ناضل عن المنافقين.

قوله (فتثاروا) أي نهض بعضهم إلى بعض من الغضب.

قوله (وقد بكيت ليلتين ويوما) أي الليلة التي أخبرتها فيها أم مسطح الخبر واليوم الذي خطب فيه النبي ﷺ الناس والليلة التي تليه.

قوله (فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه) قال الداودي: أمرها بالاعتراف ولم يندبها إلى الكتمان للفرق بين أزواج النبي ﷺ وغيرهن، فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ولا يكتمنه إياه، لأنه لا يحل لنبي إمساك من يقع منها ذلك، بخلاف نساء الناس فإنهن ندين إلى الستر، وتعقب عياض بأنه ليس في الحديث ما يدل على ذلك، ولافيه أنه أمرها بالاعتراف، وإنما أمرها أن تستغفر الله وتتوب إليه أي فيما بينها وبين ربها، فليس صريحاً في الأمر لها بأن تعترف عند الناس بذلك، وسياق جواب عائشة يشعر بما قاله الداودي، لكن المعترف عنده ليس إطلاقه فليتأمل، ويؤيد ما قال عياض أن في رواية حاطب «قالت فقال أبي: إن كنت صنعت شيئاً فاستغفري الله وإلا فأخبري رسول الله ﷺ بعذرك».

قوله (قلص دمعي) أي استمسك نزوله فانقطع، قال القرطبي: سببه أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع لفرط حرارة المصيبة.

قوله (فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول) قيل إنما قالت عائشة لأبيها ذلك مع أن السؤال إنما وقع عما في باطن الأمر وهو لا اطلاع له على ذلك، لكن قالته إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه فكأنها قالت له: برئني بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول، وإنما أجابها أبو بكر بقوله لا أدري لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ، فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكي ولده، وكذا الجواب عن قول أمها لا أدري، ووقع في رواية هشام بن عروة الآتية «فقال ماذا أقول «وفي رواية أبي أويس «فقلت لأبي أجب، فقال: لا أفعل، هو رسول الله والوحي يأتيه».

قوله (قالت قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن) قالت هذه توطئة لعذرها لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام كما سيأتي.

قوله (لا تصدقونني بذلك) أي لا تقطعون بصدقي.

قوله (فو الله ما رام رسول الله ﷺ) أي فارق، أي ما فارق مجلسه.

قوله (ولا خرج أحد من أهل البيت) أي الذين كانوا حينئذ حضورا.

قوله (فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء) هي شدة الحمي، وقيل شدة الكرب، وقيل شدة الحر، ومنه برح بي الهم إذا بلغ مني غايته.

قوله (حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي[(١)] من ثقل القول الذي ينزل عليه) الجمان اللؤلؤ، وفي رواية ابن إسحق «فأما أنا فو الله ما فزعت قد عرفت أني بريئة، وأن الله غير ظالمي، وأما أبواي فما سري عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً منه أن يأتي من الله تحقيق ما يقول الناس».

قوله (فلما سُرِّي) أي كشف.

قوله (فكان أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك) وفي رواية فليح «أن قال لي: يا عائشة احمدي الله، فقد برأك» زاد في رواية معمر، أبشري».

قوله (أما الله[(٢)] فقد برأك) أي بما أنزل من القرآن.

قوله (فرجع[(٣)] إلى مسطح النفقة) أي ردها إليه.

قوله (يسأل زينب بنت[(٤)] جحش) أي أم المؤمنين، (أحمى سمعي وبصري) أي من الحماية

---

(١) رواية الباب واليونينية "... في يوم شات من ثقل القول ..." .
(٢) رواية الباب واليونينية "أمّا الله عز وجل ....".
(٣) رواية الباب "فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه" ورواية الشارح توافق اليونينية.
(٤) رواية الباب واليونينية ".... ابنة جحش".

فلا أنسب إليهما مالم أسمع وأبصر.

قوله (وهي التي كانت تساميني) أي تعاليني من السمو وهو العلو والارتفاع أي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب، أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لي عنده.

قوله (فعصمها الله) أي حفظها ومنعها.

قوله (بالورع) أي بالمحافظة على دينها ومجانبة ما تخشى سوء عاقبته.

قوله (وطفقت) أي جعلت أو شرعت، وحمنة كانت تحت طلحة بن عبيد الله.

قوله (تحارب لها) أي تجادل لها وتتعصب وتحكي ما قال أهل الإفك لتنخفض منزلة عائشة وتعلو مرتبة أختها زينب.

قوله (فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك) أي حدثت فيمن حديث أو أثمت مع من أثم.

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم: جواز الحديث عن جماعة ملفقاً مجملاً، وقد تقدم البحث فيه، وفيه مشروعية القرعة حتى بين النساء وفي المسافرة بهن والسفر بالنساء حتى في الغزو، وجوزا حكاية ما وقع للمرء من الفضل ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكي إذا كان بريئاً عند قصد نصح من يبلغه ذلك لئلا يقع فيما وقع فيه من سبق وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم وتحصيل الأجر للموقوع فيه، وفيه استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام، وأن الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة، وجواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير ولو كان ذلك مما يشق عليه حيث يكون مطيقا لذلك، وفيه خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب، وجواز تستر المرأة بالشيء المنفصل عن البدن، وتوجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها بل اعتماداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام، وجواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها، وصيانة المال ولو قل للنهي عن إضاعة المال، فإن عقد عائشة لم يكن من ذهب ولا جوهر، وفيه شؤم الحرص على المال لأنها لو لم تطل في التفتيش لرجعت بسرعة فلما زاد على قدر الحاجة أثر ما جرى، وقريب منه قصة المتخاصمين حيث رفع علم ليلة القدر بسببهما فإنهما لم يقتصرا على ما لا بد منه بل زادا في الخصام حتى ارتفعت أصواتهما فأثر ذلك بالرفع المذكور، وتوقف رحيل العسكر على إذن الأمير، واستعمال بعض الجيش ساقه يكون أميناً ليحمل الضعيف ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح، والاسترجاع عند المصيبة، وتغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي، وإغاثة

الملهوف، وعون المنقطع، وانقاذ الضائع، وإكرام ذوي القدر وإيثارهم بالركوب وتجشم المشقة لأجل ذلك، وحسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء لا سيما في الخلوة، والمشي أمام المرأة ليستقر خاطرها وتأمن مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشي، وفيه ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق، وفائدة ذلك أن تتفطن لتغيير الحال فتعتذر أو تعترف، وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذي باطنه لئلا يزيد ذلك في مرضه، وفيه السؤال عن المريض وإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة، فإذا كان السبب محققاً فيترك أصلا، وإن كان مظنونا فيخفف، وإن كان مشكوكاً فيه أو محتملاً فيحسن التقليل منه لا للعمل بما قيل بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه، لأن ذلك من خوارم المروءة، وفيه أن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها وفيه ذب المسلم عن المسلم خصوصاً من كان من أهل الفضل، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل، وبيان مزيد فضيلة أهل بدر.

وفيه مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب، وتوجيهه هنا أنه سبحانه وتعالى ينزه أن يحصل لقرابة رسول الله ﷺ تدنيس، فيشرع شكره بالتنزيه في مثل هذا، نبه عليه أبو بكر بن العربي، وفيه توقف خروج المرأة من بيتها على إذن زوجها ولو كانت إلى بيت أبويها.

وفيه استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به بقرابة وغيرها، وتخصيص من جربت صحة رأيه منهم بذلك ولو كان غيره أقرب، والبحث عن حال من اتهم بشيء، وحكاية ذلك للكشف عن أمره ولا يعد ذلك غيبة، وفيه استعمال «لا نعلم إلا خيرا» في التزكية، وأن ذلك كاف في حق ما سبقت عدالته ممن يطلع على خفي أمره، وفيه التثبت في الشهادة .

وفيه أن النبي ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشيء قبل نزول الوحي، وأن الحمية لله ورسوله لا تذم، وفيه فضائل جمة لعائشة ولأبويها ولصفوان ولعلي بن أبي طالب وأسامة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وفيه أن التعصب لأهل الباطل يخرج عن اسم الصلاح، وجواز سب من يتعرض للباطل ونسبته إلى ما يسوءه وإن لم يكن ذلك في الحقيقة فيه، لكن إذا وقع منه ما يشبه ذلك جاز إطلاق ذلك عليه تغليظاً له.

وفيه الندب إلى قطع الخصومة، وتسكين ثائرة الفتنة، وسد ذريعة ذلك، واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما، وفضل احتمال الأذى، وفيه مباعدة من خالف الرسول ولو كان

قريباً حميما، وفيه أن من آذى النبي ﷺ بقول أو فعل يقتل لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي ﷺ، وفيه تثبت أبي بكر الصديق في الأمور.

وفيه مشروعية التوبة وأنها تقبل من المعترف المقلع المخلص، وأن مجرد الاعتراف لا يجزئ فيها، وأن الاعتراف بما لم يقع لا يجوز ولو كان عرف أنه يصدق في ذلك، ولا يؤاخذ على ما يترتب على اعترافه، بل عليه أن يقول الحق أو يسكت، وأن الصبر تحمد عاقبته ويغبط صاحبه، وفيه تقديم الكبير في الكلام وتوقف من اشتبه عليه الأمر في الكلام، وفيه تبشير من تجددت له نعمة أو اندفعت عنه نقمة، وفيه الضحك والفرح والاستبشار عند ذلك، ومعذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه، وتدريج من وقع في معصية فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه، يؤخذ ذلك من ابتداء النبي ﷺ بعد نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك ثم تبشيرها ثم إعلامها ببراءتها مجملة ثم تلاوته الآيات على وجهها.

وفيه أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرَج، وفضل من يفوض الأمر لربه.

وفيه الحث على الإنفاق في سبيل الخير خصوصاً في صلة الرحم، ووقوع المغفرة لمن أحسن إلى من أساء إليه أو صفح عنه، وأن من حلف أن لا يفعل شيئاً من الخير استحب له الحِنث.

وفيه التسبيح عند التعجب واستعظام الأمر، وذم الغيبة وذم سماعها وزجر من يتعاطاها لا سيما إن تضمنت تهمة المؤمن بما لم يقع منه، وذم إشاعة الفاحشة، وتحريم الشك في براءة عائشة.

٧ ـ باب {ولولا فضلُ الله عليكم ورحمتهُ في الدُّنيا والآخرة لَمَسَّكم فيما أَفَضْتم فيه عذابٌ عظيم}

وقال مجاهد {تَلَقَّونَهُ}: يَرويهِ بعضكم عن بعض، {تُفِيضونَ}: تقولون.

٤٧٥١ ـ عن أمِّ رومان - أمِّ عائشةَ - أنها قالت: «لما رُمِيَت عائشةُ خَرَّت مَغْشِيًّا عليها».

قوله (وقال مجاهد تلقونه يرويه بعضكم عن بعض) وصله الفريابي من طريقه وقال: معناه من التلقي للشيء وهو أخذه وقبوله، وهو على القراءة المشهورة، وبذلك جزم أبو عبيدة وغيره، وتلقونه بحذف إحدى التاءين، وقرأ ابن مسعود بإثباتها، وقراءة عائشة ويحيى بن يعمر «تلقونه» بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق بسكون اللام وهو الكذب، وقال الفراء: الولق الاستمرار في السير وفي الكذب، ويقال الذي أدمن الكذب الالق بسكون اللام وبفتحها أيضاً، وقد تقدم في غزوة المريسيع التصريح بأن عائشة قرأته كذلك،

وأن ابن أبي مليكة قال: هي أعلم من غيرها بذلك لكونه نزل فيها.

٨ ـ باب {إذ تَلَقَّوْنَهُ بألسنَتكم وتقولونَ بأفواهكم ماليس لكم به علم وتَحسَبونَه هَيِّناً وهو عندَ الله عظيم}

٤٧٥٢ ـ عن ابنِ أبي مُلَيكةَ قال: «سمعتُ عائشةَ تَقرأ {إذ تَلِقُونَهُ بألسنَتكم}».

باب {ولولا إذ سَمِعتُموه قلتم ما يكونُ لنا أن نَتكلمَ بهذا، سبحانَكَ هذا بهتانٌ عظيم}

٤٧٥٣ ـ عن ابنِ أبي مُلَيكةَ قال: «استأذَنَ ابنُ عباسٍ - قُبيل موتها - على عائشةَ وهي مَغلوبةٌ، قالت: أخشى أن يُثني عليّ، فقيل: ابنُ عمِّ رسولِ الله ومِن وُجوهِ المسلمين، قالت: ائذَنو له، فقال: كيفَ تَجِدينَك؟ قالت: بخيرٍ إن اتقيتُ، قال: فأنتِ بخيرٍ إن شاء الله تعالى، زوجةُ رسولِ الله ﷺ؛ ولم يَنكِحْ بِكراً غيرَكِ، ونزَلَ عُذرُكِ من السماء، ودَخلَ ابنُ الزُّبيرِ خِلافَه فقالت: دخلَ ابنُ عباسٍ فأثنى عليَّ، وَدِدْتُ أني كنت نَسياً مَنْسيّاً».

٤٧٥٤ ـ عن القاسم «أن ابنَ عبّاسٍ رضيَ الله عنه استأذَنَ على عائشةَ.. نحوه» ولم يذكر «نسياً مَنسيا».

قوله (وهي مغلوبة) أي من شدة كرب الموت.

قوله (كيف تجدينك) في رواية ابن ذكون «فلما جلس قال: أبشري، قالت: وأيضاً قال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد.

قوله (بخير إن اتقيت) أي إن كنت من أهل التقوى.

قوله (فأنت بخير إن شاء الله تعالى، زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكراً غيرك) في رواية ذكون «كنت أحب نساء رسول الله ﷺ، ولم يكن يحب إلا طيباً».

قوله (ونزل عذرك من السماء) يشير إلى قصة الإفك.

قوله (وددت الخ) هو علي عادة أهل الورع في شدة الخوف على أنفسهم.

وفي هذه القصة دلالة على سعة علم ابن عباس وعظيم منزلته بين الصحابة والتابعين، وتواضع عائشة وفضلها وتشديدها في أمر دينها، وأن الصحابة كانوا لا يدخلون على أمهات المؤمنين إلا بإذن، ومشورة الصغير على الكبير إذا رآه عدل إلى ما الاولى خلافه، والتنبيه على رعاية جانب الأكابر من أهل العلم والدين، وأن لا يترك ما يستحقونه من ذلك لمعارض دون ذلك في المصلحة.

باب- {يَعظُكُم الله أن تَعودوا لمثله أبدا} الآية

٤٧٥٥ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «جاء حسّانَ بن ثابتٍ يَستأذِنُ عليها، قلتُ

أتأذنِينَ لهذا؟ قالت: أوَليسَ قد أصابه عذاب عظيم؟ قال سفيانُ: تَعني ذهاب بَصَره، فقال:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِريبةٍ وتُصبِحُ غَرثَى من لحوم الغَوافل

قالت: لكن أنت...».

١٠ ـ باب {ويُبيِّنُ اللهُ لكم الآياتِ، واللهُ عليمٌ حكيم}.

٤٧٥٦ ـ عن مَسروق قال: دَخلَ حسّانُ بن ثابتٍ على عائشةَ فشَبَّبَ وقال:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِريبةٍ وتُصبِحُ غَرثَى من لحوم الغَوافل

قالت عائشة: لستَ كذاك، قلتُ: تَدَعينَ مثلَ هذا يَدخُلُ عليك وقد أنزلَ الله {والذي تولّى كِبرَهُ منهم} فقالت: وأيُّ عذابٍ أشدُّ من العَمى، وقالت: وقد كان يَرُدُّ عن رسولِ الله ﷺ».

قوله (حصان) يراد به الامتناع على الرجال ومن نظرهم إليها، وقوله «رزان» من الرزانة يراد قلة الحركة، «وتزن» أي ترمي، وقوله «غرثى» أي خميصة البطن أي لا تغتاب أحداً، وهي استعارة فيها تلميح بقوله تعالى في المغتاب {أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً}، و«الغوافل» جمع غافلة وهي العفيفة الغافلة عن الشر، والمراد تبرئتها من اغتياب الناس بأكل لحومهم من الغيبة، ومناسبة تسمية «الغيبة» بأكل اللحم أن اللحم ستر على العظم، فكأن المغتاب يكشف ما على من اغتابه من ستر.

قوله (قالت: لكن أنت) في رواية شعيب «قالت: لست كذاك» وزاد في آخره «وقالت: قد كان يرد عن رسول الله ﷺ وتقدم في المغازي من وجه آخر عن شعبة بلفظ «أنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ» ودل قول عائشة «لكن أنت لست كذلك» على أن حسان كان ممن تكلم في ذلك.

«قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء».

١١ ـ باب {إنَّ الذين يُحبُّونَ أن تَشيعَ الفاحشةُ في الذين آمَنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدُّنيا والآخرة والله يَعلمُ وأنتم لا تَعلمون، ولولا فضلُ الله عليكم ورحمتهُ وأنَّ اللهَ رءوفٌ رَحيم، ولا يَأتَلِ أولو الفضلِ مَنكم والسَّعة أن يُؤتُوا أولي القُربى والمساكينَ والمهاجرينَ في سبيل الله وليَعفوا وليَصفحوا، ألا تُحبُّونَ أن يَغفرَ الله لكَم، واللهُ غَفورٌ رحيم}.

٤٧٥٧ ـ عن عائشة قالت: «لما ذُكِرَ من شأني الذي ذكر وما عَلمتُ به، قامَ رسولُ اللهِ ﷺ فيَّ خطيباً فتشهَّدَ فحمدَ اللهَ وأثنى عليه بما هوَ أهلهُ ثم قال: أما بعدُ أشِيروا عليَّ في

أناسٍ أبَنُوا أهلي، وايمُ اللهِ ما علمتُ على أهلي من سُوء، وأبَنُوهم بمن واللهِ ما علمتُ عليهِ من سُوءٍ قطُّ ولا يدخل بيتي قطُّ إلاّ وأنا حاضر، ولا غبتُ في سَفَرٍ إلا غابَ معي، فقام سعدُ بن مُعاذ فقال: ائذَنْ لي يا رسولَ الله أن نَضربَ أعناقَهم، وقام رجلٌ من بني الخزرج - وكان أمُّ حسانَ بن ثابتٍ من رهطِ ذلك الرجل - فقال: كَذَبْتَ، أما واللهِ أنْ لو كانوا منَ الأوسِ ما أحبَبت أن تُضرَبَ أعناقهم، حتى كادَ أن يكونَ بينَ الأوسِ والخزرج شرٌّ في المسجد وما علمتُ، فلما كان مَساءُ ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أمُّ مِسطحٍ، فعثَرَت وقالت: تَعِسَ مِسطح فقلت: أي أم، تسبِّينَ ابنَك؟ وسكَتَت، ثم عثرَت الثانيةَ فقالت: تعِسَ مسطح، فقلت لها: تسبين ابنك؟ ثم عثرت الثالثة، فقالت: تعس مسطح فانتهرتها، فقالت: والله ما أسبُّه إلا فيك، فقلت: في أيِّ شأني؟ قالت فبقرَت لي الحديثَ، فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم واللهِ، فرجَعتُ إلى بيتي كأنَّ الذي خرَجت له لا أجدُ منه قليلا ولا كثيرا، ووَعِكت، فقلتُ لرسولِ الله ﷺ: أرسِلْني إلى بيت أبي، فأرسلَ معي الغُلامَ، فدخلتُ الدار فوجدتُ أمَّ رومان في السُّفلِ وأبا بكرٍ فوق البيتَ يقرأ، فقالت أمِّي ما جاء بكِ يا بُنَّية؟ فأخبرتها وذكرت لها الحديثَ، وإذا هوَ لم يَبلُغ منها مثلَ ما بلغَ مني، فقالت: يا بنيَّة، خَفِّضي عليكِ الشأنَ، فإنهُ واللهِ لقلَّما كانت امرأةٌ قط حسناءُ عند رجل يحبُّها لها ضَرائر إلاّ حَسَدْنها وقيلَ فيها، وإذا هوَ لم يَبلغْ منها ما بلغ مني، قلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم، قلت: ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم ورسول اللهِ ﷺ، واستَعبَرتُ وبَكيتُ، فسمعَ أبو بكرٍ صوتي وهو فوقَ البيتَ يَقرأ، فنَزَلَ فقال لأمي: ما شأنُها؟ قالت: بلَغَها الذي ذُكِرَ من شأنها، ففاضَت عَيناه، قال: أقسمتُ عليكِ أي بُنيَّة إلا رَجَعت إلى بيتِك فرجَعت، ولقد جاء رسولُ الله ﷺ بيتي فسألَ عني خادمتي، فقالت: لا واللهِ ما علمت عليها عَيباً إلا أنها كانت ترقد حتى تدخلَ الشاة فتأكل خَميرَها، أو عجينها، فانتَهرَها بعض أصحابهِ فقال: اصدقي رسولَ الله ﷺ حتى أسقَطوا لها به، فقالت: سبحانَ الله، واللهِ ما علمتُ عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبرِ الذَّهبِ الأحمر، وبلغَ الأمر إلى ذلك الرجلِ الذي قيل له، فقال: سبحانَ الله، واللهِ ما كشَفَت كَنَف أنثى قطُّ، قالت عائشة: فقتلَ شهيداً في سبيلِ الله، قالت: و أصبحَ أبواي عندي، فلم يزالا حتى دخل رسول الله ﷺ وقد ﷺ العصر، ثم دخل وقد اكتَنفَني أبواي عن يميني وعن شِمالي فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: أما بعدُ يا عائشة، إن كنتِ قارفْتِ سوءاً أو ظلمتِ فتُوبي إلى الله، فإنَّ اللهَ يقبلَ التوبةَ من عِباده، قالت: وقد جاءتِ امرأةٌ منَ الأنصار فهيَ جالسةٌ بالباب فقلت: ألا تَستَحْيي من هذهِ المرأة أن تَذكُرَ شيئاً، فوَعظَ رسول الله ﷺ، فالتفتُّ إلى أبي

فقلتُ: أجبْه، قال: فماذا أقول؟ فالتفتُ إلى أمي فقلت: أجيبيه، فقالت: أقولُ ماذا؟ فلما لم يُجيباهُ، تَشهَّدتُ فحمِدتُ الله وأثنيتُ عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعد، فو الله لئن قلت لكم إني لم أفعَلْ - واللهُ عزَّ وجل يَشهدُ إني لصادقة - ماذاكَ بنافِعي عندكم، لقد تكلمتم به وأُشرِبَتْهُ قلوبُكم، وإن قلت إني فعلت -واللهُ يعلمُ أني لم أفعَل- لَتَقولنَّ قد باءت به على نفسِها، وإني واللهِ ما أجِدُ لي ولكم مَثَلاً - والتَمستُ اسمَ يعقوبَ فلم أقدر عليه - إلا أبا يوسفَ حين قال: {فصبرٌ جميل، واللهُ المستعانُ على ما تصفون}، وأُنزلَ على رسولِ الله ﷺ مِن ساعته، فسكتَنا، فرُفِعَ عنه، وإني لأتبيَّنُ السُّرورَ في وَجهِهِ وهو يمسحُ جَبينَه ويقول: أبشِري يا عائشة، فقد أنزَلَ اللهُ براءَتكِ قالت: وكنتُ أشدُّ ما كنتُ غضباً، فقال لي أبوايَ: قومي إليه، فقلت: واللهِ لا أقومُ إليه، ولا أحمده ولا أحمَدكما، ولكن أحمدُ اللهَ الذي أنزَلَ براءتي، لقد سمعتموهُ فما أنكرتموه ولا غيَّرتموه، وكانت عائشة تقول: أما زينب ابنة جحش فعصَمها اللهُ بدينها فلم تَقل إلا خيراً، وأما أختُها حَمنةُ فهَلَكَتْ فيمن هَلَك، وكان الذي يَتكلمُ فيه مِسطحٌ وحَسّانُ بن ثابتٍ والمنافقُ عبدُ اللهِ بن أُبيّ وهو الذي كان يَستَوشِيه ويجمعُه، وهو الذي تولّى كِبرَهُ منهم، هوَ وَحمنة، قالت: فحلفَ أبو بكرٍ أن لا يَنفعَ مِسطَحاً بنافعةٍ أبدا، فأنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ {ولا يَأتَلِ أولو الفضل منكم} إلى آخر الآية يعني أبا بكرٍ {والسعةِ أن يُؤتوا أولي القربى والمساكينَ} يعني مِسطحاً إلى قولهِ {ألا تُحبُّونَ أن يَغفرَ اللهُ لكم، واللهُ غفورٌ رحيم} حتى قال أبو بكر: بلى والله يا ربَّنا، إنّا لَنُحبُّ أن تَغفرَ لنا، وعادَ له بما كانَ يصنع».

قوله ({ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين -إلى قوله- والله غفور رحيم}) فقال أبو عبيدة: معناه لا يفتعل من آليت أي أقسمت.

وقد روى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ولا يأتل} يقول لا يقسم.

١٢ ـ باب {وليَضرِبنَ بِخُمُرهنَّ على جُيوبهنَّ}

٤٧٥٨ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «يَرْحَمُ اللهُ نِساءَ المهاجراتِ الأوَل، لما أنزلَ اللهُ {وليَضربنَ بخُمرهنَّ على جُيوبهنَّ} شَقَقْنَ مُروطَهنَّ فاختمرنَ بها».

[الحديث ٤٧٥٨ - طرفه في: ٤٧٥٩]

٤٧٥٩ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها كانت تقول: «لما نزلَت هذهِ الآية {وليضرِبنَ بخمرِهنَّ على جُيوبهنَّ} أخَذنَ أُزْرَهنَّ فشقَقنَها من قِبَلِ الحواشي فاختمرنَ بها».

قوله (باب وليضربن بخمرهن على جيوبهن) كأنه يضربن ضمن معنى يلقين فلذلك عدي بعلى.

قوله (مروطهن) جمع مرط وهو الإزار.

قوله (فاختمرن) أي غطين وجوههن؛ وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع، قال البراء: كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها، فأمرن بالاستتار، والخمار للمرأة كالعمامة للرجل.

قوله (لما نزلت هذه الآية {وليضربن بخمرهن على جيوبهن} أخذن أزرهن) وأخرجه الحاكم من طريق زيد بن الحباب عن إبراهيم بن نافع بلفظ «أخذ نساء الأنصار» ولابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عثمان بن خيثم عن صفية ما يوضح ذلك، ولفظه «ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن، فقالت: إن نساء قريش لفضلاء، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار: أشد تصديقاً بكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور {وليضربن بخمرهن على جيوبهن} فانقلب رجالهن إليهم يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها أصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن رءوسهن الغربان» ويمكن الجمع بين الروايتين بأن نساء الأنصار بادرن إلى ذلك.

(٢٥) سورة الفرقان

قال ابنُ عباسٍ {هَباءً مَنثورا}: ما تَسفِي به الرِّيح، {مدَّ الظلَّ}: ما بينَ طلوع الفجرِ إلى طُلوع الشمس، {ساكناً}: دائماً، {عليه دليلا}: طُلوع الشمس، {خِلفة}: من فاتهُ منَ الليل عملٌ أدركهُ بالنهار، أو فاتهُ بالنهارِ أدركهُ بالليل، وقال الحسنُ: {هَبْ لنا من أزواجِنا وذرِّياتِنا قرَّة أعين}: في طاعة الله، وما شيءٌ أقرُّ لعين المؤمنِ من أن يَرَى حبيبَهُ في طاعةِ الله، وقال ابنُ عباس {ثُبورا} وَيْلاً، وقال غيره السعير مذكر، والتَّسعُّرُ والاضطِرام: التوقد الشديد، {تملى عليه}: تُقرَأ عليه، من أمليتُ وأمللتُ، {الرَّسِّ}: المعدِن، جمعه رِساس، {ما يَعبأ} يقال ما عَبَأت به شيئاً: لا يُعتَدُّ به، {غراما}: هلاكا، وقال مجاهد: {وعَتَوا} طَغَوا، وقال ابن عيينة {عاتية}: عَتَت عَلَى الخُزَّان.

قوله (سورة الفرقان -بسم الله الرحمن الرحيم[1]: وقال ابن عباس هباء منثورا ما يسفي به الريح) قال أبو عبيدة في قوله {هباء منثورا}: هو الذي يدخل البيت من الكوة، يدخل مثل الغبار مع الشمس، وليس له مس ولا يرى في الظل.

قوله (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين: في طاعة الله) وصله سعيد بن منصور «حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن وسأله رجل عن قوله {هب لنا من أزواجنا}: ما القرة، أفي الدنيا أم في الآخرة؟ قال: بل في الدنيا، هي والله أن يرى العبد من ولده طاعة الله الخ».

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون البسملة.

قوله (وقال ابن عباس: ثبورا ويلا) وقال أبو عبيدة في قوله {دعو هنالك ثبورا} أي هلكة.

قوله (الرس المعدن جمعه رساس) قال أبو عبيدة في قوله {وأصحاب الرس} أي المعدن، وقال الخليل الرس كل بئر تكون غير مطوية.

قوله (ما يعبأ يقال ما عبأت به شيئاً لا يعتد به) قال أبو عبيدة في قوله {قال ما يعبأ بكم ربي} هو من قولهم ما عبأت بك شيئاً أي ما عددتك شيئا.

١ ـ باب {الذين يُحشَرون على وُجوههم إلى جهنَّم، أولئك شَرٌّ مكاناً وأضلُّ سبيلا}

٤٧٦٠ ـ عن أنس بن مالكٍ رضيَ الله عنه «أنَّ رجلاً قال: يا نبيَّ الله يُحشَرُ الكافرُ على وَجهِهِ يومَ القيامة؟ قال: أليسَ الذي أمشاهُ على الرِّجلَين في الدنيا قادراً على أن يُمشِيَهِ على وجههِ يومَ القيامة، قال قَتادةُ: بلى وعزةِ ربِّنا».

قوله (أن رجلاً قال: يا نبي الله يحشر الكافر) سيأتي شرح الحديث مستوفى في كتاب الرقاق[1] إن شاء الله تعالى، وفي حديث أبي هريرة عند البزار «يحشر الناس على ثلاثة أصناف: صنف على الدواب، وصنف على أقدامهم، وصنف على وجوههم، فقيل فكيف يمشون على وجوههم» الحديث، ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن المقربين يحشرون ركبانا، ومن دونهم من المسلمين على أقدامهم، وأما الكفار فيحشرون على وجوههم.

٢ ـ باب {والذينَ لا يَدعونَ مع اللهِ إلهاً آخرَ ولا يَقتلونَ النفسَ التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ، ولا يزنُونَ، ومَن يَفعلْ ذلك يَلْقَ أثاما} العقوبة

٤٧٦١ ـ عن عبدِ الله رضيَ اللهُ عنه قال: «سَألتُ -أو سُئلَ- رسولُ الله ﷺ أيُّ الذنبِ عندَ الله أكبرُ؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خَلقَك، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: ثم أن تَقتلَ ولدك خشيةَ أن يطعمَ معك، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: أن تُزاني بحليلةِ جارك، قال ونزلَتْ هذه الآية تصديقاً لقولِ رسولِ الله ﷺ {والذينَ لا يدعونَ مع الله إلهاً آخر، ولا يَقتلونَ النفسَ التي حرَّمَ اللهُ إلا بالحقَّ ولا يزنون}.

٤٧٦٢ ـ عن القاسم بن أبي بَزَّةَ أنه «سألَ سعيدَ بن جُبيرٍ: هل لمن قتل مؤمناً متعمِّداً من توبة؟ فقرأتُ عليه {ولا يَقتلونَ النفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحق} فقال سعيدٌ: قرأتُها على ابنِ عباسٍ كما قرأتَها عليَّ فقال: هذهِ مكيةٌ نسَخَتْها آيةٌ مدنية التي في سورةِ النساء».

(١) كتاب الرقاق باب / ٤٥ ح ٦٥٢٣ - ٥ / ٦٣.

٤٧٦٣ ـ عن سعيدِ بن جبيرٍ قال: «اختَلفَ أهلُ الكوفةِ في قتلِ المؤمن، فدخَلتُ فيه إلى ابن عباسٍ فقال: نَزَلَت في آخرِ ما نزَلَ، ولم يَنسَخْها شيء».

٤٧٦٤ ـ عن سعيدِ بن جُبير قال: ابن عباس سألتُ رضيَ اللهُ عنهما عن قوله تعالى {فجزاؤهُ جهنَّم} قال: لا توبةَ له، وعن قوله جلَّ ذِكرُه {لا يَدْعونَ مع اللهِ إلهاً آخر} قال: كانت هذهِ في الجاهلية».

قوله (يلق أثاما: العقوبة) قال أبو عبيدة في قوله {ومن يفعل ذلك يلق أثاما} أي عقوبة وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة {يلق أثاما} قال: نكالا، قال: ويقال إنه واد في النار، وهذا الأخير أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو وعكرمة وغيرهما.

قوله (أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) أي من جهة إيثار نفسه عليه عند عدم ما يكفي، أو من جهة البخل مع الوجدان.

قوله (أن تزاني بحليلة) والمراد الزوجة، وهي مأخوذة من الحل لأنها تحل له فهي فعيلة بمعنى فاعلة.

قوله (ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر -إلى- ولا يزنون} هكذا قال ابن مسعود: والقتل والزنا في الآية مطلقان، وفي الحديث مقيدان: أما القتل فبالولد خشية الأكل معه، وأما الزنا فبزوجة الجار، والاستدلال لذلك بالآية سائغ لأنها وإن وردت في مطلق الزنا والقتل لكن قتل هذا والزنا بهذه أكبر وأفحش، وقد روى أحمد من حديث المقداد بن الأسود قال: «قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في الزنا؟ قالوا: حرام، قال: لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره».

قوله (هل لمن قتل مؤمنا متعمداً من توبة) في رواية عن سعيد بن جبير في آخر الباب «قال لا توبة له».

قوله في رواية عن شعبة (اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن) كذا وقع مختصرا، وأخصر منه رواية آدم في تفسير النساء، وقد أخرجه مسلم وغيره من طريق عن شعبة منه عن غندر بلفظ: اختلف أهل الكوفة في هذه الآية {ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم}.

٣ ـ باب {يُضاعَفْ له العذابُ يومَ القيامة ويَخلد فيه مُهانا}

٤٧٦٥ ـ عن سعيدِ بن جُبيرٍ قال: قال ابنُ أبزَى: «سُئلَ ابنُ عباسٍ عن قولهِ تعالى {ومن يَقتلْ مؤمناً متعمِّداً فجزاؤهُ جهنَّم} وقوله {ولا يَقتلونَ النفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحق - حتى بلغ - إلا من تابَ وآمن} فسألتهُ فقال: لما نزَلت قال أهلُ مكة: فقد عَدَلْنا بالله، وقَتَلْنا النفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحق، وأتينا الفواحشَ، فأنزَلَ الله {إلا من تاب وآمن وعملَ عملاً صالحا - إلى قوله - غفوراً رحيما}».

٤ ـ باب {إلا مَن تاب وآمنَ وعملَ عملاً صالحاً فأُولئكَ يُبدِّل اللهُ سيِّئاتهم حَسَنات، وكان الله غفوراً رحيما}

٤٧٦٦ ـ عن سعيدِ بن جُبيرٍ قال: «أمرَني عبدُ الرحمن بن أبزَى أن أسألَ ابنَ عباسٍ عن هاتَين الآيتَين {ومَن يقتل مؤمناً متعمِّداً} فسألته فقال: لم ينسَخها شيء، وعن {والذين لا يَدعونَ معَ اللهِ إلهاً آخرَ} قال: نزَلت في أهل الشرك».

قوله (عن هاتين الآيتين {ومن يقتل مؤمنا متعمداً} فسألته فقال: لم ينسخها شيء، وعن {والذين يدعون مع الله إلهاً آخر} قال: نزلت في أهل الشرك) هكذا أورده مختصراً، وسياق مسلم من هذا الوجه أتم، وأتم منهما ما تقدم في المبعث من رواية جرير بلفظ «هاتين الآيتين ما أمرهما؟ التي في سورة الفرقان {والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر} والتي في سورة النساء {ومن يقتل مؤمنا متعمداً} قال: سألت ابن عباس فقال: لما أنزلت التي في سورة الفرقان قال مشركو مكة: قد قتلنا النفس ودعونا مع الله إلهاً آخر وأتينا الفواحش، قال فنزلت {إلا من تاب} الآية، قال: فهذه لأولئك، قال: وأما التي في سورة النساء فهو الذي قد عرف الإسلام ثم قتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم لا توبة له، قال فذكرت ذلك لمجاهد فقال: إلا من ندم» وحاصل ما في هذه الروايات أن ابن عباس كان تارة يجعل الآيتين في محل واحد فلذلك يجزم بنسخ إحداهما، وتارة يجعل محلهما مختلفا، ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خص منها مباشرة المؤمن القتل متعمداً، وكثير من السلف يطلقون النسخ على التخصيص، وهذا أولى من حمل كلامه على التناقض، وأولى من دعوي أنه قال بالنسخ ثم رجع عنه، وقول ابن عباس بأن المؤمن إذا قتل مؤمنا متعمداً لا توبة له مشهور عنه، وقد جاء عنه في ذلك ما هو أصرح مما تقدم: فروى أحمد والطبري من طريق يحيى الجابر والنسائي وابن ماجه من طريق عمار الذهبي كلاهما عن سالم بن أبي الجعد قال: «كنت عند ابن عباس بعد ما كف بصره، فأتاه رجل فقال: ما ترى في رجل قتل مؤمنا متعمداً؟ قال جزاؤه جهنم خالداً فيها، وساق الآية إلى {عظيما} قال: لقد نزلت في آخر ما نزل، وما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ، وما نزل وحي بعد رسول الله ﷺ، قال: أفريت إن تاب وآمن وعمل عملا صالحا ثم اهتدى؟ قال: وأنى له التوبة والهدى».

وجاء على وفق ما ذهب إليه ابن عباس في ذلك أحاديث كثيرة: منها ما أخرجه أحمد والنسائي من طريق أبي أدريس الخولاني عن معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، والرجل يقتل مؤمنا متعمداً» وقد حمل جمهور السلف وجميع أهل السنة ما ورد من ذلك عن التغليظ، وصححوا توبة القاتل كغيره، وقالوا: معنى قوله {فجزاؤه جهنم} أي إن شاء الله أن يجازيه تمسكاً بقوله تعالى في سورة النساء أيضاً {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} ومن الحجة في ذلك

حديث الاسرائيلي الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم أتى تمام المائة فقال له: لا توبة، فقتله فأكمل به مائة، ثم جاء آخر فقال: «ومن يحول بينك وبين التوبة» الحديث، وهو مشهور، وسيأتي في الرقاق واضحاً، وإذ ثبت ذلك لمن قبل من غير هذه الأمة فمثله لهم أولى لما خفف الله عنهم، من الاثقال التي كانت على من قبلهم.

٥ - باب {فسوفَ يكونُ لِزاماً} هَلَكة

٤٧٦٧ - عن مسروقٍ قال «قال عبدُ الله: خمسٌ قد مَضَيْنَ: الدُّخانُ، والقمرُ، والرُّومُ، والبَطشة، واللِّزام {فسوف يكونُ لِزاما}».

قوله (باب قوله[١]{فسوف يكون لزاما} هلكة) قال أبو عبيدة في قوله {فسوف يكون لزاما}: أي جزاء يلزم كل عامل بما عمل، وله معنى آخر يكون هلاكا.

(٢٦) سورةُ الشُّعَراء

وقال مجاهد: {تَعبَثون}: تبنون، {هَضيم} يتفتَّت إذ مُسَّ، {مُسحَّرين}: مَسحورين، {اللَيكة} و{الأيكة}: جمع أيكة وهي جمع الشجر، {يوم الظُلَّة}: إظلال العذاب إياهم، {مَوزون}: معلوم، {كالطود}: كالجبل، وقال غيرهُ {لَشرذِمة}: الشرذمة طائفة قليلة، {في الساجدين} المصلِّين، قال ابنُ عباس {لعلَّكم تخلدون} كأنكم، {الريع}: الأيفاع منَ الأرض، وجمعهُ رِيعة، وأرياع واحدة الرِّيَعة، {مَصانِع} كلُّ بناءٍ فهو مَصنَعة، {فَرِهين}: مرحين، فارِهين بمعناه، ويقال فارِهين: حاذقين، {تَعثَوا} هو أشدُّ الفساد؛ وعاثَ يَعيث عيثاً، {الجِبِلَّة}: الخَلق، جُبِلَ: خُلِقَ، ومنه: جُبُلا وجِبِلا وجُبْلا يعني الخَلق قاله ابنُ عباس.

قوله (مسحرين: مسحورين) وصله الفريابي في قوله إنما أنت من المسحرين} أي من المسحورين وقال أبو عبيدة: كل من أكل فهو مسحر، وذلك أن له سحراً يفري ما أكل فيه انتهى، والسَّحْر: الرئة، وقال الفراء: المعنى إنك تأكل الطعام والشراب وتسحر به فأنت بشر مثلنا لا تفضلنا في شيء.

قوله (وقال غيره {لشرذمة}: الشرذمة طائفة قليلة) هو تفسير أبي عبيدة قال في قوله تعالى {إن هؤلاء لشرذمة قليلون} أي طائفة قليلة، والذي أورده الفريابي وغيره عن مجاهد في هذا أنه قال في قوله {إن هؤلاء لشر ذمة قليلون} قال: هم يومئذ ستمائة ألف، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: ذكر لنا أن بني إسرائيل الذين يقطع بهم موسى البحر كانوا ستمائة ألف مقاتل بني عشرين سنة فصاعدا.

قوله (مصانع كل بناء فهو مصنعة) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: المصانع القصور والحصون، وقال عبد الرزاق: المصانع عندنا بلغة اليمن القصور العادية.

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "قوله" وسقط التبويب في اليو نينية.

قوله (تعشَوا هو أشد الفساد، وعاث يعيث عيثا) مراده أن اللفظين بمعنى واحد.

وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد عن قتادة {ولا تعثوا} أي لا تسيروا {في الأرض مفسدين}.

١ ـ باب {ولا تخزني يومَ يُبعَثون}

٤٧٦٨ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلام يرَى أباهُ يومَ القيامة عليه الغَبَرةُ والقتَرة» والغَبرة هي القَترة.

٤٧٦٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «يَلقى إبراهيمُ أباه فيقول: يا ربِّ إنكَ وَعَدتني أن لا تخزني يومَ يبعَثون، فيقولُ الله: إني حرَّمتُ الجنةَ على الكافِرين».

قوله (إن إبراهيم[1] يرى أباه يوم القيامة وعليه الغبرة والقترة، والغبرة هي القترة) قال ابن التين: وعلى هذا فقوله في سورة عبس {غبرة ترهقها قترة} تأكيد لفظي، كأنه قال غبرة فوقها غبرة، وقال غير هؤلاء: القترة ما يغشي الوجه من الكرب، والغبرة ما يعلوه من الغبار، وأحدهما حسي والآخر معنوي، وقيل القترة شدة الغبرة بحيث يسود الوجه، وقيل القترة سواد الدخان فاستعير هنا.

قوله (وعلى وجه آزر قترة وغبرة) هذا موافق لظاهر {وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة} أي يغشاها قترة، فالذي يظهر أن الغبرة الغبار من التراب، والقترة السواد الكائن عن الكآبة.

قوله (فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد) وصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه، وقيل الأبعد صفة أبيه أي أنه شديد البعد من رحمة الله لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد، وقيل الأبعد بمعنى البعيد والمراد الهالك، ويؤيد الأول أن في رواية إبراهيم بن طهمان «وإن أخزيت أبي فقد أخزيت الأبعد» وفي رواية أيوب «يلقي رجل أباه يوم القيامة فيقول له: أي ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن، فيقول: هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم، فيقول: خذ بازرتي، فيأخذ بازرته، ثم ينطلق حتى يأتي ربه وهو يعرض الخلق، فيقول الله: يا عبدي ادخل من أي أبواب الجنة شئت، فقيول: أي رب أبي معي، فإنك وعدتين أن لا تخزني».

قوله (فيقول الله إني حرمت الجنة على الكافرين) في حديث أبي سعيد «فينادي: أن الجنة لا يدخلها مشرك».

---

(١) رواية الباب واليونينية إبراهيم عليه السلام.

٢ ـ باب {وأنذِر عَشيرتَك الأقرَبين}

واخفِضْ جَناحَكَ: ألِن جانبَك

٤٧٧٠ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «لما نزلَت {وأنذِر عَشيرَتَكَ الأقرَبين} صَعِدَ النبيُّ ﷺ على الصفا فجعل يُنادي: يا بني فِهر، يا بني عَديٍّ -لبطونِ قُرَيش- حتى اجتمعوا، فجعلَ الرجلُ إذا لم يَستطع أن يَخرجَ أرسل رسولاً لِينظرَ ما هو فجاء أبو لهبٍ وقريشٌ، فقال: أرأيتَكم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكم أكنتم مُصَدِّقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جرَّبْنا عليكَ إلاّ صِدقاً، قال: فإني نَذيرٌ لكم بينَ يدَي عذابٍ شديد، فقال أبو لهب: تَباً لك سائرَ اليوم، ألهذا جمعتَنا؟ فنزلَت {تَبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتَبَّ، ما أغنى عنه ماله وما كَسَب}».

٤٧٧١ ـ عن أبي هريرةَ قال: «قام رسولُ الله ﷺ حينَ أنزلَ اللهُ {وأنذِرْ عَشيرتَك الأقرَبين} قال: يا مَعشرَ قريش -أو كلمةً نحوها- اشترَوا أنفُسَكم، لا أُغني عنكم منَ الله شيئا، يا بني عبدِ مَناف، لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا عباسُ بنَ عبد المطلب، لا أغني عنكَ من الله شيئاً، ويا صفيةُ عمة رسولِ الله ﷺ، لا أُغني عنكِ منَ اللهِ شيئاً، ويا فاطمةُ بنتُ محمدٍ ﷺ، سَلِيني ما شئتِ من مالي، لا أُغني عنكِ من الله شيئاً».

قوله (قال فإني نذير لكم) أي منذر.

قوله في حديث أبي هريرة {اشتروا أنفسكم من الله}[١] أي باعتبار تخليصها من النار، كأنه قال أسلموا تسلموا من العذاب، فكان ذلك كالشراء، كأنهم جعلوا الطاعة ثمن النجاة، وأما قوله تعالى {إن الله اشترى من المؤمنون أنفسهم} فهناك المؤمن بائع باعتبار تحصيل الثواب والثمن الجنة، وفيه إشارة إلى أن النفوس كلها ملك لله تعالى، وأن من أطاعه حق طاعته في امتثال أوامره واجتناب نواهيه وفي ما عليه من الثمن، وبالله التوفيق.

وفي الحديث أن الأقرب للرجل من كان يجمعه هو وجد أعلى، وكل من اجتمع معه في جد دون ذلك كان أقرب إليه، وقد تقدم البحث في المراد بالإقربين والأقارب في الوصايا[٢]، والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولا أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذه القريب للقريب من العطف والرأفة فيحابيهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نص له على إنذارهم، وفيه جواز تكنية الكافر.

(٢٧) سورةُ النَّمْل

{الخَبْءُ} ما خبأتَ، {لاقِبلَ} لا طاقةَ، {الصَّرحُ}: كلُّ مَلاطٍ أُتُّخذَ من القَوارير، والصَّرحُ القصرُ وجماعتهُ صُروح، وقال ابن عباس {ولها عَرشٌ}: سرير، {كريم}: حُسْنُ الصنعة وغلاءُ

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "من الله".

(٢) كتاب الوصايا باب / ١٠ ح ٢٧٥٢ - ٢ / ٥٣١.

الثمن، {مُسْلمين}: طائعين، {رَدِفَ} اقترب، {جامدةً} قائمة، {أوزعني}: اجعلني، وقال مجاهد: {نَكِّروا} غيِّروا، {والقَبَس: ما اقتبَسْتَ منه النار، {وأُوتينا العلم} يقولهُ سليمانُ، {الصَّرح}: بِركةُ ماء ضربَ عليها سُليمانُ قواريرَ ألبَسها إيّاه.

قوله (الخبء ما خبأت) وهذا قول ابن عباس أخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عنه قال: {يخرج الخبء}: يعلم كل خفية في السماوات والأرض، وقال الفراء في قوله {يخرج الخبء} أي الغيث من السماء والنبات من الأرض.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: الخبء السر، ومن طريق مجاهد قال: الغيث، ومن طريق سعيد بن المسيِّب قال: الماء.

قوله (الصرح كل ملاط اتخذ من القوارير) والملاط بالميم المسكورة الطين الذي يوضع بين ساقتي البناء، وقيل الخصر، وقيل كل بناء عال منفرد، وبالموحدة المفتوحة ما كسيت به الأرض من حجارة أو رخام أو كلس، وقد قال أبو عبيدة: الصرح كل بلاط اتخذ من قوارير، والصرح القصر، وأخرج الطبري من طريق وهب بن منبه قال: أمر سليمان الشياطين فعملت له الصرح من زجاج كأنه الماء بياضاً، ثم أرسل الماء تحته ووضع سريره فيه فجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، ليريها مُلكا هو أعز من مُلكها، فلما رأت ذلك بلقيس حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لتخوضه.

(٢٨) سورةُ القَصَص

{كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وَجهَه} إلا مُلكه، ويقال: إلا ما أُريدَ به وجهُ الله وقال مجاهد: فعمِيَت عليهمُ الأنباء: الحجج

١ ـ باب {إنكَ لا تَهدي من أحبَبْت، ولكنَّ اللهَ يَهدي من يشاء}

٤٧٧٢ ـ عن سعيد بن المسيَّب عن أبيهِ قال: «لما حَضَرَت أبا طالبٍ الوفاةُ جاءهُ رسولُ الله ﷺ فوجَدَ عندَهُ أباجهلٍ وعبدَ الله بن أبي أميةَ بن المغيرة فقال: أي عمِّ قل لا إله إلا الله كلمةً أحاجُّ لك بها عندَ الله، فقال أبو جهل وعبدُ الله بن أبي أمية: أترغب عن ملةِ عبدِ المطلب؟ فلم يَزَل رسولُ الله ﷺ يَعرِضُها عليهِ ويُعيدانهِ بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلمهم: على ملةِ عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إلهَ إلا الله، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: لأستغفرَنَّ لك ما لم أنهَ عنك، فأنزلَ اللهُ {ما كانَ للنبيِّ والذين آمنوا أن يَستغفروا للمشركين} وأنزَلَ الله في أبي طالب فقال لرسولِ الله ﷺ {إنكَ لا تهدي مَن أحببت، ولكنَّ اللهَ يَهدي من يشاء}».

قال ابن عباس {أولي القوَّة} لا يرفعها العصبة منَ الرجال، {لَتَنوءُ} لتثقل، {فارغاً} إلا من ذكر موسى، {الفرحين} المرِحين، {قُصِّيه} اتَّبعي أثرَه، وقد يكون أن يَقصَّ الكلام {نحنُ نَقصُّ عليك} عن جُنُبٍ عن بُعدٍ، وعن جَنابةٍ واحد، وعن اجتِنابٍ أيضاً، ويَبْطِشُ ويَبْطُشُ،

{يأتمرون}: يَتَشاورون العُدوان والعَداء والتعدِّي واحد، {آنس}: أبصَرَ، الجِذْوة: قطعةٌ غليظة من الخشب ليس فيها لَهب، والشهاب فيه لهب، والحَيَّات أجناس: الجانُّ والأفاعي والأوساد، {رِدءاً}: مُعينا، قال ابن عباس: يُصدِّقني وقال: غيرهُ {سنشدُّ} سنُعينك، كلما عزَّزتَ شيئاً فقد جعلتَ له عَضُداً، {مَقبوحين} مُهلكين، {وصَّلنآ} بيَّنّاهُ وأتممناهُ، {يجبى}: يُجلب، {بطرَت} أشرَت، {في أمها رسولاً}: أمّ القرى وما حَولها، {تُكِنُّ}: تخفي، أكنَنْت الشيءَ أخفَيتهُ، وكننته أخفيته وأظهرتهُ، {وَيكأنَّ الله} مِثل {ألم تَر أنَّ الله يَبسُطَ الرِّزقَ لمن يشاءُ ويَقدر}: يوسِّعُ عليه، ويضيِّق عليه.

قوله (باب إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي يشاء) لم تختلف النقلة في أنها نزلت في أبي طالب واختلفوا في المراد بمتعلق «أحببت» فقيل: المراد أحببت هدايته، وقيل أحببته هو قرابته منك.

قوله (لما حضرت أبا طالب الوفاة) قال الكرماني المراد حضرت علامات الوفاة، وإلا فلو كان انتهى إلى المعاينة لم ينفعه الإيمان لو آمن، ويدل على الأول ما وقع من المراجعة بينه وبينهم انتهى، ويحتمل أن يكون انتهى إلى تلك الحالة لكن رجا النبي ﷺ أنه إذا أقر بالتوحيد ولو في تلك الحالة أن ذلك ينفعه بخصوصه وتسوغ شفاعته ﷺ لمكانه منه، ولهذا قال: «أجادل لك بها وأشفع لك» وسيأتي بيانه، ويؤيد الخصوصية أنه بعد أن امتنع من الإقرار بالتوحيد وقال هو «على ملة عبد المطلب» ومات على ذلك أن النبي ﷺ لم يترك الشفاعة له، بل شفع له حتى خفف عنه العذاب بالنسبة لغيره، وكان ذلك من الخصائص في حقه، وقد تقدمت الرواية بذلك في السيرة النبوية[١].

قوله (جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية[٢]) يحتمل أن يكون المسيب حضر هذه القصة، فإن المذكورين من بني مخزوم وهو من بني مخزوم أيضاً، وكان الثلاثة يومئذ كفاراً فمات أبو جهل على كفره وأسلم الآخران.

قوله (أحاجّ) من المحاجة وهي مفاعلة من الحجة، جواب الأمر، والتقدير إن تقل أحاج.

قوله (ويعيدانه بتلك المقالة) أي ويعيدانه إلى الكفر بتلك المقالة، كأنه قال كان قارب أن يقولها فيردانه.

قوله (آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب) خبر مبتدأ محذوف أي هو على ملة، وفي

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٤٠ ح ٣٨٨٣ - ٣ / ٢٢٠.
(٢) رواية الباب "قال قال رسول الله ﷺ لأستغفرن لك" بدون "والله" واليونينية توافق الشرح.

رواية معمر «هو على ملة عبد المطلب» وأراد بذلك نفسه، ويحتمل أن يكون قال: «أنا فغيرها الراوي أنفة أن يحكى كلام أبي طالب استقباحاً للفظ المذكور؛ وهي من التصرفات الحسنة.

ووقع في حديث أبي حازم عن أبي هريرة عند مسلم والترمذي والطبري «قال لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت لأقررت بها عينك».

قوله (وأبى أن يقول لا إله إلا الله) هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب.

قوله (و الله[١] لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) قال الزين بن المنير: ليس المراد طلب المغفرة العامة والمسامحة بذنب الشرك، وإنما المراد تخفيف العذاب عنه كما جاء مبيناً في حديث آخر، قلت: وهي غفلة شديدة منه، فإن الشفاعة لأبي طالب في تخفيف العذاب لم تردّ، وطلبها لم ينه عنه، وإنما وقع النهي عن طلب المغفرة العامة، وإنما ساغ ذلك للنبي ﷺ اقتداء بإبراهيم في ذلك، ثم ورد نسخ ذلك كما سيأتي بيانه واضحاً.

قوله (فأنزل الله: ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) أي ما ينبغي لهم ذلك، وهو خبر بمعنى النهي.

وفي الحديث أن من لم يعمل خيراً قط إذا ختم عمره بشهادة أن لا إله إلا الله حكم بإسلامه وأجريت عليه أحكام المسلمين، فإن قارن نطق لسانه عقد قلبه نفعه ذلك عند الله تعالى، بشرط أن يكون[٢] وصل إلى حد الانقطاع الأمل من الحياة وعجز عن فهم الخطاب ورد الجواب وهو وقت المعاينة، وإليه الإشارة بقوله تعالى {وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن} والله أعلم.

قوله (بطرت أشرت) قال أبو عبيدة في قوله {وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها} أي أشرت وطغت وبغت، والمعنى بطرت في معيشتها، فانتصب بنزع الخافض، وقال الفراء: المعنى أبطرتها معيشتُها.

قوله (ويكأن الله مثل {ألم تر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر} يوسع عليه ويضيق) وهو قول أبي عبيدة قال في قوله تعالى {ويكأن الله} أي ألم تر أن الله، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله {ويكأن الله} أي أولا يعلم أن الله.

٢ ـ باب {إنَّ الذي فَرض عليك القرآنَ} الآية

٤٧٧٣ ـ عن عِكرمةَ عنَ ابن عباسٍ {لرادُّكَ إلى معاد} قال: إلى مكة.

---

(١) رواية الباب "قال قال رسول الله ﷺ لأستغفرن لك" بدون "والله" واليونينية توافق الشرح. ص ٥٠٧

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب ألاّ يكون.

(٢٩) سورةُ العَنْكَبُوت

قال مجاهد {مُستبصرِين} ضَلَلة، وقال غيرهُ: الحيوانُ والحيُّ واحد، {فليعلَمنَّ اللهُ}: عَلِمَ اللهُ ذلك، إنما هي بمنزلةِ فلِيَميزَ الله، كقوله {ليميزَ اللهُ الخبيثَ}، {أثقالاً مع أثقالهم}: أوزاراً مع أوزارِهم.

قوله (وقال مجاهد: وكانوا مستبصرين ضللة[1]) وصله ابن أبي حاتم من طريق شبل بن عباد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بهذا، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: معجبين بضلالتهم، وأخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن قتادة قال: كانوا مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها.

قوله (وقال غيره: الحيوان والحي واحد) وللطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله «لهي الحيوان» قال: لا موت فيها.

قوله (فليعلمن الله علم الله ذلك إنما هي منزلة فليميز الله كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب) وقال أبو عبيدة في قوله تعالى {فليعلمن الله الذين آمنوا} أي فليميزن الله لأن الله قد علم ذلك من قبل.

قوله (أثقالاً مع أثقالهم أوزاراً مع أوزارهم) هو قول أبي عبيدة أيضاً، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في هذه الآية قال: من دعا قوماً إلى ضلالة فعليه مثل أوزارهم، ولابن أبي حاتم من وجه آخر عن قتادة قال: {وليحملن أثقالهم} أي أوزارهم {وأثقالاً مع أثقالهم} أوزار من أضلوا.

(٣٠) سورةُ الرُّوم

{فلا يربو} مَن أعطى يبتغي أفضلَ فلا أجرَ له فيها، قال مجاهد {يُحبَرون يُنَعَّمُونَ، {يَمهَدون} يُسَوُّون المضاجع، {الوَدْق} المطر، قال ابن عباس {هل لكم مما مَلَكَت أيمانكم} في الآلهة، وفيه تخافونهم أن يَرِثوكم كما يَرِث بعضُكم بعضا، {يَصَّدَّعونَ}: يتفرَّقون، فاصدَع، وقال غيرُهُ: ضُعف وضَعف لغتان، وقال مجاهد: {السُّوأى}: الإساءة، جزاء المسيئين.

٤٧٧٤ ـ عن مَسروقٍ قال: «بينما رجلٌ يُحدِّث في كِندةَ فقال: يجيء دُخانٌ يومَ القيامة فيأخذُ بأسماع المنافقين وأبصارِهم يأخذُ المؤمنَ كهيئةِ الزُّكام، ففَزِعنا، فأتيتُ ابنَ مسعودٍ وكان متَّكئاً، فغضِبَ فجلسَ فقال: منَ علم فليَقُل، ومن لم يعلم فليَقُل: اللهُ أعلم؛ فإن منَ العلم أن يقول لما لا يَعلم: لا أعلم، فإنَّ الله قال لنبيِّهِ {قل ما أسألكم عليهِ مِن أجرٍ وما

---

(١) رواية الباب "قال مجاهد: مستبصرين" واليونينية توافق الشرح.

أنا منَ المتكلّفين}، وإنَّ قُرَيشاً أبطئوا عنِ الإسلام، فدعا عليهم النبيُّ ﷺ فقال: اللهمَّ أعنِّي عليهم بسبْعٍ كسبع يوسفَ؛ فأخذَتهم سَنَةٌ حتى هَلَكوا فيها وأكلوا الميتةَ والعظامَ، ويرَى الرجلُ ما بين السماءِ والأرض كهيئةِ الدُّخان، فجاءَهُ أبو سفيانَ فقال: يا محمدُ، جئتَ تأمُرُنا بصلةِ الرَّحم، وإنَّ قومكَ قد هلكوا، فادعُ اللهَ، فقرأ {فارتقب يومَ تأتي السماءُ بدُخانٍ مبين -إلى قوله- عائدون} أفيُكشَفُ عنهم عذابُ الآخرةِ إذا جاء، ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قولهُ تعالى {يومَ نبطِشُ البطشَةَ الكبرى} يومَ بدر، {ولِزاماً} يوم بدر، {الم غُلبِت الروم -إلى سيغلِبون} والرُّوم قد مضى.

قوله (فلا يربو من أعطى يبتغي أفضلا فلا أجر له فيها) وصله الطبري من طريق ابن نجيح عن مجاهد في قوله {وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس} قال يعطي ماله يبتغي أفضل منه، وقال عبد الرزاق عن عبد العزيز بن أبي رواد عن الضحاك في هذه الآية قال: هذا هو الربا الحلال يهدي الشيء ليثاب أفضل منه، ذاك لا له ولا عليه.

ومن طريق الشعبي قال: هو الرجل يلصق بالرجل يخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح بعض ما يتجر فيه، وإنما أعطاه التماس عونه ولم يرد به وجه الله.

قوله (قال ابن عباس {هل لكم مما ملكت أيمانكم} في الآلهة وفيه تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا) ولابن أبي حاتم من طريق سعيد عن قتادة قال: هذا مثل ضربه الله لمن عدل به شيئاً من خلقه يقول أكان أحد منكم مشاركاً مملوكه في فراشه وزوجته؟ وكذلك لا يرضى الله أن يعدل به أحد من خلقه.

قوله {يصدعون يتفرقون، فاصدع} المراد بقوله أصدع أي فرق بين الحق والباطل بدعائك إلى الله عز وجل وافصل بينهما.

قوله (أن[١] من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم) أي أن تمييز المعلوم من المجهول نوع من العلم، وهذا مناسب لما اشتهر من أن لا أدري نصف العلم، ولأن القول فيما لا يعلم قسم من التكلف.

باب {لا تَبديلَ لخلقِ الله}

لدين الله، {خَلقُ الأوَّلين}: دِين الأوَّلين، والفِطرة: الإسلام

٤٧٧٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: «قال رسولَ الله ﷺ: ما من مولودٍ إلا يُولَدُ على الفِطرةِ، فأبواه يُهوِّدانهِ أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمةً جمعاءَ، هل تحِسُّونَ فيها من جَدعاء؟ ثم يقول: {فطرة اللهِ التي فَطرَ الناسَ عليها، لا تبديلَ لخلقِ الله، ذلكَ الدِّينُ القَيِّم}.

---

(١) رواية الباب واليونينية "فإن من العلم ......".

ثم ذكر حديث أبي هريرة «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» وقد تقدم بسنده ومتنه في كتاب الجنائز[١] مع شرحه في «باب ما قيل في أولاد المشركين».

(٣١) سورةُ لقمانَ

١ ـ باب {لا تشرِكْ بالله، إنَّ الشركَ لَظلمٌ عظيم}

٤٧٧٦ ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: «لما نَزَلَتْ هذه الآية {الذين آمنوا ولم يَلبِسوا إيمانهم بظلم} شقَّ ذلكَ على أصحابِ رسولِ الله ﷺ وقالوا: أيُّنا لم يَلبِس إيمانَهُ بظلم؟ قال: رسولُ الله ﷺ: إنهُ ليس بذاك، ألا تسمعُ إلى قول لقمانَ لابنهِ {إنَّ الشركَ لَظلمٌ عظيم}».

قوله ([٢] لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) ذكر فيه حديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الإيمان[٣].

٢ ـ باب {إنَّ اللهَ عندَهُ علمُ الساعة}

٤٧٧٧ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاهُ رجلٌ يَمشي، فقال: يا رسولَ الله، ما الإيمان، قال: الإيمانُ أن تُؤمِنَ بالله، ومَلائكته، ورُسله، ولقائه، وتؤمنَ بلبَعثِ الآخر، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلامُ أن تَعبُدَ الله ولا تُشرِكَ به شيئاً، وتُقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاةَ المفروضةَ، وتَصومَ رمضانَ، قال: يا رسولَ الله، ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تَعبُدَ اللهَ كأنكَ تراه، فإن لم تَكنْ تراه فإنه يراك، قال: يا رسولَ اللهَ، متى الساعة؟ قال: ما المسئولُ عنها بأعلم منَ السائل، ولكنْ سأحدِّثكَ عن أشراطِها: إذا وَلَدتِ المرأةُ ربَّها فذاكَ من أشراطها، وإذا كان الحُفاةُ العُراة رُءوسَ الناس فذاك من أشراطِها، في خمسٍ لا يَعلمهنَّ إلا الله {إنَّ اللهَ عندَهُ علم الساعة، ويُنزِّلُ الغيثَ، ويَعلمُ ما في الأرحام}، ثم انصرفَ الرجلُ، فقال: رُدُّوا عَليَّ، فأخذوا لِيرُدُّوا فلم يَروا شيئاً، فقال: هذا جِبريلُ جاء ليعلِّمَ الناسَ دينَهم».

٤٧٧٨ ـ عن عبدَ الله بن عمر رضيَ اللهُ عنهما قال: «قال النبيُّ ﷺ: مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ، ثمَّ قرأ {إنَّ اللهَ عندَهُ علم الساعة...}

قوله (باب[٣] قوله إن الله عنده علم الساعة) ذكر فيه حديث أبي هريرة في سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام وغير ذلك، وفيه خمس لا يعلمهن إلا الله وقد تقدم شرح الحديث

---

(١) كتاب الجنائز باب / ٩٢ ح ١٣٨٥ - ١ / ٦٩٨.
(٢) كتاب الإيمان باب / ٢٣ ح ٣٢ - ١ / ٤٠.
(٣) في المتن بدون "قوله" وبدون التبويب في اليونينية.

مستوفى في كتاب الإيمان[١].

(٣٢) سُورةُ السجدة

وقال مجاهد {مَهين}: ضعيف، نُطفة الرَّجل، {ضَلَلنا} هَلَكنا، وقال ابنُ عباس {الجُرُز} التي لا تمطِر إلا مطراً لا يُغني عنها شيئاً، {يَهدِ} نبيِّن.

قوله (وقال ابن عباس الجرز التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً) من طريق ابن أبي نجيح عن رجل عن ابن عباس كذلك زاد إبراهيم، وعن مجاهد قال: هي أرضُ أبْين، وأنكر ذلك الحربي وقال: أبين مدينة معروفة باليمن فلعل مجاهداً قال: ذلك في وقت لم تكن أبين تنبت فيه شيئاً. وقال أبو عبيدة: الأرض الجرز اليابسة الغليظة التي لم يصبها مطر.

١ ـ باب {فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أعيُن}

٤٧٧٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «قال اللهُ تَبارك وتعالى: أعدَدتُ لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطرَ على قلبِ بشر، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم {فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخفيَ لهم من قرَّةِ أعيُن}.

٤٧٨٠ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ «يقولُ اللهُ تعالى: أعدَدتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خَطرَ على قلبِ بشر، دُخراً من بَلْهِ ما أُطلِعتم عليه، ثم قرأ {فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أعين، جَزاءً بما كانوا يعملون}».

قوله (يقول الله تعالى أعددت لعبادي[٢]) ووقع في حديث آخر «أن سبب هذا الحديث أن موسى عليه السلام سأل ربه من أعظم أهل الجنة منزلة؟ فقال: غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أخرجه مسلم والترمذي من طريق الشعبي سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبي ﷺ «أن موسى سأل ربه» فذكر الحديث بطوله وفيه هذا، وفي آخره: قال ومصداق ذلك في كتاب الله {فلا تعلم، نفس ما أخفي لهم من قرة أعين}.

قوله (ولا خطر على قلب بشر) زاد ابن مسعود في حديثه «ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل» أخرجه ابن أبي حاتم، وهو يدفع قول من قال: إنما قيل البشر لأنه يخطر بقلوب الملائكة، والأولى حمل النفي فيه على عمومه فإنه أعظم في النفس.

قوله (دخرا) أي جعلت ذلك لهم مدخورا.

قوله (من بله ما أطلعتم عليه) قال الخطابي: كأنه يقول دع ما أطلعتم عليه فإنه سهل

---

(١) كتاب الإيمان باب / ٣٧ ح ٥٠ - ١ / ٥٧.

(٢) في المتن واليونينية "عبادي الصالحين.

في جنب ما أدخر لهم، قلت: وهذا لائق بشرح «بله» بغير تقدم «من» عليها، وأما إذا تقدمت من عليها فقد قيل هي بمعنى كيف ويقال بمعنى أجل ويقال بمعنى غير أو سوى وقيل بمعنى فضل.

قلت: وأصح التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب حيث وقع فيه «ولا خطر على قلب بشر دخراً من بله ما أطلعتم» أنها بمعنى غير وذلك بين لمن تأمله، والله أعلم.

(٣٣) سورةُ الأحزاب

وقال مجاهد: صَياصِيهم قصورُهم، معروفاً في الكتاب

١ ـ باب * ٤٧٨١ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «ما مِن مؤمنٍ إلاّ وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، أقرءوا إن شئتم {النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفُسِهم} فأيُّما مؤمن تركَ مالاً فليَرِثهُ عَصَبتُه مَن كانوا، فإن ترك دَيْناً أو ضَياعاً فليأتِني وأنا مولاه».

قوله (معروفا في الكتاب) ثبت هذا للنسفي وحده، وقد أخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتاد عن ابن جريج قال: قلت لعطاء في هذه الآية {إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا} فقال: هو إعطاء المسلم الكافر بينهما قرابة صلة له.

قوله {النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم} وذكر فيه حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به» الحديث، وسيأتي الكلام عليه في الفرائض[1] إن شاء الله تعالى.

٢ ـ باب {ادعُوهم لآبائهم هو أقسَطُ عندَ الله}

٤٧٨٢ ـ عن عبدِ الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما «أن زيدَ بن حارثةَ مولى رسولِ الله ﷺ ما كنا ندعوهُ إلا زيدَ بن محمد، حتى نزلَ القرآنُ {ادعُوهم لآبائهم هو أقسَطُ عندَ الله}».

٣ ـ باب {فمنهم من قَضى نحبَهُ ومنهم مَن يَنتظرُ، وما بَدَّلوا تَبديلا}

نَحبَهُ: عهدَه، أقطارِها جَوانبها، الفتنةَ لآتَوها: لأعطَوْها.

٤٧٨٣ ـ عن أنس بن مالكٍ رضيَ الله عنه قال: «نرَى هذهِ الآية نَزَلَت في أنسِ بن النَّضر {من المؤمنينَ رجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللهَ عليه}».

٤٧٨٤ ـ عن زيدَ بن ثابتٍ قال: «لما نَسَخْنَا الصُّحفَ في المصاحف فَقَدتُ آيةً من سورةِ الأحزاب كنتُ كثيراً أسمعُ رسولَ اللهِ ﷺ يقرأها لم أجِدْها عندَ أحدٍ إلاّ معَ خُزَيمةَ الأنصاري الذي جعلَ رسولُ الله ﷺ شهادتهُ شهادةَ رجلين {منَ المؤمنينَ رجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليه}».

(١) كتاب الفرائض باب / ٤ ح ٦٧٣١ - ٥ / ١٦٠.

قوله (باب {فمنهم من قضى نحبه} عهده) قال أبو عبيدة في قوله {فمنهم من قضى نحبه}: أي نذره، والنحب النذر والنحب أيضاً النفس والنحب أيضاً الخطر العظيم، وقال غيره النحب في الأصل النذر ثم استعمل في آخر كل شيء، وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحسن في قوله {فمنهم من قضى نحبه} قال: قضى أجله على الوفاء والتصديق وهذا مخالف لما قاله غيره، بل ثبت عن عائشة «أن طلحة دخل على النبي ﷺ فقال: أنت يا طلحة ممن قضى نحبه» أخرجه ابن ماجه والحاكم، ويمكن أن يجمع بحمل حديث عائشة على المجاز، وقضى بمعنى يقضي، ووقع في تفسير ابن أبي حاتم: منهم عمار بن ياسر، وفي تفسير يحيى بن سلام: منهم حمزة وأصحابه، وقد تقدم في قصة أنس بن النضر قول أنس بن مالك: منهم أنس بن النضر، وعند الحاكم من حديث أبي هريرة: منهم مصعب بن عمير.

قوله (الفتنة لآتوها لأعطوها) ثم ذكر طرفاً من حديث أنس في قصة أنس بن النضر، وقد تقدم شرحه مستوفى في أوائل الجهاد[١].

قوله (فقدت آية من سورة الأحزاب كنت كثيراً أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها[٢]) هذا يدل على أن زيداً لم يكن يعتمد في جمع القرآن على علمه، ولا يقتصر على حفظه، لكن فيه إشكال لأن ظاهره أنه اكتفى مع ذلك بخزيمة وحده والقرآن إنما يثبت بالتواتر، والذي يظهر في الجواب أن الذي أشار إليه أن فقده فقد وجودها مكتوبة، لا فقد وجودها محفوظة، بل كانت محفوظة عنده وعند غيره، ويدل على هذا قوله في حديث جمع القرآن «فأخذت أتتبعه من الرقاع والعسب» كما سيأتي مبسوطاً في فضائل القرآن، وقوله «خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين» يشير إلى قصة خزيمة المذكورة وهو خزيمة بن ثابت، وأما قصته المذكورة في الشهادة فأخرجها أبو داود والنسائي.

«أن النبي ﷺ ابتاع من أعرابي فرساً، فاستتبعه ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي يساومونه في الفرس حتى زادوه على ثمنه -فذكر الحديث- قال فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا يشهد أني قد بعتك، فمن جاء من المسلمين يقول: ويلك إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا الحق، حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال: أنا أشهد أنك قد بايعته، فقال له النبي ﷺ بم تشهد؟ قال: بتصديقك، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين».

قال الخطابي: هذا الحديث حمله كثير من الناس على غير محمله، وتذرع به قوم من أهل البدع إلى استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق على كل شيء ادعاه، وإنما وجه الحديث أن النبي ﷺ حكم على الأعرابي بعلمه وجرت شهادة خزيمة مجرى التوكيد لقوله والاستظهار

(١) كتاب الجهاد باب / ١٢ ح ٢٨٠٥ - ٢ / ٥٩٩.
(٢) رواية الباب "..... يقرأها" واليونينية توافق الشرح.

على خصمه فصار في التقدير كشهادة الاثنين في غيرها من القضايا انتهى، وفيه فضيلة الفطنة في الأمور وأنها ترفع منزلة صاحبها، لأن السبب الذي أبداه خزيمة حاصل في نفس الأمر يعرفه غيره من الصحابة، وإنما هو لما اختص بتفطنه لما غفل عنه غيره مع وضوحه جوزي على ذلك بأن خص بفضيلة من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه.

٤ ـ باب {قل لأزواجكَ إن كُنتنَّ تُردْنَ الحياةَ الدُّنيا وزينَتَها فتعالَينَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جميلا}

التبرُّج: أن تُخرِجَ مَحاسنَها، سُنَّة الله استنَّها جَعلَها.

٤٧٨٥ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها -زوج النبيِّ ﷺ- أن رسول الله ﷺ جاءها حينَ أمَرَ اللهُ أن يخيِّرَ أزواجَه، فبدأ بي رسولُ الله ﷺ فقال: إني ذاكرٌ لكِ أمراً، فلا عليكِ أن تستعجِلي حتى تستَأمِري أبوَيك، وقد علم أن أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقهِ، قالت ثم قال: إنَّ الله قال: {يا أيُّها النبيُّ قل لأزواجِكَ} إلى تَمام الآيتَين، فقلتُ له: ففي أيِّ هذا أستأمِرُ أبويَّ؟ فإني أُريدُ اللهَ ورسولَهُ والدارَ الآخرة».

[الحديث ٤٧٨٥ - طرفه في: ٤٧٨٦]

قوله (التبرج أن تخرج زينتها[1]) وعند ابن أبي حاتم من طريق شيبان عن قتادة قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج إذا خرجن من البيوت فنهين عن ذلك، ومن طريق عكرمة أن ابن عباس قال قال عمر: ما كانت إلا جاهلية واحدة، فقال له ابن عباس هل سمعت بأولى إلا ولها آخرة؟ ومن وجه آخر عن ابن عباس قال: تكون الجاهلية أخرى، ومن وجه آخر عنه قال: كانت الجاهلية الأولى ألف سنة فيما بين نوح وإدريس، وإسناده قوي.

٥ ـ باب {وإن كنتنَّ تُردنَ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة فإنَّ اللهَ أعدَّ للمحسَنات منكنَّ أجراً عظيما}

وقال قَتادة {واذكُرنَ ما يُتلى في بيُوتِكنَّ من آياتِ الله والحكمة}: القرآنِ والسنَّة.

٤٧٨٦ ـ عن عائشة زوج النبيِّ ﷺ قالت: «لما أُمِرَ رسولُ الله ﷺ بتخيير أزواجه بَدأ بي فقال: إني ذاكرٌ لكِ أمراً فلا عليكِ أن لا تَعجَلي حتى تستأمِري أبويكَ، قالت: وقد علمَ أنَّ أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إنَ اللهَ جلَّ ثَناؤُه قال: {يا أيها النبيُّ قل لأزواجِك أن كنتنَّ تُرِدن الحياة الدُّنيا وزينتها -إلى- أجراً عظيما}، قالت فقلت: ففي أيِّ هذا أستأمِرُ أبويَّ؟ فإني أُريدُ اللهَ ورسوله والدارَ الآخرةَ، قالت: ثم فعلَ أزواجُ رسولُ اللهِ ﷺ مِثلَ ما فعلتُ».

---

(١) في الباب واليونينية "محاسنها".

قوله (لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه) ورد في سبب هذا التخيير ما أخرجه مسلم من حديث جابر قال: «دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ» الحديث في قوله ﷺ «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» يعني نساءه، وفيه أنه اعتزلهن شهراً ثم نزلت عليه هذه الآية {يا أيها النبي قل لأزواجك -حتى بلغ- أجراً عظيما} قال فبدأ بعائشة فذكر نحو حديث الباب، وقد تقدم في المظالم من طريق عقيل ويأتي في النكاح أيضاً من طريق شعيب كلاهما عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس عن عمر في قصة المرأتين اللتين تظاهرتا بطوله وفي آخره «حين أفشته حفصة إلى عائشة» وكان قد قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له: إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا، وقد أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عداً، فقال النبي ﷺ: الشهر تسع وعشرون، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين، قالت عائشة: «فأنزلت آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة فقال: إن ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي» الحديث.

وقال الماوردي: اختلف هل كان التخيير بين الدنيا والآخرة أو بين الطلاق والإقامة عنده؟ على قولين للعلماء أشبههما بقول الشافعي الثاني، ثم قال: إنه الصحيح، وكذا قال القرطبي: اختلف في التخيير هل كان في البقاء والطلاق أو كان بين الدنيا والآخرة إنتهى، والذي يظهر الجمع بين القولين، لأن أحد الأمرين ملزوم للآخر، وكأنهن خيرن بين الدنيا فيطلقهن وبين الآخرة فيمسكهن وهو مقتضى سياق الآية، ثم ظهر لي أن محل القولين هل فوض إليهن الطلاق أم لا؟ ولهذا أخرج أحمد عن علي قال: «لم يخير رسول الله ﷺ نساءه إلا بين الدنيا والآخرة».

قوله (فلا عليك أن لا تعجلي) أي فلا بأس عليك في التأني وعدم العجلة حتى تشاوري أبويك.

قوله (حتى تستأمري أبويك) أي تطلبي منهما أن يبينا لك رأيهما في ذلك، ووقع في حديث جابر «حتى تستشيري أبويك».

وفي الحديث ملاطفة النبي ﷺ لأزواجه وحلمه عنهن وصبره على ما كان يصدر منهن من إدلال وغيره مما يبعثه عليهن الغيرة، وفيه فضل عائشة لبداءته بها، كذا قرره النووي.

وفيه أن صغر السن مظنة لنقص الرأي، قال العلماء: إنما أمر النبي ﷺ عائشة أن تستأمر أبويها خشية أن يحملها صغر السن على اختيار الشق الآخر لاحتمال أن لا يكون عندها من الملكة ما يدفع ذلك العارض، فإذا استشارت أبويها أوضحا لها ما في ذلك من المفسدة وما في مقابله من المصلحة، ولهذا لما فطنت عائشة لذلك قالت «قد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه».

وفيه منقبة عظيمة لعائشة وبيان كمال عقلها وصحة رأيها مع صغر سنها، وأن الغيرة تحمل المرأة الكاملة الرأي والعقل على ارتكاب مالا يليق بحالها لسؤالها النبي ﷺ أن لا يخبر أحداً من أزواجه بفعلها، ولكنه ﷺ لما علم أن الحامل لها على ذلك ما طبع عليه النساء من الغيرة ومحبة الاستبداد دون ضرائرها لم يسعفها بما طلبت من ذلك.

٦ ـ باب {وتُخفي في نَفسِكَ ما اللهُ مُبدِيه، وتَخشى الناسَ واللهُ أحقُّ أن تَخشاه}

٤٧٨٧ ـ عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ الله عنه «أنَّ هذه الآية {وتخفي في نَفسكَ ما اللهُ مُبدِيه} نزَلت في شأنِ زينبَ بنت جَحش وزيدِ بن حارثةَ».

[الحديث ٤٧٨٧ - طرفه في: ٧٤٢٠]

قوله (باب وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) لم تختلف الروايات أنها نزلت في قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش.

قوله (أن هذه الآية {وتخفي في نفسك ما الله مبديه} نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة) هكذا اقتصر على هذا القدر من هذه القصة، وقد أخرجه في التوحيد من وجه آخر عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: «جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية» قال: «وكانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ» الحديث، وأخرجه أحمد بلفظ «أتى رسول الله ﷺ منزل زيد بن حارثة فجاءه زيد يشكوها إليه، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، فنزلت إلى قوله {زوجناكها} قال: يعني زينب بنت جحش ، وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقاً واضحاً حسنا ولفظه «بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم أنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً».

والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابنا، ووقع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم، وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية والله أعلم.

وروى أحمد ومسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: «لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد اذكرها عليَّ، قال فانطلقت فقلت: يا زينب، أبشري، أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن» وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه، وفيه أيضاً اختبار ما كان عنده منها هل بقي منه شيء أم لا؟ وفيه استحباب فعل امرأة الاستخارة ودعائها عند الخِطبة قبل الإجابة، وأن من وكَلَ أمرَه إلى الله عز وجل يسِّر اللهُ له ما هو الأحظّ له والأنفع دنيا وأخرى.

٧ ـ باب {ترجئُ(١) من تَشاءُ منهنَّ وتُؤوِي إليكَ مَن تشاء، ومَنِ ابتغَيتَ مِمَّن عَزلت فَلا جُناحَ عليك}

قال ابن عباس: ترجئ: تُؤخِّرُ، أرجئهُ أخِّره

٤٧٨٨ ـ عن عائشة رضيَ اللهُ عنها قالت: «كنتُ أغارُ على اللاتي وَهَبْنَ أنفُسَهنَّ لرسولِ الله ﷺ وأقول: أتهبُ المرأةُ نفسها؟ فلما أنزَلَ الله تعالى {تُرجئُ مَن تشاءَ منهنَّ وتُؤوِي إليك من تشاء، ومَن ابتغَيتَ ممن عَزلتَ فلا جُناحَ عليك} قلتُ: ما أرَى ربَّك إلا يُسارِعُ في هَواك».

[الحديث ٤٧٨٨ - طرفه في: ٥١١٣]

٤٧٨٩ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَستَأذِنُ في يوم المرأة منا بعدَ أن أُنزلت هذهِ الآية {ترجئُ مَن تشاء منهن وتؤوي إليكَ من تشاء، ومَن ابتغَيتَ ممن عزَلت فلا جاحَ عليك} فقلتُ لها: ما كنتِ تقولين؟ قالت: كنتُ أقولُ له: إن كان ذاكَ إليَّ

(١) قراءة حفص عن عاصم "ترجي".

فإني لا أريدُ يا رسولَ الله أن أوثِرَ عليك أحداً».

قوله (باب قوله[١] ترجئ من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) حكى الواحدي عن المفسرين أن هذه الآية نزلت عقب نزول آية التخيير، وذلك أن التخيير لما وقع أشفق بعض الأزواج أن يطلقهن ففوضن أمر القسم إليه، فأنزلت {ترجئ من تشاء} الآية.

قوله (وهبن أنفسهن) هذا ظاهر في أن الواهبة أكثر من واحدة، ويأتي في النكاح حديث سهل بن سعد «أن امرأة قالت: يا رسول الله، إني وهبت نفسي لك» الحديث، وفيه قصة الرجل الذي طلبها قال: «التمس ولو خاتماً من حديد» ومن حديث أنس «أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت له: أن لي ابنة -فذكرت من جمالها- فآثرتك بها، فقال: قد قبلتها، فلم تزل تذكر حتى قالت: لم تصدع قط، فقال: لاحاجة لي في ابنتك» وأخرجه أحمد أيضاً، وهذ امرأة أخرى بلا شك، وعند ابن أبي حاتم من حديث عائشة: التي وهبت نفسها للنبي ﷺ هي خولة بنت حكيم، وسيأتي الكلام عليه في كتاب النكاح، فإن البخاري أشار إليه معلقاً، ومن طريق الشعبي قال: من الواهبات أم شريك، وأخرجه النسائي من طريق عروة، وعند أبي عبيدة معمر بن المثنى أن من الواهبات فاطمة بنت شريح، وقيل إن ليلى بن الحطيم ممن وهبت نفسها له.

عن عكرمة عن ابن عباس «لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له» أخرجه الطبري وإسناده حسن، والمراد أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له وإن كان مباحاً له لأنه راجع إلى إرادته لقوله تعالى {إن أراد النبي أن يستنكحها}، وقد بينت عائشة في هذا الحديث سبب نزول قوله تعالى {ترجئ من تشاء منهن} وأشارت إلى قوله تعالى {وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي} وقوله تعالى {قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم} وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر ومن حديث ابن عباس أيضاً قال فرض عليهم أن لا نكاح إلا بولي وشاهدين.

قوله (ما أرى ربك إلا يسارع في هواك) أي ما أرى الله إلا موجداً لما تريد بلا تأخير، منزلاً لما تحب وتختار، وقوله {ترجي[٢] من تشاء منهن} أي تؤخرهن بغير قسم، وهذا قول الجمهور، وأخرجه الطبري أن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزين وغيرهم، وأخرج الطبري أيضاً عن الشعبي في قوله {ترجي من تشاء منهن} قال: كن نساء وهبن أنفسهن

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) رواية الباب واليونينية "تُرجيء" بخلاف الشرح.

للنبي ﷺ، فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحهن، وهذا شاذ والمحفوظ إنه لم يدخل بأحد من الواهبات كما تقدم وقيل المراد بقوله {ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء} أنه كان هم بطلاق بعضهن، فقلن له لا تطلقنا واقسم لنا ما شئت، فكان يقسم لبعضهن قسماً مستويا، وهن اللاتي آواهن، ويقسم للباقي ما شاء وهن اللاتي أرجأهن، فحاصل ما نقل في تأويل {ترجي} أقوال: أحدها تطلق وتمسك، ثانيها تعتزل من شئت منهن بغير طلاق وتقسم لغيرها، ثالثها تقبل من شئت من الواهبات وترد من شئت، وحديث الباب يؤيد هذا والذي قبله، واللفظ محتمل للاقوال الثلاثة، وظاهر ما حكته عائشة من استئذانه أنه لم يرج أحداً منهن، بمعنى أنه لم يعتزل، وهو قول الزهري «ما أعلم أنه أرجأ أحداً من نسائه» أخرجه ابن أبي حاتم، وعن قتادة أطلق له أن يقسم كيف شاء فلم يقسم إلا بالسوية.

قوله ([1]يستأذن المرأة في اليوم) أي الذي يكون فيه نوبتها إذا أراد أن يتوجه إلى الأخرى.

(تكميل): اختلف في المنفي في قوله تعالى في الآية التي تلي هذه الآية وهي قوله {لا تحل لك النساء من بعد} هل المراد بعد الأوصاف المذكورة فكان يحل له صنف دون صنف؟ أو بعد النساء الموجودات عند التخيير؟ على قولين، وإلى الأول ذهب أبيّ بن كعب ومن وافقه أخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند، وإلى الثاني ذهب ابن عباس ومن وافقه وأن ذلك وقع مجازاة لهن على اختيارهن إياه، نعم الواقع أنه ﷺ لم يتجدد له تزوج امرأة بعد القصة المذكورة، لكن ذلك لا يرفع الخلاف، وقد روى الترمذي والنسائي عن عائشة «ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء» وأخرج ابن أبي حاتم عن أم سلمة رضيَ الله عنها مثله.

٨ ـ باب {لا تَدخُلوا بيوتَ النبيِّ إلاّ أنَ يُؤْذَنَ لكم إلى طعامٍ غيرَ ناظرينَ إناهُ، ولكنِ إذا دُعيتمِ فادخُلوا، وإذا طَعمتم فانتشروا، ولاَ مُستأنسينَ لحديث، إنَّ ذلكم كان يُؤذي النبيَّ فيَستَحيَي منكم واللهُ لا يَستَحيي من الحقِّ، وإذا سألتموهنّ مَتاعاً فسألوهنَّ من وراء حجاب، ذلكم أطهرُ لقلوبِكم وقلوبهنَّ، وما كان لكم أن تَنكحوا أزْواجَهُ من بَعدِه أبدا، إنَّ ذلكم كان عندَ الله عظيماً}

يقال إناهُ: إدراكهُ، أنى يأني أناةً، {لعلَّ الساعة تكونُ قريبا} إذا وَصَفتَ صفةَ المؤنثِ قلتَ: قريبة، وإذا جعلتَهُ ظرفاً وبدَلا ولم تُرِدِ الصفة نزَعتَ الهاءَ منَ المؤنث، وكذلك لفظها في الواحدِ والاثنين والجميع للذكر والأنثى.

٤٧٩٠ ـ عن أنسٍ قال: «قال عمرُ رضيَ الله عنه: قلتُ يا رسولَ الله يَدخُلَ عليكَ البَرُّ والفاجر، فلو أمرْتَ أُمهاتِ المؤمنين بالحِجاب، فأنزل اللهُ آيةَ الحجاب».

---

(١) رواية الباب واليونينية "كان يستأذن في يوم المرأة".

٤٧٩١ ـ عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ الله عنه قال: «لما تزوّج} رسولُ الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فَطَعِموا، ثمَّ جلسوا يتحدَّثون، وإذا هو يتأهَّبُ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقَعدَ ثلاثةُ نفرٍ، فجاء النبيُّ ﷺ ليدخُلَ فإذا القومُ جُلوسٌ، ثم إنهم قاموا، فانطلَقتُ فجئتُ فأخبرتُ النبيَّ ﷺ أنهم قد انطلَقوا فجاء حتى دخَل، فذهبت أدخلُ فألقى الحجابَ بيني وبينَه، فأنزلَ الله {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتَ النبيِّ} الآية».

[الحديث ٤٧٩١ – أطرافه في: ٤٧٩٢، ٤٧٩٣، ٤٧٩٤، ٥١٥٤، ٥١٦٣، ٥١٦٦، ٥١٦٨، ٥١٧٠، ٥١٧١، ٥٤٦٦، ٦٢٣٨، ٦٢٣٩، ٦٢٧١، ٧٤٢١]

٤٧٩٢ ـ عن أبي قِلابةَ قال أنسُ بن مالكٍ «أنا أعلمُ الناسِ بهذهِ الآية آية الحجاب: لما أُهديَتْ زينبُ إلى رسولِ الله ﷺ كانت معهُ في البيتِ، صنعَ طعاماً ودَعا القومَ، فَقعَدوا يتحدَّثون، فجعلَ النبيُّ ﷺ يَخرُجُ ثم يَرجعُ، وهم قعودٌ يتحدَّثون، فأنزلَ الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تدخُلوا بيوتَ النبيِّ إلاَّ أن يُؤذَنَ لكم إلى طعامٍ غيرَ ناظِرينَ إناهُ -إلى قوله- من وراءِ حِجاب} فضُرِبَ الحجابُ، وقامَ القومُ».

٤٧٩٣ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «بُنِيَ عَلَى النبيِّ ﷺ بزينب بنتِ جحش بخبزٍ ولحم، فأُرسلتُ عَلَى الطعام داعياً، فيَجيء قوم، فيأكلونَ ويَخرجون ثم يَجيءُ قومٌ فيأكلونَ ويخرجون، فدَعوتُ حتى ما أجد أحداً أدعو، فقلتُ: يا نبيَّ الله ما أجدُ أحداً أدعوه، فقال: فارفعوا طعامَكم، وبقيَ ثلاثة رَهطٍ يَتحدَّثونَ في البيت، فخرجَ النبيُّ ﷺ فانطلَقَ إلى حُجرةِ عائشةَ فقال: السلامُ عليكم أهلَ البيتِ ورحمةُ الله، فقالت: وعليكَ السلامُ ورحمةُ الله، كيفَ وَجَدتَ أهلكَ، باركَ اللهُ لك، فتقَرَّى حُجَرَ نسائه كلِّهن، يقول لهنَّ كما يقول لعائشةَ، ويَقُلنَ له كما قالت عائشة، ثم رجعَ النبيُّ ﷺ فإذا ثلاثةٌ من رهط في البيتِ يتحدَّثون -وكان النبيُّ ﷺ شديدَ الحياء- فخرَجَ مُنطلقاً نحوَ حجرة عائشةَ، فما أدري آخبرتَه أو أُخبرَ أنَّ القوم خرجوا، فرجعَ حتى إذا وضعَ رِجلَهُ في أُسكُفَّةِ الباب داخلةً وأُخرى خارجة أرخى السترَ بيني وبينَه، وأُنزِلت آيةُ الحجاب».

٤٧٩٤ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «أولَم رسولُ اللهِ ﷺ -حينَ بَنى بزينبَ بنتِ جَحش- فأشبعَ الناسَ خُبزاً ولحما، ثم خرجَ إلى حُجَرِ أُمَّهات المؤمنين كما كان يَصنَعُ صبيحةَ بنائه فيُسلِّم عليهنَّ ويَدعو لهن، ويُسلمنَ عليه ويدعونَ له، فلما رجعَ إلى بيته رأى رجُلَين جرَى بهما الحديث، فلما رآهما رجعَ عن بيتهِ، فلما رأى الرجلانِ نبيَّ الله ﷺ رجعَ عن بيتهِ وثَبا مُسرعَين، فما أدرِي أنا أخبرتُهُ بخروجهما أم أُخبِرَ، فرجعَ حتى دَخلَ البيت، وأرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آيةُ الحجاب».

٤٧٩٥ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: «خرَجَت سَودةُ -بعدَما ضُرِبَ الحجابُ-

لحاجَتها، وكانتِ امرأةً جسيمةً لا تَخفى على من يَعرفُها فرآها عمرُ بن الخطاب فقال: يا سَودة، أما والله ما تخفَين علينا، فانظرُي كيفَ تخرُجين، قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه لَيتعَشّى وفي يده عرَقٌ، فدخَلَت فقالت : يا رسولَ الله، إني خرجتُ لبعض حاجتي فقال لي عمرُ: كذا وكذا، قالت: فأوحى اللهُ إليه، ثم رُفعَ عنه وإنَّ العَرْقَ في يده ما وضعَه فقال: إنه قد أُذِنَ لكنَّ أن تُخرُجن لحاجَتِكنّ».

قوله (فتقرّى) أي تتبع الحجرات واحدة واحدة.

قوله (وكان النبي ﷺ شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة) في رواية حميد، رأى رجلين جرى بهما الحديث فلما رآهما رجع عن بيته، فلما رأى الرجلان نبي الله ﷺ رجع عن بيته وثبا مسرعين» ومحصل القصة أن الذين حضروا الوليمة جلسوا يتحدثون، واستحيى النبي ﷺ أن يأمرهم بالخروج فتهيأ للقيام ليفطنوا لمراده فيقوموا بقيامه، فلما ألهاهم الحديث عن ذلك قام وخرج فخرجوا بخروجه، إلا الثلاثة الذين لم يفطنوا لذلك لشدة شغل بالهم بما كانوا فيه من الحديث، وفي غضون ذلك كان النبي ﷺ يريد أن يقوموا من غير مواجهتهم بالأمر بالخروج لشدة حيائه فيطيل الغيبة عنهم بالتشاغل بالسلام على نسائه، وهم في شغل بالهم، وكان أحدهم في أثناء ذلك أفاق من غفلته فخرج وبقي الاثنان، فلما طال ذلك ووصل النبي ﷺ إلى منزله فرآهما فرجع فرأياه لما رجع، فحينئذ فطنا فخرجا، فدخل النبي ﷺ، وأنزلت الآية، فارخى الستر بينه وبين أنس خادمه أيضاً ولم يكن له عهد بذلك.

وفي الحديث من الفوائد مشروعية الحجاب لأمهات المؤمنين، قال عياض: فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليه، بلا خلاف في الوجه والكفين، فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ولا إظهار شخوصهن وإن كن مستترات إلا ما دعت إليه ضرورة من براز، ثم استدل «الموطأ» أن حفصة لما توفي عمر سترها النساء عن أن يرى شخصها، وأن زينب بنت جحش جعلت لها القبة فوق نعشها ليستر شخصها» انتهى.

وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن، وقد كن بعد النبي ﷺ يحججن ويطفن، وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الأبدان لا الاشخاص، وقد تقدم في الحج قول ابن جريج لعطاء لما ذكر له طوافق عائشة: أقبلَ الحجابِ أو بعده؟ قال: قد أدركت ذلك بعد الحجاب.

الحديث الثالث حديث عائشة «خرج سودة -أي بنت زمعة أم المؤمنين- بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها» وقد تقدم في كتاب الطهارة[١].

والحاصل أن عمر رضيَ الله عنه وقع في قلبه نفرة من اطلاع الأجانب على الحريم النبوي، حتى صرح بقوله له عليه الصلاة والسلام «احجب نساءك» وأكد ذلك إلى أن نزلت آية الحجاب، ثم قصد بعد ذلك أن لا يبدين أشخاصهن اصلاً ولو كن مستترات، فبالغ في ذلك، فمنع منه، وأذن لهن في الخروج لحاجتهن دفعاً للمشقة ورفعاً للحرج.

٩ ـ باب {إن تُبدوا شيئاً أو تُخفوهُ فإنَّ اللهَ كان بكلِّ شيءٍ عليما، لا جُناحَ عليهنَّ في آبائهِنَّ ولا أبنائهنَّ، ولا إخوانهنَّ، ولا أبناءِ إخوانهنَّ، ولا أبناء أخواتهنَّ، ولا نسائهنَّ، ولا مامَلكَت أيمانهنَّ، واتقِينَ الله، إنَّ الله كان عَلَى كلِ شيءٍ شهيدا}

٤٧٩٦ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: «استأذَن عليَّ أفلحُ أخو أبي القُعَيس بعدَما أُنزِلَ الحجاب، فقلتُ: لا آذَنُ له حتى أستأذِنَ فيه النبيَّ ﷺ، فإنَّ أخاهُ أبا القُعَيس ليسَ هوَ أرضَعَني، ولكن أرضَعَتني امرأةُ أبي القعَيس، فدخلَ عليَّ النبيُّ ﷺ فقلتُ له: يا رسولَ اللهَ إنَّ أفلحَ أخا أبي القُعَيس استأذَنَ فأبيتُ أن آذَنَ له حتى أستأذِنكَ، فقال النبيُّ ﷺ: وما منعك أن تأذنين؟ عمُّك، قلتُ: يا رسولَ [illegible] إنَّ الرجلَ ليس هو أرضعني، ولكن أرضعَتْني امرأةُ أبي القَعيس، فقال: ائذَني له فإنه عمُّك تربَتْ يَمينُك، قال عروة: فلذلك كانت عائشةُ تقولُ: حَرِّموا من الرَّضاعةِ ما تحرِّمونُ منَ النسب».

قوله (باب قوله[٢]إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان -إلى قوله- شهيدا) جميعاً ثم ذكر حديث عائشة في قصة أفلح أخي أبي القعيس، وسيأتي شرح الحديث مستوفى في الرضاع[٣].

وقوله في الحديث «ائذني له فإنه عمك» مع قوله في الحديث الآخر «العم صنو الأب» وبهذا يندفع اعتراض من زعم أنه ليس في الحديث مطابقة للترجمة أصلاً، وكأن البخاري رمز بإيراد هذا الحديث إلى الرد على من كره للمرأة أن تضع خمارها عند عمها أو خالها،

---

(١) كتاب الوضوء باب / ١٣ ح ١٤٦ - ١ / ١٣٦.
(٢) في المتن بدون "قوله" واليونينية توافق الشرح ولكن بدون التبويب في اليونينية.
(٣) كتاب النكاح باب / ٢٢ ح ٥١٠٣ - ٤ / ٥٥.

كما أخرجه الطبري من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة والشعبي إنه قيل لهما: لِمَ لَمْ يذكر العم والخال في هذه الآية؟ فقالا: لأنهما ينعتاها لأبنائهما، وكرما لذلك أن تضع خمارها عند عمها أو خالها، وحديث عائشة في قصة أفلح يرد عليهما، وهذا من دقائق ما في تراجم البخاري.

١٠ - باب {إنَّ الله وملائكتَهُ يُصلُّونَ على النبيِّ، يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما}

قال أبو العالية: صلاةُ الله ثَناؤُه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدُّعاء

قال ابن عباس: يُصلُّون يُبرِّكون، لَنُغرِينَّكَ: لنسلِّطنَّك

٤٧٩٧ - عن كعبِ بن عُجْرَةَ رضيَ اللهُ عنه «قيلَ يا رسولَ الله، أما السلامُ عليك فقد عرفناه، فكيفَ الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صلَّيت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهمَّ بارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مَجيد».

٤٧٩٨ - عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: «قلنا يا رسولَ الله هذا التسليم، فكيفَ نصلِّي عليك؟ قال: قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ عبدِكَ ورسولكَ، كما صلَّيتَ على آل إبراهيم، وبارِكَ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما باركت على آل إبراهيمَ».

[الحديث ٤٧٩٨ - طرفه في: ٦٣٥٨]

قوله (وقال ابن عباس: يصلون يبركون) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {يصلون على النبي} قال: يبركون على النبي، أي يدعون له بالبركة، فيوافق قول أبي العالية، لكنه أخص منه، وقد سئلت عن إضافة الصلاة إلى الله دون السلام وأمر المؤنين بها وبالسلام، فقلت: يحتمل أن يكون السلام له معنيان التحية والإنقياد، فأمر به المؤمنون لصحتهما منهم، والله وملائكته لا يجوز منهم الانقياد فلم يضف إليهم دفعاً للإيهام والعلم عند الله.

قوله (كما صليت على ال إبراهيم) أي تقدمت منك الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فنسأل منك الصلاة على محمد وعلى آل محمد بطريق الأولى، لأن الذي يثبت للفاضل يثبت للأفضل بطريق الأولى، وبهذا يحصل الإنفصال عن الإيراد المشهور من أن شرط التشبيه أن

يكون المشبه به أقوى، ومحصل الجواب أن التشبيه ليس من باب إلحاق الكامل بالأكمل بل من باب التهييج ونحوه، أو من بيان حال ما لا يعرف بما يعرف، لأنه فيما يستقبل، والذي يحصل لمحمد ﷺ من ذلك أقوى وأكمل، وأجابوا بجواب آخر على تقدير أنه من باب الإلحاق، وحاصل الجواب أن التشبيه وقع للمجموع بالمجموع، لأن مجموع آل إبراهيم أفضل من مجموع آل محمد، لأن في آل إبراهيم الأنبياء بخلاف آل محمد، ويعكر على هذا الجواب التفصيل الواقع في غالب طرق الحديث، وقيل في الجواب أيضاً: إن ذلك كان قبل أن يعلم الله تعالى نبيه ﷺ أنه أفضل من إبراهيم وغيره من الأنبياء، وهو مثل ما وقع عند مسلم عن أنس «إن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا خير البرية، قال ذاك إبراهيم».

واستدل بهذا الحديث على جواز الصلاة على غير النبي ﷺ من أجل قوله فيه «وعلى آل محمد» وأجاب من منع بأن الجواز مقيد بما إذا وقع تبعاً، والمنع إذا وقع مستقلاً، والحجة فيه أنه صار شعاراً للنبي ﷺ فلا يشاركه غيره فيه، فلا يقال قال أبو بكر ﷺ وإن كان معناه صحيحاً، ويقال ﷺ الله على النبي وعلى صدِّيقه أو خليفته ونحو ذلك، وقريب من هذا أنه لا يقال قال محمد عز وجل وإن كان معناه صحيحاً، لأن هذا الثناء صار شعاراً لله سبحانه فلا يشارك غيره فيه، ولا حجة لمن أجاز ذلك منفرداً فيما وقع من قوله تعالى {وصلِّ عليهم} ولا في قوله «اللهم صل على آل أبي أوفى» ولا في قول امرأة جابر «صل عليَّ وعلى زوجي، فقال: اللهم صل عليهما، فإن ذلك كله وقع من النبي ﷺ، ولصاحب الحق أن يتفضل من حقه بما شاء، وليس لغيره أن يتصرف إلا بإذنه، ولم يثبت عنه إذن في ذلك، ويقوي المنع بأن الصلاة على غير النبي ﷺ صار شعاراً لأهل الأهواء يصلون على من يعظمونه من أهل البيت وغيرهم، وهل المنع في ذلك حرام أو مكروه أو خلاف الأولى؟ حكى الأوجه الثلاثة النووي في «الأذكار» وصحح الثاني، وقد روى إسماعيل بن إسحاق في كتاب «أحكام القرآن» له بإسناد حسن عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب «أما بعد فإن ناساً من الناس التمسوا عمل الدنيا بعمل الآخرة، وإن ناساً من القصاص أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي، فإذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين، ودعاؤهم للمسلمين، ويدَعوا ما سوى ذلك» ثم أخرج عن ابن عباس بإسناد صحيح قال: «لا تصلح الصلاة على أحد إلا على النبي ﷺ، ولكن للمسلمين والمسلمات الاستغفار» وذكر أبو ذر أن الأمر بالصلاة على النبي ﷺ كان في السنة الثانية من الهجرة، وقيل من ليلة الأسراء.

١١ ـ باب {لا تكونوا كالذين آذَوا موسى}

٤٧٩٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: إنَّ موسى كان رجلاً حَيِيّاً، وذلك قولهُ تعالى {يا أيها الذينَ آمنوا لا تكون كالذين آذَوا موسى فبَرَّأهُ اللهُ مما قالوا، وكان عندَ اللهِ وَجيها}».

قوله (باب {لا تكونوا كالذين آذوا موسى} ذكر فيه طرفاً من قصة موسى مع بني إسرائيل، وقد تقدم بسنده مطولاً في أحاديث الأنبياء مع شرحه مستوفى، وقد روى «أحمد بن منيع في مسنده» والطبري وابن أبي حاتم بإسناد قوي عن ابن عباس عن علي قال: «صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون، فقال بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته، كان ألين لنا منك وأشد حباً فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته فمرت به على مجالس بني إسرائل، فعلموا بموته» قال الطبري: يحتمل أن يكون هذا المراد بالأذى في قوله {لا تكونوا كالذين آذوا موسى}، قلت: وما في الصحيح أصح من هذا، لكن لا مانع أن يكون للشيء سببان فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة.

(٣٤) سورةُ سَبَأ

يُقال مُعاجِزين: مُسابقين، بمعجِزين: بفائتين، معاجِزِيَّ: مُسابقيَّ، سَبَقوا: فاتوا، لا يُعجزون: لا يفوتون يَسبِقونا: يُعجِزونا، قوله بُمعجزين: بفائتين، ومعنى معاجزين مغالبين يُريد كل واحدٍ منهما أن يُظهِرَ عجزَ صاحبه، معِشارٌ: عُشرٌ يقال الأكُلُ الثمرةُ، باعِد وبعِّد واحد، وقال مجاهد: لا يَعزُبُ لا يغيب، سَيلُ العَرِم: السُّدُّ ماء أحمر، أرسلهُ الله في السُّدِّ فشقَّهُ وهدمَهُ وحَفَرَ الوادي فارتفعتا عنِ الجنْبَتَين وغاب عنهما الماء فيَبِستا، ولم يَكُنِ الماءُ الأحمرُ من السُّد ولكن كان عذاباً أرسلَهُ اللهُ عليهم من حيث شاء، وقال عمروُ بن شُرَحبيل: العَرِمُ المُسَنَّاة بلَحن أهلِ اليمن، وقال غيرُهُ: العَرِم الوادي، السابغاتُ: الدروع، وقال مجاهد يُجازَى: يعاقَب أعِظكم بواحدة: بطاعةِ الله، مَثنى وفرُادَى: واحد واثنين، التَّناوُش: الردُّ من الآخرةِ إلى الدنيا، وبينَ ما يشتَهون: من مالٍ أو ولد أو زهرةٍ، بأشياعهم: بأمثالهم، وقال ابنُ عباس كالجوابي: كالجوبةِ منَ الأرض، الخَمط: الأراك، والأثَل: الطرفاء، العَرِم: الشديد.

قال ابن إسحق وغيره: هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ووقع عند الترمذي وحسنه من حديث فروة بن مسيك قال: «أنزل في سبأ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ، أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيامن ستة

وتشاءم أربعة» الحديث، قال: «وفي الباب عن ابن عباس». قلت: حديث ابن عباس وفروة صححهما الحاكم.

قوله (معشار: عشر) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {وما بلغوا معشار ما آتيناهم أي عشر ما أعطيناهم، وقال الفراء: المعنى وما بلغ أهل مكة معشار الذين أهلكناهم من قبلهم من القوة والجسم والولد والعدد، والمعشار العشر.

قوله (فشقه) وذكر عياض أن في رواية أبي ذر «فبثقه» قال: وهو الوجه، تقول بثقت النهر إذا كسرته لتصرفه عن مجراه.

قوله (وقال عمرو بن شرحبيل: العرم المسناة بلحن أهل اليمن، وقال غيره: العرم الوادي) قال ابن التين: المراد بها ما يبنى في عرض الوادي ليرتفع السيل ويفيض على الأرض «وكأنه أخذ من عرامة الماء وهو ذهابه كل مذهب، وقال الفراء: العرم المسناة وهي مسناة كانت تحبس الماء على ثلاثة أبواب منها، فيسيبون من ذلك الماء من الباب الأول ثم الثاني ثم الآخر، ولا ينفذ حتى يرجع الماء السنة المقبلة، وكانوا أنعم قوم، فلما أعرضوا عن تصديق الرسل وكفروا بثق الله عليهم تلك المسناة، فغرقت أرضهم ودقت الرمل بيوتهم ومزقوا كل ممزق، حتى صار تمزيقهم عند العرب مثلاً يقولون: «تفرقوا أيدي سبأ».

قوله (السابغات الدروع) قال أبو عبيدة في قوله {أن اعمل سابغات} أي دروعاً واسعة طويلة.

قوله (وقال مجاهد: (يجازى يعاقب) وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عنه، ومن طريق طاوس قال: هو المناقشة في الحساب، ومن نوقش الحساب عذب وهو الكافر لا يغفر له.

(تنبيه) قيل إن هذا الآية أرجى آية في كتاب الله من جهة الحصر في الكفر، فمفهومه أن غير الكفر بخلاف ذلك، ومثله {إن العذاب على من كذب وتولى} وقيل {ولسوف يعطيك ربك فترضى}، وقيل {فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير}، وقيل {كل يعمل على شاكلته} وقيل {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم} وقيل {ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة} وهذا الأخير نقله مسلم في صحيحه عن عبد الله بن المبارك عقب حديث الإفك.

قوله (وقال ابن عباس كالجوابي كالجوبة من الأرض) قيل الجوابي في اللغة جمع جابية وهو الحوض الذي يجبى فيه الشيء أي يجمع، وأما الجوبة من الأرض فهي الموضع المطمئن فلا يستقيم تفسير الجوابي بها، وأجيب باحتمال أن يكون فسر الجابية بالجوبة ول

١ ـ باب {حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا: الحقَّ، وهو العليُّ الكبير}

٤٨٠٠ ـ عن أبي هريرة قال: «إنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: إذا قَضى اللهُ الأمرَ في السماء ضرَبَتِ الملائكة بأجنحَتِها خُضعاناً لقولِه كأنه سِلْسلةٌ على صَفوان، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحقَّ، وهو العليُّ الكبير، فيسمعُها مسترقُ السَّمْع ومسترقُ السمع هكذا بعضهُ فوقَ بعض -ووصف سفيانُ بكفِّه فحرَّفَها وبدَّدَ بين أصابعه- فيسمعُ الكلمةَ فيُلقيها إلى مَن تحتَه، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان السَّاحرِ أو الكاهن، فربَّما أدركَ الشِّهابُ قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبلَ أن يدركَهُ فيكذبُ معَها مائةَ كذْبة، فيقال: أليس قد قال لنا يومَ كذا، وكذا كذا وكذا، فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سمعْ من السماء».

قوله (إذا قضى الله الأمر في السماء) في حديث النواس بن سمعان عند الطبراني مرفوعاً «إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع أهل السماء بذلك صعقوا وخروا سجدا، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه، بما أراد، فينتهي به على الملائكة، كلما مر بسماء سأله أهله ماذا قال ربنا؟ قال الحق، فينتهي به حيث أمر».

قوله (على صفوان) وعند مسلم والترمذي من طريق علي بن الحسين بن علي عن ابن عباس عن رجال من الأنصار أنهم كانوا عند النبي ﷺ، فرمى بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون لهذا إذا رمي به في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول مات عظيم أو يولد عظيم، فقال: إنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح سماء الدنيا، ثم يقولون لحملة العرش: ماذا قال ربكم» الحديث.

٢ ـ باب {إن هوَ إلاَّ نذيرٌ لكم بينَ يدَيْ عذابٍ شديد}

٤٨٠١ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «صَعَدَ النبيُّ ﷺ الصَّفا ذاتَ يوم فقال: يا صباحاه، فاجتمعَت إليه قريش، قالوا: مالك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ العدوَّ يصبِّحكم أو يمسِّيكم أما كنتم تصدِّقونني؟ قالوا: بلى قال: فإني نَذيرٌ لكم بينَ يدَي عذابٍ شديد، فقال أبو لهب: تبًّا لكَ ألهذا جمعتَنا؟ فأنزَلَ الله {تَبَّت يدا أبي لهب}

قوله (باب قوله[١] إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) ذكر فيه طرفاً من حديث ابن عباس في نزول قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} وقد تقدم شرحه مستوفى في سورة الشعراء[٢].

(١) في المتن بدون "قوله" واليونينية توافق الشرح ولكن بدون التبويب.
(٢) كتاب التفسير "الشعراء" باب / ٢ ح ٤٧٧٠ - ٣ / ٦٣٩.

(٣٥) سورةُ الملائكة

قال مجاهد: القِطْمير لِفافةُ النَّواة، مُثْقَلةٌ مُثَقَّلةٌ، وقال ابنُ عباس: الحَرُوْرَ بالليل والسَّمُوم بالنهار، وقال غيره: الحرور بالنهار مع الشمس، وغرابيب سُود: أشدُّ سواداً الغِربيب.

قوله (القطمير لفافة النواة) وروي سعيد بن منصور من طريق عكرمة عن ابن عباس: القطمير القشر الذي يكون على النواة.

(٣٦) سورةُ يس

وقال مجاهد: فعزَّزْنا شدَّدنا، يا حَسرةً على العباد، وكان حَسرةً عليهم استهزاؤهم بالرُّسل، أن تدرِكَ القمر، لا يَستُرُ ضوءُ أحدِهما ضوءَ الآخر، ولا ينبغي لهما ذلك، سابق النهار يتطالبان حَثيثين، نَسلخُ نُخرِج أحدَهُما من الآخر، ويَجري كل واحد منهما من مثلهِ من الأنعام، فكهون[1] مُعجَبون، جندٌ مُحضَرون عندَ الحساب، ويذكر عن عِكرِمة المشحون المُوقَر، وقال ابنُ عباس طائركم مَصائبكم، ينسِلون يَخرُجون مرقدنا مَخرَجنا، أحصَيناهُ حَفظناه، مكانتكم ومكانكم واحد.

قوله (من مثله من الأنعام) وصله الفريابي أيضاً من طريق مجاهد، وعن ابن عباس قال: المراد بالمثل هنا السفن، ورجح لقوله بعد {وإن نشأ نغرقهم} إذ الغرق لا يكون في الأنعام.

قوله (فكهون معجبون) وقد وصله الفريابي من طريق مجاهد: فاكهون معجبون، قال أبو عبيدة: من قرأها فاكهون جعله كثير الفاكهة.

وأما فكهون فهي قراءة أبي جعفر وشيبة وهي بوزن فرحون، ومعناه مأخوذ من الفاكهة وهي التلذذ والتنعم.

قوله (وقال ابن عباس: طائركم عند الله مصائبكم) وتقدم في أحاديث الأنبياء ، وللطبري من وجه آخر عن ابن عباس قال: طائركم أعمالكم، وقال أبو عبيدة: طائركم أي حظكم من الخير والشر.

١ ـ باب {والشَّمسُ تَجري لمستَقَرٍّ لها ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ}

٤٨٠٢ ـ عن أبي ذَرّ رضيَ الله عنه قال: «كنتُ مع النبيِّ ﷺ في المسجدِ عندَ غروبِ الشمسِ فقال: يا أبا ذرّ، أتدري أينَ تَغرُبُ الشمس؟ قلتُ: اللهُ ورسولهُ أعلم، قال: فإنها تَذهَبُ حتى تَسجُدَ تحتَ العرش، فذلك قوله تعالى {والشمسُ تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقديرُ العزيز العلم}».

٤٨٠٣ ـ عن أبي ذرٍ قال: «سألتُ النبيَّ ﷺ عن قولهِ تعالى {والشمسُ تجرِي لمستَقَرٍّ

(١) قراءة حفص عن عاصم "فاكهون".

لها} قال: مُستقرُّها تحت العَرش».

وروى عبد الرزاق من طريق وهب عن جابر عن عبد الله بن عمرو في هذه الآية قال: مستقرها أن تطلع فيردها ذنوب بني آدم، فإذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها، فتقول: إن السير بعد، وإني إن لا يؤذن لي لا أبلغ، فتحبس ما شاء الله، ثم يقال: اطلعي من حيث غربت، قال: فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفساً إيمانها، وأما قوله «حتى العرش» فقيل هو حين محاذاتها، ولا يخالف هذا قوله {وجدها تغرب في عين حمئة} فإن المراد بها نهاية مدرك البصر إليها حال الغروب، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب، وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهي إليه في الارتفاع، وذلك أطول يوم في السنة، وقيل إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا.

قلت: وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري، والله أعلم.

(٣٧) سورة الصَّافَات

وقال مجاهد: {ويَقْذِفونَ بالغيب من مكانٍ بعيد}: من كلِ مكان، ويُقْذَفُون من كل جانب، دُحورا يُرمَون، واصِب دائم، لازب لازم، تأتوننا عنِ اليمين يعني الحقَّ، الكفّارُ تقوله للشياطين، غَولٌ وَجعُ بطن يُنزَفون لا تَذهَبُ عقولهم، قرين شيطان، يُهرَعون كهيئة الهرولة يَزِفُّون النسلان في المشي، وبينَ الجِنَّةِ نَسباً، قال كفارُ قريش: الملائكة بناتُ الله، وأمهاتهم بناتُ سَرَواتِ الجنّ، وقال اللهُ تعالى: {ولقد علمتِ الجِنَّة إنهم لمحضرون} سيُحضَرون للحساب، وقال ابنُ عباس {لنحن الصافُّون} الملائكة، {صِراطِ الجحيم} ووسَط الجحيم، لشَوباً: يُخلَطُ طعامهم ويساط بالحميم، مدحورا: مطرودا، بَيْضٌ مَكْنُونٌ: اللؤلؤ المكنون، {وتركنا عليه في الآخرِين} يُذكَرُ بخير، يَستَسْخِرون: يَسخَرون، بَعْلاً: ربّاً، الأسباب: السماء.

قوله (وقال مجاهد ويقذفون بالغيب من مكان بعيد من كل مكان، ويقذفون من كل جانب، دحوراً يرمون، واصب دائم، لازب لازم) وروى الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله {ويقذفون بالغيب من مكان} يقولون هو ساحر هو كاهن هو شاعر.

قوله (تأتوننا عن اليمين، يعني الحق، الكفار تقوله للشياطين) وقد وصله الفريابي عن مجاهد بلفظ «إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال الكفار تقوله للشياطين» ولم يذكر الزيادة، فدل على أنه شرح من المصنف، ولكن من الروايتين وجه، فمن قال: «يعني الجن» أراد بيان المقول له وهم الشياطين، ومن قال: «الحق» بالمهملة والقاف أراد تفسير لفظ اليمين أي كنتم تأتوننا من جهة الحق فتلبسوه علينا، ويؤيده تفسير قتادة قال: يقول الإنس للجن: كنتم تأتوننا عن اليمين، أي من طريق الجنة تصدوننا عنها.

قوله (يزفون النسلان في المشي) والنسلان بفتحتين الإسراع مع تقارب الخطأ، وهو دون السعي.

قوله (بعلا ربا) ثبت هذا للنسفي وحده، وقد وصله ابن أبي حاتم من طريق عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس أنه أبصر رجلاً يسوق بقرة فقال: من بعل هذه؟ قال فدعاه فقال: من أنت؟ فقال من أهل اليمن، قال: هي لغة {أتدعون بعلا} أي ربا.

١ - باب {وإنَّ يونُسَ لَمنَ المُرسَلين}

٤٨٠٤ - عن عبدِ الله رضيَ الله عنهُ قال: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ما يَنبغي لأحدٍ أن يكونَ خيراً منِ ابن مَتّى».

٤٨٠٥ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «مَن قال أنا خيرٌ من يونُسَ بن مَتّى فقد كَذَب».

قوله (باب قوله[١]: وإن يونس لمن المرسلين) ذكر فيه حديث ابن مسعود «لا ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يونس بن متى «وحديث أبي هريرة «من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب» وقد تقدم شرحه في أحاديث الأنبياء[٢] ولله الحمد.

(٣٨) سورةُ ص

٤٨٠٦ - عن العَوّام قال: «سألتُ مجاهداً عنِ السجدةِ في ص قال: سُئلَ ابنُ عباس فقال: {أولئك الذين هَدَى اللهُ فبهُداهمُ اقتَده}[١] وكان ابنُ عباس يسجدُ فيها».

٤٨٠٧ - عن العَوّام قال: «سألتُ مجاهداً عن سجدةِ ص فقال: سألتُ ابن عباس من أينَ سجدتَ؟ فقال: أو ما تَقرأ {ومن ذرِّيته داودَ وسليمانَ أولئك الذينَ هَدَى الله فبهُداهُم اقتَدِه} فكان داودُ ممن أمرَ نبيُّكم ﷺ أن يَقتدِيَ به، فسجَدَها داودُ فسجدَها رسولُ الله ﷺ» عُجاب: عجيب، القِطُّ: الصحيفة، وهو ها هنا صحيفة الحسنات، وقال مجاهد: في عِزَّةٍ مُعازِّين، المِلّة الآخرة: ملّةُ قريش، الاختلاق: الكذب، الأسباب طُرُق السماء في أبوابها {جندٌ ما هنالك مَهزوم} يعني قريشاً، أولئك الأحزاب: القرون الماضية، فَواق: رُجوع، قِطَّنا: عذابَنا، {اتَّخذناهم سِخْرِيًّا} أحَطْنا بهم، أتراب: أمثال، وقال ابنُ عباس: الأيد القوة في العبادة، الأبصار: البصرُ في أمر الله، {حبَّ الخير عن ذِكر ربي} من ذِكر، طَفِق مَسحاً: يَمسَحُ أعرافَ الخيل وعراقيبها، الأصفاد: الوَثاق.

قوله (سورة ص- بسم الله الرحمن الرحيم[٣]) وحكمها حكم الحروف المقطعة أوائل السور، وسيأتي مزيد بيان أسماء السورة في أول غافر.

قوله (فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ) وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بالسجود في ص في كتاب سجود[٤] التلاوة مستوفى.

قوله (فواق رجوع) وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي ما لها من فواق يقول ليس لهم

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

(٢) كتاب الأنبياء باب / ٣٥ ح ٣٤١٦ - ٣ / ٤٦.

(٣) في المتن واليونينية بدون البسملة.

(٤) كتاب سجود القرآن باب / ٣ ح ١٠٦٩ - ١ / ٥٥٣.

إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا.

قوله (قطنا عذابنا) ولا منافاة بينه وبين ما تقدم فإنه محمول على أن المراد بقولهم قطنا أي نصيبنا من العذاب.

قوله (اتخذناهم سخريا أَحَطْنَا بهم) وقد أخرجه ابن أبي حاتم من طريق مجاهد بلفظ أخطأناهم أم هم في النار لا نعلم مكانهم، وقال ابن عطية المعنى ليسوا معنا أم هم معنا لكن أبصارنا تميل عنهم.

قوله (أتراب أمثال) قال أبو عبيدة الأتراب جمع تِرْب، من يولد في زمن واحد.

٢ ـ باب {هَبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، إنَكَ أنتَ الوهّاب}

٤٨٠٨ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ عِفريتاً منَ الجنِّ تفلَّتَ عَليَّ البارحةَ -أو كلمةً نحوَها- ليقطعَ عَليَّ الصلاة، فأمكنَني اللهُ منه، وأردتُ أن أربطهُ إلى ساريةٍ من سَواري المسجد، حتى تُصبِحوا وتَنظروا إليه كلكم، فذكرتُ قولَ أخي سليمانَ {ربِّ هب لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي} قال: رَوحٌ: فردَّهُ خاسئاً».

قوله (باب قوله[١] هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) تقدم شرحه في ترجمة سليمان عليه السلام من أحاديث الأنبياء[٢].

٣ ـ باب {وما أنا منَ المتكلِّفين}

٤٨٠٩ ـ عن مسروقٍ قال: «دَخلنا على عبدِ الله بن مسعودٍ قال: يا أيها الناسُ مَن علمَ شيئاً فليَقُل به، ومن لم يَعلَم فليَقل اللهُ أعلَم، فإنَّ من العلم أن يقولَ لما لا يعلمُ: اللهُ أعلم، قال اللهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّه ﷺ {قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا منَ المتكلفين} وسأحدِّثكم عنِ الدُّخان، إنَّ رسولَ الله ﷺ دَعا قريشاً إلى الإسلام، فأبطئوا عليه، فقال: اللهمَّ أعنِّي عليهم بسَبعٍ كسَبعِ يوسُف، فأخَذَتهم سَنةٌ فحصَّتْ كلَّ شيء، حتى أكلوا الميتةَ والجلودَ، حتى جعلَ الرجلَ يَرى بينَهُ وبينَ السماءِ دُخاناً منَ الجوع، قال اللهُ عزَّ وجل {فارتَقِبْ يوم تَأتي السماءُ بدُخانٍ مُبين، يَغشى الناسَ هذا عذابٌ أليم} قال فدعَوا {ربَّنا اكشِفْ عنا العذابَ إنا مؤمنون، أنى لهمُ الذِّكرَى وقد جاءهم رسولٌ مبين، ثمَّ تولوا عنه وقالوا معلَّمٌ مجنون، إنّا كاشِفوا العذابِ قليلا، إنكم عائدون}، أفيُكشَفُ العذاب يومَ القيامة؟ قال: فكُشفَ، ثم عادوا في كفرِهم، فأخذَهم اللهُ يومَ بدرٍ، قال اللهُ تعالى: {يَومَ نَبطِشُ البَطشةَ الكبرَى إنّا منتَقِمون}.

قوله (باب قوله[٣] وما أنا من المتكلفين) ذكر فيه حديث ابن مسعود في قصة الدخان وقد تقدم قريباً في تفسير سورة الروم ويأتي في تفسير الدخان[٤] وتقدم ما يتعلق منه بالاستسقاء في بابه .

(١) في المتن وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

(٢) كتاب الأنبياء باب / ٤٠ ح٣٤٣٢ - ٣ / ٤٩.

(٣) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

(٤) كتاب التفسير الدخان باب /٣- ٣ / ٦٧٩.

(٣٩) سورةُ الزُّمر

وقال مجاهد: {أفَمن يَتَّقي بوَجهِهِ} يُجَرُّ عَلَى وجهِهِ في لنار، وهو قوله تعالى {أفَمن يُلقى في النار خيرٌ أم مَن يأتي آمِناً يوم لقيامة}، {ذي عِوَجٍ} لَبْسٍ، {رجُلاً سَلَماً لرجُل}: صالحاً؛ مثلٌ لآلهتهم الباطل والإله الحقّ، {ويخوِّفونك بالذينَ من دونه}: بالأوثان، {خَوَّلنا}: أعطَينا، {والذي جاء بالصِّدق}: القرآن، {وصدَّق به}: المؤمن يجيءُ يومَ القيامة يقول: هذا الذي أعطيتَني عملتُ بما فيه، {مُتَشاكِسون}: الرجلُ الشَّكِسُ العَسِر الذي لا يرضى بالإنصاف، {ورجُلاً سلماً} ويقال «سالماً»: صالحاً، {اشمأزَّت}: نَفَرت، {بَمفازَتهم} من الفَوز، {حافِّين}: أطافوا به، مُطِيفِين، {بِحفافَيه}: بجَوانبِهِ، {مُتشابهاً} ليس من الاشتباه، ولكن يُشبِهُ بعضُهُ بعضاً في التصديق.

قوله (وقال مجاهد[١] يتقي وجهه يجر على وجه في النار، وهو قوله أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة) وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عيينة عن بشر بن تميم قال: نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر، أفمن يلقى في النار أبو جهل خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة عمار.

قوله (والذي جاء بالصدق القرآن وصدق به المؤمن يجيء به[٢] يوم القيامة) ووصله ابن المبارك في «الزهد» عن مسعر عن منصور عن مجاهد في قوله عز وجل {والذي جاء بالصدق وصدق به} قال: هم الذين يجيئون بالقرآن قد اتبعوه، أو قال: اتبعوا ما فيه، وأما قتادة فقال: الذي جاء بالصدق النبي، والذي صدق به المؤمنون، أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه، وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الذي جاء بالصدق لا إله إلا الله، وصدق به أي صدق بالرسول.

قوله (ويخوفونك بالذين من دونه: بالأوثان) وقال عبد الرزاق عن معمر قال لي رجل «قالوا للنبي ﷺ: لتكفن عن شتم آلهتنا ولنأمرنها فلتخبلنّك، فنزلت: ويخوفونك».

١ - باب {يا عباديَ الذينَ أسرَفوا عَلَى أنفُسهم لا تَقنَطوا من رَحمةِ الله، إنَّ اللهَ يغفرُ الذُّنوب جميعاً، إنهُ هوَ الغَفورُ الرحيم}

٤٨١٠ - عن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما «إنَّ ناساً من أهل الشِّركِ كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتَوا محمداً ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتَدعوا إليه لَحَسَن، لو تُخبِرُنا أنَّ لما عملنا كفَّارة، فنزل {والذين لا يَدعونَ معَ الله إلهاً آخَرَ، ولا يَقتلونَ النَّفْسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحق، ولا يزنون} ونزلَ {قل يا عبادي الذين أسرَفوا عَلَى أنفسهم لا تَقنَطوا من رحمةِ الله}».

---

(١) رواية الباب واليونينية "وقال مجاهد: أفمن يتقي بوجهه" ص ٥٤٨.
(٢) في المتن واليونينية "يجيء" فقط ..." ص ٥٤٨.

قوله (باب قوله[١]{يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله} الآية) ذكر فيه حديث ابن عباس «إن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا».

قوله (لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة) في رواية الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس أن السائل عن ذلك هو وحشي بن حرب قاتل حمزة وأنه لما قال ذلك نزلت {إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحا} الآية فقال: هذا شرط شديد، فنزلت {قل يا عبادي} الآية، وروى ابن إسحق في «السيرة» قال: حدثني نافع عن ابن عمر عن عمر قال: «اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص أن نهاجر إلى المدينة» فذكر الحديث في قصتهم ورجوع رفيقه فنزلت {قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم} الآية قال فكتبت بها إلى هشام.

قوله (ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) في رواية الطبراني «فقال الناس: يا رسول الله إنا أصبنا ما أصاب وحشي، فقال هي للمسلمين عامة» وروى أحمد الطبراني في «الأوسط» من حديث ثوبان قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أحب أن لي بهذه الآية الدنيا وما فيها {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم} الآية، فقال رجل: ومن أشرك؟ فسكت ساعة ثم قال: ومن أشرك ثلاث مرات» واستدل بعموم هذه الآية على غفران جميع الذنوب كبيرها وصغيرها سواء تعلقت بحق الآدميين أم لا؛ والمشهور عند أهل السنة أن الذنوب كلها تغفر بالتوبة، وأنها تغفر لمن شاء الله ولو مات على غير توبة، لكن حقوق الآدميين إذا تاب صاحبها من العود إلى شيء من ذلك تنفعه التوبة من العود، وأما خصوص ما وقع منه فلا بد له من رده لصاحبه أو محاللته منه.

٢ ـ باب {وما قَدَروا الله حقَّ قَدْرِه}

٤٨١١ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه قال: «جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمدُ، إنّا نجدُ أنَّ اللهَ يجعلُ السماواتِ عَلَى إصبْع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماءَ والثّرَى على إصبع، وسائرَ الخلائقِ على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بدَتْ نواجذُهُ تصديقا لقول الحَبر، ثمَّ قَرأَ رسولُ اللهِ ﷺ {وما قَدَروا الله حقَّ قدرِه والأرضُ جميعاً قبضَتُه يومَ القيامة، والسماوات مَطويّاتٌ بيمينه، سبحانَهُ وتعالى عما يُشركون}».

[الحديث ٤٨١١ - أطرافه في: ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣]

قوله (إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع الحديث) يأتي شرحه في كتاب التوحيد[٢] إن شاء الله تعالى.

---

(١) في المتن بدون "قوله" بدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب التوحيد باب١٩/ ح ٤٧١٤ - ٥ / ٥٥٨.

قال النووي: وظاهر السياق أنه ضحك تصديقاً له بدليل قراءته الآية التي تدل على صدق ما قال الحبر، والأولى في هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه، فإن كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد.

٣ ـ باب {والأرضُ جميعاً قَبضَتُهُ يومَ القِيامةِ، والسماوات مَطْوِياتٌ بيمينه}

٤٨١٢ ـ عن أبي سَلمةَ أنّ أبا هريرةَ قال: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يَقبِضُ اللهُ الأرضَ، ويَطوِي السماوات بيمينهِ ثم يقول: أنا الملِك، أين مُلوكُ الأرضِ؟»».

[الحديث ٤٨١٢ - أطرافه في: ٦٥١٩، ٧٣٨٢، ٧٤١٣]

قوله (باب قوله[١]: والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) ثم ذكر فيه حديث أبي هريرة، وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى.

٤ ـ باب {ونُفِخَ في الصُّور، فصَعِقَ مَن في السماوات ومَن في الأرض، إلا مَن شاءَ الله، ثمَّ نُفِخَ فيه أخرى فإذا هم قِيامٌ ينظرون}

٤٨١٣ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: إني أولُ مَن يَرفعُ رأسَهُ بعدَ النفخةِ الآخرة، فإذا أنا بموسى مُتعلِّقٌ بالعرش، فلا أدرِي، أكذلكَ كان، أم بعدَ النفخة؟».

٤٨١٤ ـ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرةَ، أربعونَ يوماً؟ قال: أبَيتُ، قال: أربعون سنة؟ قال: أبَيتُ، قال: أربعونَ شهراً؟ قال: أبَيتُ، ويَبلى كلُّ شيءٍ من الإنسان، إلا عَجْبَ ذَنَبه، فيه يُركَّبُ الخَلق».

[الحديث ٤٨١٤ - طرفه في: ٤٩٣٥]

قوله (إني من أول من يرفع رأسه) تقدم شرحه مستوفى في ترجمة موسى من أحاديث الأنبياء[٢].

قوله (أبيت) بموحدة أي امتنعت عن القول بتعيين ذلك لأنه ليس عندي في ذلك توقيف.

قوله (ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، فيه يركب الخلق) في رواية مسلم «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحدا، وهو عظم لطيف في أصل الصلب، وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع.

قال ابن الجوزي قال ابن عقيل: لله في هذا سر لا يعلمه إلا الله، لأن من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه، ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامة للملائكة على إحياء كل إنسان بجوهره، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظم كل شخص ليعلم

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) كتاب الأنبياء باب / ٣٥ ح ٣٤١٤ - ٣ / ٤٦.

أنه إنّما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان التي هي جزء منها، ولولا إبقاء شيء منها لجوزت الملائكة أن الإعادة إلى أمثال الأجساد لا إلى نفس الاجساد.

وقال العلماء: هذا عام يخص منه الأنبياء، لأن الأرض لا تأكل أجسادهم، والحق ابن عبد البر بهم الشهداء والقرطبي المؤذن المحتسب، قال عياض فتأويل الخبر وهو كل ابن آدم يأكله التراب أي كل ابن آدم مما يأكله التراب وإن كان التراب لا يأكل أجساداً كثيرة كالأنبياء.

قوله (إلا عجب ذنبه) أخذ بظاهره الجمهور فقالوا: لا يبلى عجب الذنب ولا يأكله التراب.

(٤٠) سورةُ المؤمنُ

قال مجاهد: مَجازُها مجازُ أوائل السُّوَر، ويقال: بل هو اسم، لقول شُرَيح بن أبي أوفى العَبسي:

يُذكِّرُني حاميمَ الرُّمحُ شاجِر فهلاً تلا حاميمَ قبلَ التَّقدُّم

الطَّول: التفضُّل، داخِرين خاضعين، وقال مجاهد {إلى النَّجاة}: الإيمان، ليس لهُ دَعوة يعني الوَثن، {يُسجَرون} تُوقدُ بهم النار، {تَمرَحون} تَبطَرون، وكان العلاء بن زياد يَذكر النارَ، فقال رجل: لَم تقنِّط الناسَ؟ قال: وأنا أقدرُ أن أقنِّط الناس؟ والله عزَّ وجلَّ يقول {يا عِباديَ الذين أسرَفوا على أنفسهم لا تَقنَطوا من رحمةِ الله} ويقول {وإنَّ المسرِفينَ هم أصحابُ النار} ولكنَّكم تحبُّونَ أن تُبشروا بالجنة عَلَى مَسَاوِئ أعمالكم، وإنما بَعثَ اللهُ محمداً ﷺ مُبشراً بالجنةِ لمن أطاعه، ومُنذِراً بالنارِ لِمن عصاه».

٤٨١٥ ـ عن عروةَ بن الزبير قال: «قلتُ لعبدِ الله بن عمرِو بن العاص: أخبِرني بأشدِّ ما صنعَ المشركونَ برسولِ الله ﷺ، قال: بينا رسولُ الله ﷺ يُصلِّي بفناءِ الكعبة إذ أقبلَ عُقبةُ بن أبي معُيط فأخذَ بمنكب رسول الله ﷺ ولَوى ثوبَهُ في عُنقه فخَنَقَهُ خَنقاً شديداً، فأقبلَ أبو بكرٍ فأخذَ بَمَنكِبِهِ ودفعَ عن رسولِ الله ﷺ وقال: {أتقتُلون رجلاً أن يقولَ ربيَ الله، وقد جاءكم بالبيِّناتِ مِن ربِّكم}».

قوله (الطَّول التفضُّل) هو قول أبي عبيدة وزاد تقول العرب للرجل إنه لذو طول على قومه أي ذو فضل عليهم، وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ذي الطول} قال: ذي السعة والغنى، ومن طريق عكرمة قال: ذي المتن، ومن طريق قتادة قال: ذي النعماء.

قوله (تُقَنِّط) أراد بذكر هذه الآية الإشارة إلى الآية الأخرى {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا} فنهاهم عن القنوط من رحمته مع قوله {أن المسرفين هم أصحاب النار} استدعاء منهم الرجوع عن الإسراف والمبادرة إلى التوبة قبل الموت.

- ثم ذكر حديث عروة بن الزبير «قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنعه المشركون» وقد تقدم شرحه في أوائل السيرة النبوية[١].

(٤١) سورة حم السَّجدة

وقال طاوسٌ عنِ ابن عباس {ائتيا طَوعاً أو كَرهاً}: أعطيا، {قالتا: أتينا طائعين} أعطينا، وقال المنهال: عن سعيد قال: قال رجلٌ لابن عباس: إني أجدُ في القرآن أشياء تختلفُ عليَّ، قال: {فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يَتَساءلون}، {وأقبلَ بعضهم على بعض يَتَساءلون}، {ولا يَكتُمونَ اللهَ حديثاً -ربَّنا ما كنّا مشركين} فقد كَتموا في هذه الآية، وقال {أم السماء بناها -إلى قوله- دَحاها} فذكرَ خَلْقَ السماء قبلَ خلق الأرض، ثم قال: {أإنَّكم لتكفُرون بالذي خلقَ الأرضَ في يَومَين -إلى- طائعين} فذكرَ في هذه خلقَ الأرض قبل السماء، وقال تعالى {وكان اللهُ غفوراً رحيما -عزيزاً حكيما- سميعاً بصيرا} فكأنه كان ثم مَضى، فقال: {فلا أنسابَ بينهم} في النفخة الأولى، ثمَّ ينفخ في الصُّور فصَعِقَ مَن في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنسابَ بينهم عند ذلك ولا يَتساءلون ثم في النفخة الآخِرة {أقبلَ بعضُهم عَلَى بعضٍ يَتَساءلون}، وأما قوله {ما كنا مشركِين -ولا يَكتمونَ الله} فإن الله يَغفرُ لأهل الإخلاص ذنوبَهم، وقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين، فخُتِمَ على أفواههِم فتنطقُ أيديهم، فعندَ ذلك عُرِفَ أنَّ اللهَ لا يُكتَمُ حديثاً، وعندَهُ {يَوَدُّ الذين كفَروا} الآية، وخلقَ الأرض في يومين ثم خلقَ السماء، ثم استوى إلي السماء فسوّاهنَّ في يومين آخرين ثم دَحا الأرضَ، ودَحوُها أن أخرجَ منها الماء والمرعى وخلقَ الجبال والجمالَ والآكام وما بينهما في يومين آخرَين فذلك قوله {دحاها} وقوله {خلق الأرضَ في يومين} فجعلَتِ الأرضُ وما فيها من شيء في أربعه أيام، وخُلِقتِ السماواتُ في يومين، {وكان الله غفوراً} سمى نفسَه ذلكَ، وذلكَ قوله، أي لم يَزَلْ كذلك، فإن اللهَ لم يُرِدْ شيئاً إلا أصابَ به الذي أراد، فلا يَختلفْ عليك القرآن، فإنَّ كلاً من عند الله» قال أبو عبد الله: حدَّثنيه يوسفُ بن عَديٍّ حدثنا عُبيدُ الله بن عمرو عن زيد بن أبي أُنيسة عن المنهال بهذا.

وقال مجاهد: {لهم أجرٌ غير مُمنون}: محسوب، أقواتَها: أرزاقَها، في كل سماء أمرَها: مما أمر به، نَحِسات مشائيم، وقَيَّضنا لهم قُرَناء تتنزَّل عليهم الملائكة عندَ الموت، اهتزَّت: بالنبات، وربَت: ارتفعتَ، وقال غيرهُ من أكمامها حين تَطلعُ، لَيقولَنَّ هذا لي: أي بعلمي، أنا محقوقٌ بهذا، سواء للسائلين: قدَّرَها سواءً، فهديناهم دَللناهم على الخير والشر كقوله {وهدَيناه النَّجدَين}، وكقوله هدَيناهُ السبيل، والهدَى الذي هو الإرشاد بمنزلة أسعدناه، من

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٢٩ ح ٣٨٥٦ - ٣ / ٢٠٨.

ذلك قوله {أولئك الذين هَدى الله فبهُداهم اقتَدِه}، يُوزَعون: يُكَفُّون، من أكمامها: قِشْرُ الكفُرَّى، هي الكُم، وليٌّ حَميم: القَريب، مِنَ مَحيص: حاصَ عنه، حادَ عنه، مِرية ومُرية واحد أي امتراء، وقال مجاهد: اعمَلوا ما شئتم} الوَعيدُ، وقال ابن عباس {ادفع بالتي هي أحسَنُ}: الصبرُ عند الغضب والعفو عندَ الإساءة، فإذا فعلوه عصمَهُمُ الله وخَضعَ لهم عدوُهم {كأنه وليٌّ حميم}.

قوله (وقال طاوس عن ابن عباس {ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين} أعطينا) وصله الطبري وابن أبي حاتم بإسناد على شرط البخاري في الصحة، ولفظ الطبري في قوله {ائتيا} قال أعطيا وفي قوله {قالتا أتينا} قالتا أعطينا، وقال عياض: ليس أتى هنا بمعنى أعطى، وإنما هو من الأتيان وهو المجيء بمعنى الإنفعال للوجود، بدليل الآية، نفسها، وبهذا فسره المفسرون أن معناه جيئاً بما خلقت فيكما وأظهراه، قالتا أجبنا، وروى ذلك عن ابن عباس قال وقد روى عن سعيد بن جبير نحو ما ذكره المصنف، ولكنه يخرج على تقريب المعنى أنهما لما أمرتا باخراج ما فيهما من شمس وقمر ونهر ونبات وغير ذلك وأجابتا إلى ذلك كان كالإعطاء، فعبر بالإعطاء عن المجيء بما أودعتاه.

قوله (قال رجل لا بن عباس) كأنه هذا الرجل هو نافع بن الأزرق الذي صار بعد ذلك رأس الأزراقة من الخوارج وكان يجالس ابن عباس بمكة ويسأله ويعارضه.

وروى الطبراني من حديث الضحاك بن مزاحم قال: «قدم نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر في نفر من رءوس الخوارج مكة» فإذا هم بابن عباس قاعدا قريباً من زمزم والناس قياماً يسألونه، فقال له نافع بن الأزرق: أتيتك لأسألك، فسأله عن أشياء كثيرة من التفسير، ساقها في ورقتين، وأخرج الطبري من هذا الوجه بعض القصة ولفظه «أن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال: قول الله {ولا يكتمون الله حديثاً} وقوله {والله ربنا ما كنا مشركين} فقال: إني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم أين ابن عباس فألقي عليه متشابه القرآن؟ فأخبرهم أن الله تعالى إذا جمع الناس يوم القيامة قال المشركون: إن الله لا يقبل إلا من وحده، فيسألهم فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، قال يختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم» انتهى.

قوله (إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ) أي تشكل وتضطرب، لأن بين ظواهرها تدافعا، زاد عبد الرزاق في روايته عن معمر عن رجل عن المنهال بسنده «فقال ابن عباس: ما هو، أشكٌّ في القرآن قال: ليس بشك ولكنه اختلاف، فقال: هات ما اختلف عليك من ذلك، قال: أسمع الله يقول، وحاصل ما وقع السؤال في حديث الباب أربعة مواضع: الأول نفي المسائلة يوم القيامة وإثباتها، الثاني كتمان المشركين حالهم وافشاؤه الثالث خلق السماوات والأرض أيهما تقدم، الرابع الإتيان بحرف «كان» الدال على الماضي مع أن الصفة

لازمة وحاصل جواب ابن عباس عن الأول أن نفي المسائلة فيما قبل النفخة الثانية وإثباتها فيما بعد ذلك، وعن الثاني أنهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم، وعن الثالث أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوة ثم خلق السماء فسوها في يومين ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين فتلك أربعة أيام للأرض، فهذا الذي جمع به ابن عباس بين قوله تعالى في هذه الآية وبين قوله {والأرض بعد ذلك دحاها} هو المعتمد.

وعن الرابع بأن «كان» وإن كانت للماضي لكنها لا تستلزم الإنقطاع؛ بل المراد أنه لم يزل كذلك، وقد تأول ابن مسعود نفي المسائلة على معنى آخر وهو طلب بعضهم من بعض العفو، فأخرج الطبري من طريق زاذان قال: «أتيت ابن مسعود فقال: أن يثبت لها حق على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون».

قوله (وقيضنا لهم قرناء تتنزل عليهم الملائكة عند الموت) وعند الأصيلي «وقيضنا لهم قرناء قرناهم بهم تتنزل عليهم الملائكة عند الموت» وهذا هو وجه الكلام وصوابه، وليس تتنزل عليهم تفسيراً لقيضنا.

ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: تتنزل عليهم الملائكة وذلك في الآخرة.

قلت: ويحتمل الجمع بين التأويلين فإن حالة الموت أول أحوال الآخرة في حق الميت، والحاصل من التأويلين أنه ليس المراد تتنزل عليهم في حال تصرفهم في الدنيا.

١ ـ باب {وما كنتم تَستَترون أن يَشهَدَ عليكم سمعُكم ولا أبصارُكم ولا جُلودكم، ولكن ظَننتُم أن الله لا يعلمُ كثيراً مما تعمَلون}

٤٨١٦ ـ عن ابن مسعودٍ {وما كنتم تستترون أن يشهدَ عليكم سمعكم} الآية، كان رجلانِ من قُرَيش وخَتَن لهما من ثقيف -أو رجلان من ثقيف وخَتَنٌ لهما من قُرَيش- في بيت، فقال بعضُهم لبعضٍ أتَرَونَ أنَّ الله يسمعُ حديثنا؟ قال بعضهم: يسمع بعضَه، وقال بعضهم: لئن كان يسمعُ بعضه لقد يسمع كله، فأُنزلت {وما كنتم تَستَتِرون أن يشهدَ عليكم سمعُكم ولا أبصاركم} الآية».

[الحديث ٤٨١٦ - طرفاه في: ٤٨١٧، ٧٥٢١]

قوله (باب قوله {وما كنتم تَستَتِرون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم} الآية) قال الطبري: اختلف في معنى قوله «تستترون» ثم أخرج من طريق السدي قال: تستخفون ومن طريق مجاهد قال: تتقون، ومن طريق شعبة عن قتادة قال: «ما كنتم تظنون أن يشهد عليكم الخ.

قوله (عن ابن مسعود: وما كنتم تستترون) أي قال في تفسير قوله تعالى {وما كنتم تستترون}.

٢ ـ باب {وذلكمُ ظنُّكُم الذي ظننتُم بربكم أَرْدَاكُمْ فأصبحتُم منَ الخاسِرين}

٤٨١٧ ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: «اجتمعَ عندَ البيت قرشيان وثقفيٌ -أو ثقفيان وقرَشي- كثيرةٌ شَحْم بُطونهم، قليلةٌ فقهُ قلوبهم، فقال أحدُهُم: أَتُرونَ أنَّ اللهَ يسمعُ ما نقول؟ قال الآخرُ: يسمعُ إن جَهَرنا ولا يسمع إن أخفَينا، وقال الآخر إن كان يَسمعُ إذا جَهَرنا فإنه يَسمعُ إذا أخفَينا، فأنزَلَ اللهُ عزَّ وجل {وما كنتم تَستَتِرون أن يشهَد عليكم سمعُكم ولا أبصاركم ولا جُلودُكم} الآية».

قوله (باب وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) الإشارة في **قوله** {وذلكم} لما تقدم من صنيع الاستتار ظناً منهم أنهم يخفى عملهم عند الله، وهو مبتدأ والخبر أرداكم، وظنكم يدل من ذلكم، ثم ذكر فيه الحديث الذي قبله من طريق أخرى.

قوله (اجتمع عند البيت) أي عند الكعبة.

قوله (لئن كان[٢] يسمع بعضه لقد سمع كله) أي لأن نسبة جميع المسموعات إليه واحدة فالتخصيص تحكم، وهذا يشعر بأن قائل ذلك كان أفطن أصحابه.

(٤٢) سورة حم عسق

ويُذكَرُ عنِ ابن عباس: عَقيماً لا تَلِدُ، رُوحاً من أمرنا: القرآنُ، وقال مجاهدٌ: يذرؤكم فيه نَسلٌ بعدَ نسل، لا حُجَّةَ بيننا: لا خُصومة بيننا وبينكم، من طَرْفٍ خَفِيٍّ: ذليل، وقال غيرُهُ: فيَظْللن رَواكِدَ على ظهرِهِ يَتَحَرَّكن ولا يَجرينَ في الحبر، شَرَعوا: ابتدَعوا.

١ ـ باب {إلا المودَّة في القُربى}

٤٨١٨ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما أنه سُئِلَ عن قوله {إلاَّ المودَّةَ في القربى} فقال سعيدُ بن جُبيَر: قُربى آلِ محمدٍ ﷺ ، فقال ابن عباسٍ: عجلتَ، إنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن بَطنٌ من قُريش إلا كان له فيهم قَرابة، فقال: إلا أن تَصِلوا ما بيني وبينكم منَ القرابة».

قوله (باب قوله[١] إلا المودة في القربى) ذكر فيه حديث طاوس «عن ابن عباس «سئل عن تفسيرها، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلت» أي أسرعت في التفسير.

والمعنى إلا أن تودوني لقرابتي فتحفظوني، والخطاب لقريش خاصة، والقربى قرابة العصوبة والرحم، فكأنه قال احفظوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة.

والحاصل أن سعيد بن جبير ومن وافقه كعلي بن الحسين والسدي وعمرو بن شعيب فيما أخرجه الطبري عنهم حملوا الآية على أمر المخاطبين بأن يواددوا أقارب النبي ﷺ، وابن عباس حملها على أن يواددوا النبي ﷺ من أجل القرابة التي بينهم وبينه، فعلى الأول

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) رواية الباب واليونينية "إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا".

الخطاب عام لجميع المكلفين، وعلى الثاني الخطاب خاص بقريش، ويويد ذلك أن السورة مكية.

(٤٣) سُورةُ الزُّخرُف

وقال مجاهد {على أمة}: على إمام، {وقِيلَهُ يا ربِّ} تفسيرُه: أيَحسِبون أنّا لا نَسمعُ سِرَّهم ونجواهم ولا نسمعُ قِيلَهم، وقال ابنُ عباس: {ولولا أن يكونَ الناسُ أُمةً واحدة}: لولا أن جعلَ الناسَ كلهم كفّاراً لجعلت لبيوت الكفّار سَقفاً من فضة ومَعارِجَ من فضة -وهي دَرَجٌ- وسُرُرَ فضة: مُقرِنين: مطيقين، آسَفونا: أسخَطونا، يَعْشُ: يعمى، وقال مجاهد: {أفنَضربُ عنكم الذكر} أي تُكذِّبون بالقرآن ثمَّ لا تُعاقَبون عليه؟ {ومضى مثَل الأولين} سُنَّةُ الأولين، مقرنين يعني الإبل والخيلَ والبغال والحمير {يُنَشَّأُ في الحِلية} الجواري جعلتموهن للرحمن ولَدا {فكيف تحكمون}، {لو شاء الرحمنُ ما عبدناهم} يَعنونَ الأوثانَ، يقول اللهُ تعالى {مالهم بذلك من علم} الأوثان، إنهم لا يعلمونَ. في عَقبه: ولَده، مقترنين: يَمشونَ معاً سَلَفاً قوم فرعونَ سلفاً لكفّارِ أمةِ محمد ﷺ، ومَثلا: عِبرة، يَصِدُّون: يضِجُّون، مُبرِمون: مَجمعون، أولُ العابدين: أول المؤمنين، {إنني بَراءٌ مما تعبُدون} العرب تقول: نحنُ منكَ البَراء والخَلاء، والواحدُ والاثنان والجميع منَ المذكر والمؤنث يقال فيه براء لأنه مصدر، ولو قال: «بريء» لقيلَ في الاثنين بريئان وفي الجميع بريئون، وقرَ عبدُ الله «إنني بريء» بالياء، والزُّخرُف: الذهب، ملائكة يخلفون: يَخلُف بعضهم بعضاً.

قوله (على أمة على إمام) وهو قول أبي عبيدة وروى عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله {على أمة} قال: على ملة، وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {على أمة} أي على دين.

قال الطبري: وقراءة الكوفيين وقيله بالجر على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله، قال: وهما قراءتان صحيحتا المعنى.

قوله (وقال ابن عباس: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة الخ) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: أمة واحدة كفاراً، وروى الطبري من طريق عوف عن الحسن في قوله {ولولا أن يكون الناس أمة واحدة} قال: كفاراً يميلون إلى الدنيا، قال: وقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل، فكيف. لو فعل.

قوله (أو من ينشأ[1] في الحلية الجواري، يقول جعلتموهن للرحمن ولداً فكيف تحكمون) والمعنى أنه تعالى أنكر على الكفرة الذين زعموا أن الملائكة بنات الله فقال {أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين} وأنتم تمقتون البنات وتنفرون منهن حتى بالغتم في ذلك فوأدتموهن، فكيف تؤثرون أنفسكم بأعلى الجزأين وتدعون له الجزء الأدنى مع أن صفة هذا

(١) رواية الباب واليونينية بدون "أو من".

الصنف الذي هو البنات أنها تنشأ في الحلية والزينة المفضية إلى نقص العقل وعدم القيام بالحجة، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله {أو من ينشأ في الحلية} قال: البنات {وهو في الخصام غير مبين} قالم فما تكلمت المرأة تريد أن تكلم بحجة لها إلا تكلمت بحجة عليها.

قوله (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم، يعنون الأوثان، يقول الله تعالى: ما لهم بذلك من علم الأوثان إنهم لا يعلمون) وصله الفريابي من طريق مجاهد في قوله { وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم} قال: الأوثان، قال الله {ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون} ما تعلمون قدرة الله على ذلك والضمير في قوله ما لهم بذلك من علم للكفار أي ليس لهم علم بما ذكروه من المشيئة ولا برهان معهم على ذلك إنما يقولونه ظناً وحسبانا، أو الضمير للأوثان ونزلهم منزلة من يعقل ونفى عنهم علم ما يصنع المشركون من عبادتهم.

قوله (أول العابدين أول المؤمنين) وصله الفريابي عن مجاهد بفلظ «أول المؤمنين بالله فقولوا ما شئتم» وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قوله {فإنا أول العابدين} يقول: فإنا أول من عبد الله وحده وكفر بما تقولون.

١ - باب {ونادَوا يامالكُ ليَقْضِ علينا ربُّك} الآية

٤٨١٩ - عن صَفوانَ بن يَعلى عن أبيه قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقرَأُ على المِنبر {ونادَوا يا مالكُ لِيَقْضِ علينا ربك}، وقال قتادةُ {مَثَلاً للآخِرين}: عظةٌ لمن بعدَهم، وقال غيرهُ {مقرِنين}: ضابطِين، يقال فلانٌ مقرن لفلان: ضابطٌ له، والأكواب: الأباريقُ التي لا خَراطيمَ لها، وقال قتادة {في أمِّ الكتاب}: جُملة الكتاب، أصل الكتاب {أوَّلُ العابدين}: أي ما كان فأنا أوَّلُ الآنفِين، وهما لُغتان: رجلٌ عابدٌ وعَبِد، وقرأ عبدُ الله {وقال الرسول يا ربِّ}، ويقال أول العابدين الجاحدين، من عبِدَ يَعبَد.

قوله (باب قوله[(١)] ونادوا يا مالك) ظاهرها أنهم بعدما طال إبلاسهم تكلموا، والمبلس الساكت بعد اليأس من الفرج، فكان فائدة الكلام بعد ذلك حصول بعض فرج لطول العهد.

قوله (أول العابدين أي ما كان فإنا أول الآنفين، وهما لغتان رجل عابد وعبد) وأخرج الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يقول لم يكن للرحمن ولد، ومن طريق سعيد عن قتادة قال: هذه كلمة في كلام العرب، إن كان للرحمن ولد أي إن ذلك لم يكن، ومن طريق زيد بن أسلم قال: هذا معروف من قول العرب: إن كان هذا الأمر قط، أي ما كان.

وقال أبو عبيدة: إن بمعنى ما في قول، والفاء بمعنى الواو، أي ما كان للرحمن ولد وأنا أول العابدين، وقال آخرون: معناه إن كان للرحمن في قولكم ولد فإنا أول العابدين أي

(١) وفي المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

الكافرين بذلك والجاحدين لما قلتم.

٢ ـ باب {أفنَضرب عنكم الذِّكرَ صَفحاً أن كنتم قوماً مُسرِفين}

مشركين، واللهِ لو أنَّ هذا القرآنَ رُفِعَ حيث ردَّه أوائل هذهِ الأمة لهلَكوا {فأهلكْنا أشدَّ منهم بَطشاً، ومضى مَثَل الأوَّلين} عقوبة الأولين، {جزْءاً} عَدلا

قوله ({أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين}: مشركين، والله لو أن هذا القرآن رفع حيث رده أوائل هذه الأمة لهلكوا) وصله ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن أبي عروة عن قتادة بلفظه وزاد: ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم إليه.

(٤٤) سُورةُ حم الدُّخان

وقال مُجاهد{رَهواً}: طريقاً يابساً، ويقال رهواً: سا كناً، {على علمٍ العالمين}: على من بين ظهرَيه، {فاعتُلوه}: ادفَعوه، {وزوَّجناهم بحُورٍ عين}: أنكحناهم حُوراً عينا يُحارُ فيها الطرف، ويقال أن تَرجُمون: القتل، ورَهواً: ساكناً. وقال ابن عباس {كالمُهل}: أسود كمهل الزّيت، وقال غيرهُ {تُبَّع} ملوك اليمن، كلُّ واحدٍ منهم يُسمى تُبَّعاً لأنه يَتبعُ صاحبَه، والظِّلُّ يسمى تبَعاً لأنه يَتبعُ الشمس.

قوله (وقال مجاهد: رهواً طريقاً يابساً، ويقال رهواً ساكنا) أما قول مجاهد فوصله الفريابي من طريقه بلفظه وزاد كهيئته يوم ضرب يقول لا تأمره أن يرجع بل اتركه حتى يدخل آخره، وأخرجه عبد بن حميد من وجه آخر عن مجاهد في قوله «رهوا» قال عبد الرزاق عن معمر عن قتاد عطف موسى ليضرب البحر ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده فقيل له اترك البحر رهواً، يقول كما هو طريقاً يابساً إنهم جند مغرقون، وأما القول الآخر فهو قول أبي عبيدة قال في قوله «واترك البحر رهوا» أي ساكنا، يقال جاءت الخيل رهوا أي ساكنة.

قوله (على علم على العالمين على من بين ظهريه) هو قول مجاهد أيضاً، وصله الفريابي عنه بلفظ فضلناهم على من هم بين ظهريه أي على أهل عصرهم.

قوله (وزوجناهم بحورٍ عين: أنكحناهم حوراً عينا يحار فيها الطرف) وصله الفريابي من طريق مجاهد بلفظ: أنكحناهم الحور التي يحار فيها الطرف، بيان مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون.

قوله (ويقال أن ترجمون: القتل) واختار ابن جرير حمل الرجم هنا على جميع معانيه.

قوله (وقال ابن عباس كالمهل أسود كمهل الزيت) وقال الليث: المهل ضرب من القطران، إلا أنه رقيق شبيه بالزيت يضرب إلى الصفرة.

وقيل في تفسير المهل أقوال أخرى: وقيل الرصاص المذاب أو الحديد أو الفضة، وقيل

السم، وقيل خشار الزيت، وعند أحمد من حديث أبي سعيد في قوله تعالى {كالمهل} قال كعكر الزيت إذا قربه إليه سقطت فروة وجهه فيه.

قوله (وقال غيره: تبع ملوك اليمن، كل واحد منهم يسمى تبعاً لأنه يتبع صاحبه، والظل يسمى تبعاً لأنه يتبع الشمس) هو قول أبي عبيدة بلفظه وزاد: وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام، وهم ملوك العرب الأعاظم، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قالت عائشة كان تبع رجلاً صالحا، قال معمر وأخبرني تميم بن عبد الرحمن أنه سمع سعيد بن جبير يقول إنه كسا البيت، ونهى عن سبه، وقال عبد الرزاق أنبأنا بكار بن عبد الرحمن سمعت وهب بن منبه يقول: «نهى النبي ﷺ عن سب أسعد وهو تبع» قال وهب: وكان على دين إبراهيم، وروى أحمد من حديث سهل بن سعد رفعه «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم».

١ ـ باب {فارتقِبْ يومَ تأتي السماء بدُخانٍ مُبينٍ}

فارتَقِب: فانتَظر

٤٨٢٠ ـ عن عبد الله قال: «مضى خمسٌ: الدُّخانُ والرومُ والقمرُ والبطشة واللزام».

٢ ـ باب {يَغشى الناس هذا عَذابٌ أليم}

٤٨٢١ ـ عن مَسروقٍ قال: «قال عبدُ الله: إنما كان هذا لأنَّ قُريشاً لما استعصَوا على النبيِّ ﷺ دَعا عليهم بِسنين كسِنِي يوسفَ، فأصابهم قَحطٌ وجهدٌ حتى أكلوا العظامَ، فجعلَ الرجلُ يَنظرُ إلى السماءِ فيرَى ما بينَهُ وبينها كهيئةِ الدُّخانِ منَ الجهد، فأنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ {فارتَقِبْ يومَ تأتي السماءُ بدُخانٍ مُبين، يَغشى الناسَ، هذا عَذابٌ أليم} قال فأُتى رسولُ الله ﷺ فقيل له: يا رسولَ الله استَسْقِ اللهَ لِمضَرَ فإنها قد هَلَكت، قال لمضرَ؟ إنكَ لجري‌ء، فاستسقى، فسُقوا، فنزلت {إنكم عائدون} فلما أصابتهمُ الرَّفاهية عادُوا إلى حالِهم حينَ أصابتهمُ الرفاهية، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَ {يومَ نَبطِشُ البَطشةَ الكبرَى إنا مُنتقِمون} قال: يعني يوم بدر».

قوله (فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت) إنما قال: «لمضر» لأن غالبهم كان بالقرب من مياه الحجاز، وكان الدعاء بالقحط على قريش وهم سكان مكة فسرى القحط إلى من حولهم فحسن أن يطلب الدعاء لهم، ولعل السائل عدل عن التعبير بقريش لئلا يذكرهم فيذكر بجرمهم، فقال لمضر: ليندرجوا فيهم، ويشير أيضاً إلى أن غير المدعو عليهم قد هلكوا بجريرتهم، وقد وقع في الرواية الأخيرة «وإن قومك هلكوا» ولا منافاة بينهما لأن مضر أيضاً قومه، وقد تقدم في المناقب أنه ﷺ كان من مضر.

قوله (فقال رسول الله ﷺ[1] لمضر: إنك لجريء) أي أتأمرني أن استسقي لمضر مع ما هم عليه من المعصية والإشراك به؟ ووقع في «شرح الكرماني» قوله «فقال رسول الله ﷺ لمضر» أي لأبي سفيان فإنه كان كبيرهم في ذلك الوقت وهو كان الآتي إلى رسول الله ﷺ المستدعي منه الاستسقاء.

٣ - باب {رَبَّنا اكشِفْ عنا العذابَ إنا مُؤمنون}

٤٨٢٢ - عن مَسروقٍ قال: «دخلتُ على عبد الله فقال: إنَّ من العلم أن تقول لما لا تَعلم: اللهُ أعلم، إنَّ الله قال لنبيِّه ﷺ: قل ما أسألكم عليه من أجرٍ، وما أنا من المتكلفين}، إنَّ قَريشاً لما غَلَبوا النبيَّ ﷺ واستَعصَوا عليه قال: اللّهم أعِنيٍّ عليهم بسبعٍ كسبع يوسفَ فأخذَتهم سَنَةٌ أكلوا فيها العظامَ والميتةَ من الجهد، حتى جَعلَ أحدُهم يَرَى ما بينَهُ وبين السماء كهيئةِ الدُّخانِ منَ الجوع {قالوا ربَّنا اكشِفْ عنا العذابَ إنّا مؤمنون} فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدَعا ربَّه، فكشفَ عنهم فعادوا، فانتقمَ اللهُ منهم يوم بدر، فذلكَ قولهُ تعالى {يومَ تأتي السماء بدخانٍ مبين -إلي قولهِ جلَّ ذِكرَه- إنّا مُنتقمون}

قوله في الباب الثاني (عن مسروق قال دخلت على عبد الله) أي ابن مسعود.

قوله (إن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم) تقدم سبب قول ابن مسعود هذا في سورة الروم من وجه آخر عن الأعمش ولفظه «عن مسروقٍ قال: بينما رجل يحدث في كندة فقال: يجيء دخان يومَ القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ففزعنا، فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً فغضب فجلس فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، وقد جرى البخاري على عادته في إيثار الخفي على الواضح، فإن هذه السورة كانت أولى بإيراد هذا السياق من سورة الروم لما تضمنته من ذكر الدخان، لكن هذه طريقته يذكر الحديث في موضع ثم يذكره في الموضع اللائق به عاريا عن الزيادة اكتفاء بذكرها في الموضع الآخر، شحذا للأذهان وبعثا على مزيد الاستحضار، وهذا الذي أنكره ابن مسعود قد جاء عن علي، فأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم من طريق الحارث عن علي قال: «آية الدخان لم تمض بعد، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وينفخ الكافر حتى ينفد»، ثم أخرج عبد الرزاق من طريق ابن أبي مليكة قال: «دخلت على ابن عباس يوماً قال لي: لم أنم البارحة حتى أصبحت، قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب فخشينا الدخان قد خرج» وهذا أخشى أن يكون تصحيفاً وإنما هو الدجال.

ويؤيد كون آية الدخان لم تمض ما أخرجه مسلم من حديث أبي شريحة رفعه «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة» الحديث.

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "رسول الله ﷺ.

٤ ـ باب {أنّى لهمُ الذِّكرَى وقد جاءهم رسولٌ مبين}

الذِّكرُ والذِّكرَى واحد

٤٨٢٣ ـ عن مَسروقٍ قال: «دخلتُ على عبدِ الله، ثم قال: إن رسول الله ﷺ لما دَعا قُريشاً كَذَّبوه واستعصَوا عليه، فقال: اللهمَّ أعِنِّي عليهم بسَبع كسَبع يوسف، فأصابَتهم سَنةٌ حَصَّت كلَّ شيء، حتى كانوا يأكلونَ الميتة، وكان يقومُ أحدُهم فكان يَرَى بينَهُ وبينَ السماء مثلَ الدُّخان من الجَهد والجوع، ثم قرأ {فارتَقِب يوم تأتي السماء بدُخانٍ مُبين يغشي الناس، هذا عذابٌ أليم -حتى بَلَغَ- إنّا كاشِفوا العذابِ قليلا، إنكم عائدون} قال عبدُ الله أفيُكشَفُ عنهم العذابُ يومَ القيامة؟ قال: والبَطشة الكبرَى يومَ بَدر».

٥ ـ باب {ثمَّ تَوَلَّوا عنهُ وقالوا معلَّمٌ مَجنون}

٤٨٢٤ ـ عن مَسروقٍ قال: «قال عبدُ الله: إنَّ الله بعثَ محمداً ﷺ وقال {قل ما أسألكم عليه مِن أجرٍ، وما أنا منَ المتكلفين} فإن رسولَ الله ﷺ لما رأى قريشاً استعصَوا عليه فقال: اللهمَّ أعنِّي عليهم بسبع كسبعِ يوسفَ، فأخَذَتهمُ السَّنَةُ حتى حَصَّتْ كلَّ شيء، حتى أكلوا العظامَ والجلودَ، وقال أحدهم: حتى أكلوا الجلودَ والميتة، وجَعلَ يَخرج من الأرض كهيئةِ الدُّخان، فأتاه أبو سفيانَ فقال: أي محمد، إنَّ قومكَ قد هلكوا، فادعُ الله أن يَكشفَ عنهم، فدعا، ثم قال: تعودوا بعدَ هذا، في حديث منصور: ثم قرأ {فارتَقِبْ يوم تأتي السماء بدخانٍ مبين -إلى- عائدون} أيُكشف عنهم عذابُ الآخرة؟ فقد مضى الدخانُ والبَطشة واللِّزام -وقال أحدهم: القمر وقال الآخر: الروم».

٦ ـ باب {يومَ نَبطِشُ البَطشةَ الكبرى، إنا منتقمون}

٤٨٢٥ ـ عن عبدِ الله قال: «خَمسٌ قد مَضَينَ: اللزام، والرُّوم، والبطشةُ، والقمرُ، والدُّخان».

قوله (حتى حصت) أي جردت وأذهبت، يقال سنة حصا، أي جرداء لا غيث فيها.

قوله (وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدخان) وقع في الرواية التي قبلها «فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع» ولا تدافع بينهما لأنه يحمل على أنه كان مبدؤه من الأرض ومنتهاه ما بين السماء والأرض، ولا معارضة أيضاً بين قوله «يخرج من الأرض» وبين قوله «كهيئة الدخان» لاحتمال وجود الأمرين بأن يخرج من الأرض بخار كهيئة الدخان من شدة حرارة الأرض ووهجها من عدم الغيث، وكانوا يرون بينهم وبين السماء مثل الدخان من فرط حرارة الجوع، والذي كان يخرج من الأرض بحسب تخيلهم ذلك من غشاوة أبصارهم من فرط الجوع.

(٤٥) سورة الجاثِية

جاثية: مُستوفزين على الرُكب، وقال مجاهد: نستنسخ نكتب، ننساكم نترُككم

٤٨٢٦ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: قال اللهُ عزَّ وجلَّ يُؤْذِيني ابنُ آدمَ يَسُبُّ الدَّهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أُقلِّبُ الليلَ والنهار».

[الحديث ٤٨٢٦ - طرفاه في: ٦١٨١، ٧٤٩١]

قوله (وأنا الدهر) قال الخطابي: معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفاً لمواقع الأمور، وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر فقالوا: بؤساً للدهر، وتباً للدهر، وقال النووي: قوله «أنا الدهر» بالرفع في ضبط الاكثرين والمحققين، ويقال بالنصب على الظرف أي أنا باق أبداً، والموافق لقوله «أن الله هو الدهر» الرفع وهو مجاز، وذلك أن العرب كانوا يسبون الدهر عند الحوادث فقال: لا تسبو فإن فاعلها هو الله، فكأنه قال: لا تسبوا الفاعل فإنكم إذا سببتموه سببتموني.

(٤٦) سورةُ الأحقاف

وقال مجاهد: {تُفيضون} تقولون، وقال بعضهم: أثرة وأُثْرة وأثارة بقية من علم، وقال ابن عباس {بدعا من الرُّسل}: لستُ بأوَّل الرُّسُل، وقال غيرهُ {أرأيتم} هذه الألف إنما هي توعُدٌ، إن صحَّ ما تدَّعون لا يستحقُّ أن يُعبَدَ، وليس قولهم {أرأيتم} برؤية العين، إنما هو: أتعلمون أبلغَكم أن ما تدعونَ من دون الله خَلقوا شيئاً؟.

وأخرج الطبري من طريق أبي سلمة عن ابن عباس في قوله {أو أثارة[١] من علم} قال: خط كانت تخطه العرب في الأرض، وأخرجه أحمد والحاكم وإسناده صحيح.

وحمل بعض المالكية الخط هنا على المكتوب، وزعم أنه أراد الشهادة على الخط إذا عرفه، والأول هو الذي عليه الجمهور.

١ ـ باب {والذي قال لوالدَيه أفٍّ لكما، أتعدانني أن أُخرَجَ وقد خلت القُرونُ من قبلَي، وهما يستغيثان اللَّه: وَيلكَ آمنْ، إنَّ وعَدَ الله حق، فيقول: ما هذا إلا أساطيرُ الأوَّلين}

٤٨٢٧ ـ عن يوسفَ بن ماهَكَ قال: «كان مروانُ على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيدَ بن معاويةَ لكي يبايعَ له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال خذوه فدخل بيتَ عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروانُ إنَّ هذا الذي أنزل اللهُ

(١) رواية الباب واليونينية "وأثارة بقيّة علم".

فيه {والذي قال لوالدَيْه أفٍّ لكما أتَعدانِني} فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلاَّ أنَّ اللهَ أنزل عُذري».

قوله (كان مروان على الحجاز) أي أميراً على المدينة من قبل معاوية.

قوله (فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً) والذي في رواية الإسماعيلي: فقال عبد الرحمن ما هي إلا هرقلية، وله من طريق شعبة عن محمد بن زياد: فقال مروان سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: سنة هرقل وقيصر، ولابن المنذر من هذا الوجه: اجئتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم؟ ولأبي يعلى وابن أبي حاتم من طريق اسماعيل بن أبي خالد «حدثني عبد الله المدني قال: كنت في المسجد حين خطب مروان فقال: إن الله قد أرى أمير المؤمنين رأيا حسنا في يزيد، وإن يستخلفه فقد استخلفت أبو بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: هرقلية، إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا في أهل بيته، وما جعلها معاوية إلا كرامة لولده».

قوله (فقال خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا) أي امتنعوا من الدخول خلفه إعظاماً لعائشة.

قوله (فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه) في رواية أبي يعلى «فقال مروان: اسكت، ألست الذي قال الله فيه.. فذكر الآية، فقال عبد الرحمن: ألست ابن اللعين الذي لعنه رسول الله ﷺ».

قوله (فقالت عائشة) في رواية محمد بن زياد: فقالت كذب مروان.

قوله (ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري) أي الآية التي في سورة النور في قصة أهل الإفك وبراءتها مما رموها به.

٢ ـ باب {فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارضٌ ممطرنا بل هو ما استعجلتم به، ريح فيها عذاب أليم}

قال ابن عباس: عارض السحاب.

٤٨٢٨ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها زوجِ النبي ﷺ قالت: «ما رأيت رسولَ الله ﷺ ضاحكاً حتى أرَى منهُ لَهَواتِهِ، إنما كان يَبتسَّم».

[الحديث ٤٨٢٨ – طرفه في: ٦٠٩٢]

٤٨٢٩ ـ قالت وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف في وجهه، قالت: يا رسولَ الله إن الناسَ إذا رأوا الغيمَ فرِحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيتهُ عرُف في وَجهكَ الكراهية؟ فقال: يا عائشةُ ما يُؤْمِنِّي أن يكون فيه عذاب؟ عُذِّبَ قومٌ بالرِّيح، وقد رأى قومٌ العذابَ، فقالوا {هذا عارض مُمْطِرنا}

قوله (حتى أرى منه لهواته) وهي اللحمة المتعلقة في أعلى الحنك.

قوله (عرفت الكراهية في وجهه) عبرت عن الشيء الظاهر في الوجه بالكراهة لأنه ثمرتها، ووقع في رواية عطاء عن عائشة في أول هذا الحديث «كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به، وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سرى عنه» الحديث أخرجه مسلم بطوله.

(٤٧) سورة محمد ﷺ

أوزارها: آثامها، حتى لا يبقى إلا مسلم، عرَّفها: بيَّنها، وقال مجاهد: {مولى الذين آمنوا}: وليُّهمْ، عَزَمَ الأمر: جدَّ الأمر، فلا تَهنوا: لاَ تَضْعُفُوا، وقال ابن عباس: أَضْغَانَهُمْ: حَسَدَهم، آسِن: متغيِّر

قوله (أوزارها آثامها حتى لا يبقى إلا مسلم) قال عبد الرزاق عن عمر عن قتادة في قوله {حتى تضع الحرب أوزارها} قال: حتى لا يكون شرك، قال: والحرب من كان يقاتله، سماهم حرباً، قال ابن التين: لم يقل هذا أحد غير البخاري، والمعروف أن المراد بأوزارها السلاح، وقيل حتى ينزل عيسى بن مريم انتهى، وما نفاه قد علمه غيره؛ قال ابن قرقول: هذا التفسير يحتاج إلى تفسير، وذلك لأن الحرب لا آثام لها، فلعله كما قال الفراء آثام أهلها، ثم حذف وأبقى المضاف إليه، أو كما قال النحاس: حتى تضع أهل الآثام فلا يبقى مشرك انتهى.

قوله (عرَّفها: بيَّنها) قال أبو عبيدة في قوله {عرفها [(١)] لهم} بينها لهم وعرفهم منازلهم.

١ ـ باب {وتقطِّعوا أرحامكم}

٤٨٣٠ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «خلقَ اللهُ الخلقَ، فلما فرغَ منه قامتِ الرَّحِمُ فأخذَت بَحقْوِ الرحمنِ، فقال له: مَهْ، قالت: هذا مَقامُ العائذِ بك منَ القَطيعة، قال: ألا تَرضَينَ أن أَصِلَ من وَصَلَكِ وأقطعَ من قطعَكِ؟ قالت: بلى يارب، قال فذاكِ، قال أبو هريرة: اقرَءوا إن شئتم {فهل عسيتمُ إن تَولَّيتُم أن تُفسِدوا في الأرض وتُقطِّعوا أرحامكم}».

[الحديث ٤٨٣٠ - أطرافه في: ٤٨٣١، ٤٨٣٢، ٥٩٨٧، ٧٥٠٢]

٤٨٣١ ـ عن أبي هريرةَ بهذا... ثم قال رسولُ الله ﷺ «اقرَءُوا إن شئتم {فهل عَسَيتُم}».

٤٨٣٢ ـ عن معاويةُ بن أبي المزَرِّد بهذا.. قال رسولُ الله ﷺ: «واقرَءوا إن شِئتُم {فهل عَسَيتم}».

قوله (خلق الله الخلق فلما فرغ منه) أي قضاه وأتمه.

---

(١) رواية الباب واليونينية "عرفها" بدون لهم.

قوله (قامت الرحم) يحتمل أن يكون على الحقيقة[١]، والأعراض يجوز أن تتجسد وتتكلم بإذن الله، والمراد تعظيم شأنها وفضل وأصلها وإثم قاطعها.

قوله (فقال له مه) هو اسم فعل معناه الزجر أي اكفف.

(تنبيه): اختلف في تأويل قوله {إن توليتم} فالأكثر على أنها من الولاية والمعنى أن وليتم الحكم، وقيل بمعنى الإعراض، والمعنى لعلكم إن أعرضتم عن قبول الحق أن يقع منكم ما ذكر، والأول أشهر، ويشهد له ما أخرج الطبري في تهذيبه من حديث عبد الله بن مغفل قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض} قال هم هذا الحي من قريش، أخذ الله عليهم إن ولوا الناس أن لا يفسدوا في الأرض ولا يقطعوا أرحامهم».

(٤٨) سورةُ الفَتح

وقال مُجاهدٌ: بوراً هالكين، وقال مجاهدٌ: {سِيماهم في وجوهِهِم} السَّحنة، وقال منصور عن مجاهد: التواضع، شَطْأه: فراخَه، فاستغْلظَ: غَلظ، سُوقه: الساق حاملة الشجرة، ويقال دائرةُ السَّوءِ كقولك رجُل السَّوء دائرة السوء العذاب، يعزِّروه يَنصُروه، شَطْأهُ: شَطء السنبُل، تُنبِتُ الحبةُ عَشراً أو ثمانياً وسَبعاً فيَقوَى بعضهُ ببعض، فذاك قولهُ تعالى {فآزَرَه} قَوّاه، ولو كانت واحدةً لم تقم على ساق، وهو مَثَلٌ ضربَهُ الله للنبيِّ ﷺ إذ خَرَجَ وَحدَه، ثمَّ قوّاه بأصحابه كما قوَّى الحَبَّةَ بما يَنبِتُ منها.

قوله (يعزروه ينصروه) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله {ويعزروه} قال: ينصروه، وقد تقدم في الأعراف {فالذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه} وهذه ينبغي تفسيرها بالتوقير فراراً من التكرار، والتعزير يأتي بمعنى التعظيم والإعانة والمنع من الأعداء، ومن هنا يجيء التعزير بمعنى التأديب لأنه يمنع الجاني من الوقوع في الجنابة، وهذا التفسير على قراءة الجمهور.

١ ـ باب {إنّا فَتَحنا لك فَتحاً مُبينا}

٤٨٣٣ ـ عن زيدِ بن أسلمَ عن أبيه أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يسير في بعضِ أسفارِه وعمرُ ابنُ الخطّابِ يسيرُ معهُ ليلاً فسأله عمرُ بن الخطاب عن شيءٍ فلم يَجِبْهُ رسولُ الله ﷺ، ثم سأله فلم يُجبه ثم سأله فلم يجبه، فقالَ عمرُ بن الخطاب: ثَكِلَتْكَ أمُّ عمرَ، نزَرْتَ رسولَ الله ﷺ ثلاثَ مراتٍ كلُّ ذلك لا يجيبكَ، قال عمر: فحركْتُ بَعيري ثم تقدَّمتُ أمامَ الناس وخشيتُ أنْ ينزَلَ فيَّ القرآنُ فما نَشِبْتُ أن سمعتُ صارخاً يصرُخُ بي، فقلت: لقد خَشيت أن

(٢) نعم هي على الحقيقة، وما كان السلف يفرقون بين الحقيقة والمجاز من بيان صفات الله عز وجل قال الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذا الحديث في الجملة من أحاديث الصفات، التي نص الأئمة على أن يمر كما جاء.

يكون نزلَ فيَّ قرآنٌ، فجئتُ رسولَ الله ﷺ فسلَّمتُ عليه، فقال: لقد أُنزلَت عليَّ الليلةَ سُورةٌ لهيَ أحبُّ إليَّ مما طلَعَتْ عليه الشمسُ، ثم قرأ: {إنَّا فتحنا لك فتحاً مبينا}».

٤٨٣٤ ـ «عن أنسٍ رضيَ الله عنه {إنَّا فَتحنا لك فتْحاً مبينا} قال: الحدَيْبيَةُ».

٤٨٣٥ ـ عن عبدِ الله بن مغَفَّل قال: «قرأ النبيُّ ﷺ يومَ فتح مكةَ سورةَ الفَتح فرَجَّعَ فيها، قال معاويةُ لو شئتُ أن أحْكيَ لكم قراءةَ النبيِّ ﷺ لفَعلْتُ».

قوله (فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه) يستفاد منه أنه ليس لكل كلام جواب، بل السكوت قد يكون جواباً لبعض الكلام، وتكرير عمر السؤال إلا لكونه خشي أن النبي ﷺ لم يسمعه أو لأن الأمر الذي كان يسأله عنه كان مهما عنده، ولعل النبي ﷺ أجابه بعد ذلك، وإنما ترك إجابته أولا لشغله بما كان فيه من نزول الوحي.

قوله (ثكلت) والثكل فقدان المرأة ولدها، دعا عمر على نفسه بسبب ما وقع منه الإلحاح، ويحتمل أن يكون لم يرد الدعاء على نفسه حقيقة وإنما هي من الألفاظ التي تقال عند الغضب من غير قصد معناها.

قوله (نزرت) أي ألححت عليه قاله ابن فارس والخطابي.

قوله (لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس) أي لما فيها من البشارة بالمغفرة والفتح.

قوله (سمعت قتادة عن أنس {إنا فتحنا لك فتحاً مبينا} قال: الحديبية) وسمي ما وقع في الحديبية فتحاً لأنه كان مقدمة الفتح وأول أسبابه، وقد تقدم شرح ذلك مبيناً في كتاب المغازي(١) لي.

قوله (فرجع فيها) أي ردد صوته بالقراءة.

وسأذكر تحرير هذه المسألة في شرح حديث «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

٢ ـ باب {ليغفرَ لك اللهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبكَ وما تأخَّر ويُتمَّ نعمَتَهُ عليك ويَهديَك صراطاً مستقيما}

٤٨٣٦ ـ عن المغيرةَ قال: «قَام النبيُّ ﷺ حتى تَوَرَّمتَ قدماه، فقيل له غفرَ الله لكَ ما تقدَّمَ مِن ذَنبك وما تأخرَّ، قال: أفلا أكونُ عبداً شَكورا».

٤٨٣٧ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها «أن نبيَّ الله ﷺ كان يقومُ من الليلِ حتى تتَفطَّرَ قدَماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنعُ هذا يا رسولَ الله وقد غفرَ الله لك ما تقدَّم من ذَنْبك وما تأخَّر؟ قال: أفلا أحبُّ أن أكونَ عبداً شكورا، فلما كثرَ لحمُ صلّى جالساً، فإذا أرادَ أن يركعَ قام فقرأ ثم ركعَ».

قوله (فلما كثر لحمه) أنكره الداودي وقال: المحفوظ «فلما بدن» أي كبر، فكأن الراوي تأوله على كثرة اللحم انتهى، وتعقبه أيضاً ابن الجوزي فقال: لم يصفه أحد بالسمن أصلا، ولقد مات ﷺ وما شبع من خبز الشعير في يوم مرتين، وأحسب بعض الرواة لما رأى «بدن» ظنه كثر لحمه، وليس كذلك وإنما هو بدن تبدينا أي أسن.

---

(١) كتاب المغازي باب / ٣٥ ح ٤١٥٠ - ٣ / ٣٣٥.

قوله (ﷺ جالساً، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع) وقد تقدم في آخر أبواب تقصير الصلاة[١].

٣ ـ باب {إنا أرسَلناكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونَذيرا}

٤٨٣٨ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضيَ الله عنهما «أنَّ هذهِ الآيةَ التي في القرآن: {يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومُبَشِّراً ونذيرا} قال في التَّوْراة: يأيها النبيُّ إنَّآ أرسلناكَ شاهداً ومُبشراً ونَذيراً وحِرْزاً للأميِّينَ، أنت عبدي ورسولي، سَمَّيْتَكَ المتوكلَ، ليس بفظٍّ ولا غَليظ ولا سَخَّابٍ بالأسواق، ولا يدفع السَّيئةَ بالسَّيئة، ولكن يعفُو ويصفح، ولن يقبضَه الله حتى يقيمَ به المِلةَ العَوْجاءَ بأنْ يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتَحَ بها أَعْيناً عمْياً، وآذانا صُمًّا، وقلوباً غُلْفاً».

قوله (إن هذه الآية التي في القرآن {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا} قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا) أي شاهداً على الأمة ومبشراً للمطيعين بالجنة وللعصاة بالنار، أو شاهداً للرسل قبله بالإبلاغ.

قوله (وحرزا) أي حصنا، والأميين هم العرب.

قوله (سميتك المتوكل) أي على الله لقناعته باليسير، والصبر على ما كان يكره.

قوله (بفظ ولا غليظ) هو موافق لقوله تعالى {فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) ولا يعارض قوله تعالى {واغلظ عليهم} لأن النفي محمول على طبعه الذي جبل عليه والأمر محمول على المعالجة، أو النفي بالنسبة للمؤمنين والأمر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الآية.

قوله (ولا سخَّاب) كذا فيه بالسين المهملة وهي لغة أثبتها الفراء وغيره، وبالصاد أشهر.

قوله (ولا يدفع السيئة بالسيئة) هو مثل قوله تعالى {أدفع بالتي هي أحسن}.

قوله (ولن يقبضه[٢]) أي يمته.

قوله (حتى يقيم به) أي حتى ينفي الشرك ويثبت التوحيد، والملة العوجاء ملة الكفر.

قوله (فيفتح بها) أي بكلمة التوحيد) أعينا عميا) أي عن الحق وليس هو على حقيقته.

٤ ـ باب {هوَ الذي أنزلَ السَّكينَةَ}

٤٨٣٩ ـ عن البَراء رضيَ الله عنه قال: «بينما رَجُلٌ من أَصْحاب النبيِّ ﷺ يقرأ، وفرسٌ له مرْبوطٌ في الدَّار، فَجعل يَنفر، فخرج الرجلُ فنظر فلم يَر شيئاً، وجعل ينفرُ، فلما

(١) كتاب تقصير الصلاة باب / ٢٠ ح ١١١٨ - ١ / ٥٧٠.
(٢) رواية الباب واليونينية "ولن يقبضه الله".

أصبح ذكرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: تلك السَّكينةُ تَنزَّلَتْ بالقرآن».

قوله (باب هو الذي أنزل السكينة) ذكر فيه حديث البراء في نزول السكينة «وسيأتي بتمامه في فضائل القرآن[1] مع شرحه إن شاء الله تعالى.

٥ ـ باب {إذ يُبايعونَكَ تحتَ الشجَرة}

٤٨٤٠ ـ عن جابرٍ قال: «كنّا يوم الحُدَيبيَةِ ألفاً وأربَعَمائةٍ».

٤٨٤١ ـ عن عبد الله بن مُغَفَّل المزَنيِّ مِّمن شهِد الشجرة، نَهَى النبيُّ ﷺ عن الخَذْفِ».

[الحديث ٤٨٤١ - طرفاه في: ٥٤٧٩، ٦٢٢٠]

٤٨٤٢ ـ وعن عُقبةَ بن صُهبان قال: «سمعتُ عبد الله بن المغَفَّل المزَنيَّ في البَوْلِ في المغْتَسَل».

٤٨٤٣ ـ عن ثابت بن الضَّحَّاك رضيَ الله عنه، وكان من أصحابِ الشجرَة».

٤٨٤٤ ـ عن حَبيبِ بن ثابتٍ قال: أتيْتُ أبا وائلٍ أسأله فقال: «كنا بِصفِّينَ، فقال رجلٌ: ألم ترَ إلى الذين يُدعَونَ إلى كتاب الله، فقال عليٌّ: نَعَمْ، فقال سَهْل بنُ حُنَيف: اتَّهِمُوا أنفسكُم، فلقد رأيتُنا يومَ الحديبية -يعني الصُّلحَ الذي كانَ بين النبيِّ ﷺ والمشركين- ولو نرى قتال لقاتَلْنا، فجاءَ عمرُ فقال: ألَسنا على الحقِّ، وهم على الباطل؟ أليس قَتْلانا في الجنَّة، وقتلاهم في النّار؟ قال: بَلَى، فقال: ففيم أعطي الدَّنيَّةَ في دِينِنا، ونرجِع ولما يحكمِ اللهُ بَيْننا؟ فقال: يا ابنَ الخَطاب: إني رسولُ الله، ولن يُضَيِّعني الله أبداً، فرجعَ مُتَغيِّظاً فلم يصبِرْ حتى جاء أبا بكر، فقال: يا أبا بكرٍ ألَسنا على الحقِّ وهم على الباطِل؟ قال: يا ابن الخطّاب إنه رسولُ الله ﷺ، ولنْ يُضَيِّعهُ اللهُ أبداً، فنزَلَتْ سُورةُ الفتْح».

قوله (باب قوله[2] إذ يبايعونك تحت الشجرة) ذكر فيه أربعة أحاديث: أحدها حديث جابر (كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة) وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في كتاب المغازي[3].

قوله (عن عبد الله بن المغفل المزني ممن شهد الشجرة قال: نهى رسول الله ﷺ عن الخذف) أي الرمي بالحصى بين اصبعين، وسيأتي الكلام عليه في الأدب[4].

قوله (فقال كنا بصفين) هي مدينة قديمة على شاطيء الفرات بين الرقة ومنبج كانت بها الواقعة المشهورة بين علي ومعاوية.

قوله (فقال رجل: ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله) ساق أحمد إلى آخر الآية،

---

(١) كتاب فضائل القرآن باب / ١٥ ح ٥٠١٨ - ٤ / ١٨.
(٢) في المتن بدون قوله" في اليونينية وبدون "باب وقوله".
(٣) كتاب المغازي باب / ٣٥ ح ٤١٤٥ - ٣ / ٣٣٥.
(٤) كتاب الأدب باب / ١٢٢ ح ٦٢٢٠ - ٤ / ٥١٥.

هذا الرجل هو عبد الله بن الكواء، ذكره الطبري، وكان سبب ذلك أن أهل الشام لما كاد أهل العراق يغلبونهم أشار عليهم عمرو بن العاص برفع المصاحف والدعاء إلى العمل بما فيها، وأراد بذلك أن تقع المطاولة فيستريحوا من الشدة التي وقعوا فيها فكان كما ظن، فلما رفعوها وقالوا بيننا وبينكم كتاب الله، وسمع من بعسكر علي وغالبهم ممن يتدين، قال قائلهم ما ذكر؛ فأذعن علي إلى التحكيم موافقة لهم واثقاً بأن الحق بيده، وقد أخرج النسائي هذا الحديث عن أحمد بن سليمان عن يعلى بن عبيد بالإسناد الذي أخرجه البخاري فذكر الزيادة نحو ما أخرجها أحمد، وزاد بعد قوله كنا بصفين «قال فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل المصحف إلى علي فادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك، فأتى به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله، فقال علي: أنا أولى بذلك بيننا كتاب الله، فجاءته الخوارج -ونحن يومئذ نسميهم القراء- وسيوفهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ما ننتظر بهؤلاء القوم، ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف».

قوله (وقال[1] سهل بن حنيف اتهموا أنفسكم) أي في هذا الرأي لأن كثيراً منهم أنكروا التحكيم وقالوا لا حكم إلا لله، فقال علي كلمة حق أريد بها باطل، وأشار عليهم كبار الصحابة بمطاوعة علي وأن لا يخالف ما يشير به لكونه أعلم المصلحة، وذكر لهم سهل بن حنيف ما وقع لهم بالحديبية وأنهم رأوا يومئذ أن يستمروا على القتال ويخالفوا ما دعوا إليه من الصلح ثم ظهر أن الاصلح هو الذي كان شرع النبي ﷺ فيه، وسيأتي ما يتعلق بهذه القصة في كتاب استتابة المرتدين إن شاء الله تعالى، وسبق ما يتعلق بالحديبية مستوفى في كتاب الشروط[2].

(٤٩) سُورةُ الحجرات

وقال مُجاهدٌ: لا تقدِّموا لا تَفْتاتوا على رسولِ الله ﷺ حتى يَقْضِيَ اللهُ على لسانه، امتَحن: أخلَص، ولا تَنابزُوا: يُدعى بالكفر بعدَ الإسلام، يِلِتْكم: يَنقُصْكُم، ألَتْنا: نَقَصنا.

قوله (سورة الحجرات، بسم الله الرحمن الرحيم)[3] والمراد بيوت أزواج النبي ﷺ.

قوله (امتحن أخلص) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: أخلص الله قلوبهم فيما أحب.

قوله (ولا تنابزوا: يدعى بالكفر بعد الإسلام) وصله الفريابي عن مجاهد بلفظ «لا يدعو الرجل بالكفر هو مسلم» وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله {ولا

(١) رواية الباب واليونينية "فقال سهل بن حنيف..."
(٢) كتاب الشروط باب / ١٥ ح ٢٧٣٢ - ٢ / ٥٠٩.
(٣) رواية الباب واليونينية بدون بسملة.

تلمزوا أنفسكم} قال: لا يطعن بعضكم على بعض {ولا تنابزوا بالألقاب} قال: لا تقل لأخيك المسلم: يا فاسق يا منافق، وعن الحسن قال: كان اليهودي يسلم فيقال له يا يهودي، فنهوا عن ذلك.

١ ـ باب {لا ترفَعوا أصواتَكم فوقَ صوتِ النبيِّ} الآية

تشعُرون: تَعلمون، ومنه «الشاعر».

٤٨٤٥ ـ عن ابن أبي مُلَيكةَ قال: «كاد الخَيِّرانِ أن يَهلِكا أبو بكرٍ وعمرُ رضيَ اللهُ عنهما، رَفَعا أصواتهما عندَ النبيِّ ﷺ حينَ قدمَ عليه ركبُ بني تميم، فأشار أحدُهما بالأقرَع بن حابسٍ أخي بن مُجاشع، وأشار الآخرُ برجُلٍ آخر -قال نافعٌ لا أحفَظُ اسمه- فقال أبو بكر لعمرَ: ما أردتَ إلاّ خِلافي، قال: ما أردتُ خِلافَك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزلَ اللهُ {يا أيُّها الذين آمنوا لا تَرفَعوا أصواتكم} الآية، قال ابن الزّبير: فما كان عمرُ يُسمِعُ رسولَ الله ﷺ بعدَ هذهِ الآية حتى يستفهمَهُ، ولم يَذكرْ ذلكَ عن أبيه، يعني أبا بكر».

٤٨٤٦ ـ عن أنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ افتَقَد ثابتَ بن قيْس، فقال رجُلٌ يا رسولَ الله أنا أعلمُ لكَ علمَهُ، فأتاهُ فوَجَده جالساً في بيتِهِ منُكّساً رأسَه، فقال له: ما شأنكَ؟ فقال: شرٌّ، كانَ يَرفع صَوته فوقَ صَوْتِ النبيِّ ﷺ فقد حَبطَ عَمله وهو من أهل النار، فأتى الرَّجل النبيَّ ﷺ فأخبرَه أنَّ قال كذا وكذا، فقال موسى، فرجع إليه المرَّةَ الآخرةَ ببشارَةٍ عظيمة، فقال اذهبْ إليه فقلْ له: ـتَ من أهل النّار، ولكنَّ: من أهلِ الجنَّة».

قوله (رفعا أصواتهما[١]حين قدم عليه ركب بني تميم) في رواية أحمد «وفد بني تميم» وكان قدومهم سنة تسع بعد أن أوقع عيينة بن حصن ببني العنبر وهم بطن من بني تميم.

قوله (فأشار أحدهما) هو عمر.

قوله (افتقد ثابت بن قيس) تقدم شرحه مستوفى في أواخر علامات النبوة[٢].

قوله (أنا أعلم لك علمه) أي أعلم لأجلك علماً متعلقاً به.

٢ ـ باب {إنَّ الذين ينادونك من وراء الحُجُرات أكثرهم لا يعقلونَ}

٤٨٤٧ ـ عن عبدَ الله بن الزُّبير أنه «قَدِمَ ركْبٌ من بَني تَميم علَى النبيِّ ﷺ، فقال أبو بكرٍ: أمِّرِ القعقاعَ بن مَعْبَد، وقال عُمرَ بل أمِّرِ الأقْرَع بن حابِس، فقال أبو بكر ما أردْتَ إلى -أو إلا- خِلافي؛ فقال عُمر: ما أردْتُ خلافك، فتَماريَا حتى ارتفعتْ أصواتُهما، فنزلَ في ذلك: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدِّموا بيْنَ يَدَيِ اللهِ ورسولهِ}، حتى انقضتِ الآية».

---

(١) رواية الباب واليونينية "رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ".
(٢) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٣٦١٣ - ٣ / ١٠٣.

باب {ولو أنَّهُمْ صبَروا حتى تخرُجَ إليهم لَكانَ خيراً لهُم}

(٥٠) سُورةُ ق

رَجعٌ بَعيدٌ: رَدٌّ، فُروجٍ: فُتوقٍ، واحِدُها فَرْجٌ، من حَبلِ الوَريد: وَريداه في حلقهِ والحَبل حبْل العاتِق، وقال مُجاهد: ما تنقص الأرضُ من عِظامهم، تَبْصِرَة: بصيرةٌ، حَبَّ الحصيد: الحِنْطَة، باسقاتٍ: الطوالُ، أفعَيِينَا أفأعيْا عَلَيْنا، وقال قَرِينُهُ: الشيْطان الذي قيِّضَ له، فنقَّبُوا: ضَرَبوا، أوْ ألقى السَّمْعَ: لا يحدِّث نفسَه بِغيْره، حين أنْشأكم وأنشأ خَلْقكم، رَقيبٌ عَتيدٌ: رَصَدٌ، سائقٌ وَشهيد: الملكَان، كاتبٌ وشهيد: شهيد شاهدٌ بالغيب، لُغُوب: النَّصَب، وقال غيرُهُ نَضيد: الكُفُرَى ما دام في أكمامِهِ، ومعناه مَنْضودٌ بعضه على بعْض، فإذا خَرَج من أكمامه فليس بنَضيد، في أدْبار النُّجوم وأدْبار السُّجود، كان عاصم يفتَحُ التي في "ق" ويكسر التي في الطُّور، ويُكْسَران جميعاً وينْصَبان، وقال ابن عبّاس: يومَ الخروج: يوم يَخرجون إلى البعث من القبور.

قوله (فنقبوا ضربوا) وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قول {فنقبوا في البلاد} قال: أثروا، وقال أبو عبيدة في قوله {فنقبوا} طافوا وتباعدوا.

قوله (أو ألقى السمع لا يحدث نفس بغيره) روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادفي هذه الآية قال: هو رجل من أهل الكتاب ألقى السمع أي استمع للقرآن وهو شهيد على ما في يديه من كتاب الله أنه يجد النبي محمداً ﷺ مكتوباً، قال معمر وقال الحسن: هو منافق استمع ولم ينتفع.

قوله (وما مسنا[1] من لغوب من نصب) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: قالت اليهود إن الله خلق الخلق في ستة أيام وفرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت، فأكذبهم الله فقال: {وما مسنا من لغوب}.

قوله (وأدبار النجوم) وأدبار السجود كان عاصم يفتح التي في "ق" التي في الطور ويكسران جميعاً وينصبان) هو كما قال.

١ ـ باب {وتقولُ هلْ من مَزيد}

٤٨٤٨ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: يُلْقَى في النّار وتقول هل من مزيدٌ، حتى يضَع قَدَمَه فتقول: قَطْ قَطْ».

[الحديث ٤٨٤٨ - طرفاه في: ٦٦٦١، ٧٣٨٤]

٤٨٤٩ ـ عن أبي هريرةَ رَفعهُ -وأكثرُ ما كان يوقفُهُ أبو سفيان- «يقال لجهَنَّمَ هل امتلأتِ؟ وتقول: هل من مَزيد؟ فَيَضَعُ الربُّ تباركَ وتعالى قدَمَهُ عَليها فتقول:

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "مامسنا" فقط.

قطْ قطْ».

[الحديث ٤٨٤٩ - طرفاه في: ٤٨٥٠، ٧٤٤٩]

٤٨٥٠ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قال النبيُّ ﷺ تَحاجَّتِ الجنّة والنّار، فقالت النّار: أوثِرْتُ بالمتكبِّرين والمتجبِّرين، وقالت الجنّة: مالي لا يَدخُلُني إلا ضُعَفاء الناس وسقَطُهم، قال الله تبارك وتعالى للجنّة: أنت رَحْمَتي أرحَمُ بك من أشاءُ من عبادي، وقال للنّار: إنما أنتِ عذابٌ أعذِّبُ بك من أشاء من عبادِي، ولكلٍّ واحدة منهما ملؤُها، فأما النار فلا تَمتَلئُ، حتى يضع رجلهُ فتقولُ قطْ قطْ قطْ فهنالك تمتلئُ ويزْوَى بعضها إلي بعض، ولا يَظلمُ اللهُ عزَّ وجلّ من خَلقهِ أحداً، وأمّا الجنة فإنَّ الله عزَّ وجلَّ ينشيءُ لها خلقاً».

قوله (باب قوله[1] وتقول هل من مزيد) اختلف النقل عن قول جهنم {هل من مزيد} فظاهر أحاديث الباب أن هذا القول منها لطلب المزيد، وجاء عن بعض السلف أنه استفهام انكار كأنها تقول ما بقي فيّ موضع للزيادة، فروى الطبري من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله {هل من مزيد} أي هل من مدخل قد امتلأت؟ ورجح الطبري أنه لطلب الزيادة على ما دلت عليه الاحاديث المرفوع.

قوله (فتقول قطْ قطْ) وفي رواية سليمان التيمي عن قتادة «فتقول قد قد»، وهي لغة أيضاً، وكلها بمعنى يكفي، وقيل قط صوت جهنم، والأول هو الصواب عند الجمهور.

واختلف في المراد بالقدم فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله[1].

قوله (ضعفاء[2] الناس وسقطهم) بفتحتين أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له في غاية التواضع لله والذلة في عباده، فوصْفُهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح أو المراد بالحصر في قول الجنة «إلا ضعفاء الناس» الأغلب، قال النووي: هذا الحديث على ظاهره، وأن الله يخلق في الجنة والنار تمييزاً يدركان به ويقدران على المراجعة والاحتجاج.

٢ ـ باب {وسبِّح بحمدِ ربِّك قبْلَ طلوعِ الشمْس وقبل الغروب}

٤٨٥١ ـ عن جرير بن عبد الله قال: «كنا جلوساً ليْلةً مع النبيّ ﷺ فنظر إلى القمر ليلةَ أربعَ عشرةَ، فقال: إنكُم سَتَرَوْن، ربكم كما ترون هذا لا تُضامُون في رُؤْيَتهِ، فإنِ

---

(١) "فالقدم" صفة لله تعالى حقيقة على مايليق بعظمته.

(٢) رواية الباب واليونينية "الاضعفاء الناس وسقطهم".

استطعتم أنْ لا تغلبُوا على صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمْسِ، وقبل غروبها فافْعلوا، ثم قرأ: {وسَبِّح بحمدِ ربِّك قبلَ طلوع الشمس وقبلَ الغروب}».

٤٨٥٢ ـ عن مجاهدٍ قال: قال ابن عباس: «أمرَهُ أنْ يُسَبِّحَ في أدْبار الصَّلوات كلِّها، يعني قوله {وَأدْبارَ السُّجُود}».

قوله (عن مجاهد قال قال ابن عباس: أمره أن يسبح) يعني أمر الله نبيه.

وأخرجه الطبري من طريق ابن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «قال ابن عباس في قوله {فسبحه وأدبار السجود} قال: هو التسبيح بعد الصلاة».

(٥١) سُورَةُ والذَّاريات

قال عَليٌّ عليهِ السَّلامُ: الذاريات الرِّياحُ، وقال غيرُهُ: تذرُوه تُفرِّقُهُ، وفي أنْفسِكم أفلا تبصرون: تأكل وتشرب في مدخلٍ واحد ويخرُجُ من مَوضعَين، فراغَ: فرجع، فَصَكَّتْ: فجمعَت أصابعها، فضرَبت به جبهَتها، والرميم نَبَات الأرض إذا يبسَ وديسَ، لموسِعونَ أي لذوسَعةٍ، وكذلك على الموسِعِ قَدَرهُ: يعني القويَّ، زَوْجين: الذكر والأنثى، واختلافُ الألوان: حلوٌ وحامضٌ، فهما زوْجانِ، فَفرُّوا إلى الله: منَ الله إليه، إلا ليعبُدون: ما خلقتُ أهلَ السعادةِ منْ أهل الفريقين إلا ليوحِّدونِ، وقال بعضُهم: خَلَقُهم ليفْعلوا، ففعَل بعضٌ، وترك بعضٌ، وليْس فيه حجةٌ لإهل القدَر، والذَّنوب الدَّلْوُ العظيمُ، وقال مجاهدٌ: ذنوباً: سَبيلاً، صَرَّةٍ: صَيحةٍ، العقيمُ: التي لا تَلدُ، وقال ابن عبَّاس والحبُك: استواؤها وحُسْنها، في غمرةٍ: في ضلالتهم يتمادَوْن، وقال غيرهُ: تواصَوا تواطؤا، وقال غيره مسوَّمة: معلمَّة، من السِّيما، قتل الإنسان: لعن.

قوله (قال على الرياح) وأخرجه ابن عيينة في تفسيره أتم من هذا عن ابن أبي الحسين «سمعت أبا الطفيل قال: سمعت ابن الكواء يسأل علي بن أبي طالب عن الذاريات ذروا قال: الرياح، وعن الحاملات وقرا، قال: السحاب، وعن الجاريات يسرا، قال: السفن، وعن المدبرات أمراً قال: الملائكة، وصححه الحاكم من وجه آخر عن أبي الطفيل.

قوله (وفي أنفسكم أفلا تبصرون: تأكل وتشرب في مدخل واحد ويخرج من موضعين) أي القبل والدبر، وهو قول الفراء.

قوله (قتل الخراصون[١]) أي لعنوا، وأخرج الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {قتل الخراصون} قال: لعن الكذابون.

قوله (ففروا إلى الله: من الله إليه) أي من معصيته إلى طاعته أو من عذابه إلى رحمته.

قوله (إلا ليعبدون) في رواية أبي ذر {ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليوحدون، هو قول الفراء، وسبب الحمل على التخصيص وجود

من لا يعبده، فلو حمل على ظاهره لوقع التنافي بين العلة والمعلول.

قوله (وقال بعضهم خلقهم ليفعلوا ففعل بعض وترك بعض، وليس فيه حجة لأهل القدر) هو كلام الفراء أيضاً، وحاصل التأويلين أن الأول محمول على أن اللفظ العام مراد به الخصوص، وأن المراد أهل السعادة من الجن والإنس، والثاني باق على عمومه لكن بمعني الاستعداد، أي خلقهم معدين لذلك لكن منهم من أطاع ومنهم من عصى، وهو كقولهم الإبل مخلوقة للحرث أي قابلة لذلك، لأنه قد يكون فيها ما لا يحرث، وأما قوله «وليس فيه حجة لأهل القدر» فيريد المعتزلة، لأن محصل الجواب أن المراد بالحق خلق التكليف لا خلق الجبلة، فمن وفقه عمل لما خلق له ومن خذله خالف، والمعتزلة احتجوا بالآية المذكورة على أن إرادة الله لا تتعلق به، والجواب أنه لا يلزم من كون الشيء معللاً بشيء أن يكون ذلك الشيء مراداً وأن لا يكون غيره مراداً، ويحتمل أن يكون مراده بقوله «وليس فيه حجة لأهل القدر» أنهم يحتجون بها على أن أفعال لا بد وأن تكون معلولة فقال: لا يلزم من وقع التعليل في موضع وجوب التعليل في كل موضع، ونحن نقول بجواز التعليل لا بوجوبه.

قوله (والذنوب الدلو العظيم) هو قول الفراء لكن قال: «العظيمة» وزاد: ولكن العرب تذهب بها إلى الحظ والنصيب، وقال أبو عبيدة: الذنوب النصيب، وأصله من الدلو، والذنوب السَّجْل واحد.

قوله (وقال مجاهد ذنوباً سبيلا) وقد وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله {ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم} قال: سجلاً من العذاب مثل عذاب أصحابهم.

قوله (العقيم التي لا تلد) زاد أبو ذر «ولا تلقح شيئاً» وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: العقيم التي لا تنبت.

قوله (وقال ابن عباس: والحبك استواؤها وحسنها) وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله {ذات الحبك} قال: ذات الخلق الحسن وللطبري من طريق عوف عن الحسن قال: حبكت بالنجوم، ومن طريق عمران بن جدير: سئل عكرمة عن قوله {ذات الحبك} قال: ذات الخلق الحسن، ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب قال: ما أحسن ما حبكه.

قوله (وقال غيره تواصوا به تواطئوا) وقد أخرجه ابن المنذر من طريق أبي عبيدة في قوله {أتواصوا به} تواطئوا عليه وأخذه بعضهم عن بعض، وإذا كانت شيمة غالبة على قوم قيل كأنما تواصوا به، وروى الطبري من طرق عن قتادة قال: هل أوصى الأول الآخر منهم كذيب؟.

(٥٢) سُورةُ والطُّور

وقال قتادةُ: مَسْطورٍ: مكتوبٍ، وقال مجاهدٌ: الطُّور الجبَلُ بالسُّريانيَّة، رَقٍّ منْشورٍ: صحيفة، والسَّقفِ المرْفوع: سماء، المَسْجور: الموقد، وقال الحسَن تُسْجَرُ حتى يذهبَ ماؤها فلا يبْقى فيها قطرَةٌ، وقال مجاهد ألَتْنَاهم نقصْنا؟ وقال غيره: تمور تدور، أحلامهم: العقول، وقال ابن عباس: البَرُّ اللطيف، كِسفاً: قِطعا، المَنون: الموت، وقال غيره: يتَنازعون يتعاطون.

قوله (والمسجور[١] الموقد) وأخرج الطبري من طريق سعيد بن المسيب قال: قال علي لرجل من اليهود أين جهنم؟ قال: البحر، قال ما أراه إلا صادقاً، ثم تلا {والبحر المسجور وإذا البحار سجرت} وعن زيد بن أسلم قال: {البحر المسجور} الموقد {وإذا البحار سجرت} أوقدت.

١ ـ باب * ٤٨٥٣ ـ عن أمِّ سلمة قالت: «شكَوْت إلى رسولِ اللهِ ﷺ أنيِّ أشْتكي فقال طوفي مِن وراءِ الناس وأنتِ راكِبةٌ، فطفْتُ ورسولُ الله ﷺ يُصلِّي إلى جَنْب البَيت يقرأ بالطُّور وكِتاب مسطور».

٤٨٥٤ ـ عن جُبَير بن مُطْعِم عن أبيه رضيَ اللهُ عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يَقرأ في المَغرِب بالطُّور، فلما بلغَ هذهِ الآية: {أَمْ خُلقوا مِن غير شيءٍ أَمْ هُمُ الخالِقون؟ أَمْ خلَقوا السَّماواتِ والأرضَ؟ بَلْ لا يوقنون، أَمْ عِنْدهم خَزائنُ ربِّك:، أَمْ هم المُسَيْطرون؟} كادَ قَلبي أنْ يَطيرَ».

قوله (عن أمِّ سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي) أي أنها كانت ضعيفة لا تقدر على الطواف ماشية، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الحج[٢].

قوله (كاد[٣] قلبي يطير) قال الخطابي: كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه، وذلك من قوله تعالى {أم خلقوا من غير شيء} قيل معناه ليسوا أشد خلقاً من خلق السموات والأرض لأنهما خلقتا من غير شيء، أي هل خلقوا باطلاً لا يؤمرون ولا ينهون؟ وقيل المعنى أم خلقوا من غير خالق؟ وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق فهم الخالقون لأنفسهم؛ وذلك في الفساد والبطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق، وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا، ثم قال: {أم خلقوا السموات والأرض} أي إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم فليدعوا

---

(١) رواية الباب واليونينية "المسجور الموقد" بغير الواو.
(٢) كتاب الحج باب / ٧٤ ح ١٦٣٢ - ٢ / ٥٠.
(٣) رواية الباب واليونينية "كاد قلبي أن يطير".

خلق السموات والأرض، وذلك لا يمكنهم، فقامت الحجة، ثم قال: {بل لا يوقنون} فذكر العلة التي عاقتهم عن الإيمان وهو عدم اليقين الذي هو موهبة من الله ولا يحصل إلا بتوفيقه، فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير، ومال إلى الإسلام، انتهى.

(٥٣) سورةُ والنَّجم

وقال مُجاهِدٌ: ذو مِرَّةٍ قُوَّةٍ، قابَ قَوسَين: حيث الوتَرُ مِنَ القَوْس، ضِيزَى: عَوْجَاء، وأكْدَى: قَطع عَطَاءَهُ، رَبُّ الشِّعْرَى هو مِرْزَمُ الجَوزاءِ، الذي وَفى وَفى ما فُرِضَ عَلَيْه، أزِفَتِ الآزِفة: اقْتَرَبَتِ السّاعة، سامِدون: البَرْطَمَة، وقال عِكْرِمَة: يَتغنُّوْن بالحِمْيَريَّة، وقال إبراهيم: أفَتمارُونَهُ؟ أفتُجادِلونَه؟ ومن قَرَأَ أفتَمْرونه» يعني أفتَجْحَدونه؟ مازاغ البصَرُ: بَصَرُ محمَّدٍ ﷺ، وما طغى: وَمَا جاوَزَ ما رأى، فَتماروا: كذبوا، وقال الحسَنُ إذا هَوى: غابَ، وقال ابن عبّاس: أغنى وأقنى أعطى فأرضى.

قوله (وقال مجاهد: ذو مرة ذو قوة) وصله الفريابي بلفظ {شديد القوة ذو مرة} قوة جبريل، وقال أبو عبيدة ذو مرة أي شدة وإحكام، وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ذو مرة} قال: ذو خلق حسن.

قوله (قاب قوسين حيث الوتر من القوس) وقال أبو عبيدة قاب قوسين أي قدر قوسين أو أدنى أو أقرب.

قوله (ضيزى: عوجاء) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: ضيزى جائرة.

قوله (رب الشعرى هو مرزم الجوزاء) وأخرج الطبري من طريق خصيف عن مجاهد قال: الشعرى الكوكب الذي خلف الجوزاء كانوا يعبدونه.

وقال ابن التين: المِرْزَم نجم يقابل الشعرى من جهة القبلة لا يفارقها وهو الهنعة.

قوله (وقال ابن عباس: أغنى وأقنى أعطى فأرضى) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي ابن أبي طلحة عنه، وأخرج الفريابي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: أقنى قنع، ومن طريق أبي رجاء عن الحسن قال: أخدم، وقال أبو عبيدة: أقنى جعل له قنية أي أصول مال، قال وقالوا: أقنى أرضى، يشير إلى تفسير ابن عباس، وتحقيقه أنه حصل له قنية من الرضا.

١ ـ باب * ٤٨٥٥ ـ عن مسروقٍ قال: «قلتُ لعائشةَ رضيَ الله عنها: يا أُمَّتاهُ، هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قُلتَ، أينَ أنتَ من ثلاثٍ من حدَّثكهنَّ فقد كَذَب: من حدَّثكَ أنَّ محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد كذَب، ثم قرأت {لا تُدرِكه الأبصارُ، وهو يُدرِكُ الأبصارَ، وهو اللطيفُ الخبير، وما كان لِبشرٍ أن يكلمَهُ اللهُ إلاّ وَحياً أو مِن وَراءِ

حِجاب}، ومن حدَّثكَ أنهُ يَعلم ما في غدٍ فقد كَذَب، ثم قرأت {وما تدرِي نفسٌ ماذا تكسِبُ غداً}، ومن حدَّثك أنه كَتمَ فقد كَذب، ثمَّ قرَأت {يا أيُّها الرسولُ بلِّغْ ما أُنزلَ إليك من ربك} الآية، ولكن رأى جبريلَ عليه السلام في صُورتهِ مرَّتين».

قوله (عن مسروق) في رواية الترمذي زيادة قصة في سياقه، فأخرج من طريق مجالد عن الشعبي قال: «لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم، فقال له كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه».

وعند عبد الرزاق من هذا الوجه «قال ابن عباس: إنا بنو هاشم نقول إن محمداً رأى ربه مرتين، فكبر كعب وقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد، فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين، قال مسروق: فدخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه» الحديث.

قوله (هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قالت: لقد قف شعري) أي قام من الفزع، لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك.

قوله (أين أنت من ثلاث؟) أي كيف يغيب فهمك عن هذه الثلاث؟ وكان ينبغي لك أن تكون مستحضرها ومعتقداً كذب من يدعي وقوعها.

قوله (ثم قرأت: لا تدركه الأبصار) قال النووي تبعاً لغيره: لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية، وقد خالفها غيرها من الصحابة، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقاً والمراد بالإدراك في الآية الإحاطة، وذلك لا ينافي الرؤية، انتهى.

وجزمه بأن عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة فإنه قال في كتاب التوحيد في صحيحه: النفي لا يوجب علمًا، ولم تحك عائشة أن النبي ﷺ أخبرها أنه لم ير ربه، وإنما تأولت الآية، انتهى.

وهو عجيب، فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ، فعنده من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق المذكورة قال مسروق: «وكنت متكئاً فجلست فقلت: ألم يقل الله {ولقد رآه نزلة أخرى} فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: إنما هو جبريل».

نعم احتجاج عائشة بالآية المذكورة خالفها فيه ابن عباس، فأخرج الترمذي من طريق الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: «رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول {لا تدركه الأبصار؟} قال: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين» وحاصله أن المراد بالآية نفي الاحاطة به عند رؤياه لا نفي أصل رؤياه.

وقال عياض: رؤية الله سبحانه وتعالى جائزة عقلاً، وثبتت الاخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين في الآخرة، وأما في الدنيا فقال مالك: إنما لم ير سبحانه في الدنيا لأنه باق، والباقي لا يرى بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رأوا الباقي بالباقي، قال عياض: وليس في هذا الكلام استحالة الرؤية إلا من حيث القدرة، فإذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع.

قلت: ووقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» وأخرجه ابن خزيمة أيضاً من حديث أبي أمامة.

وقد اختلف السلف في رؤية النبي ﷺ ربه فذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها، وذهب جماعة إلى إثباتها، وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمداً رأى ربه، وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس، وجزم به كعب الأحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون، ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه؟ وعن أحمد كالقولين.

قلت: جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها، فمن ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد؟ وأخرجه ابن خزيمة بلفظ «أن الله اصطفى إبراهيم بالخلة» الحديث.

وأخرج ابن اسحق من طريق عبد الله بن أبي سلمة أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس: هل رأى محمد ربه؟ فأرسل إليه أن نعم.

ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى {ما كذب الفؤاد ما رأى، ولقد رآه نزلة أخرى} قال: رأى ربه بفؤاده مرتين، وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال: رآه بقلبه وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء أيضاً عن ابن عباس قال: لم يره رسول الله ﷺ بعينه، إنما رآه بقلبه، وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب، ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم، لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء، مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها في العين، وروى ابن خزيمة بإسناد قوي عن أنس قال: «رأى محمد ربه»، وعند مسلم من حديث أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال «نور أنى أراه» ولأحمد عنه، قال: «رأيت نورا» ولابن خزيمة عنه قال: «رآه بقلبه ولم يره بعينه»، وبهذا يتبين مراد أبي ذر بذكره

النور أي النور حال بين رؤيته له ببصره، وقد رجح القرطبي في «المفهم» قول الوقف في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل، قال وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي وجنح ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» إلى ترجيح الإثبات وأطنب في الاستدلال له بما يطول ذكره، وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه، وفيما أوردته من ذلك مقنع، وممن أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام أحمد فروى الخلال في «كتاب السنة» عن المروزي قلت لأحمد إنهم يقولون إن عائشة قالت «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية» فبأي شيء يدفع قولها؟ قال: بقول النبي ﷺ رأيت ربي، قول النبي ﷺ أكبر من قولها، وقد أنكر صاحب «الهدى» على من زعم أن أحمد قال رأى ربه بعيني رأسه قال: وإنما قال مرة رأى محمد ربه وقال مرة بفؤاده.

ثم قال ينبغي أن يعلم الفرق بين قولهم كان الإسراء مناما وبين قولهم كان بروحه دون جسده فإن بينهما فرقاً، فإن الذي يراه النائم قد يكون حقيقة بأن تصعد الروح مثلاً إلى السماء، وقد يكون من ضرب المثل أن يرى النائم ذلك وروحه لم تصعد أصلاً، فيحتمل من قال أسري بروحه ولم يصعد جسده أراد أن روحه عرج بها حقيقة فصعدت ثم رجعت وجسده باق في مكانه خرقاً للعادة، كما أنه في تلك الليلة شق صدره والتأم وهو حي يقظان لا يجد بذلك ألما انتهى.

وظاهر الأخبار الواردة في الإسراء تأبى الحمل على ذلك، بل أسري بجسده وروحه وعرج بهما حقيقة في اليقظة لا مناما ولا استغراقا، والله أعلم.

باب {فكان قابَ قوسَيْن أو أدنى}

حيثُ الوَتَرُ من القَوس.

٤٨٥٦ ـ «عن عبدِ الله {فكان قابَ قوسَينِ أو أدنى، فأوحى إلى عبدِهِ ما أوحى} قال حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جَناح

قوله (باب فكان قاب قوسين أو أدنى حيث الوتر من القوس) والقاب ما بين القبضة والسية من القوس، قال الواحدي: هذا قول جمهور المفسرين أن المراد القوس التي يرمى بها، قال: وقيل المراد بها الذراع لأنه يقاس بها الشيء.

قلت: وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح، فقد أخرج ابن مردويه بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: القاب القدر، والقوسين الذراعان، ويؤيده أنه لوكان المراد به القوس التي

يرمى بها لم يمثل بذلك ليحتاج إلى التثنية، فكان يقال مثلاً: قاب رمح أو نحو ذلك.

باب {فأوحى إلى عبدهِ ما أوحى}

٤٨٥٧ ـ عن الشَّيباني قال: «سألتُ زِراً عن قوله {فكان قابَ قَوسَين أو أدنى، فأوحى إلى عبدِهِ ما أوحى} قال: أخبرَنا عبدُ الله أنه محمد ﷺ رأى جِبريلَ له ستُّمائةِ جَناح».

قوله (أنه محمد[1]) الضمير للعبد المذكور في قوله تعالى {إلى عبده} ووقع عند أبي ذر «أن محمداً رأى جبريل» وهذا أوضح في المراد، والحاصل أن ابن مسعود كان يذهب في ذلك إلى أن الذي رآه النبي ﷺ هو جبريل كما ذهبت إلى ذلك عائشة؛ والتقدير على رأيه فأوحى أي جبريل إلى عبده أي عبد الله محمد لأنه يرى أن الذي دنا فتدلى هو جبريل، وأنه هو الذي أوحى إلى محمد، وكلام أكثر المفسرين من السلف يدل على أن الذي أوحى هو الله، أوحى إلى عبده محمد، ومنهم من قال: إلى جبريل.

باب {لقد رأى من آياتِ ربِّه الكبرى}

٤٨٥٨ ـ عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضيَ الله عنه {لقد رأى من آيات ربِّه الكبرى} قال: رأى رَفْرَفاً أخضرَ قد سدَّ الأفق».

قوله (باب لقد رأى من آيات ربه الكبرى) واختلف في الآيات المذكورة فقيل: المراد بها جميع ما رأى ﷺ ليلة الإسراء، وحديث الباب يدل على أن المراد صفة جبريل.

قوله (رأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق) هذا ظاهره يغاير التفسير السابق أنه رأى جبريل، ولكن يوضح المراد ما أخرجه النسائي والحاكم من طريق عبدالرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال: «أبصر نبي الله ﷺ جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض» فيجتمع من الحديثين أن الموصوف جبريل والصفة التي كان عليها.

وأصل الرفرف ما كان من الديباج رقيقاً حسن الصنعة، ثم اشتهر استعماله في الستر.

٢ ـ باب {أفرَأيتمُ اللاتَ والعزَّى}

٤٨٥٩ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما في قولهِ {اللاتَ والعزَّى}: كان اللاتُ رجلاً يَلُتُّ سَويقَ الحاجِّ».

٤٨٦٠ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: من حَلَف فقال في حَلفه: واللاتِ والعُزَّى، فليَقل: لا إلهَ إلاّ الله، ومن قال لصاحبِه: تعال أقامِرك، فليتصدَّق».

[الحديث ٤٨٦٠ – أطرافه في: ٦١٠٧، ٦٣٠١، ٦٦٥٠]

(١)في المتن واليونينية "أنه محمد ﷺ"

قوله (فقال في حلفه) أي يمينه.

قال الخطابي: اليمين إنما تكون بالمعبود المعظم، فإذا حلف باللات ونحوها فقد ضاهى الكفار، فأمر أن يتدارك بكلمة التوحيد.

وقال ابن العربي: من حلف بها جاداً فهو كافر، ومن قالها جاهلاً أو ذاهلاً يقول لا إله إلا الله يكفر الله عنه ويرد قلبه عن السهو إلى الذكر ولسانه إلى الحق وينفي عنه ما جرى به من اللغو.

قوله (ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فيتصدق[١]) قال الخطابي: أي بالمال الذي كان يريد أن يقامر به، وقيل بصدقة ما لتكفر عنه القول الذي جرى على لسانه.

قال النووي: وهذا هو الصواب، وعليه يدل ما في رواية مسلم «فليتصدق بشيء» وزعم بعض الحنفية أنه يلزمه كفارة يمين، وفيه ما فيه.

قال عياض: في هذا الحديث حجة للجمهور أن العزم على المعصية إذا استقر في القلب كان ذنباً يكتب عليه، بخلاف الخاطر الذي لا يستمر.

قلت: ولا أدري من أين أخذ ذلك مع التصريح في الحديث بصدور القول حديث نطق بقوله «تعال أقامرك» فدعاه إلى المعصية، والقمار حرام باتفاق، فالدعاء إلى فعله حرام، فليس هنا عزم مجرد، وسيأتي بقية شرحه في كتاب الأيمان والنذور[٢].

٣ ـ باب {ومَناةَ الثالثةَ الأخرى}

٤٨٦١ ـ عن عُروةَ «قلت: لعائشةَ رضيَ الله عنها، فقالت: إنما كان من أهلَّ لمناة الطاغيةِ التي بالمشَلَّل لا يطوفون بينَ الصَّفا والمروة، فأنزل اللهُ تعالى {إنَّ الصَّفا والمروةَ من شعائرِ الله} فطافَ رسولُ الله ﷺ والمسلمون».

قوله (من أهلَّ لمناة) أي لأجل مناة.

قوله (قال سفيان مناة بالمشلل) وهو موضع من قديد من ناحية البحر، وهو الجبل الذي يهبط منه إليها.

قوله (من قديد) هو مكان معروف بين مكة والمدينة.

٤ ـ باب {فاسجُدوا لله واعبدُوا}

٤٨٦٢ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: سَجدَ النبيُّ ﷺ بالنَّجم، وسجدَ معهُ المسلمونَ والمشركونَ والجنُّ والإنس».

---

(١) رواية الباب واليونينية "..... فليتصدق".

(٢) كتاب الإيمان والنذور باب / ٥ ح ٦٦٥٠ - ٥ / ١٢٣.

٤٨٦٣ ـ عن عبدِ الله رضيَ اللهُ عنه قال: «أولُ سورةٍ أُنزِلتَ فيها سجدةٌ والنَّجم، قال فسجدَ رسولُ الله ﷺ وسجدَ مَن خلفه، إلاّ رجُلاً رأيته أخذَ كفا من تُرابٍ فسجدَ عليه، فرأيته بعد ذلك قُتلَ كافراً، وهو أُمَيَّةُ بن خَلَف».

قوله (والجن والإنس) إنما أعاد الجن والإنس مع دخولهم في المسلمين لنفي توهم اختصاص ذلك بالإنس.

قوله (أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم، قال فسجد رسول الله ﷺ) أي لما فرغ من قراءتها، وقد قدمت في تفسير الحج من حديث ابن عباس بيان ذلك والسبب فيه.

(٥٤) سورةُ اقتَرَبَتِ الساعة

قال مجاهد مُستمر: ذاهب، مُزدجَر: مُتَناه، وازدُجِر: فاستُطيرَ جُنونا، دُسُر: أضلاعُ السفينة، لمن كان كُفر: يقول كُفِرَ له جزاءً من الله، محتَضَر: يَحضُرونَ الماء، وقال ابنُ جبير مُهطعين: النسَلان، الخَبَب: السراع، وقال غيره: فتعاطى: فعاطى بيدهِ فعقَرها، المحتَظِر: كحِظار من الشجر محترق، وازدُجِر: افتُعل من زَجرتُ: كُفِر: فعلنا به وبهم ما فعَلنا جَزاءً لما صُنِعَ بنوح وأصحابه، مستقرّ: عَذابٌ حَقّ، يقال الأشر: المَرَح والتَّجبرُ.

قوله (دسر أضلاع السفينة) وروى ابن المنذر وإبراهيم الحربي في «الغريب» من طريق حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال: الألواح ألواح السفينة، والدسر معاريضها التي تشد بها السفينة، ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ودسر} قال: المسامير، وبهذا جزم أبو عبيدة.

قوله (وقال ابن جبير مهطعين النَّسَلان، الخبب السراع) وروى ابن المنذر من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله مهطعين قال: ناظرين، وقال أبو عبيدة: المهطع المسرع.

قوله (مستقر عذاب حق) هو قول الفراء، وعند عبد بن حميد عن قتادة في قوله {عذاب مستقر} استقر بهم إلى نار جهنم، ولابن أبي حاتم من طريق مجاهد قال: {وكل أمر مستقر} قال يوم القيامة، ومن طريق ابن جريج قال: مستقر بأهله.

قوله {ويقال الأشر المرح والتجبر} قال أبو عبيدة في قوله {سيعلمون غداً من الكذاب الأشر} قال: الأشر المرح والتجبر، وربما كان من النشاط، والمراد بقوله غدا يوم القيامة.

١ ـ باب {وانشَقّ القمر، وإن يَرَوا آيةً يُعرضوا}

٤٨٦٤ ـ عن ابن مسعودٍ قال: «انشقّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فِرقتين: فِرقةٌ فوقَ الجبَل، وفرقةٌ دُونَه، فقال رسولُ الله ﷺ: اشهَدوا».

٤٨٦٥ ـ عن عبد الله قال: «انشقَّ القمرُ ونحنُ معَ النبيِّ ﷺ فصار فرقَتين، فقال لنا: اشهَدوا، اشهدَوا».

٤٨٦٦ ـ عن ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما قال: «انشقَّ القمرُ في زَمانِ النبيِّ ﷺ».

٤٨٦٧ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «سألَ أهلُ مكةَ أنْ يُريَهُم آيةً فأراهمُ انشِقاقَ القمر».

٤٨٦٨- عن أنس قال: انشق القمر فرقتين.

قوله (باب وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا) وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في أوائل السيرة النبوية[١].

٢ ـ باب {تَجري بأعيُننا جَزاءً لمَن كان كُفِرَ، ولقد تركناها آيةً فهلْ منْ مدَّكر}

قال قتادةُ: «أبْقى اللهُ سفينَةَ نوحٍ حتى أدركها أوائلُ هذه الأمةِ».

٤٨٦٩ ـ عن عبد الله قال: «كان النبيُّ ﷺ يقرأ {فَهَل من مُدَّكِر}».

باب {ولقد يَسَّرْنا القرآنَ للذكر فهل من مدَّكر}، قال مجاهد: يَسَّرْنا: هوَّنا قِراءَتَهُ

٤٨٧٠ ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه «عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقرأ {فهل منْ مدَّكِر}».

باب {أَعْجَازُ نَخلٍ مُنقعر، فكيف كان عذابي ونُذُر}

٤٨٧١ ـ عن أبي إسحاقَ أنه «سَمِعَ رَجلاً سأل الأسودَ: فهل من مُدَّكِر، أو مذْكِر؟ فقال: سمعت عبدَ الله يقرؤها {فهل مِن مدَّكِر}، قال: وسمعتُ النبيَّ ﷺ يقرؤها {فهل مِن مدَّكِر} دالاً».

٣ ـ باب {فكانوا كهَشيم المُحْتَظِر، ولقد يَسَّرْنا القرآن للذِّكْر فهل مِن مَدَّكر}

٤٨٧٢ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه «عن النبيِّ ﷺ قرأ {فهل من مُدَّكِر} الآية».

٤ ـ باب {ولقد صَبَّحَهمُ بُكْرَةً عذابٌ مستقرّ، فَذُوقوا عذابي ونُذُر}

٤٨٧٣ ـ عن عبد الله «عن النبيِّ ﷺ أنَّه قرأ {فهل من مدَّكِر، ولقد أهلكنا أشياعَكم فَهَلْ من مُدَّكِر}».

٤٨٧٤ ـ عن عبد الله قال: «قرأتُ على النبيِّ ﷺ {هل من مذَّكِر} فقال النبيُّ ﷺ: {فهل من مُدَّكِر}».

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٣٦ ح ٣٨٦٨ - ٣ / ٢١٥.

٥ - باب قوله {سَيُهزَم الجَمعُ ويُوَلُّون الدُّبر}

٤٨٧٥ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما «أن رسولَ الله ﷺ قال: -وهو في قبَّةٍ يومَ بَدرٍ- اللهم إنِّي أنشدُكَ عهدكَ ووعدكَ، اللهم إنْ تَشأ لا تُعبد بعدَ اليوم، فأخَذ أبو بكر بيدِه فقال: حَسبُكَ يا رسولَ الله، ألحَحْتَ عَلَى ربِّك -وهو يَثِبُ في الدِّرع، فخرج وهو يقول: {سيُهْزَم الجمعُ ويولُّون الدُّبر}».

٦ - باب قوله {بل الساعة موعدُهم، والساعةُ أدْهى وأمرُّ}

يعني من المَرارة

٤٨٧٦ - عن يوسفَ بن ماهَك قال: «إني عند عائشةَ أمِّ المؤمنين قالت: لقد أُنزلَ على محمدٍ ﷺ بمكة، وإني لَجارية ألْعَبُ: بل الساعةُ موعدُهم، والساعةُ أدْهىَ وأمرُّ}».

[الحديث ٤٨٧٦- طرفه في: ٤٩٩٣]

٤٨٧٧ - عن ابن عباسٍ «أن النبيَّ ﷺ قال: -وهو في قُبَّةٍ له يومَ بدرٍ- أنشدُكَ عهدكَ ووَعدكَ، اللهم إن شِئتَ لم تُعبَدْ بعدَ اليوم أبدا، فأخذَ أبو بكر بيدهِ وقال: حَسْبكَ يا رسولَ الله، فقد ألححْتَ على ربِّك -وهو في الدِّرع- فخرجَ وهو يقول: {سيُهزَمُ الجمعُ ويولون الدُّبر، بل الساعةُ مَوعدُهم، والساعةُ أدْهىَ وأمرُّ}».

قوله (باب قوله {بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر} يعني من المرارة) هو قول الفراء، قال في هذه الآية: معناه أشد عليهم من عذاب يوم بدر، وأمر من المرارة.

(٥٥) سُورةُ الرَّحمن

وقال مجاهد {بحسبان} كحسبان الرحى، وقال غيره {وأقيموا الوَزن} يريدُ لسانَ الميزان، {والعَصف} بَقلُ الزَّرع إذ قطع منه شيء قبل أن يُدرِكَ فذلك العَصْفُ، {والرَّيْحان} رزقه، {والحَبُّ} الذي يُؤكل منه، والريحانُ في كلام العرب: الرزق، وقال بعضهم: {والعصفُ} يريدُ المأكول من الحبِّ؛ والرَّيحان النَّضيجُ الذي لم يؤكل، وقال غيره: العصف ورقُ الحِنطة، وقال الضحاك، العصفُ التِبْنُ، وقال أبو مالكٍ: العصف أول ما يَنْبُتُ، تسمِّيه النَّبَط هَبوراً، وقال مجاهد: العصف ورق الحِنطة، والرَّيحان الرِّزق، والمارج اللهبُ الاصفر والأخضر الذي يعلوا النارَ إذا أوقِدت، وقال بعضهم عن مجاهد: {ربُّ المشرقين} للشمس في الشّتاء مشرق، ومشرق في الصيف، {وربُّ المغربَين} مغربُها في الشتاء والصيف، {لا يبغيان} لا يختلطان، {المنشآتُ} ما رُفع قلعُهُ من السُّفُن، فأما ما لم يُرفع قلعُهُ فليس بمنشآت، وقال

مجاهد: {كالفَخّار} كما يُصنَع الفخار، {الشُّواظ} لهبٌ من نار، وقال مجاهد {ونحاس} النحاس الصّفْر يُصَبُّ على رءوسِهم يُعذَّبون به، {خاف مقام ربه} يهمّ بالمعصية فيَذكر اللهَ عزّ وجلّ فيتركها، {مُدْهامَّتان} سوداوان منَ الرِّيِّ، {صلصال} طينٌ خلط برملٍ فصَلْصَل كما يُصلصل الفَخّار، ويقال مُنتِنٌ يريدون به صَلّ، يقال صلصال كما يقال صَرَّ البابُ عندَ الإغلاق وصَرْصَر، مثل كَبْكَبْتُهُ يعني كَبَبته، {فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمّان} قال بعضهم: ليس الرُّمان والنخل بالفاكهة، وأما العرب فإنهما تَعُدُّهما فاكهة كقوله عزّ وجل {حافظوا على الصلَواتِ والصلاةِ الوُسطى} فأمرَهم بالمحافظة على كلّ الصلوات، ثم أعاد العصرَ تشديداً لها كما أُعيد النخلُ والرُّمان، ومثلها {ألم ترَ أنَّ الله يَسجدُ له مَن في السماوات ومن في الأرض} ثم قال: {وكثيرٌ منَ الناس، وكثيرٌ حقَّ عليه العذاب} وقد ذكرَهم في أول قوله {مَن في السماوات ومن في الأرض}، وقال غيره {أفنان} أغصان، {وجَنَى الجنَّتَين دان} ما يُجْتَنَى قريبٌ، وقال الحسن {فبأيِّ آلاء}: نعمه، وقال قَتادةُ: {ربِّكما تكذِّبان} يعني الجنَّ والإنس، وقال أبو الدرداء {كلَّ يوم هو في شأن}: يغفِرُ ذنباً، ويكشِف كَرباً، ويرفعُ قوماً ويضعُ آخرين، وقال ابن عباس {برزَخ}: حاجِز، {الأنام}: الخَلْق، {نَضّاخَتان}: فيّاضتان، {ذوالجلال}: ذو العظمة، وقال غيره {مارِج}: خالصٌ من النار، ويقال: مَرَجَ الأميرُ رعيته إذا خَلاهم يَعدُو بعضُهم على بعض، مَرِج أمرُ الناس {مَريج} مُلتبِس، {مَرَجَ} اختلَط {البحران} من مرجتَ دابتَك: تركتها، {سنَفرُغُ لكم}: سنُحاسبكم، لا يَشغَله شيء عن شيء، وهو معروف في كلام العرب يقال: لأتفرَّغَنَّ لك، وما به شُغل، يقول: لآخذَنَّ: على غِرَّتك.

قوله (وقال بعضهم عن مجاهد رب المشرقين الخ) وأخرج ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة، وسعيد بن منصور من طريق أبي ظبيان كلاهما عن ابن عباس قال: للشمس مطلع في الشتاء ومغرب، ومطلع في الصيف ومغرب، وأخرج عبد الرزاق من طريق عكرمة مثله وزاد قوله {ورب المشارق والمغارب} لها في كل يوم مشرق ومغرب.

قوله (لا يبغيان لا يختلطان) وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بينهما من البعد ما لا يبغي كل واحد منهما على صاحبه، وتقدير قوله على هذا: يلتقيان، أي أن يلتقيا، وحذف «أن» سائغ، هو كقوله ومن آياته يريكم البرق، وهذا يقوي قول من قال: إن المراد بالبحرين بحر فارس وبحر الروم لأن مسافة ما بينهما ممتدة، والحلو -وهو بحر النيل أو الفرات مثلاً- يصب في الملح، فكيف يسوغ نفي اختلاطهما أو يقال بينهما بعد؟ لكن قوله تعالى {وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج} يرد على هذا، فلعل المراد بالبحرين في الموضعين مختلف، ويؤيده قول ابن

عباس هنا: قوله تعالى في هذا الموضع {يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان} فإن اللؤلؤ يخرج من بحر فارس والمرجان يخرج من بحر الروم، وأما النيل فلا يخرج منه لا هذا ولا هذا.قوله (سنفرغ لكم سنحاسبكم، لا يشغله شيء عن شيء) هو كلام أبي عبيدة أخرجه ابن المنذر من طريقه، وأخرج من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال هو وعيد من الله لعباده وليس بالله شغل، وهو معروف في كلام العرب يقال: لأتفرغن لك، وما به شغل، كأنه يقول لآخذنك على غرة.

١ ـ باب {ومن دونِهما جنَّتان}

٤٨٧٨ ـ عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه «أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: جنَّتانِ من فِضةٍ آنيتُهما وما فيهما، وجنَّتانِ من ذهبٍ آنيتهما وما فيهما، وما بينَ القوم وبين أن يَنظروا إلى ربهم إلا رِداءُ الكبرِ على وَجهِهِ في جنةِ عَدْن».

[الحديث ٤٨٧٨ – طرفاه في: ٤٨٨٠، ٧٤٤٤]

قوله (باب قوله[١] ومن دونهما جنتان) قال الترمذي الحكيم: المراد بالدون هنا القرب، أي وقربهما جنتان أي هما أدنى إلى العرش وأقرب، وزعم أنهما أفضل من اللتين قبلهما، وقال غيره: معنى دونهما يقربهما، وليس فيه تفضيل.

وقد روى ابن مردويه من طريق حماد عن أبي عمران في هذا الحديث قال: من ذهب للسابقين ومن فضة للتابعين، وفي رواية ثابت عن أبي بكر: من ذهب للمقربين ومن فضة لأصحاب اليمين.

قوله (وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الخ) يأتي البحث فيه في كتاب التوحيد[٢] إن شاء الله تعالى.

٢ ـ باب {حُورٌ مَقصوراتٌ في الخِيام}

وقال ابنُ عباس: حورٌ سودُ الحدَق، وقال مجاهد: مقصورات محبوسات، قُصِر طرفُهنَّ وأنفُسُهنَّ على أزواجهن، قاصِراتٌ لا يبغين غيرَ أزواجهنَّ

٤٨٧٩ ـ عن أبي بكر بن عبد الله بن قَيس عن أبيه «أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: إنَّ في الجنَّةِ خيمةً من لؤلؤةٍ مجوَّفة عَرضُها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهلٌ ما يَرَون الآخرين، يطوفُ عليهمُ المؤمنون».

٤٨٨٠ ـ «وجَنَّتانِ من فِضةٍ آنيتهما وما فيهما، وجنَّتانِ من كذا آنيتهما وما فيهما،

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله.

(٢) كتاب التوحيد باب / ٢٤ ح ٧٤٤٤ – ٥ / ٥٦٩.

وما بينَ القوم وبينَ أن يَنظروا إلى ربهم إلا رِداءُ الكبرِ على وجههِ في جنَّةِ عَدْن».

قوله (باب حور مقصورات في الخيام) أي محبوسات، ومن ثم سموا البيت الكبير قصراً لأنه يحبس من فيه.

قوله (وقال ابن عباس حور سود الحدق) في رواية ابن المنذر من طريق عطاء عن ابن عباس: الحور سواد الحدقة.

قوله (في كل زاوية منها أهل) في رواية مسلم «أهل للمؤمن».

قوله (يطوف عليهم المؤمنون) قال الدمياطي: صوابه المؤمن بالإفراد وأجيب بجواز أن يكون من مقابلة المجموع بالمجموع.

(٥٦) سورةُ الواقِعة

وقال مجاهد {رُجَّت}: زُلزِلت، {بُسَّت}: فُتَّت ولتَّت كما يُلَتُّ السويق، {المخضود}: لا شوكَ له، {مَنْضود}: الموز، والعرُب المحبَّباتُ إلى أزواجهن، {ثُلَّة}: أمة، {يَحموم}: دخانٌ أسود، {يُصِرُّون}: يديمون، {الهيم}: الإبلُ الظماء، {لَمغرَمون}: لَملزَمون، {مَدينين}: محاسَبين، {رَوحٌ}: جَنَّة ورخاء، {وريحانٌ}: الرزق، {ونُنشِئكم فيما لا تعلمون} أي في أيِّ خَلق نَشاء، وقال غيره {تَفكَّهون}: تعجبون، {عُرُبا} مثقلةٌ واحدها عروب -مثلُ صَبور وصُبر- يسميها أهل مكة: العَرِبة، وأهل المدينة، الغَنِجة، وأهلُ العراق: الشكلة، وقال في {خافضة}: لقوم إلى النار، و {رافعة}: إلى الجنَّة، {مَوْضونَة}: منسوجة ومنه وَضين الناقة، والكوب لا آذانَ له ولا عروة، والأباريق: ذوات الآذان والعُرَى، {مَسكوب}: جارٍ {وفُرُشٌ مرفوعة} بعضها فوق بعض، {مترَفين}: متمتِّعين، {ما تُمنُون} هي النُّطفة في أرحام النساء، {للمقوين} للمسافِرين، والقيُّ: القفر، {بَمواقع النُّجوم}: بُمحكم القرآن، ويقال بَمسقِط النجوم إذا سَقطنَ ومواقع وموقَع واحد، {مُدهنون} مُكذِّبون مثلُ {لوتُدهِنُ فيُدهِنون}، {فسَلامٌ لك} أي مُسلم لك، إنكَ {من أصحابِ اليمين} وألغيت «أنَّ» وهو معناها، كما تقول: أنتَ مصدَّق، ومسافرٌ عن قليل إذا كان قد قال: إني مسافر عن قليل، وقد يكون كالدُّعاءِ له، كقولك فَسَقْياً منَ الرجال إن رفعتَ السلام فهو من الدُّعاء، {تُورُون} تستخرِجون، أوريتُ أوقَدتُ، {لغواً} باطلاً، {تأثيماً} كذبا.

قوله (سورة الواقعة) والمراد بالواقعة القيامة.

قوله (لمغرمون: لملزمون) وعند الفريابي من طريق مجاهد: ملقون للشر.

قوله (وقال في {خافضة} لقوم إلى النار و{رافعة} لقوم إلى الجنة} وعن محمد بن كعب: خفضت أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين، ورفعت أقواماً كانوا في الدنيا منخفضين.

١ ـ باب {وظِلٍّ مَمدود}

٤٨٨١ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه يَبلغُ به النبيَّ ﷺ قا : «إن في الجنة شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلّها مائةَ عامٍ لا يَقطعها، واقرءوا إن شئتم {وظِلٍّ مدود}».

قوله (باب قوله[1]{وظل ممدود}) ذكر فيه حديث أبي هريرة «أن في الجنة شجرة» وقد تقدم شرحه في صفة الجنة من بدء الخلق[2].

(٥٧) سورةُ الحديد

قال مجاهد: {جعَلَكم مستَخلَفين}: معمَّرين فيه {منَ الظُّلمات إلى النُّور} من الضلالةِ إلى الهدَى {فيه بأسٌ شديدٌ ومَنافعُ للناس} جُنَّةٌ وسلاح {مَولاكم} أولى بكم، {لئلا يَعلمَ أهلُ الكتاب} ليعلم أهل الكتاب، يقال الظاهر على كل شيء علماً، والباطنُ على كلِّ شيءٍ علماً، أنظرونا: انتظرونا

قوله (وقال[3]مجاهد: جعلكم مستخلفين معمرين فيه) وقال الفراء {مستخلفين فيه}: يريد مملكين فيه، وهو رزقه وعطيته.

قوله (فيه بأس شديد ومنافع للناس: جُنَّة وسلاح) وجُنَّة أي ستر.

(٥٨) سورةُ المجادِلة

وقال مجاهد: {يحادُّون}: يُشاقون الله، {كبتوا} أخزِيوا، من الخِزي، {استَحْوَذَ}: غلبَ

قوله (استحوذ غلب) أي غلبهم الشيطان.

(تنبيه): لم يذكر في تفسير الحديد حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيه حديث ابن مسعود «لم يكن بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله} إلا أربع سنين» أخرجه مسلم من طريق عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه عن عمه، وكذا سورة المجادلة ولم يخرج فيها حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيها حديث التي ظاهر منها زوجها، وقد أخرجه النسائي، وأورد منه البخاري طرفاً في كتاب التوحيد معلقاً.

(٥٩) سورةُ الحشر

الجلاء: الإخراج من أرضٍ إلى أرض.

١ ـ باب * ٤٨٨٢ ـ عن سعيدِ بن جُبَيرٍ قال: «قلتُ لابن عباس: سورةُ التوبة؟ قال: التوبةُ هي الفاضحة، ما زالت تَنزِل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنُّوا أنها لم تُبقِ أحداً منهم إلاَّ

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية ودون "باب وقوله".
(٢) في رواية الباب واليونينية بدون الواو.
(٣) كتاب بدء الوحي باب / ٨ ح ٣٢٥٢ - ١ / ٢٣.

ذُكِرَ فيها، قال: قلت سورةُ الأنفال؟ قال: نَزَلت في بَدر، قال: قلت: سورةُ الحشر؟ قال: نَزلت في بني النَّضير».

٤٨٨٣ ـ عن سعيدٍ قال: «قلتُ لابن عباس رضيَ الله عنهما: سورةُ الحَشر؟ قال: قُل سورة بني النضير».

قوله (سورة الحشر؟ قال قل سورة النضير[١]) كأنه كره تسميتها بالحشر لئلا يظن أن المراد يوم القيامة، وإنما المراد به هنا إخراج بني النضير.

٢ ـ باب {ما قَطعتم من لِينَة}

نخلة، ما لم تكن عجوةً أو بَرْنية

٤٨٨٤ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما «أن رسولَ الله ﷺ حرَّق نخلَ بني النَّضير وقَطَعَ، وهي البُوَيرة، فأنزَلَ اللهُ تعالى: {ما قَطعتم من لِينَةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذنِ الله؛ وليُخزِيَ الفاسقين}».

قوله (باب قوله[٢]{ما قطعتم من لينة} نخلة ما لم تكن عجوة أو برنية) وعند الترمذي من حديث ابن عباس «اللينة النخلة» في أثناء حديث، وروى سعيد بن منصور من طريق عكرمة قال: اللينة ما دون العجوة، وقال سفيان: هي شديدة الصفرة تنشق عن النوى.

٣ ـ باب قوله {ما أفاءَ اللهُ على رسولِه}

٤٨٨٥ ـ عن عمرَ رضيَ الله عنه قال: «كانت أموالُ بني النَّضير مما أفاءَ اللهُ على رسولِه ﷺ مما لم يوجِفِ المسلمونَ عليه بَخيلٍ ولا رِكاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصةً، يُنفِقُ على أهله منها نَفقةَ سَنَته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكُراع عُدَّةً في سَبيل الله».

قوله (باب قوله ما أفاء الله على رسوله) تقدم في تفسير الفيء والفرق بينه وبين الغنيمة في أواخر الجهاد.

٤ ـ باب {وما آتاكم الرسول فخذوه}

٤٨٨٦ ـ عن عبدِ الله قال: «لَعنَ اللهُ الواشِماتِ والموتشماتِ والمتَنمِّصاتِ والمتفلِّجات للحُسن، المغيِّراتِ خَلقَ الله، فبلغَ ذلك امرأةً من بني أسدٍ يقال لها أمّ يعقوبَ، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنكَ لَعنتَ كيتَ وكيت، فقال: وماليَ لا ألعنُ من لَعنَ رسولُ الله ﷺ ومن هوَ في كتاب الله، فقالت: لقد قرأتُ ما بينَ اللوحين، فما وَجدتُ فيه ما تقول، قال: لئن كنتِ قرأتيهِ لقد وَجَدتيه، أما قرأتِ {وما آتاكم الرسولُ فُخذوه، وما نهاكم عنه

---

(١) رواية الباب "..... سورة بني النضير" واليونينية توافق الشرح.
(٢) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

فانتَهوا؟} قالت: بَلى، قال: فإنه قد نهى عنه، قالت: فإني أرى أهلكَ يَفعلونه، قال: فاذهبي فانظري، فذَهبتْ فنَظرَت فلم تَرَ من حاجَتَها شيئاً، فقال: لو كانت كذلك ما جامَعتُها».

[الحديث ٤٨٨٦ - أطرافه في: ٤٨٨٧، ٥٩٣١، ٥٩٣٩، ٥٩٤٣، ٥٩٤٨]

٤٨٨٧ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه قال: لَعنَ رسولُ الله ﷺ الواصِلةَ، فقال: سَمعتهُ من امرأةٍ يقال: لها أمُّ يَعقوبَ عن عبدِ الله مثلَ حديث منصور».

قوله (باب وما آتاكم الرسول فخذوه) أي وما أمركم به فافعلوه، لأنه قابله بقوله {وما نهاكم عنه فانتهوا}.

قوله (عن عبد الله) هو ابن مسعود قال: «لعن الله الواشمات» سيأتي شرحه في كتاب اللباس(١).

قوله (أهلك يفعلونه) هي زينب بنت عبد الله الثقفية.

قوله (فلم تر من حاجتها شيئاً) أي من الذي ظنت أن زوج ابن مسعود تفعله، وقيل كانت المرأة رأت ذلك حقيقة وإنما ابن مسعود أنكر عليها فازالته، فلهذا لما دخلت المرأة لم تر ما كانت رأت قبل ذلك.

قوله (ما جامعتها) يحتمل أن يكون المراد بالجماع الوطء، أو الإجتماع وهو أبلغ.

واستدل بالحديث على جواز لعن من اتصف بصفة لعن رسول الله ﷺ من اتصف بها لأنه لا يطلق ذلك إلى على من يستحقه، وأما الحديث الذي أخرجه مسلم فإنه قيد فيه بقوله «ليس بأهل» أي عندك، لأنه إنما لعنه لما ظهر له من استحقاقه، وقد يكون عند الله بخلاف ذلك، فعلى الأول يحمل قوله «فاجعلها له زكاة ورحمة» وعلى الثاني فيكون لعنه زيادة في شقوته، وفيه أن المعين على المعصية يشارك فاعلها في الإثم.

٥ ـ باب {والذين تبوَّءوا الدارَ والإيمان}

٤٨٨٨ ـ عن عمرو بن مَيمون قال: «قال عمرُ رضيَ الله عنه أُوصي الخليفةَ بالمهاجرينَ الأولين، أن يعرفَ لهم حقهم، وأُوصي الخليفةَ بالأنصارِ الذين تَبَوَّءوا الدار والإيمان من قبلِ أن يُهاجرَ النبيُّ ﷺ، أن يقبلَ من محسنِهم، ويعفو عن مُسيئهم».

قوله (باب والذين تبوءوا الدار والإيمان) أي استوطنوا المدينة، وقيل نزلوا، فعلى الأول يختص بالأنصار وهو ظاهر قول عمر، وعلى الثاني يشملهم ويشمل المهاجرين السابقين، ذكر فيه طرفاً من قصة عمر عند مقتله وقد تقدم في المناقب(٢).

---

(١) كتاب اللباس باب / ٨٢ ح ٥٩٣١ - ٤ / ٤٠٤.
(٢) كتاب فضائل الصحابة باب / ٨ ح ٣٧٠٠ - ٣ / ١٤٩.

٦ ـ باب {ويؤثرونَ على أنفسِهم}

الآية، الخصاصة: الفاقة، المفلِحون: الفائزون بالخلود، الفَلاح: البقاء، حَيَّ على الفلاح: عَجِّلْ، وقال الحسن: حاجةً حَسَدا

٤٨٨٩ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: «أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أصابني الجَهدُ، فأرسلَ إلى نسائه فلم يجد عندهنَّ شيئاً، فقال رسولُ الله ﷺ: ألا رجلٌ يُضيفهُ الليلة يرحمهُ الله؟ فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيفُ رسول الله ﷺ لا تَدَّخريه شيئاً، فقالت: واللهِ ما عندي إلا قُوتُ الصِّبية، قال: فإذا أراد الصِّبية العَشاءَ فنوِّميهم، وتعالَيْ فأطفِئي السِّراجَ ونَطوي بُطونَنا الليلةَ، ففعلَت، ثم غدا الرجل على رسولِ الله ﷺ فقال: لقد عَجِبَ اللهُ عزَّ وجل -أو ضحِكَ- من فلانٍ وفلانةَ فأنزَلَ اللهُ عز وجل {ويُؤْثِرونَ على أنفُسِهم ولو كان بهم خَصاصة}».

قوله (حي على الفلاح: عجل) هو تفسير حي، أو معنى «حي على الفلاح» أي عجل إلى الفلاح قال ابن التين: لم يذكره أحد من أهل اللغة، وإنما قالوا معناه هلم وأقبل.

قلت: وهو كما قال، لكن فيه إشعار بطلب الإعجال، فالمعنى أقبل مسرعاً.

(٦٠) سُورةُ المُمتَحِنة

وقال مجاهد {لا تجعلنا فِتنةً}: لا تُعذِّبنا بأيديهم، فيقولون: لو كان هؤلاءِ على الحقِّ ما أصابهم هذا، {بِعِصَم الكوافرِ} أمِرَ أصحابُ النبيِّ ﷺ بفراق نسائهم، كنَّ كوافرَ بمكة.

قوله (بعصم الكوافر، أمر أصحاب النبي ﷺ بفراق نسائهم كن كوافر بمكة) وأخرجه الطبري من طريقه أيضاً ولفظه «أمر أصحاب محمد ﷺ بطلاق نسائهم كوافر بمكة قعدن مع الكفار» ولسعيد بن منصور من طريق إبراهيم النخعي قال: نزلت في المرأة من المسلمين تلحق بالمشركين فتكفر فلا يمسك زوجها بعصمتها قد بريء منها انتهى، والكوافر جمع كافرة والعصم جمع عصمة.

١ ـ باب {لا تتَّخِذوا عَدُوِّي وعدوكم أولياء}

٤٨٩٠ ـ عن الحسنِ بن محمد بن عليّ أنه سمع عُبيدَ الله بن أبي رافعٍ كاتب عليّ يقول: سمعتُ علياً رضيَ الله عنه يقول: «بعثَني رسول الله ﷺ أنا والزُّبير والمِقداد قال: انطلِقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإنَّ بها ظَعينة معها كتابٌ فخذوهُ منها، فذهَبْنا تَعادَى بنا خيلُنا حتى أتينا الرَّوضةَ، فإذا نحنُ بالظعينةِ، فقلنا: أخرِجي الكتابَ، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتُخرِجنَّ الكتابَ أو لنُلقِيَنَّ الثياب، فأخرَجَتْهُ من عِقاصها، فأتينا به النبيَّ

ﷺ، فإذا فيه مِن حاطِب بن أبي بَلْتعةَ إلى أناس من المشركين ممن بمكةَ يُخبِرُهم ببعض أمرِ النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: ما هذا يا حاطِبُ؟ قال: لا تعجَلْ عليَّ يا رسولَ الله، إني كنتُ امرءاً من قُريش ولم أكن من أنفُسِهم، وكان مَن معكَ من المهاجرين لهم قَرابات يَحمُون بها أهليهم وأموالَهم بمكة، فأحبَبتُ إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنعِ إليهم يَداً يحمون قَرابتي، وما فعلتُ ذلك كُفراً ولا ارتداداً عن ديني، فقال النبيُّ ﷺ: إنهُ قد صدَقَكم، فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عُنقَه، فقال: إنهُ شهد بدراً، وما يُدريك لعلَّ الله عزَّ وجل اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شِئتم فقد غَفَرتُ لكم»، قال عمروٌ ونزلت فيه {يا أيها الذين آمَنوا لا تتَّخِذوا عدُوِّي وعدُوَّكم أولياء}، قال: لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو.

قوله (الحسن بن محمد بن علي) أي ابن أبي طالب.

قوله (كنت امرءاً من قريش) أي بالحلف، لقوله بعد ذلك «ولم أكن من أنفسهم».

قوله (فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه) إنما قال ذلك عمر مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض من ينسب إلى النفاق، وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله ﷺ استحق القتل، لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله، وأطلق عليه منافقاً لكونه أبطن خلاف ما أظهر، وعذر حاطب ما ذكره، فإنه صنع ذلك متأولاً لأن لا ضرر فيه.

قوله (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) المراد غفران ذنوبهم في الآخرة، وإلا فلو وجب على أحدهم حد مثلاً لم يسقط في الدنيا، وقال ابن الجوزي: ليس هذا على الاستقبال، وإنما هو على الماضي، تقديره اعملوا ما شئتم أي عمل كان لكم فقد غفر، قال: لأنه لو كان للمستقبل كان جوابه فسأغفر لكم، ولو كان كذلك لكان إطلاقاً في الذنوب ولا يصح، ويبطله أن القوم خافوا من العقوبة بعد حتى كان عمر يقول: يا حذيفة، بالله هل أنا منهم؟ وتعقبه القرطبي بأن «اعملوا» صيغة أمر وهي موضوعة للاستقبال، ولم تضع العرب صيغة الأمر للماضي لا بقرينة ولا بغيرها لأنهما بمعنى الإنشاء والإبتداء، وقوله «اعملوا ما شئتم» يحمل على طلب الفعل، ولا يصح أن يكون بمعنى الماضي، ولا يمكن أن يحمل على الإيجاب فتعين للإباحة، قال: وقد ظهر لي أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف، تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة، وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة، ولا يلزم من وجود الصلاحية الشيء وقوعه، وقد أظهر الله صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ولازم الطريق المثلي، ويعلم ذلك من أحوالهم

بالقطع من اطلع على سيرهم انتهى.

ويحتمل أن يكون المراد بقوله «فقد غفرت لكم» أي ذنوبكم تقع مغفورة، لا أن المراد أنه لا يصدر منهم ذنب.

وقد شهد مسطح بدراً ووقع في حق عائشة كما تقدم في تفسير سورة النور، فكأن الله لكرامتهم عليه بشرهم على لسان نبيه أنهم مغفور لهم ولو وقع منهم ما وقع، وقد تقدم بعض مباحث هذه المسألة في أواخر كتاب الصيام في الكلام على ليلة القدر، ونذكر بقية شرح هذا الحديث في كتاب الديات إن شاء الله تعالى.

واستدل باستئذان عمر على قتل حاطب لمشروعية قتل الجاسوس ولو كان مسلماً وهو قول مالك ومن وافقه، ووجه الدلالة أنه ﷺ أقر عمر على إرادة القتل لولا المانع، وبين المانع هو كون حاطب شهد بدراً، وهذا منتف في غير حاطب، فلو كان الإسلام مانعاًمن قتله لما علل بأخص منه.

٢ ـ باب {إذا جاءكُم المؤمناتُ مُهاجرات}

٤٨٩١ ـ عن عروةَ أنَّ عائشةَ رضيَ الله عنها زوجَ النبيِّ ﷺ أخبَرَتْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَمتَحنُ مَن هاجرَ إليه من المؤمناتِ بهذهِ الآية بقول الله تعالى {يا أيها النبيُّ إذا جاءكَ المؤمناتُ يُبايعنَك -إلى قوله- غَفورٌ رَحيم} قال عروة: قالت عائشة: فمن أقرَّ بهذا الشَّرطِ من المؤمناتِ قال لها رسولُ الله ﷺ: قد بايعتكِ، كلاماً، ولا والله ما مَسَّت يدُه يدَ امرأةٍ قطُّ في المبايعة، ما يُبايعهنَّ إلاَّ بقوله: قد بايعتكِ على ذلك».

قوله (باب إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) اتفقوا على نزولها بعد الحديبية، وأن سببها ما تقدم من الصلح بين قريش والمسلمين على أن من جاء من قريش إلى المسلمين يردونه إلى قريش، ثم استثنى الله من ذلك النساء بشرط الامتحان.

قوله (قد بايعتكِ، كلاماً) أي يقول ذلك كلاماً فقط، لا مصافحة باليد كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند المبايعة.

وروى النسائي والطبري من طريق محمد بن المنكدر «أن أمية بنت رقيقة أخبرته أنها دخلت في نسوة تبايع، فقلن يا رسول الله أبسط يدك نصافحك، قال: إني لا أصافح النساء، ولكن سآخذ عليكن، فأخذ علينا حتى بلغ: ولا يعصينك في معروف، فقال: فيما طقتن واستطعتن، فقلن: الله وسروله أرحم بنا من أنفسنا» وفي رواية الطبري «ما قولي لمائة امرأة إلا كقولي لامرأة واحدة».

وفي هذا الحديث أن المحنة المذكورة في قوله «فامتحنوهن» هي أن يبايعهن بما تضمنته الآية المذكورة، وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنه ﷺ كان «يمتحن من هاجر من النساء: بالله ما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحباً لله ورسوله».

٣ ـ باب {إذا جاءكَ المؤمناتُ يُبايعنَكَ}

٤٨٩٢ ـ عن أمِّ عطيةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «بايعنا رسولَ الله ﷺ، فقرأَ علينا {أنْ لا يُشركنَ باللهِ شيئاً}، ونهانا عن النِّياحة، فقَبَضتِ امرأةٌ يدَها فقالت: أسعدَتْني فُلانةُ فأريدُ أن أجزيَها، فما قال لها النبيُّ ﷺ شيئاً، فانطَلَقتْ ورَجَعت، فبايَعَها}».

٤٨٩٣ ـ عن ابن عباسٍ في قوله تعالى {ولا يَعصينَك في معروف} قال: إنما هو شرطٌ شرطَهُ اللهُ للنساء».

٤٨٩٤ ـ عن عُبادةَ بن الصامتِ رضيَ الله عنه قال: «كنا عند النبيِّ ﷺ فقال: أتُبايعوني على أن لا تُشركوا باللهِ شيئاً ولا تزنوا ولا تَسرقوا؟ وقرأَ آيةَ النساءِ -وأكثرُ لفظ سفيان: قرأَ الآيةَ- فمن وَفى منكم فأجرُهُ على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفّارةٌ له، ومن أصاب منها شيئاً من ذلك فستَرهُ الله فهو إلى الله: إن شاءَ عذَّبهُ، وإن شاءَ غَفرَ له».

٤٨٩٥ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «شهدتُ الصلاةَ يومَ الفِطرِ معَ رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ وعثمان رضي الله عنهم، فكلُّهم يُصلّيها قبلَ الخطبة ثمَّ يَخطُبُ بَعدُ، فنزلَ نبيُّ ﷺ، فكأني أنظرُ إليه حينَ يُجلّس الرِّجالَ بيدِه، ثم أقبلَ يَشُقُّهم حتى أتى النساءَ معَ بلال فقال: {يا أيها النبيُّ إذا جاءكَ المؤمناتُ يُبايعنَكَ على أن لا يُشركنَ بالله شيئا ولا يَسرقن ولا يزنينَ ولا يقتُلن أولادهنَّ ولا يأتينَ ببُهتانٍ يَفترينَهُ بين أيْديهنَّ وأرجُلِهن} حتى فرَغَ من الآيةِ كلِّها، ثم قال حينَ فرَغ: أنتُنَّ على ذلك؟ وقالت امرأةٌ واحدة لم يجبهُ غيرها: نعم يا رسولَ الله، لا يَدري الحَسَنُ من هي، قال: فتصدَّقْنَ وبَسطَ بِلالٌ ثَوبَه، فجعلن يُلقينَ الفَتَخَ والخواتيم في ثوبِ بلال».

قوله (أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها) وللنسائي في رواية أيوب «فأذهب فأسعدها ثم أجيئك فأبايعك» والاسعاد قيام المرأة مع الأخرى في النياحة تراسلها، وهو خاص بهذا المعنى، ولا يستعمل إلا في البكاء والمساعدة عليه.

قوله (فانطلقتْ ورجعتْ، فبايعها) وفي رواية النسائي «قال فاذهبي فأسعديها، قالت: فذهبت فساعدتُها ثم جئت فبايعت».

قال النووي: واستشكل القاضي عياض وغيره هذا الحديث وقالوا فيه أقولاً عجيبة، ومقصودي التحذير من الاغترار بها، فإن بعض المالكية قال: النياحة ليست بحرام، لهذا الحديث، وإنما المحرم ما كان معه شيء من أفعال الجاهلية من شق جيب وخمش خد ونحو ذلك، قال: والصواب ما ذكرناه أولا وأن النياحة حرام مطلقاً وهو مذهب العلماء كافة انتهى.

وقد تقدم في الجنائز النقل عن غير هذا المالكي أيضاً أن النياحة ليست بحرام، وهو شاذ مردود، وقد أبداه القرطبي احتمالاً ورده بالاحاديث الواردة في الوعيد على النياحة، وهو دال على شدة التحريم، لكن لا يمتنع أن يكون النهي أولا ورد بكراهة التنزيه، ثم لما تمت مبايعة النساء وقع التحريم فيكون الإذن لمن ذكر وقع في الحالة الأولى لبيان الجواز ثم وقع التحريم فورد حينئذ الوعيد الشديد.

قوله (في قوله {ولا يعصينك في معروف} قال: إنما هو شرط شرطه الله للنساء) أي على النساء. فإن اشترطن ذلك على أنفسهن فبايعن.

واختلف في الشرط فالأكثر على أنه النياحة كما سبق، وقد تقدم عند مسلم ما يدل لذلك، وأخرج الطبري من طريق زهير بن محمد قال في قوله {ولا يعصينك في معروف}: لا يخلوا الرجل بامرأة، وقد جمع بينهما قتادة.

(٦١) سُورةُ الصَّفْ بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهدٌ: {مَنْ أنصاري إلى الله} مَن يَتبَعُني إلى الله

وقال ابن عباس {مَرصوص}: مُلصَقٌ بعضهُ إلى بعض، وقال يحيى: بالرَّصاص

١ ـ باب {يأتي من بعدي اسمه أحمد}

٤٨٩٦ ـ عن محمد بن جُبير بن مُطعم عن أبيه رضيَ الله عنه قال: سمعتُ رسول اللهُ ﷺ يقول: إنَّ لي أسماءَ، أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو اللهُ بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحشَرُ الناسُ على قَدَمي، وأنا العاقب».

قوله (سورة الصف - بسم الله الرحمن الرحيم) ويقال لها أيضاً سورة الحواريين.

وأخرج الطبري من طريق معمر عن قتادة أن الحواريين من أصحاب النبي ﷺ كلهم من قريش، فسمي العشرة المشهورين إلا سعيد بن زيد وحده وحمزة وجعفر بن أبي طالب وعثمان ابن مظعون.

قوله (وقال ابن عباس مرصوص ملصق بعضه إلى بعض) وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله {كأنهم بنيان مرصوص}: مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض فعلى تفسير ابن عباس هو من التراص أي التضام مثل تراص الإسنان أو من الملائم الأجزاء المستوى.

قوله (وقال يحيى بالرصاص) وجزم أبو ذر بأنه الفراء وهو كلامه في «معاني القرآن» ولفظه في قوله {كأنهم بنيان مرصوص}: يريد بالرصاص حثهم على القتال.

٦٢- سورةُ الجُمُعَة، بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ باب قوله {وآخَرِين منهم لـمّا يَلْحَقوا بهم}

وقرأ عمرُ «فامضوا إلى ذِكْرِ الله»

٤٨٩٧ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «كنّا جلوساً عندَ النبيِّ ﷺ، فأُنزلت عليه سورةُ الجمعة {وآخَرينَ منهم لـمّا يَلحقوا بهم} قال قلت: مَن هم يا رسولَ الله؟ فلم يُراجِعْهُ حتى سألَ ثلاثاً -وفينا سَلمانُ الفارسيُّ، وَضعَ رسولُ الله ﷺ يدَهُ على سلمانَ- ثمَّ قال: لو كان الإيمانُ عند الثُّريّا لنالَهُ رجالٌ -أو رجلٌ- من هؤلاء».

[الحديث ٤٨٩٧ - طرفه في: ٤٨٩٨]

٤٨٩٨ ـ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ «لَنا لَهُ رجالٌ من هؤلاء».

قوله (وقرأ عمر: فامضوا إلى ذكر الله) وقال أبو عبيدة: معنى فاسعوا أجيبوا وليس من العدو.

٢ ـ باب {وإذا رأوا تِجارةً أو لهواً}

٤٨٩٩ ـ عن جابر بن عبد الله رضيَ الله عنهما قال: «أقبلَت عِيرٌ يومَ الجمعةِ -ونحنُ معَ النبيِّ ﷺ- فثارَ الناسُ إلاّ اثنا عشرَ رجلاً، فأنزلَ اللهُ {وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفَضُّوا إليها}

قوله (أقبلت عير) تقدم الكلام عليها في كتاب الجمعة[1] مع بقية شرح هذا الحديث ولله الحمد.

(٦٣) سورةُ المنافقين، بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ باب قوله {إذا جاءكَ المنافقونَ قالوا نشهد إنكَ لرسولُ الله -إلى- لكاذِبون}

٤٩٠٠ ـ عن زيدِ بن أرقم قال: «كنتُ في غَزاةٍ فسمعت عبدَ الله بنَ أبيٍّ يقول: لا تُنفِقوا على مَن عندَ رسولِ الله حتى ينفَضُّوا من حَوله، ولئن رجعنا من عنده ليُخرجنَّ الأعزُّ

(١) كتاب الجمعة باب / ٣٨ ح ٩٣٦ - ١ / ٤٨٨.

منها الأذلَّ، فذكرتُ ذلك لعمِّي -أو لعمرَ- فذكرَه للنبيِّ ﷺ، فدعاني فحدَّثته، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى عبدِ الله بن أبيّ وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذَّبني رسولُ الله ﷺ وصدَّقَه، فأصابَني همٌّ لم يُصبني مثلُهُ قطُّ، فجلستُ في البيت، فقال لي عمِّي: ما أردتَ إلى أن كذَّبك رسولُ الله ﷺ ومَقتَك، فأنزلَ الله تعالى {إذا جاءكَ المنافقونَ} فبعث إليَّ النبيُّ ﷺ فقرأ فقال: إنَّ الله قد صدَّقكَ يا زيد».

[الحديث ٤٩٠٠ - أطرافه في: ٤٩٠١، ٤٩٠٢، ٤٩٠٣، ٤٩٠٤]

قوله (يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله) هو كلام عبد الله بن أبيّ، ولم يقصد الراوي بسياقه التلاوة.

قوله (فذكرت ذلك لعمي -أو لعمر-) كذا بالشك، وفي سائر الروايات الآتية لعمي بلا شك، ووقع عند الطبراني وابن مردويه أن المراد بعمه سعد بن عبادة وليس عمه حقيقة وإنما هو سيد قومه الخزرج، وعم زيد بن أرقم الحقيقي ثابت بن قيس له صحبة، وعمه زوج أمه عبد الله بن رواحة خزرجي أيضاً.

قوله (فكذّبني) وفي رواية ابن أبي ليلى عن زيد عند النسائي «فجعل الناس يقولون: أتى زيدٌ رسولَ الله بالكذب».

وفي الحديث من الفوائد ترك مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات لئلا ينفر أتباعهم والاقتصار على معاتباتهم وقبول أعذارهم وتصديق أيمانهم وإ كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك، لما في ذلك من التأنيس والتأليف، وفيه جواز تبليغ ما لا يجوز للمقول فيه، ولا يعد نميمة مذمومة إلا إن قصد بذلك الإفساد المطلق، وأما إذا كانت فيه مصلحة ترجح على المفسدة فلا.

٢ ـ باب {اتَّخَذوا أيْمانَهُمْ جُنَّةً يجتَنُّونَ بها}

٤٩٠١ ـ عن زَيد بن أرْقمَ رضي الله عنه قال: «كنتُ مع عَمي، فسمعتُ عبدَ الله بن أُبَيّ ابنَ سَلولَ يقول: لا تُنفقوا عَلَى من عندَ رسولِ الله حتى ينفَضُّوا، وقال أيضاً: لئن رجَعنا إلى المدينةِ ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذكرتُ ذلك لعمي، فذكر عمي لرسولِ الله ﷺ، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيّ وأصحابه فحلَفوا ما قالوا، فصدَّقهم رسولُ الله ﷺ وكذَّبَني، فأصابني همٌّ لم يُصبْني مثله، فجلَسْتُ في بيتي، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: {إذا جاءكَ المنافِقون -إلى قوله- هم الَّذين يقولون لا تُنفقُوا على مَن عندَ رسولِ الله -إلى

قوله- ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ} فأرسلَ إليَّ رسولُ اللهِ فقرأها علَيَّ، ثم قال: إنَّ الله قد صَدَّقَكَ».

تقدم شرحه في الذي قبله مستوفى.

٣ ـ باب قوله {ذلك بأنَّهم آمنوا ثمَّ كفروا، فَطُبِعَ على قلوبهم فهم لا يَفقهون}

٤٩٠٢ ـ عن زيدَ بن أرقمَ رضيَ الله عنه قال: «لما قال عبدُ الله بن أبيّ: لا تُنفقوا على مَن عندِ رسولِ الله، وقال أيضاً: لَئن رجعنا إلى المدينة، أخْبرتُ به النبيَّ ﷺ فلامَني الأنصارُ، وحَلَف عبدُ الله بنُ أبيٍّ ما قال ذلك، فرجَعْتُ إلى المنزلِ فنِمْتُ، فدعاني رسولُ الله ﷺ فأتَيتُه، فقال: إنَّ اللهَ قد صدَّقك، ونزلَ {همُ الذين يقولون لا تُنفِقوا} الآية».

باب {وإذا رأيتَهمْ تُعجِبُكَ أجسامُهم، وإنْ يَقولوا تَسمعْ لقولهم كأنَّهم خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ يَحسَبون كلَ صَيحة عليهم، همُ العدُو فاحذَرْهم، قاتَلَهُمُ الله أنَّى يؤْفَكُون}

٤٩٠٣ ـ عن زيد بن أرقم قال: «خرجنا مع النبيِّ ﷺ في سَفرٍ أصابَ الناسَ فيه شدَّةٌ، فقال عبدُ الله بن أبيّ لأصحابه: لا تنفقوا على من عندَ رسولَ الله حتى ينفضُّوا من حولِه، وقال: لئن رَجعْنا إلى المدينة ليُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتهُ؛ فأرسل إلى عبدِ الله بن أبيٍّ فسألَه، فاجتهدَ يمينَه ما فعل، قالوا: كَذَب زيدٌ رسولَ الله ﷺ، فوَقع في نفسي مِمَّا قالوا شدَّةٌ، حتى أنزلَ الله عز وجل تصديقي في: {إذا جاءَكَ المنافقون}، فدَعاهم النبيُّ ﷺ لِيستغفِرَ لهم فلَوَّوا رُءوسَهُم، وقولهُ {خُشُبٌ مُسَنَّدَة} قال: كانوا رجالاً أجْمَلَ شيءٍ».

٤ ـ باب قوله {وإذا قيلَ لهم تعالَوا يَستغْفرْ لَكم رسولُ الله لوَّوْا رءوسَهُم ورَأيتَهم يَصُدُّونَ وهم مُستكْبرون}

حرَّكوا: استهزَءوا بالنبيِّ ﷺ، ويُقرأ بالتخفيف مِن لوَيْتُ.

٤٩٠٤ ـ عن زَيدِ بن أرقَم قال: «كنتُ مع عمي فسمِعتُ عبدَ الله بن أبيَّ بن سَلول يقول: لا تُنفقوا عَلَى من عندَ رسولِ الله حتى ينفضُّوا، ولئن رجعنا إلى المدينةِ ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذكرتُ ذلك لِعمِّي، فذكره عَمّي للنبيِّ ﷺ وصدقهم، فدَعاني، فحدثتهُ، فأرسل إلى عبد الله بن أبيّ وأصحابه فحلَفوا ما قالوا، وكذَّبني النبيُّ ﷺ، فأصابني غَمٌّ لم يُصبْني مِثلهُ قطُّ، فجلست في بَيْتي، وقال عمّي: ما أردتَ إلى أنْ كذَّبك النبيُّ ﷺ

ومَقتك؟ فأنزَلَ الله تعالى: {إذا جاءك المنافقون قالوا نشهَدُ إنكَ لَرَسولُ الله}، وأرسلَ إليَّ النبيُّ ﷺ فقرأها وقال: إنَّ اللهَ قد صَدَّقك».

قوله (باب قوله وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم -إلى قوله- مستكبرون) في مرسل سعيد بن جبير «وجاء عبد الله بن أبيّ فجعل يعتذر، فقال له النبي ﷺ: تب فجعل يلوي رأسه فنزلت».

٥ ـ باب قوله {سَواءٌ عليهم أَستغْفَرتَ لهم أمْ لم تستغْفِرْ لهم، لَنْ يَغفِرَ اللهُ لهم، إنَّ الله لا يَهدِي القومَ الفاسِقِين}

٤٩٠٥ ـ عن جابرِ بن عبدِ الله رضيَ اللهُ عنهما قال: «كنَّا في غَزاةٍ -قال سفيان مَرة في جيش- فكَسَعَ رجلٌ مِن المهاجرينَ رجلاً منَ الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يالَلأنصار، وقال المهاجريُّ: يا لَلْمهاجرين، فسمع ذاك رسولُ الله ﷺ فقال: ما بالُ دعوى جاهليةٍ؟ قالوا: يا رسولَ الله كَسَعَ رجلٌ من المهاجِرين رجلاً من الأنصار، فقال: دَعُوهَا فإنها مُنْتِنَةٌ، فسمع بذلك عبدُ الله بن أبيّ فقال: فعَلوها؟ أما والله لئن رَجَعْنا إلى المدينة ليُخْرِجَنّ الأعزُّ منها الأذل، فبلغ النبيَّ ﷺ فقامَ عُمرُ فقال: يا رسولَ الله دَعني أَضربْ عُنقَ هذا المنافق، فقال النبيُّ ﷺ: دَعْهُ، لا يتحدَّثُ الناسُ أنَّ محمداً يقتلُ أصحابَهُ وكانت الأنصار أكثرَ من المهاجرينَ حينَ قَدِموا المدينة، ثم إنَّ المهاجرين كثرُوا بَعْدُ».

قوله (باب قوله سواء عليهم أستغفرت لهم الآية) وأخرج الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال «أنزلت هذه الآية بعد التي في التوبة: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، أن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم».

قوله (فكسع رجل) الكسع يأتي تفسيره بعد باب، والمشهور فيه أنه ضرب الدبر باليد أو بالرجل، ووقع عند الطبري من وجه آخر عن عمرو بن دينار عن جابر «أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار برجله» وذلك عند أهل اليمن شديد.

قوله (يا للانصار) وهي للاستغاثة أي أغيثوني، وكذا قول الآخر ياللمهاجرين.

قوله (دعوها فإنها منتنة) أي دعوة الجاهلية.

قوله (فعلوها؟) هو استفهام بحذف الاداة أي أفعلوها؟ أي الاثرة، أي شركناهم فيما نحن فيه فأرادوا الاستبداد به علينا، وفي مرسل قتادة «فقال رجل منهم عظيم النفاق: ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك».

قوله (دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) أي أتباعه.

٦ ـ باب قوله {هُمُ الذينَ يقولون لا تُنْفقوا على مَن عندَ رسولِ الله حتى يَنْفَضّوا}

ينفضوا: يَتَفَرقوا

باب {ولله خَزائنُ السماوات والأرض ولكنَّ المنافقينَ لا يَفْقهون}

٤٩٠٦ ـ عن أنس بن مالكٍ قال: «حَزِنْتُ على مَن أُصيبَ بالحَرَّةِ، فكتب إليّ زيدُ بن أرقَم -وبلغَه شدَّةُ حُزْني- يذكرُ أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: اللّهُمّ اغفر للأنصار ولابناء الأنصار، وشك ابنُ الفَضْل في أبناءِ أبناءِ الأنصار، فسألَ أنساً بعضُ مَن كان عندَه فقال: هو الذي يقولُ رسولُ الله ﷺ، هذا الذي أَوْفَى اللهُ له بأذُنِه».

قوله (حَزِنْتُ على من أصيب بالحرة) وكانت وقعة الحرة في سنة ثلاث وستين، وسببها أن أهل المدنية خلعوا بيعة يزيد بن معاوية لما بلغهم ما يتعمده من الفساد(١)فأمر الأنصار عليهم عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر وأمر المهاجرون عليهم عبد الله بن مطيع العدوي، وأرسل إليهم يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري في جيش كثير فهزمهم واستباحوا المدينة وقتلوا ابن حنظلة وقتل من الأنصار شيء كثير جدا، وكان أنس يومئذ بالبصرة فبلغه ذلك فحزن على من أصيب من الأنصار، فكتب إليه زيد بن أرقم وكان يومئذ بالكوفة يسليه، ومحصل ذلك أن الذي يصير إلى مغفرة الله لا يشتد الحزن عليه، فكان ذلك تعزية لأنس فيهم.

قوله (أو فى الله له بأذنه) أي بسمعه، والمعنى أو فى صدقه.

وقد تقدم في الكلام على حديث جابر أن في مرسل الحسن «أن النبي ﷺ، أخذ بأذنه فقال: وفى الله بإذنك يا غلام».

(تكميل): وقع في رواية الإسماعيلي في آخر هذا الحديث من رواية محمد بن فليح عن موسى بن عقبة «قال ابن شهاب سمع زيد بن أرقم رجلاً من المنافقين يقول والنبي ﷺ يخطب: لئن كان هذا صادقاً لنحن شر من الحمير، فقال زيد: قد والله صدق، ولأنت شر من الحمار، ورفع ذلك إلى النبي ﷺ فجحده القائل، فأنزل الله على رسوله {يحلفون بالله ما قالوا} الآية، فكان مما أنزل الله في هذه الآية تصديقاً لزيد انتهى، وهذا مرسل جيد.

---

(١) بلغهم ذلك من الدعاة الذين بثهم عبد الله بن مطيع داعية عبد الله بن الزبير، وهذه الدعايات كانت مفرضة ولا جل المزاحمة على الملك، كما صارحهم بذلك عبد الله بن عمر ومحمد بن علي بن أبي طالب وزين العابدين علي بن الحسين، ونصحوهم بالكف عن ذلك لما يترتب عليه من سوء العواقب، وأخبروهم أن ذلك مخالف لآداب الإسلام وسننه. (الشيخ محب الدين الخطيب).

٧ ـ باب {يقولون لئنْ رجَعْنا إلى المدينَة ليُخرجنَّ الأعز منها الأذلَّ، ولله العزَّةُ ولرسوله وللمؤمنين، ولكنَّ المنافقين لا يعلَمون}

٤٩٠٧ ـ عن جابرِ بن عبد اللهِ رضيَ الله عنهما قال: «كنّا في غَزاةٍ فكَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً منَ الأنصار، فقال الأنصاريُّ: ياللأنصار، وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين، فسمَّعَها اللهُ رسولَهُ ﷺ، قال: ما هذا؟ فقالوا كَسَعَ رجلٌ منَ المهاجرين رجلاً منَ الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين، فقال النبيُّ ﷺ: دَعوها فإنها مُنْتِنة، قال جابرٌ: وكانتِ الأنصارُ حينَ قَدمَ النبيُّ ﷺ أكثرَ ثم كثر المهاجرونَ بعدُ، فقال: عبد اللهِ بنُ أبيٍّ: أوقد فَعَلوا؟ واللهِ لئن رَجَعنا إلى المدينة ليُخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ، فقال عمرُ ابن الخطاب رضيَ الله عنه: دَعني يا رسولَ الله أَضرِبْ عُنُقَ هذا المنافقِ، قال النبيُّ ﷺ، دعه، لا يَتحدَّثُ الناسُ أنَّ محمداً يَقتُلُ أصحابَهُ».

قوله (باب يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل الآية) وقد تقدم شرحه قبل بباب.

«وقال غير عمرو: فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبيّ: والله لا ينقلب أبي إلى المدينة حتى تقول إنك أنت الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل» وهذه الزيادة أخرجها ابن إسحاق في المغازي عن شيوخه، وذكرها أيضاً الطبري من طريق عكرمة.

(٦٤) سورةُ التَّغابُن، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال عَلقمةُ عن عبدِ الله {ومَنْ يُؤمنْ باللهِ يَهدِ قَلبَه}: هو الذي إذا أصابَتْهُ مصيبةٌ رضيَ بها وعرَفَ أنها منَ الله.

وقال مجاهد: التغابن غبن أهل الجنة أهل النار، إن ارتبتم: إن لم تعلموا أتحيض، أم لا تحيض، فاللائي قعدن عن المحيض واللائي لم يحضن بعد فعدتهن ثلاثة أشهر.

قوله (وقال علقمة عن عبد الله: ومن يؤمن بالله يهد قلبه الخ) أي يهتدي إلى التسليم فيصبر ويشكر.

«عن علقمة قال: شهدنا عنده -يعني عند عبد الله- عرض المصاحف، فأتى على هذه الآية {ومن يؤمن بالله يهد قلبه} قال: هي المصيبات تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم ويرضي» وعند الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المعنى يهدي قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قوله (وقال مجاهد: التغابن غبن أهل الجنة أهل النار) وللطبري من طريق شعبة عن قتادة: يوم التغابن يوم غبن أهل الجنة أهل النار، أي لكون أهل الجنة بايعوا على الإسلام بالجنة فربحوا وأهل النار امتنعوا من الإسلام فخسروا، فشبهوا بالمتبايعين يغبن أحدهما الآخر في بيعه، ويؤيد ذلك ما سيأتي في الرقاق من طريق الأعرج عن أبي هريرة رفعه «لا

يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا، ولا يدخل أحد النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة».

(٦١) سُورةَ الطلاق

وقال مجاهدٌ: {وبالَ أمرِها} جَزاءَ أمرِها

١ - باب * ٤٩٠٨ - عن ابن شِهابٍ قال: أخبَرَني سالم «أنّ عبدَ الله بن عُمرَ رضيَ الله عنهما أخبرَه أن طلّق امرأته وهي حائض، فذكرَ عمرُ لرسولِ الله ﷺ، فتغَيّظ فيه رسولُ الله ﷺ ثم قال: ليُراجعْها، ثم يُمسِكْها حتى تَطهُر، ثم تحيض فتطهُر، فإن بدا له أن يُطلّقَها فليطلّقْها طاهراً قبل أن يَمسَّها، فتِلكَ العِدّةُ كما أمرَهُ الله».

[الحديث ٤٩٠٨ - أطرافه في: ٥٢٥١، ٥٢٥٢، ٥٢٥٣، ٥٢٥٨، ٥٢٦٤، ٥٣٣٢، ٥٣٣٣، ٧١٦٠]

قوله (أنه طلق امرأته) وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب الطلاق(١) إن شاء الله تعالى.

٢ - باب {وأُولاتُ الأحمال أجلُهُنَّ أن يَضَعْن حَمْلَهُنَّ، ومن يَتّقِ اللهَ يَجعَلْ له من أمرهِ يُسْرا}

٤٩٠٩ - عن أبي سَلَمَة قال: «جاءَ رجُل إلى ابن عبّاس وأبو هُريرةَ جالسٌ عنده فقال: أفتني في امرأةٍ وَلَدت بعدَ زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عبّاس: آخر الأجَلين، قُلت أنا {وأولاتُ الأحمال أجَلُهُنّ أن يَضَعْن حَمْلَهُنّ} قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي، يعني أبا سَلَمَةَ، فأرسل ابنُ عبّاس غُلامَه كُرَيْباً إلى أ يَسْألُها، فقالت: قُتل زَوْجُ سُبَيْعَةَ الأسْلَمية وهي حُبْلى، فوضَعَتْ بعد مَوْتِه بأربعين ليلةً، فُخطبت فأنكَحَها رسولُ الله ﷺ، وكان أبو السَّنابل فيمَن خَطَبَها».

[الحديث ٤٩٠٩ - طرفه في: ٥٣١٨]

٤٩١٠ - عن محمّدٍ قال: «كنتُ في حلقة فيها عبد الرحمن بنُ أبي ليلى وكان أصحابهُ يُعظّمونَه، فذكَرَ آخِرَ الأجَلَيْن، فحدَّثْتُ بحديثِ سبيعة بنتِ الحارث عن عبدِ الله بن عُتبة قال فضمّزَ لي بعض أصحابه، قال محمد ففطنت له فقلت: إني إذاً لجريء إن كذبت على عبد الله ابن عتبه وهُوَ في ناحيةَ الكوفَة، فاستَحْيَا وقال: لكنْ عمّهُ لم يقلْ ذاك، فلقيتُ أبا عطِية مالكَ بن عامرٍ فسألتُهُ فذهَبَ يحدّثني حديثَ سُبَيْعة، فقلتُ هلْ سمعتَ عن عبد الله فيها شيئاً؟ فقال: كنّا عند عبد الله، فقال: أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرُّخصَةَ؟ لنَزَلَتْ سورةُ النساءِ القصرى بعدَ الطُّولى {وأولاتُ الأحمالِ أجَلُهُنَ أنْ يضعنَ حملُهُنّ}».

(١) كتاب الطلاق باب/ ١ح ٥٢٥١ - ٤/ ١٣٠.
(ب) كتاب الطلاق باب/٢ح ٥٢٥٢ - ٤/ ١٣٢.

قوله (وأولات[١] واحدها ذات حمل) هو قول أبي عبيدة.

قوله (آخر الأجلين) أي يتربصن أربعة أشهر وعشرا ولو وضعت قبل ذلك، فإن مضت ولم تضع تتربص إلى أن تضع، وقد قال بقول ابن عباس هذا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ونقل عن سحنون أيضاً، ووقع عند الإسماعيلي قيل لابن عباس في امرأة وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة أيصلح أن تتزوج؟ قال: لا، إلى آخر الأجلين، قال أبو سلمة: فقلت قال الله {وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن} قال إنما ذاك في الطلاق، وهذا السياق أوضح لمقصود الترجمة، لكن البخاري على عادته في إيثار الأخفي على الأجلي، وقد أخرج الطبري وابن أبي حاتم بطرق متعددة إلى أبيّ بن كعب أنه «قال للنبي ﷺ {وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن} المطلقة ثلاثًا أو المتوفى عنها زوجها؟ قال: هي للمطلقة ثلاثاً أو المتوفى عنها» وهذا المرفوع وإن كان لا يخلو شيء من أسانيده عن مقال لكن كثرة طرقه تشعر بأن له أصلا، ويعضده قصة سبيعة المذكورة.

قوله (قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي، يعني أبا سلمة) أي وافقه فيما قال.

قوله (فذكروا له[٢] و فذكر آخر الاجلين) أي ذكروا له الحامل تضع بعد وفاة زوجها.

قوله (فضمز) ومعناه أشار إليه أن اسكت، ضمز الرجل إذا عض على شفتيه.

قوله (إني إذا لجريء) إني لحريص على الكذب.

قوله (إن كذبت على عبد الله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة) هذا يشعر بأن هذه القصة وقعت له وعبد الله بن عتبة حي.

قوله (فاستحيا) أي مما وقع منه.

قوله (لكن عمه) يعني عبد الله بن مسعود (لم يقل ذاك) كذا نقل عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه، والمشهور عن ابن مسعود أنه كان يقول خلاف ما نقله ابن أبي ليلى، فلعله كان يقول ذلك ثم رجع، أو وهم الناقل عنه.

قوله (فقال: أتجعلون عليها) في رواية أبي نعيم من طريق الحارث بن عمير عن أيوب «فقال أبو عطية ذكر ذلك عند ابن مسعود فقال: أرأيتم لو مضت أربعة أشهر وعشر ولم تضع حملها كانت قد حلت؟ قالوا: لا، قال: فتجعلون عليها التغليظ» الحديث.

قوله (سورة النساء القصرى بعد الطولى)أي سورة الطلاق بعد سورة البقرة، والمراد بعض كل، فمن البقرة قوله {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا} ومن الطلاق قوله {وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن} ومراد ابن مسعود إن كان هناك نسخ فالمتأخر هو الناسخ، وإلا فالتحقيق أن لا نسخ هناك بل عموم آية البقرة

---

(١) رواية الباب واليونينية "وأولات الأحمال واحدها ذات حمل".
(٢) رواية الباب واليونينية بدون "فذكروا له".

مخصوص بآية الطلاق، وقد أخرج أبو داود وابن أبي حاتم من طريق مسروق قال: بلغ ابن مسعود أن علياً يقول تعتد آخر الأجلين، فقال: من شاء لاعنته أن التي في النساء القصرى أنزلت بعد سورة البقرة، ثم قرأ {وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن} وعرف بهذا مراده بسورة النساء القصرى، وفيه جواز وصف السورة بذلك.

(٦٦) سُورةُ التحريم، بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ باب {يا أيها النبيُّ لِمَ تُحرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغي مرضاةَ أزواجِكَ واللهُ غفورٌ رَحيم}

٤٩١١ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: في الحرام يُكَفِّرُ، وقال ابن عباسٍ: {لقد كان لكم في رسولِ الله أُسْوةٌ حَسَنة}».

[الحديث ٤٩١١ - طرفه في: [٦٦٢٥]

٤٩١٢ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: «كان رسولُ الله ﷺ يشربُ عَسَلاً عند زينبَ ابنة جَحْش ويمكُثُ عندها فواطأتُ أنا وحفصَةُ عن أيَّتُنا دخلَ عليها فلتقلْ له أكلتَ مَغافير؟ إني أجِدُ مِنْكَ ريحَ مغافير، قال: لا، ولكنّي كنتُ أشربُ عَسَلاً عندَ زينبَ ابنةِ جحْش فلن أعودَ له، وقد حلفتُ لا تُخبري بذلك أحداً».

[الحديث ٤٩١٢ - أطرافه في: ٥٢١٦،٥٢٦٧، ٥٢٦٨، ٥٤٣١، ٥٥٩٩، ٥٦١٤، ٥٦٨٢، ٦٦٩١، ٦٩٧٢]

(في الحرام يُكَفِّرُ) أي إذا قال لامرأته أنت علي حرام لا تطلق وعليه كفارة يمين، وسيأتي البحث في ذلك في كتاب الطلاق(١).

والغرض من حديث ابن عباس قوله فيه {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} فإن فيه إشارة إلى سبب نزول أول هذه السورة، وإلى قوله فيها {قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم}

٢ ـ باب {تبْتغي مَرضاةَ أزواجِكَ قد فَرضَ اللهُ لكم تَحلّةَ أيمانكم}

٤٩١٣ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما أنه قال: «مكثْتُ سنةً أُريدُ أن أسألَ عُمرَ بن الخطاب عن آيةٍ فما أستطيع أن أسأله هيبةً له، حتى خرج حاجًا فخرجتُ معه، فلما رجعتُ وكنّا ببعضِ الطريق، عدلَ إلى الأراكِ لحاجَةٍ لهُ قال: فوقَفتُ له حتى فَرَغ، ثم سِرْتُ معه فقلت له: يا أميرَ المؤمنينَ من اللتانِ تظاهرتا عَلَى النبيِّ ﷺ مِن أزواجِه، فقال: تلك حفصةُ وعائشةُ، قال فقلتُ: والله إنْ كنتُ لأريدُ أن أسألَك عن هذا مُنذ سَنَةٍ فما أستطيعُ هيبةً لكَ، قال: فلا تفعلْ، ما ظَننْتَ أن عندي من علم فاسألني، فإن كان لي عِلمٌ خبَّرتُكَ به، قال: ثم قال عُمَرُ: والله إنْ كنّا في الجاهليةِ ما نَعُدُّ للنساءِ أمراً، حتى أنزلَ الله فيهن ما أنزلَ وقَسَمَ لهنَّ ما قَسَم، قال: فبَينا أنا في أمرٍ أتأمَّرُهُ إذ قالتِ امرأتي: لو صنعْتَ كذا

---

(١) كتاب الطلاق باب/ ٨ح ٥٤٦٦ - ٤/١٤١.

وكذا، قال فقلت لها: ما لك ولما ها هُنا، فيما تَكلُّفكِ في أمر أريدُهُ؟ فقالت لي عَجَباً لكَ يا ابن الخطاب، ما تريد أنْ تراجَعَ أنت، وأن ابنتَكَ لتراجِعُ رسولَ الله ﷺ حتى يظلَّ يومَهُ غضبان، فقام عُمرُ فأخذَ رِداءَهُ مكانهُ حتى دخلَ على حفصةَ، فقال لها: يا بُنية إنكِ لَتراجِعين رسولَ الله ﷺ حتى يظلَّ يومَه غَضبانَ؟ فقالت حفصة: والله إنّا لنراجعه، فقلتُ: تَعلمين أنّي أحذِّرك عُقوبةَ الله: وَغضَبَ رسولِه ﷺ، يا بُنيةُ لا يَغُرَّنكِ هذه التي أعْجَبها حُسنُها حبُّ رسولِ الله ﷺ إياها -يريدُ عائشةَ- قال: ثم خرجتُ حتى دَخلتُ على أمِّ سلمةَ لِقرابَتي منها فكلمتها، فقالت أمُّ سلمةَ: عَجَباً لكَ يا ابن الخطاب، دخلتَ في كل شيء حتى تبتغي أن تدخُلَ بينَ رسولِ الله ﷺ وأزواجه، فأخذتني والله أخذاً كَسَرتني عن بعضِ ما كُنت أجد فخرجتُ من عندها، وكان لي صاحبٌ من الأنصار إذا غبتُ أتاني بالخَبَر، وإذا غَاب كنْتُ أنا آتيه بالخَبَر، ونحن نتَخوَّفُ مَلِكاً من مُلوكِ غَسَّانَ ذُكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأتْ صدورُنا منه، فإذا صاحبي الأنصاريُّ يدُقُّ البابَ، فقالَ افتحْ افتحْ، فقلت: جاء الغسَّانيُّ؟ فقال: بل أشدُّ من ذلك، اعتزَلَ رسولُ الله ﷺ أزواجَهُ، فقلْتُ رَغَمَ أنفُ حفصةَ وعائشة، فأخذتُ ثوبيَ فأخرُجُ حتى جئتُ، فإذا رسولُ الله ﷺ في مشرُبَةٍ له يُرْقَى عليها بعَجَلةٍ، وغُلامٌ لرسولِ الله ﷺ أسودُ على رأسِ الدَّرَجة، فقلتُ له: قلْ هذا عُمربنُ الخطاب، فأذِنَ لي، قال عُمر: فَقَصَصْتُ على رسولِ الله ﷺ هذا الحديث، فلما بلغْتُ حديثَ أمِّ سَلَمة تَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ وإنه لَعلى حصير ما بينه وبينه شيءٌ، وتحت رأسه وسادةٌ من أدَمٍ حَشْوُها ليف، وإنَّ عندَ رجليه قَرَظاً مصبُوراً، وعند رأسه أَهَبٌ مُعلقَةٌ، فرأيتُ أثرَ الحصير في جَنبِه فبَكَيْتُ، فقال: ما يُبْكيكَ؟ فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ كِسْرى وقَيصرَ فيما هما فيه، وأنت رسولُ اللهِ، فقال: أما ترضى أن تكون لهمُ الدنيا ولنا الآخرة؟».

٣ ـ باب {وإذا أسَرَّ النبيُّ إلى بعضِ أزواجه حديثاً فلما نَبَّأتْ به وأظْهَرَهُ الله عليه عرَّفَ بعضَهُ وأعْرَضَ عن بعضٍ

فلما نبأها به قالت مَن أنبأك هذا؟ قال: نَبأني العليمُ الخبيرُ}

فيه عائشة عنِ النبيِّ ﷺ.

٤١٩٤ ـ عن ابن عبّاس رضيَ الله عنهما قال: «أردتُ أن أسألَ عمرَ رضيَ الله عنه فقلتُ: يا أمير المؤمنين، مَنِ المرأتانِ اللتانِ تظاهَرَتا على رسولِ الله ﷺ؟ فما أتممتُ كلامي حتى قال: عائشةُ وحفصة».

٤ ـ باب {إن تَتوبا إلى الله فقد صَغَت قُلوبُكما}

صغَوتُ وأصغيتُ: ملتُ، لِتَصْغى: لتَميل، {وإنْ تَظاهرا عليه فإنَّ اللهَ هو مولاهُ وجِبريل وصالحُ المؤمنين والملائكةُ بعد ذلك ظَهير}: عَون، تَظاهَرون تعاوَنون، وقال مجاهد {قُوا

أنفسكم وأهليكم} أوصوا أنفُسكم وأهلِيكم بتقوى الله وأدِّبوهم.

٤٩١٥ ـ عن ابن عباسٍ قال: أردت أن أسألَ عمرَ عن المرأتَين اللتَينِ تَظاهَرَتا على رسولِ ﷺ، فمكثتُ سنةً فلم أجِد لهُ مَوضِعاً، حتى خرجتُ معهُ حاجّاً، فلما كنّا بظَهرانَ ذَهبَ عمرُ لحاجَتِه فقال: أدرِكْني بالوَضوءِ، فأدركْتُهُ بالإداوة، فجعلتُ أسكُبُ عليه، ورأيتُ مَوضِعاً فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، مَنِ المرأتانِ اللتانِ تَظاهَرَتا؟ قال ابنُ عباس: فما أتممتُ كلامي حتى قال: عائشةُ وحَفصة».

٥ ـ باب {عَسى ربُّه إن طلَّقَكنَّ أن يُبَدِّلَه(١) أزواجاً خيراً منكُنَّ مُسلمات مؤمنات قانِتات تائِبات عابِدات صائِمات ثيِّبات وأبكارا}

٤٩١٦ ـ عنَ أنسٍ قال: «قال عُمرُ رضيَ الله عنه: اجتمعَ نساءُ النبيِّ ﷺ في الغَيرةِ عليه، فقلتُ لهنَّ: عسى ربُّهُ إن طلقكنَّ أن يُبدِّلَهُ أزواجاً خَيراً منكنَّ، فنزلَتْ هذهِ الآية».

وسيأتي ما يتعلق بالغيرة في كتاب النكاح(٢) إن شاء الله تعالى.

(٦٧) سورةُ {تَبارَكَ الذي بيده المُلك}

التَّفاوُتُ: الاختلاف، والتفاوت والتفوُّتُ واحد، تَمَيَّزُ، تَقَطَّعُ، مَناكِبها: جوانبها، تَدَّعون وتَدْعون واحد، مثلُ تَذَكَّرُون وتَذْكُرُون، ويَقبضنَ: يَضرِبنَ بأجنِحَتهنَّ، وقال مجاهد: {صافّات} بَسطُ أجنِحَتهنَّ، ونُفور: الكُفور.

(٦٨) سورةُ {ن والقلَم}، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال قتادة: حَرْدٍ جِدٍ في أنفسهم، وقال ابن عباس: يَتَخافتون يَنتَجُون السِّرارَ والكلامَ الخفيَّ، وقال ابنُ عباس إنّا لَضالُّون: أضللنا مكان جَنَّتنا، وقال غيره كالصَّريم: كالصبح انصرَمَ من الليل والليل انصرَمَ من النهار، وهو أيضاً كل رَملةٍ انصَرَمَت من مُعظمِ الرَّمل، والصريم أيضاً المصروم مثل قتيل ومقتول.

قوله (سورة {ن والقلم} بسم الله الرحمن الرحيم) والمشهور في "ن" أن حكمها حكم أوائل السور في الحروف المتقطعة، وبه جزم الفراء، وقيل بل المراد بها الحوت، وجاء ذلك في حديث ابن عباس أخرجه الطبراني مرفوعاً قال: «أول ما خلق الله القلم والحوت، قال أكتب قال ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة، ثم قرأ {ن والقلم}، فالنون الحوت والقلم القلم».

قوله (وقال قتادة حرد جد في أنفسهم) هو الاجتهاد والمبالغة في الأمر.

قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: كانت الجنة لشيخ، وكان يمسك قوته سنة ويتصدق بالفضل، وكان بنوه ينهونه عن الصدقة، فلما مات أبوهم غدوا عليها فقالوا لا يدخلنها

---

(١) قراءة حفص عن عاصم "يُبْدِله" بتسكين الباء.

(٢) كتاب النكاح باب/ ١٠٨ح ٥٢٢٨- ٤/ ١١٩.

اليوم عليكم مسكين {وغدوا على حرد قادرين} يقول: على جد من أمرهم.

١ ـ باب {عُتُلٍّ بعدَ ذلك زَنيم}

٤٩١٧ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {عُتُلٍّ بعدَ ذلكَ زَنيم} قال: رجُلٌ من قُريش له زَنَمة مثل زَنَمة الشاة».

٤٩١٨ ـ عن حارثةَ بن وَهبٍ الخُزاعيَ قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: ألا أُخبرُكم بأهل الجنَّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتضعَّف لو أقسَمَ على الله لأبرَّه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُستكبر».

[الحديث ٤٩١٨ - طرفاه في: ٦٠٧١، ٦٦٥٧]

قوله (باب عتل بعد ذلك زنيم) اختلف في الذي نزلت فيه، فقيل هو الوليد بن المغيرة وذكره يحيى بن سلام في تفسيره، وقيل الأسود بن عبد يغوث ذكره سنيد بن داود في تفسيره، وقيل الاخنس بن شريق وذكره السهيلي عن القتيبي، وحكى هذين القولين الطبري فقال: يقال هو الاخنس، وزعم قوم أنه الأسود وليس به.

قوله (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف) وفي رواية الإسماعيلي «مستضعف».

ولاحمد من حديث حذيفة: الضعيف المستضعف ذو الطمرين لايؤبه له، والمراد بالضعيف مَنْ نفسُه ضعيفةٌ لتواضعه وضعف حاله في الدنيا، والمستضعف المحتقر لخموله في الدنيا.

قوله (عتل) قال الفراء: الشديد الخصومة، وقيل الجافي عن الموعظة، وقال أبو عبيدة: العتل الفظ الشديد من كل شيء، وهو هنا الكافر، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن: العتل الفاحش الآثم.

قوله (جوّاظ) الكثير اللحم المختال في مشيه حكاه الخطابي.

٢ ـ باب {يومَ يُكشَفُ عن ساق}

٤٩١٩ ـ عن أبي سعيدٍ رضيَ الله عنه قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: يُكشِفُ ربُّنا عن ساقِه، فيسجدُ له كلُّ مُؤمنٍ ومُؤمنَةٍ، ويَبْقى من كان يَسْجُد في الدنيا رِئاءً وسُمعةً، فيذهَبُ ليسجُدَ، فيعودَ ظهرهُ طَبَقاً واحداً».

(٦٩) سُورةُ الحاقَّة، بسم الله الرحمن الرحيم

عِيشَةٍ راضِيَةٍ: يريد فيها الرِّضا، القَاضِيَةَ المَوْتَةَ الأولى التي مُتُّها، ثمَّ أَحْيا بعدَها، من أَحَدٍ عنْه حاجِزين أَحَدٌ يكون للجَمْع وللواحِد، وقالَ ابن عبّاس: الوَتِين نِياط القلْب، قالَ ابن عباسٍ: طَغَى كَثُر، ويقال بالطاغِية بطغْيانهم، ويُقال طَغَتْ علَى الخزّان كما طغى الماء عَلى قَوْم نوحٍ.

قوله (قال ابن عباس: طغى كثر) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: بلغنا أنه طغى

فوق كل شيء خمسة عشر ذراعاً.

(تنبيه): لم يذكر في تفسير الحاقة حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيه حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» أخرجه أبو داود وابن أبي حاتم، وإسناده على شرط الصحيح.

(٧٠) سُورَةُ {سَأَلَ سائلٌ}

الفَصيلةُ أصغَر آبائهِ القُربى إليه يَنْتَمي من انتمى، للشَّوَى اليَدَان والرِّجلانِ والأطْرفُ، وجلْدةُ الرَّأس يُقَالُ لها شَوَاةٌ، وما كانَ غيْرَ مَقتَلٍ فَهوَ شَوَى، عِزين والعُزُون الحَلَق والجماعات، واحِدها عِزَةٌ.

قوله (الفصيلة أصغر آبائه القربى إليه ينتمي) هو قول الفراء، وقال أبو عبيدة: الفصيلة دون القبيلة، ثم الفصيلة فخذه التي تؤويه، وقال عبد الرزاق عن معمر: بلغني أن فصيلته أمه التي أرضعته.

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ

أطواراً: طَوْراً كذا وطَوْرا كذا، يُقال عدا طَوْرَه أيْ قدْرَه، والكُبَّار أشَدُّ من الكبار، وكذلك جُمَّال وجَميل لأنها أشدُّ مُبالغة وكذلك كُبارٌ الكبير، وكبار أيضاً بالتَّخفيف، والعرب تقول رجُل حُسَّانٌ وجُمَّال، وحُسَان مُخفف وجُمال مُخفف، دَيَّاراً من دَور، ولكنَّهُ فيْعَال من الدوْران كما قرأ عُمر الحيُّ القيّام وهْيَ من قُمْت، وقال غيره ديَّاراً أحَداً، تَباراً هَلاكاً، وقال ابن عبَّاسٍ: مِدْرَارا يَتبع بَعضُها بَعْضا، وقاراً عَظَمةً.

١ ـ باب {وَدّاً ولا سُواعاً ولا يُغوثَ ويَعوق}

٤٩٢٠ ـ عن ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما «صارتِ الأوثانُ التي كانت في قَومِ نُوح في العرب بعد، وأما وَدٌّ فكانت لكلْب بدومَهِ الجنْدَل، وأمَّا سُواعُ فكانتْ لهذَيل، وأمَّا يَغوُث فكانت لمرادٍ، ثم لبني غُطيف بالجرف عند سَبأ، وأمَّا يَعوق فكانت لهمْدانَ، وأمَّا نَسْرٌ فكانت لحمير، لآلِ ذي الكَلاع، أسماءُ رجالٍ صالحين من قومِ نوح، فلمَّا هَلكوا أوْحَى الشَّيطانُ إلى قومهم أنِ انصبُوا إلى مَجالِسِهِم التي كانوا يَجلِسون أنْصاباً وسَمُّوها بأسمائهم فَفَعلوا، فلم تُعبَدْ، حتى إذا هَلَكَ أولئك وَتنسَّخ العلم عُبِدت».

قوله (فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم) كذا لهم، ولابي ذر والكشميهني «ونسخ العلم» أي علم تلك الصور بخصوصها، وأخرج الفاكهي من طريق عبيد الله بن عبيد بن عمير قال: أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح، وكانت الأبناء تبر الأبا، فمات رجل منهم فجزع عليه فجعل لا يصبر عنه؛ فاتخذ مثلاً على صورته فكلما اشتاق إليه نظره ثم مات ففعل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فمات آلاباء، فقال الأبناء: ما اتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم، فعبدوها.

(٧٢) سُورة {قُلْ أُوحيَ إليَّ}

قال ابنُ عباس: لِبَداً أعْواناً

١ ـ باب * ٤٩٢١ ـ عن ابن عباسٍ قال: انْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ في طائفةٍ من أصحابه عامِدين إلى سُوقِ عُكاظٍ، وقد حِيلَ بين الشّياطين وبين خَبَر السماء، وأُرسِلَت عليهمُ الشُهب، فرَجَعَتِ الشياطين، فقالوا: ما لكُم؟ فقالوا: حِيلَ بينَنَا وبين خَبر السَّماء، وأُرسِلَت علَيْنا الشُهُب، قال: ما حالَ بينكُم وبين خبر السماءِ إلا ما حدث، فاضربوا مشارِقَ الأرْضِ ومغارِبَها فانظُروا ما هذا الأمرُ الذي حدَث؟ فانطَلَقوا فضرَبوا مَشارِقَ الأرض ومغارِبَها ينظرونَ ما هذا الأمرُ الذي حال بينَهم وبين خبرِ السماءِ؟ قال: فانطلق الذين توَّجهوا نحْوَ تِهامَةَ إلى رسولِ الله ﷺ بنخْلَة وهو عامِدٌ إلى سوقِ عُكاظٍ وهو يُصَلّي بأصحابه صلاةَ الفَجْر، فَلما سَمِعوا القرآن تَسَمَّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبينَ خبر السماء، فهنالِكَ رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومَنا إنا سمِعْنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشد فآمنَّا به، ولَنْ نُشرِكَ بربنا أحداً، وأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ على نبيِّه ﷺ {قُل أُوحيَ إليَّ أنه استْمعَ نفرٌ مِنَ الجن} وإنّما أُوحيَ إليه قولُ الجنِّ».

قوله (إلى سوق عكاظ) وهو موسم معروف للعرب، بل كان من أعظم مواسمهم.

قوله (وقد حيل) أي حجز ومنع على البناء للمجهول.

قوله (بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب) بضمتين جمع شهاب، وظاهر هذا أن الحيلولة وارسال الشهب وقع في هذا الزمان المقدم ذكره، والذي تضافرت به الأخبار أن ذلك وقع لهم من أول البعثة النبوية، وهذا مما يؤيد تغاير زمن القصتين، وأن مجيء الجن لاستماع القرآن كان قبل خروجه ﷺ إلى الطائف بسنتين، ولا يعكر على ذلك إلا قوله في هذا الخبر إنهم رأوه يصلي بأصحابه صلاة الفجر، لأنه يحتمل أن يكون ذلك قبل فرض الصلوات ليلة الإسراء فإنه ﷺ كان قبل الإسراء يصلي قطعاً، وكذلك أصحابه، ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة أم لا؟ فيصح على هذا قول من قال: إن الفرض أولا كان صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها، والحجة فيه قوله تعالى {فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها} ونحوها من الآيات، فيكون إطلاق صلاة الفجرة في حديث الباب باعتبار الزمان لا لكونها إحدى الخمس المفترضة ليلة الإسراء، فتكون قصة الجن متقدمة من أول المبعث، وهذا الموضع مما لم ينبه عليه أحد ممن وقفت على كلامهم في شرح هذا الحديث.

فقال عياض: ظاهر الحديث أن الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعث النبي ﷺ لإنكار الشياطين له وطلبهم سببه، ولهذا كانت الكهانة فاشية في العرب ومرجوعاً إليها في حكمهم، حتى قطع سببها بأن حيل بين الشياطين وبين استراق السمع، كما قال تعالى في هذه السورة {وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً، وإنا كنا نقعد منها مقاعد

للسمع، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا} وقوله {إنهم عن السمع لمعزولون} وقد جاءت أشعار العرب باستغراب رميها وإنكاره إذ لم يعهدوه قبل المبعث، وكان ذلك أحد دلائل نبوته ﷺ، ويؤيده ما ذكر في الحديث من إنكار الشياطين، قال وقال بعضهم: لم تزل الشهب يرمي بها مذ كانت الدنيا، واحتجوا بما جاء في أشعار العرب من ذلك قال: وهذا مروي عن ابن عباس والزهري، ورفع فيه ابن عباس حديثاً عن النبي ﷺ، وقال الزهري لمن اعترض عليه بقوله {فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا} قال: غلظ أمرها وشدد انتهى، وهذا الحديث الذي أشار إليه أخرجه مسلم من طريق الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن رجال من الأنصار قالوا «كنا عند النبي ﷺ إذ رمى بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون لهذا إذا رمي به في الجاهلية؟» الحديث، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر قال: سئل الزهري عن النجوم أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه إذ جاء الإسلام غلظ وشدد، وهذا جمع حسن.

وقال القرطبي: يجمع بأنها لم تكن يرمي بها قبل المبعث رمياً يقطع الشياطين عن استراق السمع، ولكن كانت ترمي تارة ولا ترمي أخرى، وترمي من جانب ولا ترمي من جميع الجوانب، ولعل الإشارة إلى ذلك بقوله تعالى {ويقذفون من كل جانب دحوراً} انتهى.

وقال الزين بن المنير: ظاهر الخبر أن الشهب لم تكن يرمى بها، وليس كذلك؛ لما دل عليه حديث مسلم، وأما قوله تعالى: {فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا} فمعناه أن الشهب كانت ترمي فتصيب تارة ولا تصيب أخرى، وبعد البعثة أصابتهم إصابة مستمرة فوصفوها لذلك بالرصد، لأن الذي يرصد الشيء لا يخطئه، فيكون المتجدد دوام الإصابة لا أصلها.

قوله (فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها) أي سيروا فيها كلها.

قوله (فانطلق الذين توجهوا) قيل كان هؤلاء المذكورون من الجن على دين اليهود، ولهذا قالوا «أنزل من بعد موسى».

قوله (نحو تهامة) اسم لكل مكان غير عال من بلاد الحجاز.

قوله (بنخلة) موضع بين مكة والطائف.

قوله (رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا) قال الماوردي: ظاهر هذا أنهم آمنوا عند سماع القرآن، قال: والإيمان يقع بأحد أمرين: إما بأن يعلم حقيقة الإعجاز وشروط المعجزة فيقع له العلم بصدق الرسول، أو يكون عنده علم من الكتب الأولى فيها دلائل على أنه النبي المبشر به، وكلا الأمرين في الجن محتمل، والله أعلم.

وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن وأنهما لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان، وفيه أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة، وفيه مشروعيتها في السفر، والجهر بالقراءة في صلاة الصبح وأن الاعتبار بما قضى

الله للعبد من حسن الخاتمة لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ، لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قضى لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر إن شاء الله تعالى.

(٧٣) سُورَةُ المُزَّمِّلِ

وقال مُجاهِدٌ وَتَبَتَّل: أَخْلِصْ، وقال الحسنُ أنكالاً: قيوداً، مُنْفَطِرٌ به: مُثقَلةٌ به، وقال ابن عبَّاس كَثِيباً مَهِيلاً: الرَّمْل السائل، وبِيلاً: شديداً.

(تنبيه): لم يورد المصنف في سورة المزمل حديثاً مرفوعاً، وقد أخرج مسلم حديث سعيد ابن هشام عن عائشة فيما يتعلق منها قيام الليل وقولها فيه «فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضته» ويمكن أن يدخل في قوله تعالى في آخرها {وما تقدموا لأنفسكم} حديث ابن مسعود «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر» وسيأتي في الرقاق.

(٧٤) سُورَةُ المدَّثر، بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن عباس عَسِيرٌ: شديدٌ، قَسْوَرَةٌ رِكْزُ الناس وأصواتهم، وكل شديد قَسْوَرَةٌ، وقال أبو هرَيرة: القسورةُ قسورُ الأسَد، الركزُ: الصوت، مُسْتَنْفِرة، نافرةٌ مذعورة.

قوله (وقال أبو هريرة: القسورة قسور الأسد، الركز الصوت) وقد أخرجه من وجهين آخرين عن زيد بن أسلم عن ابن سيلان عن أبي هريرة وهو متصل، ومن هذا الوجه أخرجه البزار، وجاء عن ابن عباس أنه بالحبشية، أخرجه ابن جرير من طريق يوسف بن مهران عنه قال: القسورة الأسد بالعربية، وبالفارسية شير، وبالحبشية قسورة.

١ - باب * ٤٩٢٢ - عن يحيى بن أبي كَثِير «سألت أبا سَلَمَةَ بنَ عبد الرحمن عن أولِ ما نزَلَ مِن القُرآنِ قال: {يا أيُّها المدثر} قلتُ: يقولون {اقرأ باسْمِ ربِّك الذي خَلَقَ} فقال أبو سلمة، سألتُ جابرَ بن عبد الله رضيَ الله عنهما عن ذلك وقلتُ له مثل الذي قلتَ، فقال جابر: لا أُحَدِّثُك إلا ما حدَّثنا رسولُ الله ﷺ: جاورْتُ بحراء، فلما قَضَيْتُ جِواري هبطتُ، فُنوديت، فَنظَرتُ عن يَميني فلَم أرَ شيئاً، ونظرتُ عن شِمالي فلم أرَ شيئاً، ونظرت أمامي فلم أرَ شيئاً، ونظرتُ خَلفي فلم أرَ شيئاً، فرفعْتُ رأسي فرأيتُ شيئاً، فأتيْتُ خديجَةَ فقلتُ: دَثِّروني وصُبُّوا عليَّ ماءً بارداً، قال فدَثروني وصبُّوا عليَّ ماءً بارداً، قال فنزلت: {يا أيُّها المدَّثر، قُمْ فأنذِر، وربَّكَ فكبِّر}

٢ - باب {قُمْ فأنْذِرْ}

٤٩٢٣ - عن يحيى بن أبي كَثير «عن أبي سلمَةَ عن جابرِ بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: جاوَرتُ بِحراء».

٣ - باب {وربَّكَ فكبِّر}

٤٩٢٤ - عن يحيى قال: «سألتُ أبا سلمة أيُّ القرآنِ أنزِلَ أوَّلَ؟ فقال: {يا أيها المدَّثر}، فقلتُ أُنبِئت أنهُ {اقرأ باسم ربِّك الذي خَلق} فقال أبو سلمةَ سألتُ جابرَ بن عبدِ الله: أيُّ القرآن أنزلَ أوَّلَ؟ فقال: {يا أيُّها المدَّثر} فقلتُ أُنبِئْتُ أنه {اقرَأ باسم ربكَ الذي خلق} فقال: لا أخبرُك إلا بما قال رسولُ الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ جاوَرتُ في حراء، فلما قضيتُ جِواري هَبَطت فاستَبطَنتُ الواديَ، فنُوديتُ، فنظرتُ أمامي وخَلفي وعن يميني وعن شِمالي، فإذا هو جالسٌ على عرشٍ بينَ السماءِ والأرض، فأتيتُ خديجةَ فقلتُ دَثِّروني وصُبُّوا عليَّ ماءً بارداً، وأنزلَ عليَّ {يا أيها المدَّثر، قُم فأنذِر، وربَّكَ فكبِّر}».

قوله (فقلت أنبئت أنه اقرأ باسم ربك) المراد بالأولية في قوله «أول ما نزل سورة المدثر» أولية مخصوص بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالأمر بالإنذار، لأن المراد أنها أولية مطلقة، فكأن من قال أول ما نزل اقرأ أراد أولية مطلقة ومن قال إنها المدثر أراد بقيد التصريح بالإرسال.

٤ - باب {وثِيابَكَ فطهِّر}

٤٩٢٥ - عن جابر بن عبدِ الله رضيَ الله عنهما قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ وهو يحدِّث عن فَترةِ الوَحي فقال في حديثه: فبينا أنا أمشي إذ سمعتُ صَوتاً من السماء، فرفعتُ رأسي فإذا الملك جاءني بِحراءٍ جالسٌ على كُرسيٍ بين السماءِ والأرض، فجئتُ منه رعباً، فرجَعتُ فقلت زَمِّلوني زملوني، فدَثَّروني، فأنزلَ الله تعالى {يا أيها المدَّثر -إلى- والرِّجْزَ فاهجُر} قبلَ أن تُفرَضَ الصلاة، وهي الأوثانُ».

قوله (وثيابك[١] فطهر) ذكر فيه حديث جابر المذكور، ووقع في آخر الحديث {وثيابك فطهر والرجز فاهجر} قبل أن تفرض الصلاة، وكأنه أشار بقوله «قبل أن تفرض الصلاة» إلى أن تطهير الثياب كان مأمورا به قبل أن تفرض الصلاة، وأخرج ابن المنذر من طريق محمد بن سيرين قال: اغسلها بالماء، وعلى هذا حمله ابن عباس فيما أخرجه ابن أبي حاتم، وأخرج من وجه آخر عنه قال: فطهر من الإثم.

وأخرج ابن المنذر من طريق الحسن قال: خلقك فحسنه، وقال الشافعي رحمه الله: قيل في **قوله** {وثيابك فطهر} صل في ثياب طاهره، وقيل غير ذلك، والأول أشبه، انتهى.

---

(١) في المتن "باب وثيابك فطهر" واليونينية توافق الشرح.

٥ ـ باب {والرِّجز فاهجر}

يقال الرِّجز والرِّجس: العذاب.

٤٩٢٦ ـ عن أبي سلمةَ قال: «أخبَرَني جابر بن عبدُ الله أنهُ سمعَ رسولَ الله ﷺ يُحدِّثُ عن فَترةِ الوَحي: فبَينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ بصري قِبلَ السماء فإذا الملَك الذي جاءني بحِراء قاعدٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فجئثتُ منه حتى هَوَيْتُ إلى الأرض، فجئتُ أهلي فقلت: زمِّلوني زملوني فزمَّلوني، فأنزل اللهُ تعالى {يا أيها المُدثر قُم فأنذر -إلى قوله- فاهْجُر}، قال أبو سَلَمة، والرِّجز الأوْثان، ثم حَمِيَ الوَحيُ وتتابع».

قوله (والرجز فاهجر، يقال الرجز والرجس العذاب) هو قول أبي عبيدة، وقد تقدم في الذي قبله أن الرجز الأوثان، وهو تفسير معنى، أي أهجر أسباب الرجز أي العذاب وهي الأوثان.

(٧٥) سُوْرَة القيامة

١ ـ باب {لا تُحرِّكْ به لِسانَك لَتعجَلَ به}

وقال ابنُ عباس {ليفجُرَ أمامَه}: سوف أتوب، سَوفَ أعمل، {لا وَزَر}: لاحِصْن، {سُدىً}: هَملاً.

٤٩٢٧ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا نزل عليه الوحْي حرك به لسانَه -ووصَف سفيانُ يُريدُ أن يحفَظَه- فأنزلَ الله: {لا تُحرِّك به لسانَكَ لِتَعجَل به}».

قوله {لا[(١)] تحرك به لسانك لتعجل به} لم يختلف السلف أن المخاطب بذلك النبي ﷺ في شأن نزول الوحي كما دل عليه حديث الباب.

وقد ذكر الأئمة لها مناسبات: منها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر القيامة، وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة، وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه وهو الإصغاء إلى الوحي وتفهم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك، فأمر أن لا يبادر إلى التحفظ لأن تحفيظه مضمون على ربه، وليصغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه، ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلق بالإنسان المبدأ بذكره ومن هو من جنسه فقال: {كلا} وهو كلمة ردع، كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقتم من عجل تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة.

ومنها أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الاحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً

(١) في المتن "باب لا تحرك به..." واليونينية توافق الشرح.

وتركاً كما قال في الكهف {ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه -إلى أن قال- ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا} وقال تعالى في سبحان {فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم -إلي أن قال- ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن} الآية.

ومنها أن أول السورة لما نزل إلى قوله {ولو ألقى معاذيره} صادف أنه ﷺ في تلك الحالة بادر إلى تحفظ الذي نزل، وحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته، فنزلت {لا تحرك به لسانك -إلى قوله- ثم إن علينا بيانه} ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدأ به.

ومنها أن النفس لما تقدم ذكرها في أول السورة عدل إلى ذكر نفس المصطفى كأنه قيل: هذا شأن النفوس، وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس فلتأخذ بأكمل الأحوال.

قوله (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) يعني الأمل، يقول: اعمل ثم أتوب.

باب {إنَّ علينا جَمعَه وقُرآنَه}

٤٩٢٨ ـ عن موسى بن أبي عائشة أنه «سأل سعيدَ بن جُبير عن قوله تعالى {لا تُحَرِّك به لِسانَكَ} قال وقال ابن عباس: كان يحرِّك شَفَتَيْه إذا أنزِلَ عليه، فقيل له لا تحرِّك به لِسانك -يخشى أن يَنفَلت منه- إنَّ علينا جَمعَه: أن نَجمعه في صَدرِك، وقرآنَهُ أن تقرأه، {فإذا قرأناه -يقول أُنزلَ عليه- فاتَّبِع قرآنَه، ثم إن علينا بيانَه} أن نبيِّنه على لِسانِكَ».

٢ ـ باب {فإذا قَرأناه فاتَّبِعْ قُرآنَه}

قال ابن عباس: قرأناه بيَّنّاه، فاتبع، اعمل به.

٤٩٢٩ ـ عن ابن عباسٍ في قوله {لا تحرِّك به لسانكَ لِتَعجَلَ به} قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا نَزَل جُبريلُ عليه بالوحيِ وكان مِمّا يحرِّك بهِ لسانَهُ وشَفَتَيْه فَيَشْتَدُّ عليه، وكان يُعرَف منه، فأنزلَ اللهُ الآيةَ التي في {لا أقسم بيوم القيامَة: لا تحرِّكْ به لسانَكَ لتعْجَلَ به إنَّ علينا جمعَهُ وقُرآنه} قال علينا أن تجمعَهُ في صَدرِكَ وقرآنه {فإذا قرأناهُ فاتَّبِع قُرآنه} فإذا أنزلْناه فاستمع {ثم إنَّ علينا بيانَه} علينا أن نَبيِّنه بلِسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريلُ أطرق فإذا ذَهَبَ قرأه كما وَعَدَهُ اللهُ، {أولى لك فأولى} تَوَعُّدٌ.

قوله (إذا نزل جبريل عليه) في رواية أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة كما تقدم في بدء الوحي «كان يعالج من التنزيل شدة» وهذه الجملة توطئة لبيان السبب في النزول، وكانت الشدة تحصل له عند نزول الوحي لثقل القول كما تقدم في بدء الوحي من حديث عائشة، وتقدم من حديثها في قصة الإفك «فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء» وفي حديثها في بدء الوحي أيضاً «وهو أشده عليَّ» لأنه يقتضي الشدة في الحالتين المذكورتين لكن إحداهما أشد من الأخرى.

قوله (فيشتد عليه) ظاهر هذا السياق أن السبب في المبادرة حصول المشقة التي يجدها

عند النزول، فكان يتعجل بأخذه لتزول المشقة سريعاً، وبين في رواية إسرائيل أن ذلك كان خشية أن ينساه حيث قال: «فقيل له لا تحرك به لسانك تخشى أن ينفلت».

قوله (فأنزل الله) أي بسبب ذلك، واحتج بهذا من جوز اجتهاد النبي ﷺ.

قوله (فإذا قرأناه) أي قرأه عليك الملك.

(٧٦) سُورةُ {هل أتى عَلى الإنسان} بسم الله الرحمن الرحيم

يُقال معناهُ أتى على الإنسان، و «هل» تكون جَحْداً وتكونُ خبرا، وهذا من الخبَر، يقول: كان شيْئاً فلم يكن مَذكورا، وذلك مِن حين خَلَقهُ من طين إلى أن يُنفخَ فيه الرُّوحُ أمْشاج: الأخلاطُ، ماء المرأةِ وماء الرجُل، الدَّم والعَلَقةُ، ويُقال إذا خُلط مَشيجٌ، كقولك: خَليط، ومَمْشوجٌ مثلُ مخلوطٍ، ويقال سَلاسِلاً وأغلالاً، ولم يُجز بَعضُهم، مُسْتَطيراً: مُمتدّاً البلاء، والقَمْطَرير: الشَّديد، يقال يومٌ قَمطرير ويوم قُماطِر، والعَبوسُ والقمطَرير والقماطِرُ والعَصيبُ أشدُّ ما يكون مِنَ الأيام في البَلاء، وقال الحسن النُّضْرةُ في الوجهِ، والسرورُ في القلب، وقال ابن عباس: الأرائك: السُّرُر، وقال مقاتل: السُّرُر الحِجال من الدر والياقوت، وقال البراء: وذُلِّلت قُطوفُها: يَقطفونَ كيف شاءوا، وقال مجاهد: سَلْسَبيلا: حديدَ الجرية وقال مَعمرٌ: أسْرَهم شدَّة الخلق، وكل شيءٍ شَدَدتَه مِن قَتَب وغبيط فَهو مَأسورٌ.

قوله (وقال البراء: وذللت قطوفها يقطفون كيف شاءوا) وقد وصله سعيد بن منصور عن شريك عن أبي إسحق عن البراء في قوله {وذللت قطوفها تذليلاً(١)} قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين وعلى أي حال شاءوا، ومن طريق مجاهد: إن قام ارتفعت وإن قعد تدلت، ومن طريق قتادة: لا يرد أيديهم شوك ولا بُعْد.

(٧٧) سُورة والْمُرْسَلات

وقال مُجاهد جِمالاتٌ: حِبالٌ، اركعوا: صلُّوا، لا يَركعون: لاَ يُصلُّون، وسُئِلَ ابن عباس لا ينطِقون، والله ربِّنَا ما كنا مُشركين، واليوم نَختم على أفواههم، فقال: إنه ذو ألْوانٍ، مَرةً ينطقون، ومرَّةً يُختم عليهم.

١ ـ باب * ٤٩٣٠ ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: «كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ وأنزلت عليه {والمُرسَلاتِ} وإنَّا لَنتلقَّاها من فيه، فَخرجَت حيَّةٌ فابتدَرناها، فسبَقتْنا فدَخَلتْ جُحرَها، فقال رسولُ الله ﷺ: وُقيَتْ شرَّكُم كما وُقيتم شرَّها».

٤٩٣١ ـ عن عبد الله قال: «بينا نحن مع رَسولِ الله ﷺ في غارٍ، إذا نَزلَت عليه {والمُرسَلاتِ} فتلَقَّيناها من فِيه، وإنَّ فَاهُ لَرَطبٌ بها، إذا خَرَجَت حَيَّةٌ، فقال رسُولُ الله

---

(١) رواية ابباب بدون "تذليلاً" واليونينية ما ذكر هذه الرواية.
(٢) هذه الرواية ليس في الباب واليونينية.

ﷺ: عَلَيكم، اقتُلوها، قال فابتَدرناها فسَبَقَتْنا، قال: فقال: وُقِيَتْ شرَّكم كما وُقِيتم شرَّها».

قوله (سورة والمرسلات) أخرج الحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال: «المرسلات عرفاً الملائكة أرسلت بالمعروف»، وقال مجاهد: {كفاتا} أحياء يكونون فيها وأمواتاً يدفنون فيها، {فراتا} عذبا، {جمالات} حبال الجسور، وهذا الأخير وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بهذا، ووقع عند ابن التين: قول مجاهد جمالات جمال يريد بكسر الجيم وقيل بضمها إبل سود واحدها جمالة، وجمالة جمع جمل مثل حجارة وحجر، ومن قرأ جمالات ذهب به إلى الحبال الغلاظ، وقد قال مجاهد في قوله {حتى[1] يلج الجمل في سم الخياط}: هو حبل السفينة، وعن الفراء: الجمالات ما جمع من الحبال.

وأخرج عبد بن حميد من طريق علي بن زيد عن أبي الضحى أن نافع بن الأزرق وعطية أتيا ابن عباس فقالا: يا ابن عباس، أخبرنا عن قول الله تعالى {هذا يوم لا ينطقون} وقوله {ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون} وقوله {والله ربنا ما كنا مشركين} وقوله {ولا يكتمون الله حديثا} قال: ويحك يا ابن الأزرق إنه يوم طويل وفيه مواقف، تأتي عليهم ساعة لا ينقطون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يكون ما شاء الله يحلفون ويجحدون، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على أفواههم، وتؤمر جوارحهم فتشهد على أعمالهم بما صنعوا ثم تنطق ألسنتهم فيشهدون على أنفسهم بما صنعوا، وذلك قوله {ولا يكتمون الله حديثا}.

قوله (فابتدرناها) في رواية الأسود «فقال رسول الله ﷺ اقتلوها، فابتدرناها».

قوله (فسبقتنا) أي باعتبار ما آل إليه أمرها، والحاصل أنهم أرادوا أن يسبقوها فسبقتهم، وقوله «فابدرناها» أي تسابقنا أينا يدركها، فسبقتنا كلنا، وهذا هو الوجه والأول احتمال بعيد.

٢ ـ باب قوله {إنها تَرمي بشَررٍ كالْقَصْرْ}

٤٩٣٢ ـ عن عبدِ الرّحمن بن عابِس قال: «سمعتُ ابنَ عبّاسٍ يقول: {إنها ترمي بشررٍ كالقصر} قال: كُنا نرفَع الخشَبَ بِقصَرٍ ثلاثةَ أذرعٍ أو أقلَّ، فنرْفَعه للشتاء، فنُسَمِّيه القَصَر».

[احديث ٤٩٣٢ – طرفه في: ٤٩٣٣]

قوله (باب قوله إنها ترمي بشرر كالقصر) أي قدر القطر.

قوله (كنا نرفع الخشب بِقِصَرٍ) وهو بمعنى الغاية والقدر، تقول قصرك وقصاراك من كذا ما اقتصرت عليه.

---

(١) هذه الرواية ليس في الباب واليونينية.

قوله (فنرفعه للشتاء فنسميه القَصْرَ) وهو على الثاني جمع قصرة أي كأعناق الإبل ويؤيده قراءة ابن عباس كالقَصَر بفتحتين، وقيل هو أصول الشجر، وقيل أعناق النخل.

٣ ـ باب {كأنهُ جمالاتٌ صُفْرٌ}

٤٩٣٣ ـ عن عبدِ الرحمن بن عابس «سمعتُ ابنَ عباس رضيَ الله عنه {ترمي بشررٍ كالقصر} كُنا نَعمدُ إلى الخَشَبَةِ ثلاثةَ أذرُعٍ وفوق ذلك فنرفعُه للشتاء فنسمِّيه القصر، {كأنه جِمالاتٌ صُفْرٌ} حِبالُ السُّفُن، تجمع حتَّى تكونَ كأوساطِ الرِّجال».

٤ ـ باب {هَذا يومُ لا يَنْطقونَ}

٤٩٣٤ ـ عن عبدِ الله قال: بينما نحنُ مع النبيِّ ﷺ في غارٍ، إذ نزلَت عليه {والمرسَلاتِ} فإنه ليتْلوها وإني لأتلقَّاها من فيه، وإن فاهُ لَرطبٌ بها، إذ وَثَبتْ علينا حيَّةٌ، فقال: النبيُّ ﷺ: اقتُلوها، فابتَدرْناها فذَهَبت، فقال النبيُّ ﷺ: وُقيَتْ شركم كما وُقيتم شرَّها»، قال عمرُ: حفظته من أبي «في غارٍ بمِنى».

(٧٨) سُورَة {عَمَّ يَتساءلون}

قال مجاهد: لا يرجون حساباً: لا يخافونه، لا يَملكونَ منه خِطاباً: لا يكلمونه إلا أن يأذَنَ لهم، صَواباً: حقاً في الدنيا وعملٌ به، وقال ابنُ عباس وَهاجاً: مُضيئاً، وقال غيره: غَسّاقا: غَسقتْ عينه، ويَغسَقُ الجرحُ: يَسيلُ كأنَّ الغسّاق والغَسِيق واحد، عطاءً حساباً: جَزاءً كافيا، أعطاني ما أحسَبَني: أي كفاني.

١ ـ باب {يومَ يُنفَخُ في الصور فتَأتون أفواجاً} زُمراً

٤٩٣٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما بين النَّفْختَين أربَعون، قال: أربعون يوماً؟ قال: أبَيْتُ، قال: أربعونَ شهراً وقال: أبيْتُ، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ، قال: ثم يُنزلُ اللهُ من السماءِ ماءً، فيَنبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، ليس منَ الإنْسان شيءٌ إلا يَبْلى، إلا عَظْماً واحِداً وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنه يُركبُ الخَلْقُ يومَ القيامة».

قوله (باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً: زمرا) ذكر فيه حديث أبي هريرة «ما بين النفختين أربعون» وقد تقدم شرحه في تفسير الزمر.

(٧٩) سُورةُ {والنَّازعات}

وقال مُجاهدٌ: الآيةَ الكبرى عَصاهُ ويدُهُ، يُقال النَّاخِرَةَ والنَّخِرةُ سَواءٌ، مِثلُ الطامِعِ والطَّمِعِ، والباخِلِ والبَخيل، وقال بعضُهم: والنَّخِرة البالية والناخِرةَ العَظْمُ المجوَّف الذي تَمرُّ فيه الرِّيح فَيَنْخَرُ، وقال ابن عباس: الحافِرَة إلى أمرنا الأول إلى الحياةِ، وقال غيرُه: أيان مُرْساها متى مُنتَهاها، ومُرْسى السَّفينةِ حيثُ تَنتهي.

قوله (وقال ابن عباس: الحافرة إلى أمرنا الأول، إلى الحياة) وصله ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {الحافرة} يقول: الحياة، وقال الفراء: الحافرة يقول إلى أمرنا الأول، إلى الحياة، والعرب تقول أتيت فلاناً ثم رجعت على حافري أي من حيث جئت، قال: وقال بعضهم الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم، فسماها الحافرة أي المحفورة، كماء دافق أي مدفوق.

١ ـ باب *

٤٩٣٦ ـ عن سَهلِ بن سعدٍ رضيَ الله عنه قال: «رأيْتُ رسولَ الله ﷺ قال: بإصبَعَيهِ هكذا بالوسطى والتي تلي الإبْهام: بُعثْتُ والساعةَ كَهاتَين»، الطامَّة: تَطُمُّ على كلِّ شيء.

[الحديث ٤٩٣٦ – طرفاه في: ٥٣٠١، ٦٥٠٣]

(٨٠) سُورَةُ {عَبَسَ}، بسم الله الرحمن الرحيم

{عَبَسَ وتولَّى: كَلَحَ وأعْرَضَ، وقال غيرهُ مُطهَّرة لا يَمسُّها إلا المطَّهرون وهم الملائكةُ، وهذا مِثلُ قوله {فالمدبِّراتِ أمراً} جَعَلَ الملائكةَ والصُّحفَ مطهَّرَةَ لأنَّ الصُّحف يَقعُ عليها التَّطهيرُ، فَجعلَ التطهيرَ لِمَنَ حَمَلَها أيضاً، سَفَرة: الملائكةُ، واحدُهم سافِرٌ، سَفَرْتُ أصلَحْتُ بينهم، وجُعلَت الملائكةُ إذا نَزَلَت بوحْي الله وتأديته كالسفير الذي يُصْلِح بين القوم، وقال غيره: تَصدَّى تَغافَل عنه، وقال مُجاهد {لما يقض} لا يقضي أحدٌ ما أُمرَ به، وقال ابن عبَّاسٍ ترهَقها {قَترة} تَغشاها شِدَّةٌ، مُسفِرةٌ: مُشْرِقَةٌ، بأيدي سَفَرة، وقال ابن عباسٍ كتبةٍ، أسفاراً كُتُباً، تَلَهى تَشاغَل، يُقال واحد الأسفارِ سِفْرٌ

٤٩٣٧ ـ عن عائشة عن النبيِّ ﷺ قال: «مَثَلُ الذي يقرأُ القرآنَ وهو حافظٌ له مع السَّفَرة الكِرام البَرَرة، ومثَل الذي يقرأُ القرآن وهو يتعاهَده وهْوَ عليه شَديدٌ فله أجْرانِ».

قوله (عبس وتولى: كلح وأعرض) أما تفسير عبس فهو لأبي عبيدة، وأما تفسير تولى فهو في حديث عائشة الذي سأذكره بعد، ولم يختلف السلف في أن فاعل عبس هو النبي ﷺ.

وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت: «نزلت في ابن أم مكتوم الأعمى فقال: يا رسول الله أرشدني –وعند النبي ﷺ رجل من عظماء المشركين– فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول له: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، فنزلت عبس وتولى» قال الترمذي: حسن غريب.

قوله (سفرة الملائكة واحدهم سافر، سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم) وقد تمسك به من قال إن جميع الملائكة رسل الله، وللعلماء في ذلك قولان، الصحيح أن فيهم الرسل وغير الرسل، وقد ثبت أن منهم الساجد فلا يقوم والراكع فلا يعتدل، الحديث، واحتج الأول بقوله تعالى {جاعل الملائكة

رسلا} وأجيب بقول الله تعالى {الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس}.

قوله (تصدى تغافل عنه) في رواية النسفي «وقال غيره الخ» وسقط منه شيء، والذي قال أبو عبيدة في قوله تعالى {فأنت له تصدى} أي تتعرض له، تلهى تغافل عنه، فالساقط لفظ تتعرض له ولفظ تلهى، وقد تعقب أبو ذر ما وقع في البخاري فقال: إنما يقال تصدى للأمر إذا رفع رأسه إليه، فأما تغافل فهو تفسير تلهى.

قوله (مثل) أي صفته، وهو كقوله تعالى {مثل الجنة}.

قوله (وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة) قال ابن التين: معناه كأنه مع السفرة فيما يستحقه من الثواب.

قوله (ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران) قال ابن التين اختلف هل له ضعف أجر الذي يقرأ القرآن حافظاً أو يضاعف له أجره وأجر الأول أعظم؟ قال: وهذا أظهر، ولمن رجح الأول أن يقول: الأجر على قدر المشقة.

(٨١)باب سورة {إذا الشمسُ كُوِّرَتْ}

انْكَدَرت: انتَثَرت، وقال الحسَنُ سُجرتْ: يذهب ماؤها فلا يَبقى قَطرةٌ، وقال مُجاهد المَسْجور: المملوء، وقال غيرهُ سُجِرت أفضى بعضها إلى بعض فصارت بْحراً واحداً، والخُنَّسُ تخنس في مُجراها ترْجِع، وتكنِس تستر في بيوتِها كما تَكنس الظباء، تنَفسَ: ارْتفع النَّهار، والظنين المتهَم، والضَّنين يَضنُّ به، وقال عُمر: النُّفوس زوِّجتْ يزوجُ نَظيرَهُ من أهْل الجَنَّة والنَّار، ثمّ قَرَأَ رضيَ الله عنه: {احْشُروا الذين ظَلَموا وَأَزْواجَهُم} عَسْعَس: أدبَرَ

قوله (سورة {إذا الشمس كورت}) ويقال لها أيضاً سورة التكوير.

قوله (انكدرت) انتشرت) قال الفراء: في قوله تعالى {وإذا النجوم انكدرت} يريد انتثرت، وقعت في وجه الأرض.

قوله (والخنس تخنس في مجراها ترجع، وتكنس تستتر في بيوتها كما تكنس الظباء) قال الفراء في قوله {فلا أقسم بالخنس}: وهي النجوم الخمسة تخنس في مجراها ترجع، وتكنس تستتر في بيوتها كما تكنس الظباء في المغاير وهي الكناس، قال: والمراد بالنجوم الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري.

(تنبيه): لم يورد فيها حديثاً مرفوعاً، وفيها حديث جيد أخرجه أحمد والترمذي والطبراني وصححه الحاكم من حديث ابن عمر رفعه «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ «إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت» لفظ أحمد.

(٨٢) سُوْرَةَ {إذا السَّماء انفَطَرتْ} بسم الله الرحمن الرحيم

وقال الرَّبيعُ بن خُثَيم فُجِّرت فاضت، وقرأ الأعمش وعاصِم {فعَدَلك} بالتَّخفيف، وقرأهُ أهل الحجاز بالتَّشديد، وأرادَ معتَدِلَ الخَلقِ، ومن خفف يعني في أيِّ صورة شاءَ: إمَّا حَسَنٌ

وإمّا قبيح، أو طويل أو قَصير.

(تنبيه): لم يورد فيها حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيها حديث ابن عمر المنبه عليه في التي قبلها.

(٨٣) سورة {وَيْلٌ للمَطَفِّفين}، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مُجاهد رانَ: ثَبْتُ الخَطايا، ثُوِّبَ: جُوزيَ، الرَّحيقُ: الخمر، {ختامُهُ مسك} طينه، التسنيم: يعلو شرابَ أهلِ الجنة، وقال غيرهُ: المُطفِّف لا يُوَفِّي غيرَه يوم يقوم الناسُ لربِّ العالَمين.

قوله (وقال مجاهد: بل ران وثبت الخطايا) والران والرين الغشاوة، وهو كالصدى على الشيء الصقيل، وروى ابن حبان والحاكم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه، فإن هو نزع واستغفر صقلت، فإن هو عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فهو الران الذي ذكر الله تعالى {كلا بل ران على قلوبهم}.

باب {يومَ يقومَ النأسُ لربِّ العالمين}

٤٩٣٨ ـ عن عبدِ الله بن عمَر رضيَ الله عنهما «أنَّ النبيَ ﷺ قال: {يومَ يقومُ الناس لِربِّ العالمين} حتى يغيب أحدُهم في رَشْحه إلى أنصَافِ أذنيه».

[الحديث ٤٩٣٨ - طرفه في: ٦٥٣١]

قوله (في رَشْحه) أي عرقه لأنه يخرج من البدن شيئاً بعد شيء كما يرشح الإناء المتحلل الأجزاء.

وقد روى مسلم من حديث المقداد بن الأسود عن النبي ﷺ «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق» فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً».

(٨٤) سُورةَ {إذا السَّماء انشَقّتْ}

قال مجاهد كتابَهُ بِشمالهِ: يأخُذُ كتابه من وَراءِ ظَهره، وَسَقَ: جَمع من دابّة، ظَنَّ أنْ لنْ يَحور: لا يرْجِع إلينا.

قوله (سورة إذا السماء انشقت) ويقال لها أيضاً سورة الإنشقاق وسورة الشفق.

١ ـ باب {فسوفَ يُحاسَب حساباً يسيرا}

٤٩٣٩ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «ليس أحدَ يحاسَب إلا هَلَكَ، قالت قلت يا رسولَ اللهَ جَعلني الله فداءَك، أليس يقول الله عزَّ وجلَّ، {فأمَّا من أوتيَ كتابَه بيمينِهِ فسوفَ يحاسَب حساباً يَسيرا}، قال: ذاكِ العَرْض يُعْرَضون، ومن نوقش الحسابَ هلَك».

٢ ـ باب {لَتَركَبُنَّ طبقاً عن طَبق}

٤٩٤٠ ـ عن ابن عبّاسٍ {لَتَركَبُنَّ طَبقاً عن طَبق}: حالاً بعدَ حال، قال هذا نَبيُّكم ﷺ».

قوله (قال ابن عباس {لتركبن طبقاً عن طبق} حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ) أي الخطاب له.

وأخرج الطبري أيضاً والحاكم من حديث ابن مسعود إلى قوله {لتركبن طبقاً عن طبق} قال: السماء، وفي لفظ للطبري عن ابن مسعود قال: المراد أن السماء تصير مرة كالدهان، ومرة تشقق ثم تحمر ثم تنفطر، ورجح الطبري الأول وأصل الطبق الشدة، والمراد بها هنا ما يقع من الشدائد يوم القيامة، والطبق ما طابق غيره، يقال ما هذا بطبق كذا أي لا يطابقه، ومعنى قوله حالاً بعد حال» أي حال مطابقة للتي قبلها في الشدة، أو هو جمع طبقة وهي المرتبة، أي هي طبقات بعضها أشد من بعض، وقيل المراد اختلاف أحوال المولود منذ يكون جنينا إلى أن يصير إلى أقصى العمر، فهو قبل أن يولد جنين، ثم إذا ولد صبي، فإذا فطم غلام، فإذا بلغ سبعاً يافع، فإذا بلغ عشرا حزور، فإذا بلغ خمس عشرة قمد، فإذا بلغ خمساً وعشرين عنطنط، فإذا بلغ ثلاثين صمل، فإذا بلغ أربعين كهل، فإذا بلغ خمسين شيخ، فإذا بلغ ثمانين هم، فإذا بلغ تسعين فان.

(٨٥) سُورةَ البُروج

وقال مجاهد الأخدود شَقٌّ في الأرض، فتَنوا عذبوا، وقال ابن عباس: الوَدود الحبيب، المجيد الكريم.

قوله (سورة البروج) تقدم في أواخر الفرقان تفسير البروج.

قوله (وقال مجاهد: الأخدود شق في الأرض) وصله الفريابي بلفظ «شق بنجران كانوا يعذبون الناس فيه» وأخرج مسلم والترمذي وغيرهما من حديث صهيب قصة أصحاب الأخدود مطولة، وفيه قصة الغلام الذي كان يتعلم من الساحر، فمر بالراهب فتابعه على دينه، فأراد الملك قتل الغلام لمخالفته دينه فقال: إنك لن تقدر على قتلي حتى تقول إذا رميتني بسم الله رب الغلام، ففعل فقال الناس: آمنا برب الغلام، فحدَّ لهم الملك الأخاديد في السكك وأضرم فيها النيران ليرجعوا إلى دينه، وفيه قصة الصبي الذي قال لأمه: اصبري فإنك على الحق.

قوله فتنوا عذبوا) وهذا أحد معاني الفتنة، ومثله {يوم هم على النار يفتنون} أي يعذبون.

(٨٦) سُورةُ الطارِق

هو النجم، وما أتاك ليلاً فهو طارق، النجم الثاقب: المضيء، وقال مجاهد: ذاتِ الرَّجعَ سَحابٌ يَرجع بالمطر، وذاتِ الصَّدْع الأرض تتصدَّع بالنَّبات قال ابن عباس {القولٌ فَصل}:

لحق، {لَمّا عليها حافظ}: إلا عليها حافظ.

(تنبيه): لم يورد في الطارق حديثاً مرفوعاً، وقد وقع حديث جابر في قصة معاذ «فقال النبي ﷺ: أفتان يا معاذ؟ يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها»، الحديث أخرجه النسائي هكذا، ووصله في الصحيحين.

(٨٧) سُورةُ {سَبِّح اسمَ ربِّكَ الأعلى}

وقال مجاهد {قدَّر فهدَى}: قدَّر للإنسان الشقاء والسعادة، {وهدى} الأنعام لمراتعها

٤٩٤١ ـ عن البَرَاء رضيَ الله عنه قال: «أول من قَدِمَ علينا من أصحابِ النبيِّ ﷺ مُصعَبُ بن عُمير وابنُ أمِّ مَكْتوم، فَجعلا يُقرِئاننا القرآنَ، ثم جاء عمّار وبلالٌ وسعدٌ، ثم جاء عُمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبيُّ ﷺ، فما رأيت أهلَ المدينةَ فرحوا بِشيءٍ فرحَهم به، حتى رأيتُ الولائدَ والصبْيانَ يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت {سَبِّحِ اسْمَ ربِّكَ الأعلى} في سُوَر مِثلِها».

قوله (سورة سبح اسم ربك الأعلى) ويقال لها سورة الأعلى، وأخرج سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير «سمعت ابن عمر يقرأ سبحان ربي الأعلى الذي خلق فسوى» وهي قراءة أبيّ بن كعب.

ثم ذكر المصنف حديث البراء في أول من قدم المدينة من المهاجرين، وقد تقدم شرحه في أوائل الهجرة[١].

(٨٨) سورة {هل أتاكَ حديث الغاشيَة} بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابنُ عباس: {عاملةٌ ناصبةٌ} النصارَى، وقال مجاهد: {عَيْنٌ آنية} بلغ إناها وحانَ شُربها، {حَميمٍ آنٍ} بَلغ إناهُ، {لا تَسْمَعُ فيها لاغيَة} شتْماً، ويقال: الضَّريعُ نَبتٌ يُقال له الشِّبْرِقُ، يُسمِّيه أهلُ الحِجاز الضَّريعَ إذا يَبسَ وهو سُمٌّ، {بِمُسَيطر}: بمسلَّط، ويُقرأ بالصَّاد والسِّين، وقال ابن عباس: {إيابَهم} مرجِعَهم.

قوله (سورة هل أتاك - بسم الله الرحمن الرحيم) ويقال لها أيضاً سورة الغاشية، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الغاشية من أسماء يوم القيامة.

قوله (لا تسمع فيها لاغية: شتماً) وصله الفريابي أيضاً عن مجاهد، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: لا تسمع فيها باطلاً ولا مأثماً.

قوله (ويقال الضريع نبت يقال له الشبرق، تسميه[٢] أهل الحجاز الضريع إذا يبس، وهو

---

(١) كتاب مناقب الأنصار باب/ ٤٦ ح ٣٩٢٤ - ٢٤٧/٣.

(٢) في رواية الباب واليونينية "يسمِّيه" بالباء".

سم) والشبرق، قال الخليل بن أحمد: هو نبت أخضر منتن الريح يرمي به البحر.

قوله (بمسيطر بمسلط) قال أبو عبيدة في قوله {لست عليهم بمسيطر}: بمسلط، قال ابن التين: أصله السطر، والمعنى أنه لا يتجاوز ما هو فيه، قال وإنما كان ذلك وهو بمكة قبل أن يهاجر ويؤذن له في القتال.

(تنبيه): لم يذكر فيها حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيها حديث جابر رفعه «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» الحديث وفي آخره «وحسابهم على الله» ثم قرأ {إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر} إلى آخر السورة، أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم وإسناده صحيح.

(٨٩) سُورَةُ والفَجْرِ

وقال مُجاهد: {إِرَمَ ذاتِ العماد} يعني القديمة، والعِمادَ: أهلُ عَمود لا يُقيمون، {سوطَ عذاب}: الذي عُذِّبوا به، {أكلاً لَمّاً}: السفُّ، وجَمّاً: الكثير، وقال مجاهد: كلُّ شيء خَلَقه فهو شَفع، السماء شَفع، والوَتر: اللهُ تبارك وتعالى، وقال غيره {سَوط عذاب} كلمة تقولها العربُ لكلِّ نوع من العذاب يدخلُ فيه السوط، {لبالمِرصاد}: إليه المصير، {تَحاضُّون}: تُحافِظون، وتَحُضُّون: تأمرون بإطعامه، {المطمئنة} المصدّقة بالثواب، وقال الحسن {يا أيتُها النفسُ المطمئنة} إذا أراد اللهُ عزَّ وجلَّ قبضها اطمأنت إلى الله واطمأن اللهُ إليها، ورضيَت عن الله ورضيَ اللهُ عنها، فأمرَ بقبض روحها وأدخله الله الجنة وجعلَه من عبادِه الصالحين، وقال غيره {جابوا} نَقبوا، من جِيبَ القميص قُطعَ له جَيب، يَجوبُ الفلاةَ: يَقطعُها، {لَما} لَممتُه أجمعَ: أتيتُ على آخره.

قوله (سورة والفجر - وقال مجاهد: إرم ذات العماد يعني القديمة، والعماد أهل عمود لا يقيمون) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: إرم قبيلة من عاد، قال: والعماد كانوا أهل عمود أي خيام، انتهى، وإرم هو ابن سام بن نوح، وعاد ابن عوص ابن إرم.

(تنبيه): قرأ الجمهور الوتر بفتح الواو، وقرأها الكوفيون سوى عاصم بكسر الواو واختارها أبو عبيد.

قوله (المطمئنة المصدقة بالثواب) قال الفراء {يا أيتها النفس المطمئنة} بالإيمان، المصدقة بالثواب والبعث.

(تنبيه): لم يذكر في الفجر حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيه حديث ابن مسعود رفعه في قوله تعالى {وجيء يومئذ بجهنم} قال: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»، أخرجه مسلم والترمذي.

(٩٠) سورة {لا أُقسِمُ}

وقال مجاهد {وأنت حِل بهذا البلد}: مكة، ليس عليكَ ما على الناس فيه من الإثم، {ووالِدٍ} آدم {وما وَلَدَ}، {لِبَداً}: كثيرا، والنجدين: الخير والشرّ، مَسغَبة: مجاعة، مَترَبَة: الساقط في التراب، يقال {فلا اقتَحم العقبة}: فلم يقتحم العقبة في الدنيا، ثم فسَّر العقبة فقال: {وما أدراك ما العقبة؟ فكُّ رقبة، أو إطعامٌ في يوم ذي مَسغَبة}، {في كَبَد}: في شدّة.

قوله (سورة لا أقسم) ويقال لها أيضاً سورة البلد، واتفقوا على أن المراد بالبلد مكة شرفها الله تعالى.

قوله (وقال مجاهد {وأنت حل بهذا البلد} مكة، ليس عليك ما على الناس فيه من الأثِم) وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: يقول لا تؤاخذ بما عملت فيه وليس عليك فيه ما على الناس، وقد أخرجه الحاكم من طريق منصور عن مجاهد فزاد فيه عن ابن عباس بلفظ: أحل الله له أن يصنع فيه ما شاء، ولابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس: يحل لك أن تقاتل فيه، وعلى هذا فالصيغة للوقت الحاضر والمراد الآتي لتحقق وقوعه، لأن السورة مكية والفتح بعد الهجرة بثمان سنين.

(تنهيه): لم يذكر في سورة البلد حديثاً مرفوعاً ويدخل فيها حديث البراء قال: «جاء أعرابي فقال: يا رسولَ الله علمني عملاً يدخلني الجنة، قال: لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة أو فك الرقبة، قال: أو ليستا بواحدة؟ قال: لا، إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها»، أخرجه أحمد وابن مردويه، وصححه ابن حبان.

(٩١) سُورةُ {والشمسِ وضُحاها}

وقال مجاهد: ضُحاها ضَوءُها، إذا تَلاها: تَبِعَها، وطَحاها: دحاها، ودَسّاها: أغواها، فألهمها: عرَّفها الشقاء والسعادة، وقال مجاهد بطَغواها: بمعاصيها، ولا يَخاف عُقباها: عُقبى أحد.

٤٩٤٢ ـ عن عبدِ الله بن زَمْعَةَ أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يَخطبُ وذكر الناقةَ والذي عَقر، فقال رسولُ الله ﷺ {إذا انْبَعَث أشقاها} انبعثَ لها رجل عزيزٌ عارِم مَنيع في رَهطهِ مثلُ أبي زَمعة، وذكرَ النساء فقال: يَعمِد أحدكم يَجلدُ امرأتَه جَلدَ العبد، فلعله يضاجعها من آخر يومِه، ثم وَعظهم في ضحكِهم من الضرطة وقال: لم يَضحك أحدكم مما يَفعل؟». وقال أبو معاوية : حدثنا......إلى عم الزبير بن العوام.

قوله (ولا يخاف عقابها: عقبى أحد) وصله الفريابي من طريق مجاهد في قوله {ولا يخاف عقباها}: الله لا يخاف عقبى أحد.

والضمير في عقباها للدمدمة أو لثمود أو للنفس المقدم ذكرها، والدمدمة الهلاك العام.

قوله (بطغواها: معاصيها[١]) أو المعنى كذبت بالعذاب الناشيء عن طغيانها.

قوله (وذكر الناقة) أي ناقة صالح.

قوله (والذي عقر) أي الناقة.

قوله (إذا انبعث) تقدم في أحاديث الأنبياء بلفظ انتدب، تقول ندبته إلى كذا فانتدب له أي أمرته فامتثل.

قوله (عزيز) أي قليل المثل.

قوله (عارم) أي صعب على من يرومه كثير الشهامة والشر.

قوله (منيع) أي قوي ذو منعة أي رهط يمنعونه من الضيم.

قوله (وذكر النساء) أي وذكر في خطبته النساء استطراداً إلى ما يقع من أزواجهن.

قوله (يعمِد) وسيأتي شرحه في كتاب النكاح.

قوله (ثم وعظهم في ضحكهم) وقال: لم يضحك أحدكم مما يفعل؟ يأتي الكلام عليه في كتاب الأدب إن شاء الله تعالى.

قوله (عم الزبير بن العوام) هو عم الزبير مجازاً لأنه الأسود بن المطلب بن أسد، والعوام بن خويلد بن أسد، فنزل ابن العم منزلة الأخ فأطلق عليه عما بهذا الاعتبار، كذا جزم الدمياطي باسم أبي زمعة هنا وهو المعتمد، وقال القرطبي في «المفهم»: يحتمل أن المراد بأبي زمعة الصحابي الذي بايع تحت الشجرة يعني وهو عبيد البلوى، قال: ووجه تشبيهه به إن كان كذلك أنه كان في عزة ومنعة في قومه كما كان ذلك الكافر، قال: ويحتمل أن يريد غيره ممن يكنى أبا زمعة من الكفار.

قلت: وهذا الثاني هو المعتمد، والغير المذكور هو الأسود، وهو جد عبد الله بن زمعة راوي هذا الخبر.

(٩٢) سُورةُ {والليل إذا يَغشى}، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابنُ عباس {وكذَّبَ بالحسنى}: بالخَلف، وقال مجاهد: تردَّى مات، وتلظَّى: تَوَهجَ، وقرأ عُبيد بن عُمير: تَتَلظَّى.

قوله (وقال ابن عباس: وكذب بالحسنى بالخلف) وصله ابن أبي حاتم من طريق حصين عن عكرمة عنه وإسناده صحيح.

١ ـ باب {والنهار إذا تَجَلَّى}

٤٩٤٣ ـ عن علقمةَ قال: دخلتُ في نفرٍ من أصحابِ عبدِ الله الشامَ، فسمِعَ بنا أبو الدَّرداءِ فأتانا فقال: أفيكم من يَقرأ؟ فقلنا: نعم، قال: فأيُّكم أقرأ؟ فأشاروا إليَّ، فقال:

---

(١) رواية الباب واليونينية "بطغواها بمعاصيها".

اقرأ، فقرأتُ {والليلِ إذا يَغشى، والنهارِ إذا تَجلى، والذكرِ والأنثى} قال: آنت سمعتها من في صاحِبك؟ قلتُ: نعم، قال: وأنا سمعتها مِن في النبيِّ ﷺ، وهؤلاءِ يأبَونَ علينا».

٢ ـ باب {وما خَلقَ الذكرَ والأُنثى}

٤٩٤٤ ـ عن إبراهيم قال: «قدِمَ أصحابُ عبد الله على أبي الدَّرداء، فطلبهم فوجَدهم فقال: أيُّكم يَقرأ على قراءةِ عبد الله؟ قال: كلُّنا، قال: فأيُّكم يحفَظُ؟ وأشاروا إلى علقمةَ، قال: كيف سمعتَهُ يَقرأ {والليلِ إذا يَغشى} قال علقمةُ {والذَّكرِ والأنثى} قال أشهدُ إني سمعتُ النبيَّ ﷺ يَقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ {وما خَلقَ الذَّكر والأُنثى} واللهِ لا أُتابِعُهم»

قوله (قدم أصحاب عبد الله) أي ابن مسعود.

قوله (وهؤلاء) أي أهل الشام (يريدونني على أن أقرأ وما خلق الذكر والأنثى، والله لا أتابعهم) هذا أبين من الرواية التي قبلها حيث قال: «وهؤلاء يأبون عليّ» ثم هذه القراءة لم تنقل إلا عمن ذكر هنا، ومن عداهم قرءوا «وما خلق الذكر والأنثى» وعليها استقر الأمر مع قوة إسناد ذلك إلى أبي الدرداء ومن ذكر معه، ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه، والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وعن ابن مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة ثم لم يقرأ بها أحد منهم، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا، فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت.

٣ ـ باب {فأمّا مَن أعطى واتقى}

٤٩٤٥ ـ «عن عليٍّ رضيَ الله عنه قال: كنّا مع النبيِّ ﷺ في بَقيع الغَرْقَد في جَنازةٍ، فقال: ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتبَ مَقعدُهُ من الجنة ومَقعَدَهُ من النار، فقالوا: يا رسولَ الله أفلا نَتَّكِل؟ فقال: اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ، ثم قرأ {فأَما من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى -إلى قوله- للعُسرى}».

قوله (باب قوله[1] فأما من أعطى واتقى) ذكر فيه حديث علي، وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب القدر[2] إن شاء الله تعالى.

باب {وصدَّقَ بالحسنى}

عن علي رضيَ الله عنه قال: كنّا قعوداً عند النبيِّ ﷺ...» فذكَرَ الحديث.

٤ ـ باب {فَسنُيَسِّرُهُ للْيُسرى}

٤٩٤٦ ـ عن عَليٍّ رضيَ الله عنه «عن النبيِّ ﷺ أنه كان في جَنازة، فأخَذَ عُوداً ينكُتُ

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون التبويب".
(٢) كتاب القدر باب/ ٤ح ٥/ ١٠٠.

في الأرضِ فقال: ما مِنكم من أحَدٍ إلا وقدْ كُتبَ مَقعدُهُ من النّار، أو من الجنة، قالوا: يا رسولَ الله أفَلا نتّكِل؟ قال: اعملوا فكلٌّ مُيسّرٌ {فأمّا من أعطَى واتّقى وصدّقَ بالحُسنى} الآية».

٥ ـ باب {وأما مَن بَخِلَ واسْتَغنى}

٤٩٤٧ ـ عن عَلي رضيَ اللهُ عنه قال: «كنا جُلوساً عندَ النبيِّ ﷺ فقال: ما منكم مِن أحدٍ إلا وقد كُتبَ مَقعَدُهُ من الجنةِ ومقعدُهُ من النَّار، فقُلنا: يا رسولَ الله أفَلا نتكل، قال: لا، اعْمَلوا فكلٌّ مُيسّر، ثم قَرأ {فأما مَن أعطى واتّقى وصدّق بالحُسنى فسَنُيسّره لليسْرى -إلى قوله- فسنُيسّرُهُ للعُسْرى}».

٦ ـ باب {وكذّبَ بالحُسنى}

٤٩٤٨ ـ عن علي رضيَ الله عنه قال: «كُنا في جَنازة في بَقيع الغرْقَد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعَد وقَعدْنا حولَه، ومعهُ مِخصَرَةٌ، فنَكّس فَجعل ينكتُ بِمْخصرته، ثم قال: ما منكُم من أحَدٍ، وَما من نَفْس منْفُوسة، إلا كُتب مكانُها من الجنة والنار، وإلا قد كُتبت شقيةً أو سَعيدة، قال رجُلٌ: يا رسولَ الله أفلا نتكلُ على كتابنا ونَدَعُ العَمَل، فمنْ كان منا من أهل السَعادة فَسَيصيرُ إلى أهل السعادة، ومن كان مِنّا من أهل الشّقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوَة؟ قال: أما أهلُ السعادة فَيُيسّرون لعمل أهل السعادة، وأما أهلُ الشقاوةِ فييسّرون لِعملَ أهلِ الشقاءِ، ثم قَرأ {فأما من أعْطَى واتّقَى وصدّق بالحُسنَى} الآية».

٧ ـ باب {فَسنُيسّرُهُ للعسرَى}

٤٩٤٩ ـ عن علي رضيَ الله عنه قال: «كان النبيُّ ﷺ في جَنازَةٍ، فأخذ شيئاً فجعل ينكُتُ به الأرضَ، فقال: ما مِنكُم مِن أحَدٍ إلا وقد كُتب مَقعدُهُ من النّار، ومقعدُهُ من الجَنة، قالوا: يا رسولَ اللهِ أفَلا نتكلُ على كتابنا ونَدعُ العَمَل؟ قال اعملوا فكلٌّ مُيسّر لِمَا خُلقَ له، أما من كان من أهلِ السعادة فييسّر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهلِ الشقاءِ فَيُيسّر لِعملِ أهل الشقاوةِ، ثم قرأ {فأمّا من أعْطى واتقى وصدّق بالحُسنى} الآية».

(٩٣) سُورةُ والضُّحَى، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مُجاهد: إذا سَجَى استوَى، وقال غيرُهُ: سَجى أظلَم وسكَن، عائلاً: ذو عيال

قوله (عائلاً ذو عيال) هو قول أبي عبيدة، وقال الفراء: معناه فقيراً، وقد وجدتها في مصحف عبد الله «عديماً»، والمراد أنه أغناه بما أرضاه، لا بكثرة المال.

١ - باب {ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلى}

٤٩٥٠ - عن جُندبِ بن سُفيانَ رضيَ الله عنه قال: «اشتكى رسولُ الله ﷺ، فلم يَقم لَيلتَين أو ثلاثاً، فجاءَتِ امرأةٌ فقالتْ: يا محمدُ إنِّي لأرجو أن يكون شيطانُكَ قد تركَك، لم أره قَرِبَكَ مُنذ ليْلتين أو ثلاثاً. فأنزل اللهُ عز وجلّ: {والضُّحَى والليلِ إذا سَجى ما ودَّعَك ربُّك وما قَلى}».

قوله (باب ما ودعك ربك وما قلى) وذكر في سبب نزولها حديث جندب، وأن ذلك سبب شكواه ﷺ، وقد تقدمت في صلاة الليل أن الشكوى المذكورة لم ترد بعينها، وأن من فسرها بأصبعه التي دميت لم يصب، ووجدت الآن في الطبراني باسناد فيه من لا يعرف أن سبب نزولها وجود جرو كلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به فأبطأ عنه جبريل لذلك، وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ، مردود بما في الصحيح والله أعلم.

٢ - باب {ما وَدَّعَكَ رَبُّك وما قَلى}

تقرأُ بالتَّشديد والتخفيف بمعنى واحِد: ما تركَكَ ربك، وقال ابن عباس: ما تركَكَ وما أبغَضَك

٤٩٥١ - عن جُندب البَجلي «قالت امرأةٌ: يا رسولَ الله ما أرَى صاحِبَك إلا أبطأك، فنزلتْ: {ما ودعك ربك وما قَلى}».

قوله في الرواية الأخيرة: (قالت امرأة: يا رسول الله ما أرى صاحبك إلا أبطأك) هذا السياق يصلح أن يكون خطاب خديجة، دون الخطاب الأول فإنه يصلح أن يكون خطاب حمالة الحطب لتعبيرها بالشيطان والترك ومخاطبتها بمحمد، بخلاف هذه فقالت: صاحبك، وقالت: أبطأ، وقالت: يا رسول الله، وجوز الكرماني أن يكون من تصرف الرواة، وهو موجه لأن مخرج الطريقين واحد، وقوله «أبطأك» أي صيرك بطيئا في القراءة، لأن بطأه في الاقراء يستلزم بطء الآخر في القراءة، ووقع في رواية أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبة «إلا أبطأ عنك».

(٩٤) سُورةُ {أَلَمْ نَشرَح لكَ}، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مُجاهد: وزركَ في الجاهلية، أنْقَضَ: أثقل؛ مع العسرُ يسرا: قال ابنُ عُيَينة أي إنَّ مع ذلك العُسر يسراً آخر، كقوله: {هَلْ تَرَبَّصُون بنا إلا إحدى الحُسنَيين} ولَن يغلبَ عُسرٌ يُسرَيْن، وقال مجاهد: فانْصب في حاجتك إلى ربّك، ويُذكَر عن ابن عباس: {ألم نشرح لك صدرك} شَرح الله صدرَهُ للإسلام.

قوله (وقال مجاهد: وزرك في الجاهلية) و«في الجاهلية» متعلق بالوزر، أي الكائن في الجاهلية وليس متعلقاً بوضع.

قوله (مع العسر يسرا قال ابن عيينة: أي أن مع ذلك العسر يسراً آخر، كقوله هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) وهذا مصير من ابن عيينة إلى اتباع النحاة في قولهم إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، وموقع التشبيه أنه كما ثبت للمؤمنين تعدد الحسنى كذا ثبت لهم تعدد اليسر، أو أنه ذهب إلى أن المراد بأحد اليسرين الظفر وبالآخر الثواب فلا بد للمؤمن من أحدهما.

قوله (ولن يغلب عسر يسرين) وأخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود باسناد جيد من طريق قتادة قال: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال: لن يغلب عسر يسرين إن شاء الله».

قوله (وقال مجاهد: فانصب في حاجتك إلى ربك) وصله ابن المبارك في الزهد عن سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله {فإذا فرغت فانصب} في صلاتك {وإلى ربك فارغب} قال: اجعل نيتك ورغبتك إلى ربك، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق زيد بن أسلم: إذا فرغت من الجهاد فتعبد.

تنبيه: لم يذكر في سورة {ألم نشرح} حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيها حديث أخرجه الطبري وصححه ابن حبان من حديث أبي سعيد رفعه «أتاني جبريل فقال: يقول ربك أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذكرتُ ذكرتَ معي».

(٩٥) {سورةُ والتِّين}

وقال مجاهد: هو التِّين والزَّيتونُ الذي يأكلُ الناسُ، يُقال فما يكذِّبكَ؟ فما الذي يكذبك بأن الناسَ يُدانون بأعمالهم؟ كأنه قال: ومن يقدرِ على تكذيبك بالثوابِ والعقاب؟

١ - باب * ٤٩٥٢ - عن البَراءِ رضيَ اللهُ عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ كان في سَفَرٍ فقرأَ في العشاءِ في إحْدَى الرَّكعتَين بالتِّين والزَّيتُون» تقويم: الخَلْق.

قوله (سورة والتين) وقال مجاهد: هو التين والزيتون الذي يأكل الناس) وصله الفريابي من طريق مجاهد في قوله {والتين والزيتون} قال: الفاكهة التي تأكل الناس.

قوله (تقويم: خلق) كذا ثبت لابي نعيم، وقد وصله الفريابي من طريق مجاهد في قوله {أحسن تقويم} قال: أحسن خَلْق، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس بإسناد حسن قال: أعدل خلق.

(٩٦) سُورةُ {اقرَأ باسم ربِّكَ الذي خَلَق}

عن الحَسن قال: اكتُب في المصحف في أول الإمام «بِسْمِ اللهِ الرحمن الرحيم» واجْعل بين السُّورَتَين خطًا، وقال مُجاهِد: ناديَهُ عَشيرَتَهُ، الزَّبانية الملائكة، وقال مَعْمر الرُّجعى المرجِع، لَنسفَعَنْ قال: لنأخُذَن، ولنسفَعن بالنون وهي الخفيفة، سَفَعتُ بيدَهِ أخذتُ.

قوله (سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق) قال صاحب الكشاف: ذهب ابن عباس ومجاهد

إلى أنها أول سورة نزلت، وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب، كذا قال، والذي ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول، وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول.

قوله (في أول الإمام) أي أم الكتاب، وقوله «خطا» قال الداودي: إن أراد خطاً فقط بغير بسملة فليس بصواب لاتفاق الصحابة على كتابة البسملة بين كل سورتين إلا براءة، وإن أراد بالإمام أمام كل سورة فيجعل الخط مع البسملة فحسن، فكان ينبغي أن يستثنى براءة، وقال الكرماني: معناه اجعل البسملة في أوله فقط، واجعل بين كل سورتين علامة للفاصلة، وهو مذهب حمزة من القراءة السبعة.

قلت: المنقول ذلك عن حمزة في القراءة لا في الكتابة، قال: وكأن البخاري أشار إلى أن هذه السورة لما كان أولها مبتدأ بقوله تعالى {اقرأ باسم ربك} أراد أن يبين أنه لا تجب البسملة في أول كل سورة، بل من قرأ البسملة في أول القرآن كفاه في امتثال هذا الأمر، نعم استنبط السهيلي من هذا الأمر ثبوت البسملة في أول الفاتحة لأن هذا الأمر هو أول شيء نزل من القرآن فأولى مواضع امتثاله أول القرآن.

١ ـ باب * ٤٩٥٣ ـ عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: «كان أوّلُ ما بُدِىءَ به رسولُ الله ﷺ الرؤيا الصَّادقة في النوم، فكان لا يرى رُؤْيا إلا جاءَت مثلَ فَلَق الصبْح، ثم حُبِّبَ إليه الخَلاء فكانَ يَلحقُ بغارِ حِراءٍ فيتَحنَّثُ فيه، قال: والتحنث: التَعبد الليالي ذَواتِ العَدَد، قبْل أن يرجع إلى أهلِه، ويتزوَّدَ لذلك، ثم يرجع إلى خَديجةَ، فيتزَوَّدُ بمثْلها، حتى فَجِئَهُ الحقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فجاءَهُ الملك فقال: اقرأ، فقال رسولُ الله ﷺ: ما أنا بِقاريءٍ، قال: فأخذَني فَغَطّني حتى بلغَ مني الجُهدُ، ثم أرسَلني فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقاريءٍ، فأخذَني فَغطني الثانية حتى بلغ مِني الجُهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقاريءٍ، فأخذَني فغطني الثالثةَ حتى بلغ مِني الجهد، ثم أرْسَلني فقال: {اقرأ باسْم ربِّكَ الذي خَلقَ خلق الإنسانَ من عَلق، اقرأ وربُّكَ الأكرمُ الذي علّم بالقلم} لآياتٍ إلى قوله {علم الإنسانَ ما لم يَعْلم}، فرجع بها رسولُ الله ﷺ تَرْجُف بوادرُه، حتى دخل على خَديجَة فقال: زَمِّلوني زَمِّلوني، فزمَّلوه حتىُّ ذَهَب عنه الرَوْعُ ، قال لخديجه: أيْ خديجة، مالي لقد خَشيتُ عَلى نفسي؟ فأخْبرها الخَبر، قالت: خديجةُ: كلاّ أبشر، فَوَ الله لا يُخزيكَ اللهُ أبدا، فَوَ الله إنك لتَصِلُ الرَّحِم، وتَصدُقُ الحديثَ، وتحملُ الكَلَّ، وتكْسِبُ المعدُومَ، وتَقري الضيْف، وتُعين على نوائب الحق، فانطَلَقَتْ به خديجةُ حتى أتَتْ به ورَقَةَ بن نَوفلٍ، وهو ابنُ عمِّ خديجة أخي أبيها، وكان امرءاً تنصرَّ في الجاهلية؛ وكان يكتبُ الكتابَ العَربي، ويكتُبُ مِن الإنْجيل بالعربية ما شاء الله أنْ يَكتُب، وكان شيْخاً كبيراً قد عَميَ، فقالت خديجة يا عم، اسمَع من ابن أخيك، قال وَرَقَة يا ابن أخي ما ذا ترَى؟ فأخبرَهُ النبيُّ ﷺ خبرَ ما

رأى، فقال ورقة: هذا الناموسُ الذي أُنزِلَ على موسى، ليتني فيها جَذَعاً، ليتني أكونُ حيًّا -ذكَر حرفا- قال رسول الله ﷺ: أَوَ مُخرِجيَّ هم؟ قال وَرَقَةُ: نعم، لم يأتِ رجُل بما جئْتَ به إلا أُوذِيَ، وإنْ يُدرِكني يومُك حيا أنْصرُك نصراً مُؤزَّراً، ثم لم يَنشَبْ ورقةُ أن تُوفيَ وفتَر الوحْي فترْةً حتى حَزِنَ رسولُ الله ﷺ».

٤٩٥٤ ـ عن أبي سَلَمَة أنَّ جابر بن عبد الله الأنصاري رضيَ الله عنهما قال: «قال رسولُ الله ﷺ وهو يُحدِّث عن فترْةِ الوحي، قال في حديثه: بيْنا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماءِ، فرفَعتُ بصري فإذا الملَكُ الذي جاءَني بحراءِ جالسٌ على كرسيٍّ بين السماءِ والأرض، ففرقت منه، فرَجعْت فقلت: زملوني زملوني، فدثروه، فأنزَل الله تعالى {يا أيها المدثر، قُم فأنذر، وربَّكَ فكبر، وثيابَك فطهر، والرُّجزَ فاهْجُر}، قال أبو سلَمَة: وهي الأوثان التي كان أهلُ الجاهليةَ يَعبُدون، قال: ثم تتابع الوحي».

قوله (أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة) زاد في رواية عقيل كما تقدم في بدء الوحي «من الوحي» أي في أول المبتدآت من إيجاد الوحي الرؤيا، وأما مطلق ما يدل على نبوته فتقدمت له أشياء مثل تسليم الحجر كما ثبت في صحيح مسلم وغير ذلك.

قوله (الصالحة)[١] قال ابن المرابط هي التي ليست صغثاً ولا من تلبيس الشيطان.

قوله (ثم حبب إليه الخلاء) هذا ظاهر في أن الرؤيا الصادقة كانت قبل أن يحبب إليه الخلاء، ويحتمل أن تكون لترتيب الأخبار، فيكون يحبب الخلوة سابقاً على الرؤيا الصادقة، والأول أظهر.

قوله (الخلاء) بالمد المكان الخالي، ويطلق على الخلوة، وهو المراد هنا.

قوله (قال والتحنث التعبد) هذا ظاهر في الإدراج، إذ لو كان من بقية كلام عائشة لجاء فيه قالت، ولم يأت التصريح بصفة تعمده، لكن في رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحق «فيطعم من يرد عليه من المساكين» وجاء عن بعض المشايخ أنه كان يتعبد بالتفكر، ويحتمل أن تكون عائشة أطلقت على الخلوة بمجردها تعبداً، فإن الانعزال عن الناس ولا سيما من كان على باطل من جملة العبادة كما وقع للخليل عليه السلام حيث قال: {إني ذاهب إلى ربي}، وهذا يلتفت إلى مسألة أصولية، وهو أنه ﷺ هل كان قبل أن يوحي إليه متعبداً بشريعة نبي قبله؟ قال الجمهور: لا، لأنه لو كان تابعاً لاستبعد أن يكون متبوعاً، ولأنه لو كان لنقل من كان ينسب إليه، وقيل نعم، واختاره ابن الحاجب، واختلفوا في تعيينه على ثمانية أقوال: أحدها آدم حكاه ابن برهان، الثاني نوح حكاه الآمدي، الثالث إبراهيم ذهب إليه جماعة واستدلوا بقوله تعالى {أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً}، الرابع موسى، الخامس

---

(١) رواية الباب واليونينية "الصادقة".

عيسى، السادس بكل شيء بلغه عن شرع نبي من الأنبياء وحجته {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}، السابع الوقف واختاره الآمدي، ولا يخفى قوة الثالث ولا سيما مع ما نقل من ملازمته للحج والطواف ونحو ذلك مما بقي عندهم من شريعة إبراهيم والله أعلم، وهذا كله قبل النبوة، وأما بعد النبوة فقد تقدم القول فيه في تفسير سورة الأنعام.

قوله (فغطني) تقدم بيانه في بدء الوحي، ووقع في «السيرة لابن إسحق» **فغتني** وهما بمعنى، المراد غمني.

والحكمة في هذا الغط شغله عن الالتفات لشيء آخر أو لإظهار الشدة والجد في الأمر تنبيها على ثقل القول الذي سيلقي إليه، فلما ظهر أنه صبر على ذلك ألقى إليه، وهذا وإن كان بالنسبة إلى علم الله حاصل لكن لعل المراد إبرازه للظاهر بالنسبة إليه ﷺ، وقيل ليختبر هل يقول من قبل نفسه شيئاً فلما لم يأت بشيء دل على أنه لا يقدر عليه وقيل أراد أن يعلمه أن القراءة ليست من قدرته ولو أكره عليها، وقيل: الحكمة فيه أن التخيل والوهم والوسوسة ليست من صفات الجسم؛ فلما وقع ذلك لجسمه علم أنه من أمر الله، وذكر بعض من لقيناه أن هذا من خصائص النبي ﷺ، إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك.

قوله {فغطني الثالثة} يؤخذ منه أن من يريد التأكيد في أمر وإيضاح البيان فيه أن يكرره ثلاثاً وقد كان ﷺ يفعل ذلك كما سبق في كتاب العلم.

قوله (زملوني زملوني) والتزميل التلفيف؛ وقال ذلك لشدة ما لحقه من هول الأمر، وجرت العادة بسكون الرعدة بالتلفيف.

قوله (كلا أبشر) وفي مرسل عبيد بن عمير «فقالت أبشر يا ابن عم واثبت فو الذي نفسي بيده إني لأرجوا أن تكون نبي هذه الأمة».

قوله (أنزل على موسى) ووقع في مرسل أبي ميسرة «أبشر فأنا أشهد إنك الذي بشر به ابن مريم، وإنك على مثل ناموس موسى، وإنك نبي مرسل، وإنك ستؤمر بالجهاد» وهذا أصرح ما جاء في إسلام ورقة أخرجه ابن إسحاق.

قوله (يومك) أي وقت الإخراج، أو وقت إظهار الدعوة، أو وقت الجهاد.

قوله (ثم تتابع الوحي) أي استمر نزوله.

٢ ـ باب قوله {خَلَقَ الإنسانَ من عَلَق}

٤٩٥٥ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: «أولُ ما بُدىءَ به رسولُ الله ﷺ الرُّؤيا الصالحة، فجاءَهُ المَلَكُ فقال: {اقرأ باسم ربِّك الذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقَ، اقرأ وربُّكَ الأكرمُ}».

٣ ـ باب قوله {اقرأ وربُّكَ الأكرمُ}

٤٩٥٦ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها «أولُ ما بُدِىءَ به رسولُ الله ﷺ الرُّؤيا الصادقةُ، جاءَهُ الملك فقال: {اقرأ باسم ربِّك الذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ، اقرأ وربُّكَ الإكرمُ الذي عَلَّم بالقلم}».

باب {الذي عَلَّمَ بالقلم}

٤٩٥٧ ـ عن عُرْوَةَ قالت عائشةَ رضيَ الله عنها: «فرجع النبيُّ ﷺ إلى خديجةَ، فقال: زَمِّلوني زَمِّلوني» فذكَر الحديث.

٤ ـ باب {كلاَّ لَئنْ لم يَنتَه لنَسْفَعنْ بالناصية، ناصية، كاذبةٍ خاطئة}

٤٩٥٨ ـ عن عِكرمةَ قال ابنُ عباس: «قال أبو جهل لئن رأَيتُ محمداً يُصلِّي عندَ الكعبةِ لأطأنَّ على عُنقِه، فبلغَ النبيَّ ﷺ فقال: لو فَعلهُ لأخذَتهُ الملائكة».

قوله (لو فعله لأخذته الملائكة) وقع عند البلاذري «نزل اثنا عشر ملكاً من الزبانية رءوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض.

وأخرج النسائي من طريق أبي حازم عن أبي هريرة نحو حديث ابن عباس وزاد في آخره «فلم يفجأهم منه إلا وهو -أي أبو جهل- ينكص على عقبيه ويتقي بيده، فقيل له، فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهو لا وأجنحة، فقال النبيُّ ﷺ: لودنا لاختطفته الملائكة عضواً عضوا» وإنما شدد الأمر في حق أبي جهل، ولم يقع مثل ذلك لعقبة بن أبي معيط حيث طرح سلي الجزور على ظهره ﷺ وهو يصلي كما تقدم شرحه في الطهارة لأنهما وإن اشتركا في مطلق الأذية حالة صلاته لكن زاد أبو جهل بالتهديد وبدعوى أهل طاعته وبإرادة وطء العنق الشريف، وفي ذلك من المبالغة ما اقتضى تعجيل العقوبة لو فعل ذلك، ولأن سلي الجزور لم يتحقق نجاستها، وقد عوقب عقبة بدعائه ﷺ عليه وعلى من شاركه في فعله فقتلوا يوم بدر.

(٩٧) سُورةُ إنَّا أنزلْناهُ

يُقال المطْلَع هو الطلوع، والمطلِع الموضع الذي يُطلعُ منه، أنزلْناهُ الهاء كنايةٌ عن القرآن؛ إنا أنزلناه خرج مَخرج الجميع، والمُنزِل هو الله تعالى، والعرب تُؤكد فِعل الواحد فتجعله بلفظ الجميع ليكُون أثبتَ وأوكد.

(تنبيه): لم يذكر في سورة القدر حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيها حديث «من قام ليلة القدر» وقد تقدم في أواخر الصيام(١).

(١) كتاب فضل ليلة القدر باب/ ١ح ٢٠١٤ - ٢/٢٠٥.

(٩٨) سورة {لَمْ يَكُنْ}، بسم الله الرحمن الرحيم

مُنفكين: زائلين، قيِّمة: القائمة، دِين القيِّمة أضاف الدين إلى المؤنث

١ ـ باب * ٤٩٥٩ ـ عن أنَس بن مالكٍ رضيَ الله عنه «قال النبيُّ ﷺ لأُبيّ: إنّ الله أمرني أنْ اقرأ عليك {لم يكنِ الذين كفروا} قال: وسماني؟ قال: نعم، فبكى».

٢ ـ باب * ٤٩٦٠ ـ عن أنَسٍ رضيَ الله عنه قال: «قال النبيُّ ﷺ لأُبَيّ: إنّ الله أمرَني أنْ اقرأ عليكَ القرآن، قال أبيٌّ: آللهُ سمَّاني لك؟ قال: اللهُ سمَّاك لي، فَجعَل أُبيّ يبكي».

فقيل: الحكمة في تخصيصها بالذكر لأن فيها {يتلو صحفاً مطهرة}، وفي تخصيص أُبيّ ابن كعب التنويه به في أنه أقرأ الصحابة، فإذا قرأ عليه النبي ﷺ مع عظيم من كان غيره بطريق التبع له، وقد تقدم في المناقب مزيد كلام في ذلك.

٣ ـ باب * ٤٩٦١ ـ عن أنسٍ بن مالكٍ «أنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ قال لأُبيّ بن كعب: إنَّ اللهَ أمرَني أن أُقرِئَكَ القرآن، قال: آللهُ سماني لك؟ قال: نعم، قال: وقد ذُكِرْتُ عندَ ربِّ العالمين؟ قال: نعم، فذرَفَت عيناه».

قوله (أن أقرئك[١]) أي أعلمك بقراءتي عليك كيف تقرأ حتى لا تتخالف الروايتان، وقيل: الحكمة فيه لتحقق قوله تعالى فيها {رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة}.

قوله (فذرفت) أي تساقطت بالدموع، وقد تقدم شرح الحديث في مناقب أُبيّ بن كعب[٢].

(٩٩) سورة {إذا زلزلت الأرضُ زِلْزالَها} بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ باب قوله {فَمن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ}

يقال: أوحى لها وأوْحىَ إليها، ووَحىَ لها ووَحى إليها واحدٌ

٤٩٦٢ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «الخيلُ لثلاثةٍ: لرجل أجرٌ، ولرجل سِترٌ، وعلى رجلٍ وزر، فأمّا الذي له أجرٌ، فرجلٌ ربطها في سَبيل الله، فأطال لها في مَرْجٍ أو روضة، فما أصابت في طِيَلها ذلك في المرْج والروضةِ كان له حسنَاتٍ، ولو أنها قَطَعَتِ طيلتها فاستنَّت شَرَفاً أو شَرَفين، كانت آثارُهما وأرواثها حسناتٍ له، ولو أنها مَرتْ بِنهر فشربت منه -ولم يُرد أن يَسقيَ به- كان ذلك حسناتٍ له، فهيَ لذلك الرجل أجر. ورجل رَبطها تغنِّياً وتعففُاً ولم يَنسَ حقَّ الله في رِقابها ولا ظُهُورها فهي له سِتْر، ورَجل رَبطها فخراً ورِئاء ونِواءً فهي على ذلك وِزْر، فسُئلَ رسولُ الله ﷺ عن الحُمر، قال: ما أنزلَ عَلَيَّ فيها إلا هذه الآية الفاذة الجامعة {فمن يَعملْ مِثقال ذَرَّةٍ خيراً يَرَه، ومَن

---

(١) رواية الباب واليونينية " أن أقرئك القرآن".

(٢) كتاب الجهاد باب/ ٤٨ح ٢٨٦٠ - ٢/ ٥٨٠.

يعملْ مِثقال ذرَّة شراً يره}».

٢ ـ باب {ومن يَعملْ مثقال ذَرَّة شَراً يرَه}

٤٩٦٣ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «سُئلَ النبيُّ ﷺ عن الحُمر، فقال: لم يُنزَلْ عليَّ فيها شيءٌ إلا هذه الآيةُ الجامعةُ الفاذَّة {فمن يَعملْ مِثقالَ ذَرةٍ خيراً يرَه}، ومن يَعملْ مِثقال ذرة شراً يرهُ}».

قوله (أوحى لها يقال أوحى لها وأوحى إليها ووحى لها ووحى إليها واحد) قال أبو عبيدة في قوله {بأن ربك أوحى لها}: قال العجاج: أوحى لها القرار فاستقرت.

ثم ذكر فيه حديث أبي هريرة «الخيل لثلاثة» وقد تقدم شرح الحديث مستوفى في كتاب الجهاد.

(١٠٠) سُورَةُ والعاديات، والقارعة

وقال مُجاهِد: الكُنود الكَفُور، يُقال فأثَرْنَ به نَقْعا: رفَعْن به غُباراً، لُحبِّ الخَيْر: من أجل حب الخير، لشَديد، لبَخيل، ويقال للبخيل شديد، حُصِّل: مُيِّز.

قوله (والعاديات والقارعة) والمراد بالعاديات الخيل، وقيل الإبل.

وروى الطبراني من حديث أبي أمامة رفعه «الكنود الذي يأكل وحده، ويمنع رِفده، ويضرب عبده».

قوله (يقال فأثرن به نقعا: رفعن به غباراً) هو قول أبي عبيدة، والمعنى أن الخيل التي أغارت صباحاً أثرن به غباراً.

روى ابن مردويه بإسناد أحسن منه عن ابن عباس قال: «سألني رجل عن العاديات، فقلت: الخيل، قال: فذهب إلى علي فسأله فأخبره بما قلت، فدعاني فقال لي: إنما العاديات الإبل من عرفة إلى مزدلفة» الحديث، وعند سعيد بن منصور من طريق حارثة بن مضرب قال: كان علي يقول هي الإبل، وابن عباس يقول هي الخيل، ومن طريق عكرمة عنهما نحوه بلفظ «الإبل في الحج والخيل في الجهاد» وبإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود قال: هي الإبل، وبإسناد صحيح عن ابن عباس: ما ضبحت دابة قط إلا كلب أو فرس.

(١٠١) سورةُ القارعة

كالفَراشِ المَبْثوث: كغَوغاءِ الجراد يَركَبُ بعضُهُ بَعضاً، كذلك الناس يَجُول بعضُهم في بعض.

كالعِهْن: كألوانِ العِهْن، وقرأ عبدُ الله «كالصُّوف».

قوله (كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا، كذلك الناس يجول بعضهم في بعض) وفي تشبيه الناس يوم البعث بالفراش مناسبات كثيرة بليغة، كالطيش والانتشار والكثرة والضعف والذلة والمجيء بغير رجوع والقصد إلى الداعي والاسراع وركوب بعضهم

بعضاً والتطاير إلى النار.

(١٠٢) سُورةُ {أَلْهَاكُمُ}، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابنُ عباس: {التكاثُر} من الأمْوال والأوْلاد

(١٠٣) سُورة {وَالعصْر}

وقال يحيى: {العصر} الدهر، أقسم به.

(تنبيه) لم أر في تفسير هذه السورة حديثاً مرفوعاً صحيحاً، لكن ذكر بعض المفسرين فيها حديث ابن عمر «من فاتته صلاة العصر» وقد تقدم في صفة الصلاة مشروحاً[١].

(١٠٤) سورة {وَيلٌ لِكلِّ هُمَزَة}، بسم الله الرحمن الرحيم

الحطمة اسم النار مثل سقر ولظى.

قوله (الحطمة اسم النار، مثل سقر ولظى) هو قول الفراء، قال في قوله {لينبذن} أي الرجل وماله، {في الحطمة} اسم من اسماء النار، كقوله جهنم وسقر ولظى.

(١٠٥) سورة {ألم تر}

قال مجاهد: {ألم ترَ} ألم تعلم، وقال مجاهد: {أبابيل} مُتَتابِعة مجتَمعة

وقال ابن عباس {من سِجِّيل} هِيَ سَنْك وكِلْ

قوله (سورة ألم تر) ويقال لها أيضاً سورة الفيل.

قوله ({ألم تر} ألم تعلم) وقال الفراء: ألم تخبر عن الحبشة والفيل، وإنما قال ذلك لأنه ﷺ لم يدرك قصة أصحاب الفيل لأنه ولد في تلك السنة.

قوله (وقال ابن عباس: من سجيل هي سنك وكل) وصله الطبري من طريق السدي عن عكرمة عن ابن عباس قال: سنك وكل، طين وحجارة، وقد تقدم في تفسير سورة هود.

(١٠٦) سورة {لإيلاف قُرَيش}

قوله (سورة لإيلاف) قيل اللام متعلقة بالقصة التي في السورة التي قبلها، وقيل متعلقة بشيء مقدر أي أعجب لنعمتي على قريش.

وقال الخليل بن أحمد: دخلت الفاء في قوله {فليعبدوا) لما في السياق من معنى الشرط، أي فإن لم يعبدوا رب هذا البيت لنعمته السالفة فليعبدوه للائتلاف المذكور.

(١٠٧) سُورةُ {أَرأَيتَ}

قال ابن عُيَيْنة: لإيلاف لِنِعمتي على قُريشٍ، وقال مجاهد: يَدُعُّ يدفَعُ عن حقه، يقال هو مِن دَععت، يُدَعُّون يُدفعون، سَاهون لا هُون، والماعون المعرُوف كلُّه، وقال بعضُ العَرب: الماعُون الماء، وقال عِكرمَة: أعلاها الزكاةُ المَفْروضةُ، وأدْناها عارِيّة المَتاع.

---

(١) كتاب مواقيت الصلاة باب/ ١٤ح ٥٥٢- ١/٣٣٩.

قوله (سورة أريت) ويقال لها أيضاً سورة الماعون.

(١٠٨) سورة {إنّا أعطَيْناكَ الكَوْثر}

وقال ابنُ عباس: شانئَك: عَدوَّكَ.

١ - باب * ٤٩٦٤ - عن أنس رضيَ الله عنه قال: «لمّا عُرج بالنبيِّ ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاهُ قِبابُ اللُّؤلؤ مُجوَّفَ، فقلتُ ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ».

٤٩٦٥ - عن عائشة رضيَ الله عنهما قال: سألتها عن قوله تعالى {إنَّ أعطَيْناكَ الكوثر} قالت: هو نَهرٌ أعطيَهُ نَبِيُّكم ﷺ، شاطِئاهُ عليه دُرٌّ مجوَّف آنِيتهُ كَعَدَدِ النُّجوم».

٤٩٦٦ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخيرُ الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلتُ لسعيد بن جبير: فإنَّ الناس يزعمون أنه نهرٌ في الجنةِ، فقال سعيد: النهر الذي في الجنةِ من الخير الذي أعطاهُ اللهُ إيّاه».

[الحديث ٤٩٦٦ - طرفه في: ٦٥٧٨]

قوله (سورة إنا أعطيناك الكوثر) هي سورة الكوثر.

والكوثر فوعل من الكثرة سمي بها النهر لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره.

قوله (شانئك عدوك) واختلف الناقلون في تعيين الشانيء المذكور فقيل هو العاصي بن وائل، وقيل أبو جهل، وقيل عقبة بن أبي معيط، ثم ذكر المصنف في الباب ثلاثة أحاديث: الأول حديث أنس وقد تقدم شرحه في أوائل المبعث في قصة الإسراء في أواخرها، ويأتي بأوضح من ذلك في أواخر كتاب الرقاق(١).

قوله (درمجوف) أي القباب التي على جوانبه.

وفي صحيح مسلم من طريق المختار بن فلفل عن أنس «بينما نحن عند النبي ﷺ إذ غفا إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت عليّ سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر إلى آخرها، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة» الحديث، وحاصل ما قاله سعيد بن جبير أن قول ابن عباس إنه الخير الكثير لا يخالف قول غيره إن المراد به نهر في الجنة، لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير، ولعل سعيداً أومأ إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه، لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ فلا معدل عنه.

(١) كتاب الرقاق باب/ ٥٣ح ٦٥٨٠، ٦٥٨١، ٦٥٨٢ - ٩٢/٥.

(١٠٩) سُورَةُ {قُلْ يا أيها الكافرون}

يقال {لكم دينكُم} الكفر {وليَ دين} الإِسلام، ولم يَقُل ديني لأنَّ الآيات بالنُّون فحَذِفت الياءُ كما قال: يَهدين ويشفين، وقال غيرُهُ {لا أعبُدُ ما تعبُدون} الآن؛ ولا أجيبكُم فيما بقي من عمري {ولا أنتم عابدون ما أعبُد} وهمُ الذين قال [٤٦ المائدة]: {وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربِّك طغيانا وكفرا}

قوله (سورة قل يا أيها الكافرون) وهي سورة الكافرين، ويقال لها أيضاً المقشقشة أي المبرئة من النفاق.

(١١٠) سورة {إذا جاءَ نَصرُ الله}، بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ باب * ٤٩٦٧ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: ما ﷺ النبيُّ ﷺ صلاةً بعدَ أن نزلت عليه {إذا جاءَ نصرُ الله والفتحُ} إلا يقول فيها: سبحانكَ ربَّنا وبحمْدِك، اللهُم اغفرْ لي».

٢ ـ باب * ٤٩٦٨ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُكثر أن يقولَ في ركوعِهِ وسجودِهِ: سُبحانَك اللهُم ربَّنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يَتأوَّل القُرآن».

قوله (سورة إذا جاء نصر الله) وهي سورة النصر.

وقد أخرج النسائي من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت من القرآن، وقد تقدم في تفسير براءة أنها آخر سورة نزلت، والجمع بينهما أن آخرية سورة النصر نزولها كاملة، بخلاف براءة كما تقدم توجيهه، ويقال إن {إذا جاء نصر الله} نزلت يوم النحر وهو بمنى في حجة الوداع، وقيل عاش بعدها أحداً وثمانين يوماً، وليس منافياً للذي قبله بناء على بعض الأقوال في وقت الوفاة النبوية.

ثم ذكر المصنف حديث عائشة في مواظبته ﷺ على التسبيح والتحميد والاستغفار وغيره في ركوعه وسجوده، أورده من طريقين، وفي الأولى التصريح بالمواظبة على ذلك بعد نزول السورة، وفي الثانية يتأول القرآن، وقد تقدم شرحه في صفة الصلاة، ومعنى قوله يتأول القرآن يجعل ما أمر به من التسبيح والتحميد والاستغفار في أشرف الأوقات والأحوال، وقد أخرجه ابن مردويه من طريق أخرى عن مسروق عن عائشة فزاد فيه «علامة في أمتي أمرني ربي إذا رأيتها أكثر من قول سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيت جاء نصر الله، والفتح فتح مكة، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا» وقال ابن القيم في الهدى: كأنه أخذه من قوله تعالى {واستغفره} لأنه كان يجعل الاستغفار في خواتم الأمور، فيقول إذا سلم من الصلاة: أستغفر الله ثلاثاً وإذا خرج من الخلاء قال: غفرانك، وورد الأمر بالاستغفار عند انقضاء المناسك {ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله} الآية.

قلت: ويؤخذ أيضاً من قوله تعالى {إنه كان توابا} فقد كان يقول عند انقضاء الوضوء «اللهم اجعلني من التوابين».

٣ ـ باب قوله {ورأيتَ الناسَ يَدخُلونَ في دينِ الله أفْواجاً}

٤٩٦٩ ـ عن ابن عباس «أنَّ عُمَرَ رضيَ الله عنه سألهم عن قوله تعالى: {إذا جاء نَصرُ الله والفتح}، قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجل، أو مَثَلٌ ضُرِب لمحمد ﷺ، نُعيَتْ له نفسُهُ».

٤ ـ باب قوله {فسبِّح بحمد ربِّكَ واستغْفِره إنه كان تَوَّاباً}

توَّابٌ على العباد، والتوابُ مِن الناس التَّائب من الذنب

٤٩٧٠ ـ عن ابن عباسٍ قال: كانَ عُمَرُ يُدخِلُني مع أشياخِ بدر، فكأنَّ بعضَهم وَجَدَ في نفسه فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثلُه؟ فقال عُمر: إنه مِن حيث عَلِمتم، فَدَعا ذاتَ يومٍ فأدْخَلَه مَعهم فما رئيت أنه دعاني يومَئذٍ إلاَّ لُيريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى {إذا جاء نَصْرُ الله والفتحُ} فقال بعضُهم: أمِرنا نحمدُ الله ونستَغْفِره، إذا نصرنا وفتح عَلَيْنا، وسَكَت بعضُهم فلم يقُل شيئاً، فقال لي: أكذاك تَقُول يا ابنَ عبّاس؟ فقلتُ: لا، قال: فما تقول؟ قُلت: هو أَجَل رسولِ الله ﷺ أعْلَمه لَهُ، قال: إذا جاء نصرُ الله والفَتْحُ -وذلك عَلامَةُ أجلِكَ- فسبِّح بحمدِ ربكَ واستغفرْه إنه كان توَّابا، فقال عُمر: ما أعلمَ منها إلا ما تقول».

قوله (كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر) أي من شهد بدراً من المهاجرين والأنصار، وكانت عادة عمر إذا جلس للناس أن يدخلوا عليه على قدر منازلهم في السابقة، وكان ربما أدخل مع أهل المدينة من ليس منهم إذا كان فيه مزية تجبر ما فاته من ذلك.

قوله (فكأن بعضهم وجد) أي غضب.

وفيه فضيلة ظاهرة لابن عباس وتأثيره لاجابة دعوة النبي ﷺ أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين، كما تقدم في كتاب العلم، وفيه جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا لاظهار نعمة الله عليه، وإعلام من لا يعرف قدره لينزله منزلته، وغير ذلك من المقاصد الصالحة، لا للمفاخرة والمباهاة.

(١١١) سورة {تَبَّتْ يَدا أبي لهبٍ وتَبَّ}، بسم الله الرحمن الرحيم

تَباب: خُسران، تتبيب: تَدمير

١ ـ باب * ٤٩٧١ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: لما نَزَلت {وأنذِر عشيرتَكَ الأقربين، ورهطك منهمُ المخلصين} خرج رسولُ الله ﷺ حتى صَعدَ الصفا فَهتَفَ: يا صباحَاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتُم إن أخبرتُكم أنَّ خيلاً تخرجُ من سَفح هذا الجَبل أكنتم مُصدِّقِيَّ؟ قالوا: ما جرَّبنا عليك كذِباً، قال: فإنّي نَذيرٌ لكم بين يدَيْ عذابٍ

شَديد، قال أبو لهب: تبًّا لك، ما جَمعتَنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلَت: {تبت يَدا أبي لهب وتَبّ} وقد تبَّ».

قوله (سورة تبت يدا أبي لهب، بسم الله الرحمن الرحيم)وأبو لهب هو ابن عبد المطلب واسمه عبد العزى، وأمه خزاعية، وكنى أبا لهب إما بابنه لهب، وإما بشدة حمرة وجنته.

ووافق ذلك ما آل إليه أمره من أنه سي ﷺ ناراً ذات لهب، ولهذا ذكر في القرآن بكنيته دون اسمه، ولكونه بها أشهر، ولأن في اسمه إضافة إلى الصنم، ولا حجة فيه لمن قال بجواز تكنية المشرك على الإطلاق، بل محل الجواز إذا لم يقتض ذلك التعظيم له أو دعت الحاجة إليه. قال الواقدي: كان من اشد الناس عداوة للنبي ﷺ.

ومات أبو لهب بعد وقعة بدر، ولم يحضرها بل أرسل عنه بديلاً، فلما بلغه ما جرى لقريش مات غماً.

٢ ـ باب {وتب، ما أغنى عنه ماله وما كَسب}

٤٩٧٢ ـ عن ابن عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ خرَجَ إلى البَطْحاء، فصعدَ إلى الجَبل فنادَى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قُريشٌ فقال: أرأيتم إن حَدَّثتُكم أنَّ العدوَّ مُصبِّحُكم أو مُمسِّيكم، أكنتم تصدِّقوني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نَذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تباً لك، فأنزل الله عزَّ وجل {تبت يدا أبي لهب} إلى آخرها».

قوله (باب قوله[1]{وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب} ذكر فيه الحديث الذي قبله من وجه آخر، وقوله فيه «فهتف» أي صاح، وقوله «يا صباحاه» أي هجموا عليكم صباحاً.

٣ ـ باب قوله {سيَصْلى ناراً ذاتَ لهب}

٤٩٧٣ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما: قال أبو لهبٍ تباً لك ألِهذا جَمعتنا؟ فنزلت {تبّت يدا أبي لهب}».

٤ ـ باب {وامرْأتُه حمَّالةَ الحطب}

وقال مُجاهد: حمالةُ الحطب تمشي بالنَّميمة

{في جِيدِها حبلٌ من مَسَد} يُقال: من مَسَد ليف المقْل، وهي السِّلسلةُ التي في النار

قوله (باب وامرأته حمالة الحطب) واسم امرأة أبي لهب العوراء وتكنى أم جميل، وهي بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، والد معاوية، و نقدم لها ذكر في تفسير «والضحى»، يقال إن اسمها أروى والعوراء لقب، ويقال لم تكن عوراء وإنما قيل لها ذلك لجمالها.

(١) في المتن بدون"قوله" في اليونينية وبدون "باب قوله".

(١١٢) سورة {قُل هو اللهُ أحد}، بسم الله الرحمن الرحيم

يقال: لا يُنَوَّنُ، {أَحَدٌ} أي واحِدٌ

١ - باب * ٤٩٧٤ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «عن النبيِّ ﷺ قال: قال الله تعالى كذَّبني ابنُ آدمَ ولم يَكُن له ذلك، وشتَمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إيايَ، فقوله: لن يُعيدَني كما بدأني، وليسَ أولُ الخلق بأهوَنَ عليَّ من إعادته، وأما شَتمُهُ إيايَ فقوله: اتَّخَذ اللهُ ولداً وأنا الأحدُ الصمدُ، لم أَلِدْ ولم أُولَدْ، ولم يكُن لي كُفُواً أحدٌ».

قوله (سورة {قل هو الله أحد}، بسم الله الرحمن الرحيم) ويقال لها أيضاً سورة الإخلاص، وجاء في سبب نزولها من طريق أبي العالية عن أبيِّ بن كعب «أن المشركين قالوا للنبيِّ ﷺ: انسب لنا ربك، فنزلت» أخرجه الترمذي والطبري وفي آخره قال: «لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ولا شيء يموت إلا يورث، وربنا لايموت ولا يورث ولم يكن له كفواً أحد، شبه ولا عدل» وأخرجه الترمذي.

٢ - باب قوله {الله الصَّمَد}

والعرَبُ تُسمِّي أشرافَها الصمد، قال أبوا وائل: هو السيِّدُ الذي انتهى سُؤدَدُه

٤٩٧٥ - عن أبي هريرةَ قال: «قال رسولُ الله ﷺ: كَذَّبني ابنُ آدمَ ولم يكن له ذلك، وشَتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذيبُهُ إيايَ أن يقولَ إني لن أُعيدَهُ كما بَدَأْتُه، وأما شَتمه إيايَ أن يقول اتخذَ اللهُ ولداً، وأنا الصمدُ الذي لم أَلِدْ ولم أُولَدْ ولم يكن لي كُفُواً أحد» {لم يَلِد ولم يُولَد ولم يكن له كُفُواً أحد} كفواً وكَفِيئاً وكِفاءً واحد

قوله (ولم يكن لي كفواً أحد) لما كان الرب سبحانه واجب الوجود لذاته قديماً موجوداً قبل وجود الأشياء وكان كل مولود محدثاً انتفت عنه الوالدية، ولما كان لا يشبهه أحد من خلقه ولا يجانسه حتى يكون له من جنسه صاحبة فتتوالد انتفت عنه الولدية، ومن هذا قوله تعالى {أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة}.

(١١٣) سُورَةُ {قُل أعوذُ بربِّ الفَلَق}

وقال مجاهدٌ: الفلق: الصُّبح، وغاسق: الليل، إذا وَقَب: غروبُ الشمس

يقال: أبيَنُ من فَرق وفَلَق الصبح، وَقَبَ: إذا دخلَ في كلِّ شيءٍ وأظلم

٤٩٧٦ - عن زِرِّ بن حُبيش قال: «سألتُ أبيَّ بن كعبٍ عن المعوِّذَتين فقالَ سألتُ النبيَّ ﷺ فقال: قيلَ لي فقلتُ، فنحن نقول كما قال رسولُ الله ﷺ».

[الحديث ٤٩٧٦ - طرفه في: ٤٩٧٧]

قوله (سورة {قل أعوذ برب الفلق} بسم الله الرحمن الرحيم[1]) وتسمى أيضاً سورة الفلق.

---

(١)رواية الباب واليونينية بدون البسملة.

قوله (وقب إذا دخل في كل شيء وأظلم) هو كلام الفراء أيضاً، وجاء في حديث مرفوع أن الغاسق القمر؛ أخرجه الترمذي والحاكم من طريق أبي سلمة عن عائشة «أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال: يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، قال: هذا الغاسق إذا وقب» إسناده حسن.

(١١٤) سُوْرَةُ {قل أعوذ بربِّ الناس}

وقال ابنُ عباس: الوَسواس: إذا ولد خنسهُ الشيطان، فإذا ذُكرَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذَهب، وإذا لم يُذكرِ الله ثبت على قلبه.

٤٩٧٧ ـ عن زرٍّ قال: «سألتُ أبيَّ بن كعبٍ قلتُ: أبا المنذر إنَّ أخاكَ ابن مسعودٍ يقول كذا وكذا، فقال أبيٌّ: سألتُ رسولَ الله ﷺ فقال لي: قِيلَ لي، فقلت، قال: فنحنُ نقولُ كما قال رسولُ اللهِ ﷺ».

قوله (سورة قل أعوذ برب الناس) وتسمى سورة الناس.

قوله (يقول كذا وكذا) هكذا وقع هذا اللفظ مبهماً، وكأن بعض الرواة أبهمه استعظاماً له.

وقد أخرجه أحمد أيضاً وابن حبان من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بلفظ «أن عبد الله بن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه».

قال البزار: ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأهما في الصلاة.

قلت: هو في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر وزاد فيه ابن حبان من وجه آخر عن عقبة بن عامر «فإن استطعت أن لا تفوتك قراءتهما في صلاة فافعل» وأخرج أحمد من طريق أبي العلاء بن الشخير عن رجل من الصحابة «أن النبي ﷺ أقرأه المعوذتين وقال له: إذا أنت صليت فاقرأ بهما» وإسناده صحيح ولسعيد بن منصور من حديث معاذ بن جبل «أن النبي ﷺ صلى الصبح فقرأ فيهما بالمعوذتين».

وأما قول النووي في شرح المهذب: أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منهما شيئاً كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح، ففيه نظر، وقد سبقه لنحو ذلك أبو محمد بن حزم فقال في أوائل «المحلى»: ما نقل عن ابن مسعود من انكار قرآنية المعوذتين فهو كذب باطل، وكذا قال الفخر الرازي في أوائل تفسيره: الأغلب على الظن أن هذا النقل عن ابن مسعود كذب، باطل، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل، بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل.